قام الطالب بتصحيح ما أبدته اللجنة من ملاحظات

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
كلية الدعوة واصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان
أهدافه ووسائله وآثاره في العقيدة والإخلاق

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا
الدكتوراه

اعداد الطالب
عبد الله عبد الحي أبو بكر

اشراف الأستاذ الدكتور
محمود احمد خفاجي

المجلد الاول

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة المائدة

بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾

سورة الانبياء

قَالَ ﷺ :

«أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْمُوَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ».

«حديث حسن»

وَقَالَ ﷺ :

«لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ : «يَرَى أَمْرًا، لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ : خَشْيَةُ النَّاسِ. فَيَقُولُ : فَإِيَّايَ، كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى[1]».

«اسناده صحيح».

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة دكتوراة عن (الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه وبعد :-

فقد إشتملت الخطة بعد المقدمة على تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

تناول التمهيد : مفهوم المنهج ، وحالة التعليم في السودان قبل الغزو الفكري .

وتحدث الباب الأول عن الأهداف والوسائل والأساليب ، التي إتبعت في الغزو الفكري ، عبر مناهج التعليم ، في عهد أسرة محمد علي ، والاحتلال البريطاني .

وأبان الباب الثاني : دور الأنظمة التي تعاقبت على سدة الحكم في السودان في تغريب المناهج ، والتمكين للمدارس الكنسية ، وورد في ختامه نماذج (من الغزو الفكري في المقررات الدراسية) .

وتناول الباب الثالث : أثر الغزو الفكري في التعليم على العقيدة والأخلاق في المجتمع السوداني .

واقتصر الحديث في الباب الرابع والأخير : على معالم المنهج على ضوء العقيدة الإسلامية .

أما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، والتي منها :

أولاً : أهم أساليب الغزو الفكري التي مورست عبر المناهج في السودان :

١ - الاعتماد على معلمين تأثروا بالغرب وتشربوا فكره ، وهالهم تقدمه وحضارته .
٢ - احتكار المؤسسات التعليمية الحديثة للعمالة ، دون المؤسسات الدينية التي كانت قائمة
٣ - إطلاق يد الهيئات التبشيرية المسيحية ، وتقديم العون اللازم لها وإعفاؤها من الضرائب
٤ - إنشاء كلية غردون التذكارية تخليداً لذكرى الجنرال غردون ، وتفريخا للكوادر المستغربة
٥ - تلقين الجنوبيين أن الإسلام ماهو إلا نوع من الإستعمار والإستعباد .
٦ - تطبيق التجارب ذاتها التي أجريت في المجتمعات الأخرى الغربية في التعليم .
٧ - مطالبة الطالبات المسلمات بالمدارس الكنسية بأداء شعائر غير الدين الإسلامي .
٨ - حل جامعة أم درمان الإسلامية قمة التعليم الديني في السودان .

ثانياً : الآثار التي خلفتها هذه الهجمة الشرسة :

(أ) التمكين للطرق الصوفية أدى إلى مخالطة عقائد الناس وأعمالهم ، رواسب وخرافات وأعراف جاهلية ، وأصبحت مقاييس التدين تقاس بالولاء للطائفية .
(ب) فصل الأخلاق عن النظام التربوي وعن التعليم .
(جـ) ظهور حركات واتجاهات معادية للإسلام ، مناقضة للعقيدة .

ثالثاً : المنهج القويم للتعليم على ضوء العقيدة الإسلامية :

١ - القرآن الكريم والسنة المطهرة وما يحتويان من حكمة وتشريع ومعاملات .. الخ هي العناصر الجوهرية لفرع العلم الأسمى ، الأساس الذي ينبغي أن تؤول إليه الجوانب المدنية الأخرى .
٢ - الاهتمام بوسائل الإعلام المختلفة كإحدى وسائط التربية التي تحتاج إلى توجيه وإلى تبصير وتوعية .
٣ - المجتمع المسلم الذي تعلوه العقيدة الإسلامية ، وتجمله الأخلاق الكريمة وترفع فيه الشعائر الدينية الإسلامية ، هو البيئة الصحيحة لدعم المؤسسات التربوية التعليمية .
٤ - تحصين المبعوث بالعقيدة والثقافة الإسلامية ، ضد الأفكار المنحرفة في تلك البلاد .

وختمت الخاتمة بتوصيات ومقترحات .

والله الموفق ...

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف	الطالب
د. علي بن نفيع العلياني	أ. د. محمود أحمد خفاجي	عبد الله عبد الحي أبو بكر

إهداء ..

* إلى اللذين أدعو لهما في كل صلاة :

«رب اغفر لي ولوالدي» .. «رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا» .

والدي الكريم تغمده الله برحمته وأنزل عليه شآبيب رضوانه وأسكنه بحبوحة جنته .

والدتي الحنون التي ما فتئت تدعو لي بالسداد والتوفيق. أمد الله في حياتها وأثرها .

* إلى زوجتي التي بذلت وأعطت وضحت بالكثير، فكانت خير معين لي خلال سنوات الدراسة .

* إلى أحبائي، ابنائي: محمد، حذيفة، خالد وسهيلة، انبتهم الله نباتًا حسنًا .

* إلى الباحثين عن ثغرة يسدونها في خدمة هذه الامة .

* إلى الذين يجاهدون اليوم من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

إليهم جميعًا أقدم هذا البحث المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

شكــــر وتقديـــــــر

الحمد لله الذى هدانا إلى الحق ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا اللــه ، والشكـــر موصولاً لخالق الارض والسموات ، الذي وعد الشاكرين بالمزيد ، بقولــه: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكـــم ﴾ [1] . فله الحمد والشكر ، أولاً وآخــــرًا ، أنْ وفّقني لإتمام هذا البحـــث .

فأسأله سبحانه وتعالى ، أن يجعلــه عملاً صالحـًا مقبولاً ، وأن ينفعنـــي بـه ، وسائـــر المسلمين ، إنّه سميع قريب مجيب الدعـــوات .

وبعـــد :

فإذا كان شكـر اللــه عز وجل ، واجبـًا على المسلم ، فكذلك شكر النـــاس لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إنّ أشكر النّاس لله عزّ وجلّ ، أشكرهـــم للنّـــاس " [2] ، وقوله : " من لم يشكر الناس لم يشكر اللــــه " [3] .

ولهذا فإنّني أتقدم بالشكر الجزيل ، والعرفان بالجميل ، لكل من كـــان له عليّ فضل بعد الله في انجاز هذه الرسالة ، وأخصّ بالشكـــر :ـ

القائمين على إدارة جامعة القرآن الكريم ، والدراسات الإسلامية بالسـودان، لما هيأوا لي وزملائي من شرف الابتعاث لهذا البلد الأمين ، وأتوجه بالدعـــاء ، إلى أن يتغمّد الله أستاذنا الدكتور يوسف حامد العالم" مؤسس جامعة القـــرآن الكريم " أسكنه الله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء ، كما أتوجه بالشكــــر الجزيل للدكتور أحمد على الامام مدير جامعة القرآن الكريم والدراسات الإسلاميــة لما قدمه لي من عون ، جزاه الله عني خير الجزاء .

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٧)

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ، ص ٢١٢.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٢ ، ص ٢٥٨ .

كما أشكر القائمين على إدارة جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، لحسن استقبالهم ، لي ، ولزملائي ، وتذليلهم الصعاب التي تعوق طريقنا في تحصيل العلم .

كما أتقدّم بوافر الشكر ، وعظيم التقدير ، لسعادة أُستاذي ، الأُستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجى ، المشرف على هذه الرسالة ، لما حباني به من عطف سخيّ ، ورعاية صادقة ، ولما قدّم لي من وقته ، وعلمه ، وخبرته حيث كنا نقضي الساعات الطوال - في الجامعة ، والبيت ، والحرم - ، دون ملل منه أو كلل . وقد كان لدقته العلمية ، وملاحظاته ، وتوجيهاته ، التى لولاها لتشعّب الدّرب ، وطال الزمن في البحث ، أبلغ الأثَر في انجاز هذا العمل المتواضع ، فله مني كلّ الشكر والتقدير ، سائلاً الله عز وجل أن يجزيه عنيّ ، وعن خدمة العلم وطلابه ، خير الجزاء ، وأن يبارك له في وقته ، وعلمه وعمره ، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

كما لا يفوتني أن أذكر بالعرفان ، أولئك النفر الكريم من الأَساتذة الفضلاء ، والإخوة الأَعزاء ، الذين قدموا لي عونهم ، سواء أكان ذلك بترجمة نصّ ، أو تصوير كتاب ، أو ابداء نصيحة ، أو ملاحظة ، وأخصّ بالذكر الأَساتذة : الدكتور بشير حاج التوم ، وزير التربية السوداني في عهد الحكومة الانتقالية ، والأُستاذ عبد الدائم عنبر ، والأُستاذ الأَمين صالح أبو اليمن والدكتور بدر الدين يوسف ، والدكتور عبد المجيد الطيب ، والدكتور محمد على موسى ، والأُستاذ عز الدين الشيخ ، الأَساتذة بجامعة أم القرى . والدكتور إبراهيم آدم إسحاق ، نائب مدير جامعة الفاتح من ستمبر بدار فور ، والدكتور عبد الباقي محمد أحمد كبير ، والدكتور أحمد سعد مسعود ، والدكتور عبد الله حمدنا الله

والدكتور الفاتح بركات ، والأُستاذ أحمد إبراهيم الغزالي ، والأُستاذ محمود بشير والأُستاذ إبراهيم محمد أحمد سوار ، والأُستاذ محمد أحمد آدم ، والأُستاذ سيد أحمد محمد أحمد ، والأُستاذ علي عبد الله إدريس ، والأُستاذ عيسى إبراهيم عبد الله والأُستاذ يوسف أحمد حسن ، والأُستاذ جاد كريم عبد القادر ، والأُستاذ عبد الرحمن إسماعيل إسحاق ، والأُستاذ علي آدم اسحاق ، والأُستاذ محمد آدم بخيت .

كما لايفوتني أن أسدي أجزل الشكر للقائمين على المكتبة المركزية ومكتبة مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى ، وكذلك القائمين على اذارة معهد بخت الرضا وعلى رأسهم الاستاذ / حسين بيومي السائح ونائبه الأُستاذ عثمان عبد المجيد والأُستاذ الحاج برى رئيس شعبة التربية وعلم النفس، و الأُستاذ محمد عبد الرحيم باسان رئيس شعبة التربية الإسلامية ، والأُستاذ الجيلي أبو بكر محمد سعيد المدير العام لمعاهد التأهيل التربوى بالسودان ، والأُستاذ عوض إسماعيل. والقائمين على دار الوثائق المركزية بالخرطوم وأخص منهم الأُستاذ عثمان والأُستاذة مريم خيرى . والقائمين على إدارة المركز الإسلامي الأفريقي، وأخص منهم الدكتور عبد الرحيم علي مدير جامعة أفريقيا ، والأُستاذ محمد الخير عبد القادر رئيس قسم البحوث والنشر بالمركز الاسلامي الإفريقي، والاستاذ وداعة محمد الحسن ، والقائمين على إدارة منظمة الدعوة الإسلامية ، وعلى رأسها أمينها العام الأُستاذ مبارك قسم الله زايد ، ومديرها الدكتور الأمين عثمان ونائبه الأُستاذ عبد السلام سليمان والأُستاذ شرف الدين مختار ، والأُستاذ عبد الله مكي ، مندوب الندوة العالمية للشباب الاسلامي بالخرطوم .

كما لا يفوتني أن أذكر بالعرفان الأُستاذ يوسف بخيت ، مدير مكتب وزير التربية والتعليم بالخرطوم ، والأُستاذ صلاح الدين محمد على مصطفى

مدير قسم التعليم الشعبي والخاص برئاسة وزارة التربية والتعليم ، والأستاذ مبارك يحي عباس أمين عام اللجنة الوطنية لليونسكو .

أشكرهم جميعا لتجاوبهم ، وافادتهم ، وتشجيعهم ، وتسهيل البعض منهم لمهمتي في تصوير المستندات العامة والخاصة وغيرها .

وأخيرًا الشكر لكل من أعان بمرجع أو أسدى إليّ توجيهًا ، أو كلمة نصح ، أو أبدى استعدادًا لتقديم أيّ عون لاتمام هذا العمل ولم يرد اسمه سهوًا في هذه الأسطر ، والله أسأل أن يجزى الجميع خير الجزاء ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين وآله وصحبه أجمعين .

سبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونستغفره ، ونتوب إليـــه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـــه ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلاّ الله، وحده لا شريك لـه ، وأشهـد أنّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابـــه ومن سلك سبيله ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـد : ـ

فلقد اقتضت سنة الله في أرضه ، وحكمه بين خلقه ، أنّه لا يخفـــض قومًا بعد إذ رفعهم ، إلاّ بما كسبت أيديهم ، ولايغيّر بعد [ذلك] مابهم حتى يغيّـروا ما بأنفسهم .

قال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم . ويعفـــو عن كثيـــر ﴾ (١) .

وقال : ﴿ إنّ الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهـم ﴾ (٢)

وهذا ماحدث بالأمة الإسلامية ، حين بعدت عن كتاب ربها ، وسنة رسولهـا وحاولت الأخذ من غير هذين النبعين الصّافيين الأصيلين ، انبهاراً بالغرب العلماني الذى أوتي شيئًا من التفوق الحضارى على أساس مادى ، وبالشرق الشيوعي الذى رفـع راية الاشتراكيـة " العلمية " والتي أراد الله لها أن تنهزم على أيـــدى زعمائهـا ، ومفكريها ، وأصبحت هشيمًا تذروه الرياح ، كأن لم تغن بالأمس .

---

(١) سورة الشورى الآية (٣٠)
(٢) سورة الرعد الآية (١١)

وقد جرّ هذا الأَخذ الأَعمى المسلمين بعد ذلك أن ينقلوا من غيرهم، فينقلون الغث والسمين ، بل ينقلون الغث أكثر مما ينقلون السمين، وهكذا رأينا كيف أخذت البعثات الخارجية،بزخارف المدنيات الغربية والشرقيه الشيوعية ، وفسادها دون أخذ بلبابها ، وكان هذا التقليد ، وتلك المحاكاة من أسباب الانهزام ، والتفكك والتفرقة والتخلف عن مواكبة العصر ، فيما وصل إليه من أبحاث علمية تجريبية .

تمّ هذا بتخطيطٍ أثيمٍ بعد أن أيقن الغرب والشرق ، أنّ دولة الإسلام مهما ضعفت ، فإنّهم لن يستطيعوا النيل منها ، ومن أمتها حتى ينالوا أولاً من عقيدتها ، وفكرها .

فكان الاستشراق وكان التبشير ، وكانت مهمة كلّ من الطائفتين تدخل في الأُخرى ، بل هما كما يذكر أحد الكتاب المعاصرين : " وجهان لعملة واحدة وهما متكاملان : الأَول في ميدان التربية ، والثاني في ميدان الثقافة ، والمهمة مشتركة ، يقدم الاستشراق الشبهات والسموم ثم تجيء وسائل التبشير الظاهرة والخفية ، فتنتشر هذه الشبهات في أفق الفكر الإسلامي ، سواء عن طريق مناهج التعليم ، أو المذاهب ، والأيدلوجيات المطروحة للدراسة والبحث في مجال الصحافة والثقافة ، وقد تَخَفّف التبشير من أُسلوبه القديم في الدعوة الجهرية إلى عمليات التنصير ، ولكن ذلك لم يكن الا خطوة لإِحْكَام عمله بالتَّخَفّي وراء أساليب التربية والثقافة .

ويظهر هذا إذا عرفنا أنّ صلة الاستشراق بالتبشير قديمة جدًا ، فقد

---

(١) أنور الجندى ، الإسلام في وجه التغريب ، دار الاعتصام ، بدون تاريخ ، ص ١١

كان الاستشراق في الفترة الأُولى من مخطط لويس (١) عام ٥١٥ هـ - ١٢٤٦ هـ الموافق ١١٢١م - ١٨٣٠م، يضع السموم • وفي الفترة من عام ١٢٤٦هـ -١٣٣٧هـ - الموافق ١٨٣٠-١٩١٨م

---

(١) ظهر هذا المخطط الخطير ، بعد فشل الصليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق الإسلامي ، يلقى الضوء على تحوُّل الصليبيين من الغزو العسكرى، إلى الغزو الفكرى ، وظهرت وثيقة بهذا الشأن " تتضمن وصية (القديس) "لويس" ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السادسة ٦٤٦ هـ التي انتهت بالفشل والهزيمة ، ووقوع "لويس" في أسر المصريين في مدينة المنصورة ، وقد بذل الملك "لويس" فدية عظيمة للخلاص من الأَسر وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنَّه لاسبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأَن تديُّنهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد ، وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام ، وصون الحرمات ، والأَعراض به ، والمسلمون قادرون دومًا للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ، ودحر الغزاة • وأنَّه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الإسلامي ، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقوم العلماء الأُوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ، ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامي ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة ، والفكر ، بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد ، وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد "•

د • على جريشة ومحمد شريف الزيبق ، أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامي ، دار الاعتصام ، الطبعة الأُولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م ، ص ١٩•

كان التبشير يجتاح البلاد الإسلامية عن طريق الإرساليات التي كان نفوذها داخلاً في نفوذ الامتيازات الأجنبية ، ولها مناهج دراسية قائمة على النيل من الإسلام ، وتاريخه ولغته وعقيدته ، وإذابة الأجيال الجديدة في سموم الغرب وتنظيم تاريخه ، واحتقاره لأمته ، ودينه . ومن هذه الأجيال جاء القادة والوزراء، الذين سيطروا في ظل حكومات الاستعمار والاحتلال ، والذين أخذوا مناهج التعليم التي وضعتها معاهد الإرساليات ، فجعلوها مناهج للمدارس الوطنية .(١)

ومن هنا تبرز صلة الاستشراق والتبشير والاستعمار الذى يرى هو الآخر أنّ المفهوم الإسلامي السليم ، يعطى المجتمع الإسلامي قوة تحول بينه وبين مايريد .

" بل يرى كثير من الباحثين أنّ الاستشراق تولّد من الاستعمار والتبشير "(٢).

من هذه الأبواب الثلاثة : التبشير ، والاستشراق ، والاستعمار ، نفذ ضمن مانفذ إلى العالم الإسلامي ، غزو تربوى تعليمي ثقافي خطير استهدف أعز ما تملك هذه الأمة ، استهدف دينها ، ومثلها واخلاقها ، سعى جاهدًا إلى تزييف العقيدة الإسلامية ، وامتصاص مافيها من قوة وجهاد وإيمان ، حتى أنه وصل الأمر بالاستعمار في بعض البلاد الإسلامية أن حرّم تفسير آيات الجهاد ، وعدّ ذكره فضلًا عن فعله من أعظم الذنوب ، وهو عندهم - أى الجهاد - آية الهمجية والتعصب الديني ، بل لقد ورد في صحيفة فرنسية عثر عليها الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي - رحمه الله - في مدينة المشرية قسم وهران من الجزائر ، نص جاء

---

(١) انظر : أنور الجندى ، الإسلام في وجه التغريب ، مرجع سابق ، ص ١١

(٢) انظر : د . على جريشة ، أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص ٢٠

فيه :" أنّ الإذن بتدريس علوم الدين ، مقيّد بأنّ المدرس لا يفسر أيّ آية أو حديث يدل على الجهاد ، وأنّ لا يُدرّس شيئًا من أبواب الجهاد في كتب الفقه " [١] بل وجدنا " شامير " رئيس حكومة العدو الإسرائيلي في مؤتمر مدريد الأخير للسلام يناشد الدول الإسلامية والعربية في المؤتمر ، بعدم إثارة ذكر الجهاد ، وكان الأدهى والأمر من هذا أنّ بعض الدول التي اشتركت في المؤتمر الإسلامي الأخير ، اعترضت على كلمة الجهاد ، وأصرت على أن لا تكتب ، وأن يكتب مكانها ، الكفاح ، بل اعتبرها بعضهم كلمة عنترية ، ولا أدري ما معناها !! .
ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

وكان من بين تلك الدول الإسلامية التي استُهْدِفَت ، السودان ، لموقعه المتميز من حيث وسطيّته ، وعروبة غالبية سكانه ، وتدينهم بالإسلام حيث تبلغ نسبة المسلمين فيه ٨٥٪ [٢] ، وقد نال من الغزو النصيب الأوفى ، وقد كان ذلك ضمن الأسباب التي حدت بي ، ودفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع :
" **الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان** " للتنبيه على الخطر الحادق بالأمة من جراء تطبيق المنهج الغربي الوافد الذى سعى الاستعمار البريطاني إبان حكمه للسودان سعياً جادًا إلى مسخ شخصية الإنسان السوداني من خلال حربٍ تبشيرية تنصيرية ضارية ، اتخذت طرقًا مختلفة للتأثير على الأجيال الناشئة ، وكسب اعجابهم ، وحماسهم للغرب المسيحي ، وبذلك يُظْهِر أمامهم تخلف الإسلام والمسلمين ، ما يقلل من ثقتهم بالمدنية والثقافة الإسلامية ، وقد يهيئ أذهانهم ، وتكوينهم للاعتماد على الغرب المسيحي والإيمان به ، وتقليده تقليدًا أعمى في المأكل والملبس و المعتقد - كما حصل -.

---

(١) أنور الجندى ، الإسلام في وجه التعريب ، مرجع سابق ، ص ١٠
(٢) انظر : ملحق مجلة الدعوة السعودية الخاص بمؤتمر القمة الإسلامي الثالث ، ص٢٥

* **ثانيا :** لقد قَوَّى هذا عندى ، ما آمنت به منذ أن التحقت بالجامعة أن تخصص العقيدة ، لابد أن يقوم بمواجهة الغزو الفكرى ، المتمثل في التيارات الإلحادية العصرية ، في ميادينها المختلفة ، ولقد زاد إيماني بهذه الفكرة أكثر ، مالفت نظرى من الفراغ الخطير في الفكر الإسلامي المعاصر في التعليم ، وأساليبه ، وما يواجهه من تيارات الحادية ، متنوعة ومتشعبة ظاهرة ومنتشرة ، أشكالٌ متعددة من الإلحاد الخفي ، والظاهر تسرى في ثقافة عصرنا ، وازاء هذا وجدت نفسي تتوق إلى خوض هذا الغمار الشاق في ميدان التربية والتعليم ، وما فيها من نزوع إلى الإلحاد في بعض مقرراتها ، خصوصًا وأنّ الأمر يتعلق بأطفال وشباب الغد الذين هم قادة الأُمة ، والذى يجب أن يعنى بهم عقائديًا منذ الصغر . فاستخرت الله تعالى في أنّ أقوم بالمساهمة في هذا الميدان ، وشجعني على ذلك أساتذة فضلاء من أبناء وطني الذين كانوا يتوقون إلى مثل هذا العمل خصوصًا ، وأنهم يعملون في هذا الميدان .

* **ثالثا :** لما كان قطاع التربية والتعليم ، يعج بمتناقضات تخالف الصحوة الإسلامية التي بدأت تعم البلاد ، والأسلمة التي شملت كثيرًا من المؤسسات والمرافق الحكومية ، بل الحياة بأسرها - لما كان الأمر كذلك - رأيت المساهمة في دفع عجلة الصحوة ، بمتابعة منهج التربية والتعليم ، وتبيين بعض جوانب الغزو الفكرى الذى داخله ، وران على مناهجه ، مما لايتفق والعقيدة الإسلامية .

وقد أيد هذا الموضوع ، والح على التسجيل فيه منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان ، بناء على خطابها رقم ١٠٧/م/م بتاريخ ١٤٠٧/٤/١٧هـ ، الموجه

إلى رئيس قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ٠ (١)

ولقد كان منهجي في البحث قائمًا على الأُسس الآتية :

(١) سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي في إبراز التدرج في التطور التعليمي - من القديم إلى الحديث - الذى شهدته البلاد ، وما تبع ذلك من سياسات وممارسات، قُصِدَ بها غزو البلاد فكريًا ، ثم عضَّدت هذه الخطوة ، باستخدام المنهج الاستقرائي، فاستقيت الحقائق من مصادرها الأَولية ، المتمثلة في اللوائح ، والقوانين والتقارير الصادرة من الجهات الرسمية ، وكل الوثائق التي تتأكد لها هذه الصفة ، والمقابلات الشخصية مع بعض رجال التعليم والزيارات الميدانية ، لبعض المؤسسات التعليمية الكنسية منها بصفة خاصة ، كذلك الرجوع إلى المصادر الثانوية المتمثلة فيما كتب عن موضوع الغزو الفكرى بصفة عامة ٠

(٢) الاعتماد في تصوير الحقائق الدينية على القرآن الكريم ، والأَحاديث النبوية الشريفة والآثار ٠

(٣) التعويل في تحديد نماذج بعينها من المناهج المقررة ، ومتابعتها وتوضيح مافيها من غزو ، على عظم وخطورة الغزو الفكرى في الكتاب المختار مع التركيز على التعليم العام، لأَهميته كأساس للتعليم العالي من جهة ، ولتوفر كتبه ومقرراته نسبيًا من جهة أخرى ، واضعًا في الاعتبار توزيع النماذج على المراحل المختلفة ، وقد أدّى هذا المنهج إلى الاسهاب في متابعة موضوعات بعينها ، متعلقة بالعقيدة الاسلامية ، والرد عليها دون غيرها ،

---

(١) انظر الملحق رقم (١) ص / ٥٩٠

مثل الاشتراكية والوجودية ، والفرويدية ، والحديث عن رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - واظهار مواطن الخلاف بين الصحابة في كتب التاريخ ، وتبيين جوانب الغزو المتعددة في المدارس الكنسية التي يؤمّها أبناء المسلمين قبل أبناء النصارى .... الخ ، مراعيًا في ذلك الاسهاب ، حجم التأثير الذى أحدثه الموضوع المتابع في المجتمع .

* **العقبات التي واجهت البحث :**

(١) صعوبة الموضوع ، واتساعه ، وشموله للفنون المختلفة ، وندرة مراجعه ووجود بعضها في أماكن يمنع الوصول إليها لأنها تعتبر من الوثائق السّريّة .

(٢) قلة الدراسات التي تناولت موضوع الغزو الفكرى لمناهج التعليم في العالم الإسلامي عامة ، والسودان بصفة خاصة ، حيث لم يسبق - في مدى علمي - أن تناول هذا الموضوع في السودان أحدٌ ، وإنْ كانت هناك إشارات تنبيهية توضيحية لبعض جوانب الغزو الفكرى ، من بعض المعلمين ، كلّ في مجال تخصصه ، كما يتضح لنا ذلك من خلال البحث .

(٣) عدم تعاون بعض الجهات في تمكين الباحث مما لديها من حقائق ووثائق ، مما اضطر الباحث إلى تغيير مستنداته الثبوتية في جمع المادة العلمية باستخراج شهادات تعريفية جديدة غير تلك التي تحمل العنوان الصريح للبحث [١] ، حذفت منها عبارة " الغزو الفكرى " وأبقى على الجزء الثاني

---

(١) انظر الخطاب الموجه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى إلى من يهمه الأمر ؛ ملحق رقم " ٢ " ص/٩٩٥

" مناهج التعليم في السودان " [١]

(٤) عدم توفر آلات تصوير الوثائق ، والمستندات في الأماكن التي توجد فيها وثائق تهم البحث ، مع عدم السماح باستخراج الوثائق خارج مراكزها مثل : دار الوثائق المركزية بالخرطوم [٢]، ومركز التوثيق التربوى بالوزارة ومكتبة بخت الرضا بالدويم ، ممّا اضطر الباحث أن يمكث ولمدة طويلة لاستنساخ الوثائق التي تهمه بيده .

(٥) عدم المام بعض رجال التربية والتعليم بخفايا ، وأساليب الغزو الفكرى في المقررات الدراسية ، اتضح ذلك للباحث من خلال بعض المقابلات الشخصية ، ومن خلال الإجابة على الأسئلة المحددة التي سبق أن أرسلها الباحث إليهم للاجابة عليها .[٣]

(٦) عدم التمكن من الحصول على كثير من المقررات الدراسية :

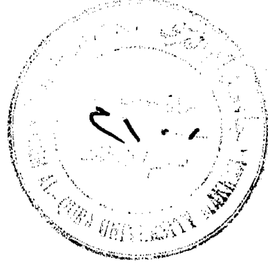
في التعليم العام : بسبب النقص الحاد ، والتدهور الذى أصاب قطاع التربية والتعليم في ذلك الوقت ، أمّا في الجامعات ، فلأن الأمر في بعضها يتوقف على المحاضرات ، ورؤوس مواضيع فقط ، ولا تعتمد على كتب مقررة بعينها .

---

(١) انظر الخطاب الصادر من مكتب بخت الرضا بوزارة التربية والتعليم بالخرطوم ، إلى من يهمه الأمر ، ملحق رقم " ٤ " ص /٩٤٤م
وكذلك مذكرة مدير مكتب وزير التربية إلى أمين عام اللجنة الوطنية لليونسكو ملحق رقم " ٣ " ص /٩٤٣م

(٢) لقد وفق الباحث أخيرا بعد طباعة جزء كبير من الرسالة في تصوير ماسبق أن أستنسخه من دار الوثائق المركزية وذلك في عهد حكومة الإنقاذ الحالية التي تسعى جاهدةً لإزالة الشوائب التي علقت بقطاع التربية والتعليم وغيرها من المؤسسات .

(٣) انظر : نماذج هذه الأسئلة ، الملاحق من ٦ إلى ٨ ص /٩٦٦م-٩٦٨م .



* **خطـة البحـــث :**

لقد كانت الجوانب التي تطرقت إليها في هذا البحث ، المقسم إلـــــى أربعة أبواب ، تسبقهـــا مقدمة وتمهيـد ، وتتلوها خاتمة كالآتي :

* أمّا المقدّمة : وهي التي بين أيدينـــا ، فقد ذكرت فيها موضوع البحث وبيان أهميتـه ، ودوافع الكتابـة فيـه ، وبيان المنهج الذى سرت عليـــــه والعقبات التي واجهتني ، ثم ختمتها ببيـان خطـة الرسالة .

* أمّا التّمهيـــد : وعنوانـه " مفهـوم المنهج ، وحالة التعليم في الســـودان قبل الغزو الفكـــرى " .

فقد تحدثت فيـه عن المنهـج بمفهومه الشمولي المتكامل ، وعن دور المساجد والخلاوى في نشر التعليم في السودان ، والأدوار التي لعبتها في حفــــــظ التراث الإسلامي ، ثمّ تتبعت الكتب التي كانت تدرس فيها ، وبيّنـــــــت أهميتها ومكانتها . وأوضحت كذلك صلـة هذه المناهج التي كانت تـــدرس في المساجد والخلاوى ، وتأثـرها بالفكـــر الصوفي التي يجب أن تخلو منـــه . وختمت التمهيد ببيان الصلات التعليمية بين مصر والسودان قبـــــــل عهد أسرة محمد علي .

* أمّا الباب الأوّل : وعنوانـه : **الغزو الفكرى في مناهج التعليم فـــــي السودان في عهد أسرة محمد علـــي ، والاحتلال البريطاني** . فيندرج تحته ثلاثـة فصول :

* الفصل الأوّل : "بدايـة الغزو الفكرى في مناهج التعليم في عهـد أسرة محمد علي " أوضحت فيه السياسة التعليمية الجديدة ، وبداية التحول ـــــن

التعليم الديني ، الى التعليم القائم على النظام الغربي ، وبروز الازدواجية في التعليم ، وتحدثت عن دور العلماء الذين وفدوا مع الحملة التركية ، وكيف استفاد محمد علي من خطة نابليون في الاستفادة من العلماء والفقهاء في تهيئة الناس للخضوع لسلطانه ، والتمكين للطرق الصوفية ، وتعرضت لطبيعة المدارس التي أسست في هذه الفترة ، وعددها ، والأُسس ، والنظم السائدة فيها والمعلمون الذين تولّوا تأسيسها ، ودورهم في التغريب في السودان . ثمّ ختمت الفصل ، بنشاط النصارى في انشاء المدارس ، والامتيازات التي كانت قد منحت لهم .

* أما الفصل الثاني :" الغزو الفكرى في مناهج التعليم في فترة الحكم الثنائي " فتعرضت فيه للأَهداف التعليمية والأَغراض الاستعمارية في هذه الفترة وتناولت فيه بالحديث ، الهدف من انشاء كلية غردون التذكارية ، وكيف يتم اختيار الأَساتذة لها ، والمناهج التي كانت تدرس فيها ، وعقدت مقارنة بين خريج المعهد العلمي ، وخريج كلية غردون التذكارية ، من حيث التدرج الوظيفي ، والوضع الاجتماعي ، وفرص العمل ، وأوضحت فيه كذلك موقف الاستعمار البريطاني من القرآ ن الكريم ومؤسساته التعليمية ، وتضييقه لفرص التعليم واطلاقه العنان للمدارس الكنسية بخاصة في مجال تعليم البنات ، وبينت أساليبه ووسائله لصدّ الدعوة الإِسلامية واللغة العربية ، عن المديريات الجنوبية وجبال النوبا ، بتصويره للإِسلام بأنّه الاستعمار العربي لأَفريقيا ، وبعقده المؤتمرات التعليمية ، وتمكينه للإِرساليات التبشيرية في هذه المناطق . ثم ذكرت الاهداف من انشاء معهد بخت الرضا لتدريب المعلمين بمدينة

الدويم ، وختمت الفصل بالحديث عن لغة التعليم في المدارس الحكومية.

* وفي الفصل الثالث والأخير من هذا الباب ، وعنوانه :

" نماذج من الغزو الفكري في المادة المقررة " .

تتبعت فيه بعض المقررات الدراسية في هذه الفترة ، موضحًا جوانب الغزو فيها .

* **أما الباب الثاني** : وعنوانه :

" الغزو الفكري في التخطيط للتعليم ومناهجه بعد الاستقلال " .

فيشتمل على ثلاثة فصول :

* الفصل الأول : مناهج التعليم في الفترة من الاستقلال وإلى ثورة مايو .

بينت فيه أهداف المنهج في هذه الفترة ، والاتجاهات التي اشتقت منها هذه الأهداف ، وتعرضت فيه لدور وزارات التربية الوطنية ، سلبًا ، وايجابًا ، حيال ماخلفه المستعمر من النظم التعليمية القائمة على محاربة العقيدة الإسلامية ، ثم ذكرت دور العلاقات الثقافية ، والبعثات الدراسية في الغزو الفكري ، وختمت الفصل بموقف الاستعمار من التربية الإسلامية ، واللغة العربية ، والتفريق بين معلميها ، ومعلمي المواد الأخرى من حيث التدرج الوظيفي .

* ثم كان الفصل الثاني : " مناهج التعليم في عهد ثورة مايو " .

تحدثت فيه عن دور النظام في تغريب المناهج ، وأجريت خلاله عرضًا للمناهج التي عدلت ، وبينت أن المادة الوحيدة التي تضررت بصورة واضحة ومؤثرة ، هي مادة التربية الإسلامية ، وكشفت خيوط التآمر على التعليم الإسلامي ، فبينت القرارات الارتجالية التي صدرت في شأن الجامعة الإسلامية

وتحويلها إلى معهد عال للدراسات الإسلامية والعربية ،وبينت كذلك الأساليب الجديدة التي اتبعت في التفرقة بين معلمي التربية الإسلامية واللغة العربية ومعلمي المواد الأخرى ، وأجريت عرضًا لأبرز موجهات المؤتمرات التعليمية التي عقدت في هذه الفترة،من حيث قربها وبعدها عن تحقيق المنهج الإسلامي ، وتعرضت فيه كذلك لممارسات الغزو الفكرى من خلال العلاقات الثقافية ، والبعثات الدراسية ، ومن خلال ما تمارسه المدارس الأجنبية الكنسية من غزو فكرى عقدى .

وختمت الفصل بالتدابير التي اتخذت من قبل الوكالات والمنظمات الأمريكية والأوربية ، لاضعاف اللغة العربية ، وتحجيم المدّ الإسلامي في الجنوب بغرض واقع لغوى جديد ، تمكن للهجات المحلية وتمهّد لسيادة اللغة الإنجليزية .

* أمّا الفصل الثالث والأخير وعنوانه : " نماذج من الغزو الفكرى في المادة المقررة " فقد قمت فيه بمتابعة بعض المقررات التي كانت تدّرس في هذه الفترة وبينت الأساليب التي اتبعت في غزو عقول الناشئة عن طريق هذه المقررات ، بإثارة الشبهات حول بعض الآيات القرآنية ، وزرع الأفكار الماركسية والاشتراكية ، والإنسانية والقومية ، وابراز مفهوم عدم وجود صلة بين الدين والعلم ، وهو مفهوماً من به الغرب كنتاج للصراع المرير بين الكنيسة والعلم .

* * **أما الباب الثالث** : وعنوانه : " **أثر الغزو الفكري في التعليم على العقيدة والأخلاق في المجتمع السوداني** " .

فيشتمل على خمسة فصول :

* الفصل الأول : " أثر الغزو الفكري في العقائد " .

تناولت فيه الأثر الداروني ، والأثر الشيوعي ، والأثر الصوفي ، وأثر دراسة علم الفلك ، والأثر الفلسفي في العقيدة على المجتمع السوداني وكيف أنّ الشبه المثارة في مناهج التعليم قد انعكست سلباً على العقيدة الإسلامية .

* ثمّ كان الفصل الثاني : " أثر الغزو الفكري في الأخلاق والسلوك " ، الذي بينت فيه أهمية الأخلاق ، ومكانتها من الدين ، ومنزلتها في الأمة ، وكيف أنّ الاستعمار قد وعى ذلك وسعى جاهداً لمحو وسلب الشعب قيمه الاجتماعية والثقافية والدينية عن طريق المادة التعليمية المقررة ، وأثر تلك الهجمة الشرسة على المجتمع .

* أمّا الفصل الثالث : وعنوانه :" أثر الغزو الفكري في تقوية الاتجاهات المعادية للإسلام ".

فقد تحدثت فيه عن آثار الهيمنة الفكرية الخطيرة التي ترعرعت ونمت ثمّ تسللت إلى مفاهيمنا وفكرنا وثقافتنا عبر مناهجنا الدراسية كالقومية الضيقة ، والمفاهيم الاشتراكية ، بل كل النظريات والأفكار والمبادىء الإلحادية والمبادىء المناقضة والمخالفة للأسس الإسلامية .

* وفي الفصل الرابع : الذى بعنوان : " أثر الغزو الفكرى في وضع المرأة السودانية " .

ذكرت فيه أسباب الانحراف في وضع المرأة في البلاد الإسلامية بصفة عامة والسودان بصفة خاصة ، نتيجة للهجمة التي تضمّنت الغزو الفكرى من جرّاء تقديم النظريات ذات المضامين الإلحادية ، مع التركيز على النظريات التي تحمل مضامين جنسية كنظرية الجنس لفرويد . وتناولت فيه كذلك أثر الهجمة على العادات والتقاليد في المجتمع السوداني .

* أمّا الفصل الخامس والأخير : فعن " مظاهر التبعية في مناهج التعليم " تناولت فيه بالحديث ، مظاهر التبعية في تربية السدنة والبطانة ، ومظاهر التبعية في القوانين ، ومظاهر التبعية في الجامعات ، ومثلت لذلك بجامعة الخرطوم ، وكلية الأحفاد الجامعية بأم درمان ، ثمّ ختمت الفصل بالحديث عن مظاهر التبعية في اللغة ، فبينت الآثار اللغوية التي نجمت عن تلك التبعية ، على المجتمع السوداني .

* **أمّا الباب الرابع والأخير : وعنوانه :**

" معالم المنهج على ضوء العقيدة الإسلامية "

فيشتمل على ثمانية فصول :

* الفصل الأوّل : " المقصود بالعلم الذى أمرنا الله بتعلمه " .

بينت فيه حث الإسلام على العلم وطلبه ، وذكرت عبارات العلماء وسمياتهم لمفهوم العلم ، وبيّنت كذلك الفرض المتعيّن منه على كل مسلم في خاصة نفسه ، والفرض على الكفاية الذى إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع ، مع تفصيل القول فيهما ، وأوردتُ في نهاية الفصل مثالين لتكامل العلوم وتعاضدهما .

* أمّا الفصل الثاني : " من الذى يضع المنهج ؟ " .

فقد بيّنت فيه ، أنّ المادة التعليمية المقررة على الطلاب في الدور التعليمية في السودان ، لا تتلاءم مع عقيدتهم وظروفهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وبيئتهم ذلك لأنّها مستقاة في مادتها ، وتنظيماتها وأهدافها من الغرب أو الشرق ، وضعت في الأساس لطلاب يعيشون في غير تلك البلاد ، على أيدى أناس يغلب على معظمهم أنّهم مستغربون .

* وفي الفصل الثالث : الذى بعنوان : " اختيار المعلم ورفع مستواه " .

تحدثت فيه عن مكانة المعلم الرئيسية في التربية الإسلامية والمزايا التي يؤديها من صياغة شخصية التلميذ ، وتقويم ما اعوج من المنهج .. الخ ، وبيّنت كذلك الضوابط والمواصفات التي كان السلف يختارون المعلمين على أساسها ، وقارنت بينها وبين الضوابط والمواصفات التي يتم بها اختيار المعلمين في السودان ، موضحا ماينبغي أن يؤخذ منها في عين الاعتبار .

* أمّا الفصل الرابع : " معلم التّربية الإسلامية بين سائر المعلمين " .

فقد بينت فيه أهمية معلم التربية الإسلامية ، والدور العظيم المنوط به بحكم أنّه صاحب رسالة تسمو على الوظيفة وتتعالى على الأجر ، وأنّه النموذج الحي للثقافة الإسلامية في اتساعها ... الخ ، وقارنت بين الصفات والمواصفات التي ينبغي ان يتحلى بها من يختار وينتدب للقيام بهذه الوظيفة ، والمعايير التي يتم على ضوئها اختيارهم للعمل بوزارة التربية والتعليم في السودان ، مع بيان المنهج القويم الذى نراه لإعداد معلم التربية الإسلامية .

* وفي الفصل الخامس وعنوانه : " أولويّات التعليم " :

بينت فيه كيف أنّ بعض المخطّطين للتعليم في السودان قد نهجوا نهج الاستعمار في ابعاد التربية الإسلامية عن موقعها الذى كان من المفترض أن تلعبه ، واضعافها ، كمًّا وكيفاً ، وبيّنت كذلك أولويّات التعليم مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السّلف رضوان الله عليهم .

* أما الفصل السادس :" البيئة والمجتمع ، تحكيم شرع الله " :

فبينت فيه أنّ الكلمة مهما يكن لها من هدف فإنّها لا تبلغ مبلغها ، إذا لم تتوفر لها البيئة التي تتوفر فيها أدوات التربية الإسلامية الواجبة من تحكيم لشريعة الله ، وتطبيق للإسلام في واقع الحياة ، والتزام البيت والشارع بآداب الإسلام ، وتعاليمه ، وبينت أنّ التربية ينبغي أنّ تلبّي حاجات المجتمع ، وأنّ الطفل ينبغي أن تعده المدرسة لحياة مجتمعه .

* وفي الفصل السابع : الذى بعنوان : " تعاون الإعلام مع التعليم " ـ

ذكرت فيه ، أنّ وسائل الإعلام من أخطر وأهم الصناعات على الصغير والكبير ، المتعلم والأُمي ، المسلم وغير المسلم ، لأنّها تتعامل مع ملايين أكثر عدداً ، وأقل حصانةً ، وبينت كذلك كيف أنّ الغزاة قد استغلوها في نقض عرى المجتمعات الإسلامية ، موضحاً السياسة التي ينبغي أن تأخذ بها المجتمعات الإسلامية للارتقاء بوسائل الإعلام لمساندة التربية والتعليم .

* أمّا الفصل الثامن والأخير : " تحصين المبعوثين ضد التيارات الفكرية " فقد تعرضت فيه للمنهج الذى سلكته الدول الغازية في الابتعاث ، مــن ايفاد مفكريهم ودعاتهم للتدريس في المدارس العصرية التي أقاموها في البلاد الإسلامية ، على أنماط بلادهم ، أو فتح فرص الابتعاث للطلاب المسلمين إلى ديارهم ليكسبوهم شيئًا من أساليب الحياة هناك ، مبيّنًا خطورة النهجين ، وأثر ذلك على الأمة ، والجوانب التي ينبغي مراعاتها للانفكاك من هذا الأسر الثقافي .

* أمّا الخاتمة : فقد ضمنتها أهم نتائج البحث .

وبعد :

فإنّي قد بذلت جهدى وطاقتي في عمل دؤوب ، وجهد متواصل لإخراج هذه الرسالة - قدر استطاعتي - بأحسن حلة ، وأفضل ثوب ، كما أظن . متحرّيًا الدقة العلمية في معالجة مضامينها ، ابتغاء رضوان الله عز وجل ، وسعيا مني في بذل طوقي لخدمة دينه ، فإنْ أكن قد أصبت الذى قصدت في هذه الاستخراجات ، والاستنباطات ، والمعالجات فبتوفيق الله وفضله ، وإن يكن غير ذلك ، فمني ، ومن الشيطان ، وأسأله تعالى المغفرة ، والرضوان ، وأن يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

عبد الله عبد الحي أبو بكر
مكة المكرمة في
غرة رجب سنة ١٤١٢ هـ .

التمهيـد :-

مفهوم المنهج وحالة التعليم في السودان قبل الغزو الفكرى ٠

ويشتمل على النقاط التـالية :

أ مفهوم المنهـج

ب دور المسجد فى نشر التعليم فى السودان

ج دور الخلاوى فى نشر التعليم فى السودان

د الكتب التى كانت تدرس فى المساجد والخلاوى

هـ تأثر المنـاهج بالفكر الصوفى

و الصلات التعليمية بين مصر والسودان قبل غزو محمد علي للسودان

أ - مفهوم المنهـــج :

المنهج في اللّغة : النّهج الطريق الواضح ، وكذلك المنهج والمنهاج .

وأنهج الطريق : أى استبان وصار نهجا واضحا بيّنا .

وفلان يستنهج سبيل فلان ، أى يسلك مسلكه .(١)

وفي التنزيل : ﴿لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا﴾ (٢)

وفي حديث العباس - رضي اللّه عنه - :" لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتّى ترككم على طريقة ناهجة " (٣) . قال ابن الأثير : أى واضحة بيّنة وقد نهج الأمر ، وأنهج ، إذا وضح ، والنهج الطريق المستقيم .(٤)

أما المنهج في الاصطلاح : فقد اختلف المربّون والمختصون بالمناهج الدراسية في نظرتهم للمناهج ، وتعريفهم لها باختلاف مدارسهم ، أو الغرض الذى يقصدون تحقيقه ، وبمتابعة ماكتب في هذا المجال يمكننا أن نتبيّن مفهومين للمنهج:

(١) مفهوم تقليدى قديم .

(٢) ومفهوم جديد .

والمنهج بمفهومه الضّيّق القديم :" يطلق على المواد الدراسية التي تدّرس في سنة دراسية معينة مقرراتها الدراسية . ومن هنا أمكن القول أن المنهج عبارة عن المقررات التي يدرسها التلاميذ بغية اجتياز امتحان آخر العام ". (٥)

---

(١) أنظر : الجوهرى - الصحاح م ١ فصل النون باب الجيم ،
وكذلك : ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب دار الصادر بيروت ١٩٥٥م ج ٢ص٣٨٣ ، باب النون فصل الجيم .

(٢) سورة المائدة الآ ية (٤٨).

(٣) ابن الأثير : النّهاية في غريب الحديث والأثر ، المكتبة الإسلامية ، ج ٥ ص ١٣٤.

(٤) المرجع نفسه والصفحة .

(٥) د . يحيى حامد هندام ، د. جابر عبد الحميد جابر ، المناهج أسسها ، تخطيطها ، تقويمها ، دار النهضة العربية ، ص ٩ .

ويعرّف الدكتور محمد زياد حمدان ، المنهج بمفهومه القديم بأنه : " المقرر الدراسي الذى تتبناه المدرسة ، أو الجهة التربوية لصغارها ويقوم المعلمون بتدريسه ، وتنفيذه في الغرف الصّفيــة " (١)

إذًا فالمنهاج من هذه الوجهة التّقليديّة ، يساوى المادة الدراسية ليس غيـر .

هذا المفهوم التقليدى كان ولايزال هو السائد في مؤسسات وزارة التربية والتعليم في السودان ، رغم أن مراشد المعلمين ، والنشرات التي تعدّها الشعب ببخت الرضا (٢) تنص على أهمية المناشط التربوية المصاحبة للمنهج والتي تكاد تكون متوقّفة تماما ، مع مالها من أهمية في تنشئة التلاميذ ، واكسابهم المهارات المختلفة . (٣)

ويؤكد لنا ذلك تقييد الموجهين للمعلمين ، والمعلمات بأن واجبهم الأول والأخير هو اتمام مادة المنهاج المقرر قبل كلّ شيء مما يدفع المعلمين ، والمعلمات الى إلى اتباع أساليب غير تربوية فى اتمام مقرراتهم (٤).

ولعل سبب ذلك يرجع إلى ضيق الإمكانات المادية التّى هى بمثابة العمود الفقاري في النهوض بالأنشطة المصاحبة والمكملة للمنهج.

أما المفهوم الجديد كما يسميه علماء التربية فيضم نوعين من المناهج هما : (٥)

(١) **المنهج الرّسمي ، أو المنظّم** : ويقصد به المنهج القديم المذكور سابقا .

(٢) **المنهج الخفي ، أو الموازى** ، أو غير المكتوب ، أو غير الرّسمي . والذى يضم كافة الخبرات ، والمعارف والأنشطة التي يقوم بها التلاميذ أو يتعلّمونها ، خارج المنهج المقرر ، بواسطة مايسمى بالأنشطة اللّا منهجية أو اللا صفية ، لأ نهامن خارج المنهج المقرر كما أنها تمارس خارج الصّف في الغالب وذلك كالألعاب الرّياضية المختلفة ، والمسابقات

---

(١) د . محمد زياد حمدان ، المنهج أصوله وأنواعه ومكوناته ، دار الرياض للنشر والتوزيع السعودية ص ٣٧.

(٢) معهد إعداد معلمي المدارس الابتدائية والثانوية العامة. انظر التفصيل ص (٧١)من البحث.

(٣) هذه المناشط موجودة في بخت الرضا والمدارس التابعة لها .. غير أنّها مهملة في بقية المدارس .

(٤) انظر : وزارة التّربية والتّعليم ، الخرطوم ، المناهج في مراحل التّعليم العام ، وزارة التّربية والتّعليم يوليو ١٩٨٤م ص ٨ .

(٥) انظر : أسعد الأسعد / علي عثمان وآخرين ـ المناهج التعليمية في ظل الاحتلال. الرواد للنشر والتوزيع ط ١ ١٩٨٢م ص ١٥ـ١٦.

التّربوية والتّمثيل ، والحفلات ، والرّحلات التّرفيهيـة التّربوية ... الخ (١)

وما ذهب إليه بعض علماء التّربية من تقسيم المنهج بالمفهوم التقليدى القديم ليس بصحيح ، إذ كان الكلام على إطلاقه ، إذ لم يراعوا فيه نظرة الإسلام إلى التربية . فالمنهج الإسلامي كلّ متكامل بمفهومه الواسع الذى حاول العلماء في العصر الحديث أن يأتوا بمفهومٍ اعتبر في نظرهم ، المفهوم الصحيح الذى استطاعوا التوصل إليه ، بينما هو موجود في الإسلام من قديم .

فقد كان منهجه عليه الصلاة والسلام ، والصحابة ومن تبعهم - رضوان الله عليهم - شبكة متداخلة من النشاطات ، تجمع المنهج الرسمي والمنهج الخفي - كما يسمونه - ، وكان من حرصه عليه الصلاة والسلام على تعليم صحابته ، أنّه كان يتحسّس تقواهم ، " ويتحيّن الفرصة المناسة لتعليمهم ، ثمّ يَدَعهم بعد ذلك ليتعرّف كلّ منهم إلى أحواله الخاصة ، فيجد فسحةً في الوقت يجدّد فيها نشاطه ، ويستعيد بعدها رغبته إلى التعلم ، - ولعلّ ذلك مما تدعو إليه تعاليم التّربية الحد يثة - " . (٢)

وفي رسالته الّتي بعث بها لساكني الأمصار ، قال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : " أما بعد فعلموا أولادكم السباحة ، والفروسية ، ورووهم ماسار من المثل ، وحَسُن من الشعر " (٣)

وكان ابن الكرام يقول :" من تمام مايجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يعلموهم

---

(١) أنظر : د . محمد زياد حمدان ، المنهج أصوله وأنواعه ومكوناته ، مرجع سابق ص ٣٨ ، وكذلك أنظر : د . عبد اللطيف فؤاد إبراهيم ، المناهج أسسها ، وتنظيماتها ، وتقويم أثرها ، مكتبة مصر ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص ٣٨ .

(٢) د . محمد سلام مدكور ، التعليم في الإسلام ماضيه وحاضره . من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣م ص ٢٣ .

(٣) ذكره المتقى الهندى في كنز العمال ج ٤ مؤسسة الرسالة ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ٤٦٧ وعزاه الى القراب في فضائل الرمي ، وخرّجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ج ٢ دار ابن القيم الدمام الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص ٥٧٩ بسنده عن عمر رضي الله عنه .

الكتاب والحساب ، والسباحة " [١]

فالمفهوم الشّمولي المتكامل لمعنى المنهج هو ماكان عليه النّبي -صلّى اللّه عليه وسلّم ، وصحابته الأبرار ، فالمنهج بهذا المفهوم الشامل :" واسع لا يقتصر على المقررات الدراسية ، فهو يتضمن الأهداف التربوية ، مترجمة إلى معارف ، وعادات ، وحقائق ومهارات ، وأساليب تفكير ، تتحقق بأساليب عدة : منها الكتب والمراجع وأساليب التقويم ، وحتى المرافق والمباني والمعدات تلعب دورًا أساسيًّا في تهيئة المناخ التّربوى المناسب ، أمام التلاميذ لكي يتعلّموا ، وتنمو شخصياتهم من جميع نواحيها . انّ العناية بهذه المكونات جميعا ، هي وسيلة التربية لتحقيق أهدافها ، والوفاء بمسئولياتها " .[٢]

إذاً فالمنهج هو البناء العلمي في أهدافه ، ومعلوماته ، وأنشطته ، يتصل اتصالا وثيقا بالأهداف التّربوية ، ويسرع بها لتحقيق الأهداف المعيّنة المرسومة . ولذلك فليس بمستغرب أن يختلف المنهاج باختلاف الأهداف الّتي يحقّقها وأن يتكيّف وفقاً لها .

وقد تنبهت وزارة التربية والتّعليم بالسّودان لأهمية المنهج بهذا المفهوم الشامل ووضعت نصب منهجها ، الخبرات التّربوية والثّقافية ، والاجتماعيّة والرياضية ، والفنية الّتي تهيؤها المدرسة لتلاميذها داخل المدرسة وخارجها ، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النّواحي ، وتطوير سلوكهم طبقا للأهداف التّربوية الّتي يحدّدها نهج الأمة ، واتجاهاتها .[٣] وهذا هو المنهج الذى نعنيه في بحثنا هذا .

---

(١) د. محمد العروسي ، التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس ، المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، ص ٢٢ .

(٢) دكتوره نجاح يعقوب الجمل ، نحو منهج تربوى معاصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م ص١٣ . وللمزيد أنظر : المناهج أسسها ، تخطيطها ، تقويمها ، مرجع سابق ص ٣٨ ، وكذلك د . رشدى لبيب ، مناهج التعليم العام ، دراسة تحليلية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) انظر : وزارة التربية والتعليم ، الخرطوم ، المناهج في مراحل التعليم العام ، مرجع سابق ص ١ .

ب - دور المسجد في نشر التّعليم في السّودان :

لقد ظلّ التّعليم الدّيني الذى قام أساسا على تعليم القرآن وحفظه ، والتّفقّه فيه ، وأخذ منهجه ، أمرًا لازمًا للمسلم في كلّ المجتمعات الإسلامية .

وقد قام المسجد الذى هو أوّل الوحدات التّعليمية في الدّولة الإسلامية ، على هذا الأساس ، فقد كان - صلى اللّه عليه وسلّم - يعقد مجالس العلم في مسجده الشّريف : يجلس مع أصحابه يفقههم في الدّين ، ويقرئهم القرآن الكريم ، ويعظهم ، ويهذّب أخلاقهم ، وكان بعض الصحابة يخلف رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم - في مجلسه يعيد عليهم ماقاله . ومن أشهرهم عبد اللّه بن رواحة . فكان يقول لأصحابه : " تعالوا نؤمن ساعةً ، فيجلسون إليه فيذكّرهم العلم باللّه تعالى، وقد يخرج عليهم الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام ، فيسكتون فيجلس إليهم ، ويأمرهم أن يستمروا فيما هم فيه يتحدثون ".(١)

وكان النّبي - صلى الله عليه وسلم - يحث أصحابه ، ويرغّبهم في الغدو إلى المساجد ، لقراءة القرآن ، والتّفقه في الدّين.

قال صلى الله عليه وسلم -: " أفلا يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ، خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل " (٢)

وكان الصحابة الأجلاء من بعده يتدارسون القرآن في مسجدة - صلى الله عليه وسلم - ويتذاكرون فيه الحلال والحرام ، ليتفقّهوا في الدّين .

---

(١) ذكر طرفًا من هذا الأثر العلامة تقي الدين بن حسام الهندى في كنز العمال ، ضبط الشيخ بكرى حياني ، وصفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ ج ١ ص ٣٩٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ، ج ١ الحديث رقم ٢٥١ عن عقبة بن عامر مرفوعـا .
ومسند الامام أحمد ج ٤ ص ١٥٤.

روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه مر " بسوق المدينة . فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم !! قالوا وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث النبي - صلى الله عليه وسلم - يقسم وأنتم هاهنا . ألا تذهبون، فتأخذوا نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد . فخرجوا سراعا ، ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتى رجعوا ، فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد ، فدخلنا فيه ، فلم نر شيئًا يقسّم ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحدًا ؟ قالوا : بلى رأينا قوما يصلّون ، وقوما يقرأون القرآن ، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام . فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد - صلى الله عليه وسلم - " (١)

وكان المسجد في القرون الإسلامية الأولى ، وفي أزمان الحكومات الإسلامية الراشدة بجانب الاجتماع الّذى يتكرر كلّ يوم خمس مرّات ، " وهو مجلس شورى المجتمع، تعقد فيه البيعة ، وتجيّش فيه الجيوش ، وتذاع فيه بلاغات وتوجيهات الحكام " (٢)

وكانت وظيفة المسجد في السودان كذلك ، فقد كانت الدروس الدينية ، ولا تزال تعقد داخل المسجد ، حيث يلتفّ التّلاميذ ويتحلّقون حول الشّيخ ، وهو يلقي عليهم الدّروس في شتى ضروب المعرفة الدّينيَة من فقه وتوحيد ، وتفسير ، وحديث وسيرة . (٣)

وكانت المساجد في السودان أيضا ، أسبق إلى الظهور من غيرها من مؤسسات التربية الإسلامية الأخرى ، ذلك أنّها كانت موجودة في السّودان قبل عهد دولة

---

(١) ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب : ١/٨١-٨٢ ، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط . وقال : بإسناد حسن .

(٢) عبد السلام سليمان سعد ، عوامل تكوين الرأى العام في المجتمع الاسلامي - دراسة في المجتمع السوداني - رسالة ماجستير في الاعلام - مخطوط - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣هـ ص ٤٣-٤٤ .

(٣) انظر : عبد الله حامد محمد خير ، معلم التربية الاسلامية ، وشيخ الدين التقليدى ، ورقة مقدمة لندوة مادة التربية الاسلامية بالمركز الاسلامي الأفريقي بالخرطوم من ١٧ - ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٥هـ ص ٩ .

" الفونج " [١] بزمن طويل . فقد جاء في الاتفاقية التي تمّت بين عبد الله بن سعد ابن أبي السرح . أمير مصر في خلافة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وقائد جيش المسلمين على النوبة سنة ٣١ هـ ، وبين عظيم النّوبة . تلك الاتفاقية التي عرفت باسم " معاهدة البقط " [٢] . جاء فيها أنّ على النّوبة : " حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولاتمنعوا عنه مصليًّا ، وعليكم كنسه وإسراجه ، وتكرمته" [٣]

وقد كان للمسجد في السودان دورٌ عظيم في نشر التعليم نجمله في الآتي :

(١) كان المسجد ملتقى المسلمين ، وأهل الحي ، خاصة ، خمس مرات في اليوم على الأقل ، وهذا يعني الاحتكاك المستمر بين عناصر مختلفة من المواطنين ، وبين العلماء والمتفقّهين ، وما ينجم عن ذلك من تعارف وتآلف وانسجام يشجع الأفراد من عامة الناس على السؤال والتّعلّم . [٤]

---

(١) يقول د . مكي شبيكة عن أصل " الفونج " : " هم كبقية معظم سكان السودان الأوسط ، والشمالي يرجعون بأصولهم الى العرب ، وإلى بني أمية بالذات ، فَروا من مصر إلى بلاد النوبة ، والبجة عندما خرّ صريعا في مصر مروان بن محمد آخر خليفة لهم . وقد قامت دولتهم الاسلامية برئاسة عمارة دنقس حوالي عام (١٥٠٤م) وقيل عن أصلهم غير ذلك .
أنظر : د . مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية - بدون تاريخ ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) يقول د . مكي شبيكة عن معنى " البقط " لعلّه يعني Paetum الرومية ومعناه الاتفاق " د. مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣) د . محمد صالح محي الدين ، مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية . دار الفكر بيروت والدار السودانية الخرطوم ١٩٧٢م ص ٦١ - ٦٣ .

(٤) شرح ابن الحاج في " المدخل " الفرق بين التّعليم الحر في المساجد ، وبين التّعليم الملتزم في المدارس قائلا : " لا يخلو موضع التدريس من ثلاثة أحوال ، إمّا أن يكون بيتا أو مدرسة أو مسجدا ، وأفضل مواضع التدريس ، المسجد لأنّ الجلوس للتدريس إنّما فائدته أن تظهر به سنة ، أو تخمد به بدعة ، أو يتعلم به حكم من أحكام الله علينا . والمسجد الذى يحصل فيه هذا الغرض متوفر ، لأنّه موضع للناس ، رفيعهم ووضيعهم ، عالمهم بخلاف البيت فإنه محجوز على الناس ، إلا من أبيح له ، وذلك لأناس مخصوصين " إبراهيم أحمد العدوى ، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه الحاضر ، المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ص ٢٧ .

(٢) حلقات العلم التي تعقد بعد الصلوات ، وخاصة بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب ويؤمّها الجميع ، وحق السؤال مكفولٌ لكلّ شخص دون تقيّد بأنظمة معينة تحد من ذلك .

(٣) الوعظ والإرشاد الذى يقوم به دعاة متطوعون في أعقاب الصلوات .

(٤) معالجة بعض المشاكل والقضايا الاجتماعية في المساجد مثل الدّعوة إلى خفض المهور ، وتسهيل الزواج ، ومحاربة بعض العادات والتقاليد البالية والخرافات ، كالزار ، وغيرها .

(٥) إقامة الحفلات في المناسبات الدينية كالهجرة ، وغزوة بدر ، وتحدّث الخطباء في ذلك .

(٦) فتح فصول نظامية للدراسة على نظام الأزهر الشريف ، وتتمثل ذلك في المعاهد الدينية .(١)

(٧) وكانت المساجد فوق ذلك مركزًا من مراكز النّشاط ضد المستعمر الكافر ، بما يثير في نفوس المصلين فيها من كراهية للكفار ، وكانت المظاهرات غالبًا ماتخرج من الجامع الكبير في المدينة ، ومن أشهرها تلك التي أحرق فيها العلم البريطاني وكانت بقيادة بعض طلبة العلم الأزهريين .

فوظيفة المسجد في السودان - كما أوضحنا - وفي غيره من الدّول الإسلامية عبر العصور ، إنّما تعبر عن المفهوم المتكامل للمنهج في الاسلام الذى سبقت الاشارة اليه .

---

(١) كمعهد أم درمان العلمي ، الذى أنشىءعام ١٩١٢م على غرار الأزهر .
انظر : محمد سليمان - دور الأزهر في السودان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ص ٢٥ ، ١٢٧ ومابعدها .

جـ- دور الخـــلاوى [1] في نشر التّعليم في السّودان :

كلمـة خلاوى ، جمع ، واحدها خلوة ، من الفعل خلا ، جاء في لسان العـــــرب :
" ٠٠٠٠ وخـلا الرجل ، وأخلى : وقع في موضع خالٍ لا يزاحم فيـه " [٢]

وقال صاحب القاموس المحيط : " خلا المكان خلوًا ، وخلاء ، وأخلى واستخلـــى : فرغ ، ومكان خلاء : مافيـه أحـد " [٣]

نخلص من ذلك إلى أنّ مدلول لفظ خلوة ، هو المكان الخالي الذى ليس فيه أحـــد ، وهي تجمع على خـلاوى وخلوات .

ولقد اتخذت هذه الكلمـة انطلاقا من معناها اللغوى ، وتأثرا بأرباب الطـــرق الصوفيـة المنتشرة في أنحاء السودان ، معنى محددًا ومعروفا ، وأصبح يقصد بـها ، اتخـاذ الفقيـه " الفكـي" [٤] لنفسه خلوة يستطيع أن يمارس فيها عباداته وتأملاته .

ثم اتخذ هذا المفهوم معنىً أوسع مما تفيده هذه الكلمة لغويا من معنى للحالـــة الوجودية الدالـة على الانفراد ، والاختلاء بالنفس ، فصارت مدلولاً محددا لمكان معـيّن تؤدى فيه وظائف معينـة ، فأصبحت وحدة من الوحدات التّعليمية الرئيسية بل أصبحـت هي المؤسـسة الدينيـة الشاملـة التي تمثل ارتباط التعليم في السودان بالدين الاسلامـي . وهي تعادل ما يسمى بالمدرسـة أو الكتاب في البلاد الاسلامية الأخرى . [٥]

وتتكون الخلوة من فصول الدراسة ، وداخلية للسكن ، ومسجد جامع للصلاة ، والدروس الفقهيـة ، وتكتفي الخلاوى في الغالب بمواردها الخاصة . حيث يعمل الطلاب بالزراعـــة ويقومون بحصادها ، وبالإشراف على اعداد الطعام ، وسائر شئون المعيشـة .

---

(١) الصحيح أن تجمع خلوة على خلوات مثل ندوة ندوات ، هفوة هفوات ، صبوة صبوات ، ولكن اعتاد السودانيون على جمعها على خلاوى على غير قياس .

(٢) ابن منظور الأفريقي ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩م ج ٢ ص ١٢٥٥ ، باب الخاء فصل الواو والياء .

(٣) الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ج٤ دار الفكر ، بيروت ص ٣٢٥ ، فصل الخاء ، باب الواو والياء .

(٤) **الفكي** : كلمة محلية سودانية محرّفة عن كلمة الفقيـه .

(٥) انظر : د محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ١٨٩٨م -١٩٥٦م ترجمة هنرى رياض ، وآخرين ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م ص ٢٨ .

وهكذا كان منهج الخلاوى التربوى ، يربط بين الناحية الروحية والتعليمية والعملية في بناء الشخصية .(١)

لذلك فقد حظيت الخلوة باهتمام شديد لأنّها :" كمنظمةٍ تعليميةٍ كانت تهدف إلى حفظ التراث الإسلامي ، ونقله للأجيال القادمة ، ومحتويات ذلك النّظام كالفقيه (المعلّم الأول) ، والعريف (الألْفَه) ، وطريقة التدريس التي ابتدعها ذلك النظام ونظراته التّأديبية لتقويم السلوك واعتماده على الذاكرة (الحفظ والترديد) . كان هذا النظام القاعدة الأولى التي قام عليها نظام التعليم في السودان ". (٢)

وشيخ الخلوة هو الذى يقوم في الغالب الأعم بتدريس القرآن الكريم ويطلق على الشيخ باللهجة المحلية (الفكي) ، وهي - أى الكلمة - تعني كلمة (الفقيه) في الفصحى . ومع ذلك فإنّ كثيرًا من هؤلاء المشايخ الذين تلقى البعض منهم تعليمه بالسودان أو بالأزهر الشريف (٣) أو معاهد مكة المكرمة ، كانوا يقومون بتدريس العلم مع القرآن الكريم. بل كان للبعض ، دروس في علم التوحيد ، وعلم العربية والمنطق . (٤)

ومما يدل على أنَّه كانت هناك ، مواد دراسية متعددة معتنى بها بجانب القرآن الكريم ، " قصة (الفكي) محمد الازيرق صاحب مسجد ود مدني ، مع الحكمدار جعفر باشا مظهر (١٨٦٦م) ، تحكي جانبا من جوانب الخلوة في الجد والكد والأصالة ، فعندما سأله الباشا ، كم مجلدًا عندك بخطك ؟ قال : ثمانون مجلدًا ، نظرها كلّها الباشا باعجاب وتقدير

---

(١) انظر : عبد السلام سليمان ، عوامل تكوين الرأى العام الإسلامي - دراسة في المجتمع السوداني - مرجع سابق ص (٤٤).

(٢) شريف خاطر ، الجذور التاريخية للتعليم في السودان ، مجلة التوثيق التربوى العدد ١٧/١٦ دار النشر التربوى الخرطوم ص ٨ .

(٣) يذكر صاحب الطبقات : أن الشيخ محمود العركي الذى قدم السودان من مصر هو أول من أقام خلوة للتدريس في البلاد . انظر : محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان تحقيق وتعليق الدكتور يوسف فضل ، مطابع دار مكتبة الهلال ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م دار جامعة الخرطوم للنشر ص ٢٤٤ .

(٤) انظر : معلم التربية الإسلامية وشيخ الدين التقليدى - مرجع سابق ص ٣ ، وكذلك : محمد عمر بشير . تطور التعليم في السودان - مرجع سابق . ص ٢٩.

وأجرى على مسجده جراية تسهم في تطوره "[١]

وكذلك حال " الفكي " أحمد الكرّاس ، يعلم أربعمائة تلميذ بمفرده . فخلوته إذًا نموذج حي للمدرسة ذات المعلم الواحد الذى تحاول اليوم أحدث النظريات التعليمية أن يحل بها أزمة التعليم .[٢]

وبالجملة كما يقول الأستاذ عبد الله حامد محمد خير :" فإنّ شيخ الخلوة هو الذى يضع الأساس متينًا ليقوم عليه بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة لاسيما ، وهو الذى يستقبل المادة الخام ، أوّل مايستقبل ، وناهيك ببداية ينطق بها الصغير أول ماينطق " بسم الله الرحمن الرحيم " ثم تبدأ مسيرة التعليم على بركة الله في جو كلّه مشبع بنور القرآن النابع من مشكاة الإيمان "[٣]

وكان الطالب عندما يفرغ من دراسته يمنح شهادة عرفت بالإجازة ، والإجازة هى إذن الشيخ لتلميذه بالقيام بتدريس مادة أو كتاب معين ، حذقه ، وهو نظام معمول به منذ أقدم العصور الإسلامية ، وبالتعبير الحديث كما يقول الدكتور عبد العزيز أمين[٤] فهي شبيهة بالدبلومات التي تمنحها الآن المعاهد ، والجامعات للطلبة غير أنّ الدبلوم يمنح عادة بعد مضي مدة من الزمن بنجاح ، أمّا الإجازة فليست مقيدة بزمن مخصوص وإنّما شرطها إجادة الكتاب أو الكتب أو المادة .

وعلى سبيل المثال نذكر من هذه الاجازات ، مقتطفًا من الاجازة التي منحها العالم السوداني الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذى درس على الشيخ البنوقرى في مصر لتلميذه الشيخ ابراهيم بن أم رابعة ، والتي جاء فيها :" ... أمّا بعد : فانّ الأخ الفقيه الصالح المتأدب

---

(١) الخلوة ومدرسة المجتمع الحديث - مرجع سابق - ص ١١

(٢) انظر : المرجع نفسه والصفحة .

(٣) معلم التربية الإسلامية وشيخ الدين التقليدى - مرجع سابق - ص ٥ .

(٤) انظر : د عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٤٩م ص ١٨٨.

المتواضع الشيخ إبراهيم بن أم رابعة استحق السيادة ، والإمامة عندى فجعلته قطبا في مكانه ، ولسانًا في عصره ، وترجمانًا في أوانه ، ومربيًا للمريدين ، وقدوة للمسترشدين وملجأً للفقراء والمساكين ، مطهرًا شمس المعارف بعد غروبها ، فأذنته في كل ماحقق نقله وسمعه مني أن يفشيه ويعلّمه النّاس مخلصًا ، وقد أذنت له بإشهارها وإشهار مافيها ، وتشييع ما أشرنا إليه ... " (١)

وبمقتضى هذه الإجازة يقوم الطالب بفتح خلوة للتدريس فيها سالكًا نفس المنهج الذى سلكه أساتذته الذين قرأ عليهم العلم من قبل ، وأجازوه .

وقد كان هذا النظام ، ولا زال معمولا به في حلقات العلم في المساجد والخلاوى وقد ظهرت مؤلفات فيها نماذج من تلك الإجازات في السودان ، كطبقات ود ضيف الله وقرية كترانج وغيرهما . (٢)

ولقد كانت لهذه الخلاوى آثار على المجتمع ، تربوية واجتماعية عظيمة في ذلك العهد ، فعلى سبيل المثال :

(١) " كانت من الناحية التربوية قد غرست في الأطفال قيم المجتمع الديني الذى كان سائدًا ، كاقامة الشعائر ، واحترام الوالدين ، والكبار ، كما غرست فيهم سمات الاستقلال والاعتماد على النفس ، والتعاون إلى درجة تصل إلى حد إنكار الذات . فيشب الأطفال ، وقد تشرّبوا ذلك كلّه قبل أن ينخرطوا في المرحلة التالية من مراحل التعليم فتستقبلهم وهم على استعداد لكي يتفاعلوا مع مايجدونه فيها من دروس وتربية ". (٣)

---

(١) ود ضيف الله ، الطبقات الكبرى - مرجع سابق ص ١٠٤
وكان ذلك بتاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية .

(٢) انظر : معلم التربية الاسلامية ، وشيخ الدين التقليدى - مرجع سابق ص ١٢

(٣) يحي محمد ابراهيم ، تاريخ التعليم الديني في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) كما أنها تقوم أيضا بدور روضة الأطفال حيث يصحب الصغار ممن لم يبلغ مستوى تعلم القراءة والكتابة ، يصحبون إخوانهم الكبار ويَلَقَّنُون بعض قصار السور ، أو يكتفون بمجرد الذهاب ، والمجيء تهيئة لهم للانتظام مستقبلاً .

(٣) استطاعت الخلاوى أن توفر أعداداً كبيرة من حفظة القرآن الكريم في السودان عامة ، وفي غربه خاصة ، حيث كان المتعلم ينتظم في الخلوة ، ويواصل حفظ القرآن الكريم ، وتجويده وختمه عدة مرات حتى يتقن حفظه كاملاً ، ومن هنا جاءت شهرة حفاظ القرآن الكريم وكثرتهم في دار فور . (١)

(٤) تعتبر الخلوة ايضا منتدى للقرية يجتمعون فيه بعد ساعات العمل ، لمدراسة شئونهم ، أو اصلاح ذات البين ، ونحو ذلك من الاغراض الاجتماعية .

---

(١) ومن أشهر تلك الخلاوى التي قامت بتخريج الحفاظ في دار فور : خلاوى طرّة وشاواى ، والطينة ، وجوامع الفاشر ، وكوى ، وجديد السيل ، وشنقل طوباية وغيرها .
ومن أشهر تلك الخلاوى ، وأقدمها في أواسط السودان وشمالها : خلوة دنقلا التي أسسها غلام الله بن عابد الركابي ، والخلاوى التي أنشأها الشيخ محمود العركي بالنيل الأبيض ، وخلاوى أربجي ، وأم ضوا بان ...الخ .
انظر : محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان - مرجع سابق - ص ٤٤ .

د - **الكتب التي كانت تدرّس في المساجد والخلاوى :**

لعله من المفيد أن نتصور الكتب المتداولة في تلك الفترة في السودان بتصورنا للمناهج المعروفة في العالم الإسلامي آنذاك حيث عمّ الركود الفكرى (العالم الإسلامي إذ حصر العلماء جهودهم على العلوم النقلية دون اجتهاد ، مهتمين بالايجاز والاختصار وكتابة الشروح والحواشي لها . كما صادفت تلك الفترة غلبة الطرق الصوفية وهيمنتها على كثير من مظاهر الفكر الإسلامي)(١).

وبتتبعنا لكتاب الطبقات فإننا نجد أنّ أهمّ العلوم التي حظيت بعناية شديدة في السودان في هذه الفترة هي علوم القرآن والفقه ولواحقه مثل : الميراث أو الفرائض وعلم التوحيد والتصوف .(٢)

وكان أول ما يبدأ به هو تحفيظ القرآن الكريم للنشء " لأنّ تعليم الولدان - كما يذكر العلامة ابن خلدون - شعار من شعائر الدين ، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان ، وصار القرآن أصل التعليم الذى ينبني عليه مايحصل بعد من الملكات ، وسبب ذلك أنّ تعليم الصغير أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده ".(٣)

ويلي القرآن في المرتبة العلوم التي تعين على حفظه مثل : علم التجويد والقراءات .

" أمّا علوم القراءات فقد كان مدار تدريسها على كتاب الشاطبية لمُؤَلِّفه أبي القاسم ابن فيرة الأندلسي ، وكانت أهم القراءات الشائعة عند أهل السودان ، قراءة ورش بناحية دارفور وكردفان ، وأبي عمرو بناحية دنقلة ، والدامر والخرطوم ، وحفص وهي أقل استعمالا(٤) في مناطق أخرى متفرقة .

---

(١) كتاب الطبقات ، مرجع سابق ص ٤

(٢) انظر المرجع نفسه من ص ٤ - ٦

(٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق وضبط د . على عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، الجزء الرابع ط ١ ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م ص ١٢٣٩، ص ١٢٤٠.

(٤) د. عبد العزيز عبد المجيد ، التربية في السودان ج ١ مرجع سابق ص ١٤٢.

وبجانب الشاطبية نجد شرح (الجزرية) وهي منظومة مشهورة في التجويد لشمس الدين أبي الخير بن ياسين الدمشقي القرشي الجزرى من أئمة الحفاظ وعلماء القراءات ، المتوفى (٨٣٣هـ - ١٤٢٩م) شرحه : كل من مضوى محمد المضوى ، وعبد الرحمن بن حمد الأغبش " [١]

ويلي علوم القرآن في الأهمية علم الفقه ، ولما كان المذهب الشايع في السودان هو مذهب الإمام مالك ، فإنّنا نجد أنّ الكتب السائدة هي كتب المالكية كرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ومختصر خليل بن اسحاق ، كما كانت هناك كتب أخرى في الفقه وشروح متداولة في عهد الفونج مثل :(المدونة) لأسد بن الفرات ، وسحنون ، وشرحها لأبي عمران الغفجومي ، و(فتح الجليل على مختصر خليل) لمحمد بن إبراهيم التتائي و (شرح عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل) و (مختصر الأخضرى في العبادات)[٢] ، وغيرها من كتب المالكية ٠

وإلى جانب كتب المالكية كانت بعض كتب الشافعية [٣] تدرّس في الخلاوى والمساجد في عهد دولة الفونج خاصة في أربجي [٤] التي نبغ فيها كوكبة من رجال الفقه الشافعي مثل القاضي دشين ، والشيخ شمة بن محمد بن عدلان ، والشيخ إبراهيم السّعودى خطيب سنار ومدرسها على المذهب الشافعي [٥] حيث تجد من كتب الشافعية كتاب (منهاج الطالبين) لمحي الدين النووى ، وكتاب (منهج الطلاب) لزكريا بن محمد الأنصارى ٠ [٦]

وقد أولى العلماء علم الميراث أو علم الفرائض عناية شديدة حتّى أنّ منهم من اشتهر به كالشيخ إبراهيم بن عبودى المشهور (بالفرضي) الذى ألف الحاشية المشهورة بالفرضية ٠ [٧]

---

(١) دور الأزهر في السودان مرجع سابق ص ٣٥
(٢) انظر الطبقات مرجع سابق ص ٤
(٣) دخلت تعاليم المذهب الشافعي السودان نحو عام ١٥٦٣ م على يد الشيخ محمد بن على بن قرم الفقيه الشافعي المصرى ٠ انظر الطبقات ٠ مرجع سابق ص ٥
(٤) أربجي : قرية من قرى السودان تقع على النيل الأزرق جنوب الخرطوم على بعد ١٤٤ كلم ٠
(٥) انظر الطبقات ٠ مرجع سابق ص ٩١ ، ص ٣٥٤ ، وكذلك انظر الثقافة العربية وأثرها ٠ مرجع سابق ص ٥٠ ٠
(٦) انظر الطبقات ٠ المرجع السابق ص ٥
(٧) المرجع نفسه ص ٧٩ ٠

وازدهرت بجانب علوم القرآن والفقه، دراسة علم التوحيد ويسمونه علم الكلام أو علم العقائد . و[١]

وكانت دراسة علم العقائد تدور حول (متن السنوسية) وشروحه ، وهذا المتن كما ورد في الطبقات :(مقدمة في التوحيد من ثلاث مقالات : كبرى ، وتُعرَفُ (بعقيدة أهل التوحيد) ووسطى ولعلها تسمى (بالمرشدة) ، وصغرى ، وهي :(أم البراهين) لأبي عبد الله محمد السنوسي التلمساني المتوفى سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٠م) .[٢]

وهناك عدة شروح لهذا المتن لعلماء سودانيين وصفها صاحب الطبقات بقوله : " شأنها أن تكتب بماء الذهب " [٣]

وقد برع في علم العقائد من العلماء نفر نذكر منهم الشيخ أرباب بن علي بن عون المشهور (بأرباب العقائد) الذى ألّف كتاباً في أركان الايمان أسْماه (الجواهر) قال عنه البروفسير يوسف فضل (انّه كان ذا نفع عظيم). [٤]

أمّا في علوم التفسير فنجد تفسير الجلالين، وتفسير القرطبي .

وفي الحديث وعلومه نجد كتاب صحيح البخارى ، والأربعين النووية ، وشيئا من مصطلح الحديث . [٥]

بجانب ما ذكرنا من كتب وعلوم متداولة ومعروفة ، نجد علوما أخرى مثل علوم اللغة العربية (كاللغة والمعاني والبيان والعروض والشعر) ، والمنطق . [٦]

على أنّ معظم هذه المؤلفات عبارة عن مخطوطات أكثرها لم تحل الينا ، ولم نقف على مطبوع منها سوى مؤلفات أحمد بن عيسى الخزرجي الأنصارى . وكل ذلك عمل علمي

---

(١) انظر الطبقات . المرجع السابق ص ٥
(٢) المرجع نفسه والصفحة .
(٣) المرجع نفسه والصفحة .
(٤) المرجع نفسه ص ٥
(٥) انظر : معلم التربية الإسلامية وشيخ الدين التقليدى . مرجع سابق ص ١١
(٦) انظر : الطبقات . المرجع السابق ص ٥

جليل يدل على مدى الاهتمام بالدراسات الإسلامية والعربية في ذلك العهد ، كما يدل على نوع التعليم الذى كان يتلقاه الطلاب وقتئذ ، وكما يدل كذلك على مستوى هذا التعليم " (١)

ويدلنا بجانب ذلك على مدى سعة معارف العلماء ونبوغهم في مختلف صنوف العلم حتى أنّ بعضهم قام بتأليف الكتب الدينية واللغوية أسوة برصفائهم في البلاد الإسلامية الأخرى ، (وأكثروا من شرح بعض الكتب التي كانوا يدرّسونها لطلابهم لتناسب المستوى العلمي أو المرحلي لطلابهم ، إذ أنّ بعض الشروح المجلوبة كانت معقدة العبارة ، وغريبة المبنى فبسطوها بما يلائم بيئتهم ، وفي ذلك مايدل على طول باعهم في المعرفة وأصالة التفكير التّربوى ، ومدى انضباطهم في سبيل البحث العلمي " . (٢)

---

(١) د. عبد العزيز الأمين ، تراث الشعب السّوداني ص ١٤.
(٢) دور الأزهر في السودان . مرجع سابق . ص ٣٩ .

هـ - تأثر المناهج بالفكر الصوفي :

ذكرنا فيما سبق عند الحديث عن دور المسجد والخلوة في التعليم ، أنّ العلماء بدأوا يفدون إلى السودان عندما وجدوا تشجيعا وتكريما من القائمين بأمر مملكتي (سنار ودارفور)[١] وقد اهتم كثير من هؤلاء العلماء بتدريس الدين على أسسه الصحيحة ، وكان لكل من هؤلاء العلماء الوافدين أثره تبعا للمنطقة التي قدم منها .

يقول البروفسير يوسف فضل في مقدمته لكتاب " الطبقات : ".فالقادمون من مصر كان جلهم من الفقهاء ، أمّا الوافدون من الحجاز فقد غلب عليهم الأثر الصوفي ، بينما ساهم التّيار المغربي وهو آخرها تأثيرًا في إثراء كلّ من الطابع الفقهي والصوفي "[٢]

ولقد وجدت هذه المذاهب الوافدة تربة صالحة إذ لم يكن المجتمع السوداني المسلم قد تخلص بعد من العادات والمعتقدات القديمة المتأثرة بالمسيحية والعقائد الوثنية كما أنّ عملية نشر الإسلام لم تكن قد تمت بعد على الأسس الصحيحة .

علاوةً على ذلك فإنّ هذا النشاط الوافد قد وصل مشوبا ببعض مظاهر الشعوذة والخرافات ، والأفكار الغامضة ، والتفسيرات الغيبية ، التي تخالف العقيدة الإسلامية السمحاء في المجتمع السوداني ، وبخاصة في المناطق الوثنية كجبال النوبا والجنوب[٣]، وقد وجدت هذه المظاهر طريقها إلى المجتمع من غير كبير عناء ، فامتصها دون تمحيص ولم يجد مشايخ الطرق الصوفية مشقة في اجتذاب طلاب العلم إلى صفوفهم لأنّهم كانوا ينادون بأمور هي أقرب إلى مزاج العامة ووضعها الاجتماعي والنّفسي.[٤]

---

(١) تقع مملكة سنار في الاقليم الأوسط من السودان ، بينما تقع مملكة دارفور في الاقليم الغربي من السودان .

(٢) البروفسير يوسف فضل ، انتشار الاسلام في سودان وادى النيل ضمن كتاب الإسلام في السودان - وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالسودان - المطبعة الحكومية بالخرطوم ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م ص ١٦ .

(٣) انظر : البروفسير يوسف فضل والدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، والبروفسير محمد أحمد الحاج ، من معالم تاريخ الاسلام في السودان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الخرطوم ص ٧١ -٧٢ .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : البروفسير يوسف فضل ، انتشار الاسلام في سودان (==)

ويبدو أن الثقافة الدينية الفقهية لم تستهو كل السودانيين ، بل استهوت قلة منهم ، إذ نجد أنّ أغلبيتهم قد انخرط في سلك المريدين ، مما أدّى إلى خضوع انتشار الإسلام في السودان للمنهج الصوفي ، وحركات السالكين من أتباع الطرق الصوفية وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى سيادة الثقافة الصوفية على التعليم ومناهجه في دولتي الفونج والغور . (١)

بل لقد أصبح التصوف منهجا يدرّس ، ويذكر الدكتور أبو سليم أنّ الشيخ صغيرون هو الذى أدخل تدريس علم التصوف وصار من بعده علمًا معتمدًا يدرّس في المدارس : (الخلاوى) ، حتى أنّه قيل (٢) إنّ الانخراط في سلك التصوف كان مرحلة من مراحل التعليم في الخلوة السودانية .

وبرغم أنّ الطرق الصوفية قد جاءت متأخرة عن المدارس العلمية إلاّ أنّنا نجد أنّ قوة الحركة الصوفية كما يذكر الدكتور أبو سليم قد : " بدأت تؤثر في وضع هذه المدارس وتحّد من وهجها ، ولذلك نلحظ أنّ نفوذ الصوفية ومراكزهم بدأ يتعاظم منذ منتصف عهد الفونج بينما أخذ نفوذ العلماء ومدارسهم في الهبوط ... وذلك لأنّ - تأثير العالم وقف على أمثاله من العلماء والقراء لأنهم يفهمونه ، لذلك لم يكن العالم جماهيريا . أما الصوفي فتأثيره على الجميع ، وقد كانت الصفة الجماهيرية حقيقية وأصلية فيه" (٣)

وعلاوة على ماذكر الدكتور أبو سليم فانّ طبيعة الشعب السوداني ، وحبهم للعلماء ونجاح بعض العلماء المتصوفة في التفاعل مع المجتمع ، وقدرته على التأثير فيه - حتى تعلق به - هو الذى أدى الى نجاح الطرق الصوفية .

== وادى النيل ضمن كتاب الإسلام في السودان ، وزارة الشئون الدينية والأوقاف بالخرطوم ، المطبعة الحكومية ١٣٩٦هـ ص ٢٠ .

وكذلك : يحي محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم الديني في السودان - مرجع سابق ص ٤٩ ومابعدها .

(١) انظر :د . عبد العزيز أمين عبد المجيد . التربية في السودان ط ٢ دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٧م ص ٤٥ .

(٢) انظر : من معالم تاريخ الإسلام في السودان ، مرجع سابق ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨ .

والقارىء لكثير من الكتب القديمة المتداولة في السودان وسيرة علمائه يرى مدى تأثير هذه الثقافة الصوفية على التعليم ، ففي كتاب الطبقات لمحمد نور ضيف الله - على سبيل المثال - الذى أرخ للحياة العلمية في عهد الفونج ، وترجم لمائتين وسبعين من علماء السودان في ذلك العهد ، القارىء لهذا السفر يرى أثر الثقافة الصوفية ظاهرة ، ويرى أنّ أغلب أولئك العلماء المترجم لهم قد جمعوا بين علمي الظاهر والباطن - كما يدعون - وتدل عناوين مؤلفاتهم على ذلك مثل كتاب :(ترشيد علم المريدين في علم التصوف) لعبد الرحمن ابن جابر ، وكتاب (صفة الفقير) لمحمد ولد هدوى ، وفيه وصف لأخلاق الصوفية ، وكتاب (آداب الطريق) ، و (آداب الذكر) لإسماعيل صاحب الرّبابية [(١)].

وفي بعض الأحيان نجد تعبيرات شائعة في الطبقات تدل على التداخل بين المعرفتين الفقهية والصوفية كقوله : جمع بين الفقه والتصوف". وذلك في صفحات عدة في طبقاته [(٢)]

ونلحظ كذلك الأثر الصوفي واضحا على التعليم في الإجازات العلمية التي كان يمنحها العلماء الذين كانوا هم أساس العملية التعليمية لطلابهم ، من ذلك على سبيل المثال : العبارة الواردة في إجازة الشيخ عبد الرحمن بن جابر المتقدمة لتلميذه الشيخ ابراهيم ولد أم رابعة كما جاء في مقدمتها :" ... استحق السيادة والامامة عندى فجعلته قطبا في مكانه ، ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه، ومربيًا للمريدين، وقدوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين". [(٣)]

---

(١) انظر : كتاب الطبقات . مرجع سابق ص ٩ ومابعدها .

(٢) انظر كتاب الطبقات . مرجع سابق . الصفحات ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ . ٤٦ ، ٥٤ ، ١٢٣، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٨ .

(٣) انظر نص الاجازة ص (٢١) من البحث .

ورغم أنّ هنالك " من الفقهاء من لم ترضهم شطحات بعض المتصوفة ، مثل اعتبارهم النوافل في مرتبة أعلى من الفرائض ، أو في قولهم إنّ النية أفضل من العمل وان التأمل خير من العبادة البدنية .." [1] ... الخ .

ورغم قيام ثلة قليلة من العلماء الفاهمين ، تنبه إلى بعض المآخذ على هذه الطرق وتجابه الخروج الصوفي السافر ، وتكافح من أجل العقيدة الإسلامية الصحيحة - رغم ذلك - فإننا نجد أنّ المنهج الصوفي قد طغى على الحياة العلمية بصورة عامة . بل كانت ثقافة العالم وتخصصه هي التي تحدد نوع المادة الدراسية المقررة ، لذلك نجد أنّ معظم الطلاب قد انخرطوا في سلك طرق مشايخهم ، وقلّ أن نجد من لم يتأثر بهذه الطرق في حياته العامة ، وبمرور الزمن كما يقول الأستاذ يوسف فضل :" صار من الصعوبة بمكان أن نفصل أو نفرّق في شيء من الدقة بين مهمة الشيخ الصوفي والفقيه العالم . وفي واقع الأمر لم تكن وظيفة الشيخ الصوفي والفقيه العالم في مملكة الفونج منفصلة... بل إننا نجد في نظام " الخلوة " و " وظيفة الفقير " ما يؤكد تلاحم الوظيفتين وتشابكهما في عهد السلطنة الزرقاء " . [2]

---

(١) كتاب الطبقات . مرجع سابق ص ٧

(٢) المرجع نفسه ص ١١.

و - الصّلات التّعليميّة بين مصر والسّودان قبل غزو محمد على للسودان[١]

لقد وطدت مملكتا سنار ودارفور صلا تهما العلميــة والثّقافية مع الدويلات والإمارات التي قامت في وسط السودان من جهة وبين كل من الحجاز ومصر والمغرب والعـــــراق، وودّاي[٢] من جهــة أخرى.

ولكن كما سبق وأن ذكرنا ، فإنّ التأثير الثقافــي المصرى على السودان، كان متميـــزًا عما عداه من التأثيرات الثقافيــة الأخرى وذلك لأنّ الطابع العلمي ، هو الغالب على العلماء الأزهريين المصريين ، حيث اتجهوا إلى تعليـم النّاس ، فاهتموا لذلك بإقامة المساجـــد التي شهدت حلقات العلـم الكبيرة ، وأنّ بعضهــم كان لـه أسلوب مميز عرفت به مدرسته[٣].

ومن جهة أخرى ، فإنّ لملوك الفونج والفــور ، دورًا بارزًا في تشجيع هذه الصّلات بمصر حيث كانوا على صلـة بالأزهر ، وعلمائه وكان علماؤه يجدون عندهم ترحيبًا ، وحفـــــاوةً، خاصـة في عهد الملك بادى ، ملك سنار ، المعروف بسيد القوم (١٦١١ - ١٦١٦م) الذى كـــان ذا صلـة بعلماء مصـر ، وكان يرسل إليهـم الهدايا مع خبيره " أحمد علوان "[٤] وقد قـــال عنه كاتب الشونة إنّه :" كان جلدًا كريمًا معظمًا لأهل العلـم والدين، وكان يرسل الهدايـــا مع خبرائه إلى العلماء بمصر وغيرها ، وهو الذى مدحه الشيخ عمر المغربي مفتي الجامـــع الأزهر وغيره من العلماء "[٥]

---

(١) نورد هذا المبحث نظرًا لما كان لمصر من دور كبير في توجيه السياسة التعليمية فـي السودان، وللأثر الكبير الذى كان يربط السودانيين بالأزهر قبل العهد التركي.

(٢) مملكة وداى : دولة إسلامية تقع غرب مديرية دارفور ، وتعرف الآن بتشاد.

(٣) نذكر من هؤلاء الشيخ محمد المصرى القناوى الذى شيد مسجدًا بالمخيرف (بـــــربر القديمـة) وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب.
انظر : محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٢.

(٤) انظر :د. عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلـــى العصر الحديث ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الاولى ص ٦.

(٥) أحمد بن الحاج أبو علي " كاتب الشونة " ، تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصريـــة تحقيق الشاطر بصيلي عبد الجليل ، الطابع : عيسى بابي الحلبي، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦١م ص ١٠.

كذلك فقد عمل سلاطين دارفور منذ عهد مؤسس الدولة الاسلامية سليمان صولون (١٦٤٠)م على تشجيع العلماء من مصر وسنار وتونس ودعوتهم للإقامة في بلادهم لتدريس أهلها أصول الدين الإسلامي كما شجعوا مواطنيهم للسفر إلى مصر طلبًا للعلم وأقاموا لهم رُواقًا هو رُواق دارفور .[١]

ويزيد من عمق هذه الصلات ومدى شغف السودانيين في تلقي العلم من ينابيعه إذا علمنا بالمخاطر التي كانت تحف بسفرهم إلى مصر ، فقد " كان السودانيون يسافرون إلى الأزهر غير عابئين بمشاق السفر ووعثائه وطول عنائه ، فقد كانت الرحلة من سنار إلى مصر تستغرق آنذاك خمسة شهور ، يتعرض المسافرون فيها للمخاطر والأهوال التي كانت تتمثل في غارات النهب والسلب ومن جراء الحروبات القبلية العنيفة التي شهدتها البلاد في أواخر عهد دولة سنار "[٢]

والظاهر أنّ الصلات الثقافية بين مصر والسودان قد اتخذت مظهرين :[٣]

(١) هجرة الطلاب السودانيين إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف والتزود بالعلم والمعرفة والرجوع إلى السودان للمساهمة في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية بين أهليهم .

(٢) هجرة علماء مصر إلى السودان والإقامة فيه بقصد نشر معارفهم بين أهله . وقد عبّر عن هذه الصلة أحد الباحثين بقوله : " وقد ظلّ الفونج إلى أن زالت دولتهم يعتمدون على مصر في غذائهم الروحي ، فدرس نخبةٌ من أبناء هذه الدولة في الأزهر

---

(١) انظر : عبد الرحمن محمد محمود ، حركة المهاجرين في منطقة غرب دارفور ، مجلة الدراسات السودانية ، عدد يونيو ١٩٧٢م ص ١٢٧ .
وكذلك دور الأزهر في السودان - مرجع سابق ص ٤٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١ ، ٢٢.

(٣) انظر : محمد فوزى مصطفى عبد الرحمن ، الثقافة العربية وآثارها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر ، الدار السودانية الخرطوم ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ص ٦٤ .
وكذلك انظر : يحي محمد ابراهيم ، تاريخ التعليم الديني في السودان . مرجع سابق ص ١٧٥- ١٧٦.

الشريف وعادوا إلى بلادهم ينشرون بها ماتلقوه من علوم ومعارف دينية إسلامية . ووفد على البلاد كذلك بعض الفقهاء من مصر يَحْيُون بها دراسة الشرع الحنيف مجردا عن تلك البدع والخرافات التي لحقت به بسبب بعد الفونج أجيالا عديدة عن ينابيع الثقافة الإسلامية ". (١)

لقد قام على أكتاف هؤلاء الرواد الوافدين من علماء الأزهر المصريين وتلامذتهم نواة المجتمع ودعامته ، فأقبل عليهم الطلاب من كل فج يأخذون العلم عليهم .

ورغم أنّ الملوك والسلاطين الذين كانت لهم اليد الطولى في دفع العملية التّعليميّة بتشجيع الطلاب واكرام العلماء ، ورفع شأنهم - رغم ذلك - فإنهم لم يتدخلوا بصورة أو أخرى لوضع سياسة معينة يسير عليها نظام التعليم ولم يعرف ذلك العهد أيضا مدارس مستقلة بالمعنى والشكل الذى عرفت به الآن ، ولم تكن هناك أنظمة سياسية معينة تحمل الرّعيّة على اعتناق مبادئها ، ويجعل من التعليم بالتالي أحد الوسائل لتحقيق مبادئها وأفكارها .

ويجدر بنا وقد طوّفنا على السمات العامة للصلات التعليمية بين مصر والسودان قبل عهد محمد على - يجدر بنا - أن ندلل على ماذكرنا موضحين بعض النماذج من هؤلاء العلماء ودورهم في نشر العلم باعتبارهم حلقة وصل لهذه المؤثرات العلمية والثقافية.

فمن العلماء المصريين الأزهريين الذين وفدوا إلى السودان وساهموا بقسط وافر في نشر العلم في ربوع السودان :

(١) الشيخ محمد المصرى القناوى : وأصله من مدينة أدفو بصعيد مصر" محافظة قنا " وقد قدم إلى السودان في منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق القرن السادس عشر الميلادى ، وتنقل بين مدنه واستقر في مدينة بربر القديمة المعروفة آنذاك : (بالمخيرف) ، وقام بنشر العلم بين أبناء السودان ، وشيد مسجد " المخيرف" وتبوّأ

---

(١) صفحة من تاريخ السودان الحديث - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - العدد الثامن - المجلد الثاني ديسمبر ١٩٤٦م ، مطبعة فؤاد الأول ص ٢٧.

منصب القضاء ، وعرف بالتقوى والورع ، وكان قد عمّر طويلا ٠

وتتلمذ عليه الشيخ محمد بن عيسى بن صالح المعروف بسوار الذهب الذى قرأ عليه العقائد والمنطق وعلوم القرآن ، وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان[١].

(٢) الشيخ محمد بن علي بن قرم الكيمائي :

هو أيضا من العلماء المصريين الذين قدموا إلى السودان حوالي عام ٩٧٠هـ - ١٥٦٣م وزار مناطق كثيرة واستقر ببربر ، ويقال إنّه أوّل من درّس المذهب الشافعى في السودان ٠ [٢]

وتتلمذ على يده الكثيرون منهم الشيخ عبد الله العركي ، والقاضي دشين الملقب بقاضي العدالة ، والشيخ إبراهيم الفرضي [٣]

* **<u>أمّا من الطّلاب السّودانيين الذين نهلوا العلم من مصر وعادوا الى السّودان يفقّهون النّاس فنذكر منهم :</u>**

(١) الشيخ محمود أحمد العركي :

وهو أول من وفد إلى مصر من السودان للدراسة في الأزهر كما تسجله وثائق التاريخ ٠ وقد تتلمذ على الشيخين شمس الدين اللّقاني ، وناصر الدين اللّقاني فيما بين (٩٣٥ / ٩٤٠هـ) الموافق (١٥٢٩ - ١٥٣٤م) ٠ [٤]

ويعتبر أول من نشر علوم الدين في جهات النيل الأبيض إذ لم يجد حين قدومه من

---

(١) انظر : الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان ٠ مرجع سابق ص ٣٧٠
وكذلك انظر : دور الأزهر في السودان ٠ مرجع سابق ص ٣٢- ٣٣٠

(٢) انظر : كتاب الطبقات ٠ مرجع سابق ص ٣٥٣ ، ٣٥٤٠
وكذلك انظر الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان ص ٣٨ ٠
وكذلك انظر دور الأزهر في السودان ٠ مرجع سابق ص ٣٣٠

(٣) انظر : دور الأزهر في السودان ٠ مرجع سابق ص ٣٣

(٤) انظر المرجع نفسه ص ٢٦٠
وكذلك انظر كتاب الطبقات ٠ مرجع سابق ص ٣٤٤ ٠

مصر مدرسة علم ولا قرآن • فأنشأ الخلاوى لتحفيظ القرآن وتدريس علوم الدين وكان له بين الخرطوم والكوة [(١)] ثلاثة عشر مدرسة • [(٢)]

(٢) كذلك هاجر الى مصر أولاد جابر الأربعة الذين يرجع نسبهم الى الشيخ غلام الله ابن عايد اليمني ، وبعد عودتهم من مصر سكن أحدهم وهو الشيخ ابراهيم بن جابر المعروف بالبولاد ، قرية " ترنج "[(٣)] ودرّس فيها خليلا والرسالة[(٤)] ، ويعتبر أول من درّس خليلا ببلاد الفونج ، شُدّت إليه الرِّحال لتلقي العلم ودراسته لخليل تتم في سبع ختمات ، وعلّم فيها أربعين تلميذا صاروا كلهم علماء.[(٥)]

(٣) ومن الطلاب الذين قدموا من مصر وكان لهم شأن عظيم في نشر علوم الدين في غرب السودان : الشيخ عز الدين الجامعي ، وحسين ودعماري ، وفخر الدين ابن الفقيه محمد سالم وآخرون ••• الخ •

---

(١) **الكوة :** مدينة على ضفاف النيل الأبيض على بعد ١٣٠ ميلا جنوب الخرطوم •
انظر : دور الأزهر في السودان • مرجع سابق ص ٢٦ •

(٢) انظر : الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان • مرجع سابق ص ٣٥ •
وانظر : دور الأزهر • مرجع سابق ص ٢٦•

(٣) **قرية "تَرنَج"** كذا ذكرها خوجلي أحمد صديق في بحثه للماجستير • نظم الحكم في السودان (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) ـ غير منشورة ـ جامعة أم القرى ، ولم أقف عليها •

(٤) **خليلاً :** يعني مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي •
والرسالة : تعني رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي •

(٥) انظر : كتاب الطبقات • مرجع سابق ٤٥ ـ ٤٧ •
وانظر : دور الأزهر في السودان • مرجع سابق ص ٢٧•

ولم تقف جهود العلماء عند تحصيل العلوم المعرفية في زمانهم فحسب ، بل قام البعض منهم بتأليف الكتب الدينية واللغوية أسوة برصفائهم في مصر والشام والمغرب والبلاد الإسلامية الأخرى [١]. بل لقد قاموا بمنح طلابهم الإجازات العلمية مكتوبة على غرار الإجازات التي كان يمنحها الأزهر الشريف ، كما سبق أن أوردنا واحدة منها . [٢]

* * *

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٤.

(٢) انظر ص (٢١) من البحث.

الباب الأول

الغزو الفكرى فى مناهج التعليم فى عهد أسرة محمد على والاحتلال البريطاني

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بداية الغزو الفكرى فى التعليم فى عهد أسرة محمد على

الفصل الثانى : الغزو الفكرى فى مناهج التعليم فى فترة الحكم الثنائي

الفصل الثالث : نماذج من الغزو الفكرى فى المادة المقررة

الفصــل الأول

بداية الغزو الفكرى فى التعليم فى عهد أسرة محمد عـلى

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث **الأول** :	سياسة التعليم وأهدافه فى عهد أسرة محمد على
المبحث **الثانى** :	العلماء الذين وفدوا مع الحملة التركية
المبحث **الثالث** :	المدارس التى أسست فى هذه الفترة
المبحث **الرابع** :	المعلمون الذين أسسوا هذه المدارس
المبحث **الخامس** :	رفاعه رافع الطهطاوى ودوره فى التغريب فى السودان
المبحث **السادس** :	نشاط النصارى فى انشاء المدارس

* المبحث الأول : سياسة التّعليم وأهدافه في عهد أسرة محمد علي :

استمر عهد محمّد علي في تشجيع نظام الخلاوى ، ومدارس القرآن الّتي كانت سائدة قبل الفتح ، على أداء وظائفها التّعليميّة على ذات النمّو التّقليدى ، ولم يحدث تغيير أو تجديد بمعناه الشامل المعروف إلاّ في نهاية ذلك العهد ، فقد اقتضى التركيب الاقتصادى في الدولة ، ونظام الإدارة المتطوّر ، ايجاد نوع من التعليم أكثر شمولاً من ذلك النّوع الذى كانت تقدّمه الخلاوى . ومن ثمّ استهدفت السّياسة التّعليمة فتح المدارس على الطراز الغربي (١) فاتخذ التّعليم " شكلاً علمانياً واضحا حيث أدخل نظام الكتاتيب الذى اختلف عن النّظام السابق - نظام الخلاوى - شكلاً ومحتوىً ... وهكذا أدخل نظام التعليم المدني الذى كان يهدف إلى الإعداد الوظيفي ، بالتالي ، استخدم التعليم كوسيلة لتطوير وتنظيم الدّولاب الحكومي " (٢)

وقد حدّد الأمر الخديوى الصادر آنذاك (٣) ، بتأسيس بعض المدارس حدّد - أغراضها بتعليم " من يرغب من أبناء العمد ، والأعيان ، والأهالي فن الكتابة ، من حسابات ، وتحريرات وغيرها ، ليؤخذ منهم من يلزم في وظائف الكتبة والمعاونيه ، بل أنّ الأمر نفسه قد ورد فيه : انتشار التمدن ، والرّفاهية ، وحسن التّواطن .. والتّقدُّم في المعارف والفنون " (٤)

نلمح من هذا أنّ التّعليم قد تحوّل من تعليم ديني على أيدى الفقهاء والمشايخ إلى تعليم حرفي له أغراض خاصة هي : تعهُّد الكفاءات والمواهب للوصول بها إلى المستوى الذى يؤهلها لخدمة الدولة ، بوجه عام ، بصرف النّظر عن الدين أو اللغة .

---

(١) انظر : موسى قسم السّيد ، وعبد الغني إبراهيم ، بخت الرضا بين الماضي والحاضر ندوة بخت الرضا وقضايا التّعليم الملحّة . ربيع الأول ١٤٠٥هـ - مخطوطة - ص ٢ .

(٢) الأُستاذ شريف خاطر ، الجذور التّاريخية للتعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٣) كان ذلك في عام ١٨٦٣ م في عهد الخديوى إسماعيل .

(٤) حسن أحمد يوسف ، تطور السّياسة التّعليمية في السّودان ، رسالة المعلّم ، العدد الخامس رجب ١٣٩٦ هـ دار النشر التربوى الخرطوم ص ١٠.

فأهداف التعليم ـ كما نرى ـ في هذه الفترة ، قد انصبت على الإعداد الوظيفي ، وبعث النّهضة التّعليميّة والثّقافة الغربيّة .

ومن وراء هذه الأهداف يكمن الغزو الفكرى ، الذى يمكننا الإشارة إليه في النّقاط التّالية :

أولا: تجريد المؤسسات التّعليمية الّتي كانت تعدّ الموظفين ، والمستخدمين في الحكومة تجريدًا تامًا عن التعليم الدّيني ، بنقلة كبيرة جدًا ، إذ كان النظام السائد في البلاد قائما أَساسا على التعليم الديني فحسب .

ثانيا : احتكار هذه المؤسسات التعليمية الحديثة للعمالة دون المؤسسات الدينية القائمة من قبل ، حيث يستوعب خريجوها في الوظائف في دواوين الحكومة ، للمساعدة في الإدارة والكتابة ، مع فتح المجال لمن أراد أن يواصل تعليمه للالتحاق بالمدرسة التجهيزية في مصر [١] ، وبذلك تكون الحكومة قد طبقت سياسة محاربة الأزهر الشريف في مصر ، على المؤسسات التعليمية الدينية القائمة آنذاك في السودان ، بتقليل ميزانياتها ، ومخصصات طلابها ، واستهجان أسلوبها ، ووصمها بالتخلف والرجعية . وفي المقابل زيادة ميزانيات المدارس الحديثة ، القائمة على النظام الغربي ، وزيادة مخصصات من ينتسبون إليها من أساتذة وطلاب ، ووصفها بالتّمدّن والتّقدّم والانفتاح . فكان التشويق لها .

---

(١) د . إبراهيم الحردلو ، الرّباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٧٧ م ص ١٥ .

وللدلالة على ماذكرنا نورد المقارنة التّالية بين المؤسسات التّعليمية القديمة والحديثة في تلك الفترة : (١)

الرقم	اسم المؤسسة	عدد تلامذتها	جنسيات التلاميذ	ميزانيتها في العام	مخصصات الأساتذة	مخصصات التّلاميذ
١	مسجد الخرطوم	٨١	جميعهم سودانيون ومن أبناء عامة الناس	١٨٠٠ قرشًا ثم رفعت إلى ٣٠٠٠ قرشًا و٣ أرادب من الذرة	ضمن الميزانية العامة	قرشان وربعين من الذرة (كيلة واحدة)
٢	مدرسة الخرطوم الإبتدائية	٨٤	كلّهم من أبناء موظفي الحكومة ولم يكن بينهم من أبناء الأهالي طفل واحد	٣٣٠٠٣٠ قرشا (ثلاثمائة، وثلاثين ألفًا ، وثلاثين قرشًا) وتسعة وثلاثين بارة	المدير من ١٠٠٠قرش في الشهر رفعت إلى ١١٠٠ قرشًا والأساتذة ٣٠٠ قرش في الشهر رفعت إلى ٥٠٠ قرش مع زيادة أردب ذرة شهرى لكل من المدير والأساتذة	٦ قروش مع المخصصات

(١) هذه المقارنة مستخصلة من الكتب التّالية :
أ-د٠ حسن أحمد إبراهيم ، تاريخ السودان الحديث ، دار النشر التربوى ١٩٧٩م ، ص ٢٩٠
ب - وكذلك : د٠ السيد يوسف نصر ، الوجود المصرى في أفريقيا في الفترة من ١٨٢٠م-١٨٩٩م ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م ص ١٢٠ ، ١٢١ ٠
جـ - د ٠ عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، المعية ، قرارات المجلس الخصوصي ، دفتر رقم ١٩٥٨ - وكذلك قرارات المجلس الخصوصي دفتر رقم ٤ صفحة١١٩ ، فصل المدارس ٠

د ٠ د ٠ محمد فؤاد شكرى ، الحكم المصرى في السودان ١٨٢٠م - ١٨٨٥م دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م ص ٣٠٦٠

وبرغم ما حدث من هذا الظلم المتعمّد نجد أنّ ميزانيات المؤسسات التّعليمية الدّينية بقلتها غير مستقرة ، بل هي تحت رحمة الولاة ، كما كان الحال مع الأزهر تماماً . فممتاز باشا عندما كان حكمداراً على السودان ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م [١] قد أوقف صرف المكافآت والإعانات التّي كانت تعطى للعلماء بحجة ضبط وتنظيم الميزانية ، وأعيد صرف هذه المكافآت والإعانات ، إلاّ أنّ غردون باشا قد أوقفها بعد تعيينه حكمداراً عاما على السودان [٢].

وهذه نتيجةٍ طبيعيةٍ لسياسة أُسرة محمد على التّعليمية الغربية ، فغردون لم يكن يتوقّع منه غير ذلك ، لأنّه لم يكن إلاّ مبشرا مسيحيًا ، وممتاز باشا كان مشهورًا بالرشوة والفساد وقد فصل لأجل ذلك عام ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م [٣]

ثالثا: وكما أنّ التّعليم في مصر في عهد أسرة محمّد على ، قد تأثّر بالتّعليم في فرنسا ، فانّ التّعليم في السّودان قد تأثر بما تأثرت به مصر ، وذلك لالتقاء الأهداف من جهة ، ولأنّ الذين تعلموا في فرنسا وتأثّروا بالثقافة الغربية كانوا هم نواة التّعليم الحديث في السودان من جهة أخرى ، إضافة إلى أنّ أهداف التّعليم ومحتوياته ، ووسائله كانت بعيدة كلّ البعد عن طبيعة المجتمع السّوداني .

وبذلك وجد في السُّودان ولأوّل مرّة ، نظامان تعليميان منفصلان يعيشان جنبًا إلى جنب أحدهما يتصل بروح الأمة وتاريخها وجهودها الثقافية الماضية ، ولكن يعيش في عزلةٍ عن تيارات الحياة الحديثة ، والثّاني يتطلع إلى المستقبل ولكنّه مفروض على الأمة ، منقطع الصلة بماضيها الثقافي والاجتماعي . وكان من نتيجة هذا الازدواج الثّقافي أن بدأ المتعلمون ينقسمون إلى طائفتين متباينتين في الرّوح وأساليب التّفكير مختلفتين في نظرتهما للحياة الثّقافية. [٤]

---

(١) انظر : د . حسن أحمد إبراهيم ، تاريخ السودان - مرجع سابق - ص٣٥ .

(٢) انظر : خوجلي ، أحمد صديق ، نظم الحكم في السودان في الفترة من١٢٣٥-١٣٠٠هـ رسالة ماجستير ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م - غير منشورة - جامعة أم القرى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ص ١٩٢ .

(٣) انظر حسن أحمد إبراهيم ، تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص ٣٦

(٤) محمد الأمين الاسماعيلي ، الغزو الفكرى في مناهج التعليم في مصر والمغرب ، رسالة دكتوراة ، بتاريخ١٣٩٩ - ١٩٧٩م مخطوطة بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ص ٦٨ -٦٩ " بتصرف ".

وما ذهب إليه الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد في كتابه التربية في السودان من أنّ محمّد علىقد " تجنّب الإملاء على النّاس كما تجنّب الفصل بين نظم ونظم، فلم يحدث ثنائية في معاهد التّعليم ، بل تمت تلك الثّنائيّة في أيام الجيلين الحاضر والسابق من المصريين ،ولم تعرف أيام محمد على إلاّ ثقافة إسلاميّة في كلّ مكان ..." (١)

ماذهب إليه ليس بصحيح البتّة ، لأنّه على الرغم من أنّ محمّد على لم يجر على السّودان ما أجرى على مصر من نظام تعليمي حديث، إذ لم تشهد فترة حكمه، إقامة أيّ مدرسةٍ حديثة في السّودان ولكن بالرّغم من ذلك ، فإنّ للعلماء الذين وفدوا من مصر التّي نالت حظًا من الازدواجيّة في التّعليم ، والطّلاب المبتعثين ، وغير المبتعثين القادمين من مصر ، قد أضفوا على السودان تيارًا ثقافيًا يحمل عين مواصفات التّيارات الثّقافية المصريّة، خاصة إذا علمنا أنّ أوّل دفعةٍ من الطلاب السودانيين المبتعثين إلى مصر في عهد محمد على ، وعددهم ستة طلاب عام ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م [والذين] ابتعثوا للالتحاق بمعاهد مصر الزراعية التّي أسّسها محمد على في القاهرة ، قد ألحقوا أثناء بعثتهم بمدرسة الألسن التّي أسسها رفاعة بك الطهطاوى، ويقوم عليها رجال تشرّبوا روح الثقافة الغربية . ذلك حتى يتشرب هؤلاء الطلاب طعم المعارف التّمدنية لينشروها في السودان . (٢) (٣)

ولم يكتف محمد على بذلك ، بل ، عندما شرع في إرسال البعثات المصرية إلى أوربا كجزء من سياسته التّعليمية ، وقع الاختيار أيضا على نفر من أبناء السودان الذين كانوا يدرسون بمصر للذهاب إلى أوربا ، لتكتمل الحلقة . (٤)

وفي هذا الصنيع مايؤكد تلازم أهداف التّعليم وسياساته في هذه الفترة بلا استثناء . فكان هؤلاء وأولئك قد مهدوا للتيارات الثقافية الوافدة إلى السودان، وأحدثوا نوعًا من الازدواجية اكتملت حلقاتها في الأجيال التي تلت .

---

(١) د . عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٣.
(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٠
(٣) د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٠
(٤) انظر : المرجع نفسه والصفحة .

كانت هذه الازدواجية هي بداية الفصام في السياسة التّعليمية التي استمرت إلى يومنا هذا • حيث جعلت مؤسسات التّعليم المدني موازية لمؤسسات التّعليم الديني ، ونتج عن ذلك آثار سيئة تمثلت في ظهور العلمانية في مجال التعليم ، والتي مايزال التعليم في السودان يعاني منها •

فلو كانت الإدارة في السودان قد قامت بتوحيد نظامي التّعليم المدني والشرعي - كما أطلقوا عليه - لكان السّودان في مَنْأَى عن تلك الفوارق ، والمشكلات التي يعاني منها اليوم• ولكن الذى حدث أنّ تلك المدارس المدنية ، مثلما هو في مصر ، تخرّج أجيالا ، لا صلة لها بالدين إلاّ نادرا ، وأنّ المدارس والمعاهد الدينية - كما سنبين - تخرّج أجيالا تفتقر إلى العلوم العصرية ممّا أحدث ثنائية سيئة في بنية المجتمع الواحد • (١)

وقد أكد الإسماعيلي في رسالته على دور محمد علي ، وميوله الغربية إذ يقول :

" ولا يستغرب أن يحدث تعليم مثل الذى فرضه محمد علي ، قَلَقًا لدى النّاس ، فلم يكن ذاك التعليم ومناهجه ، إلاّ غزواً فكريًا منظّمًا ، اقتبسه محمد على عن الغرب نباتًا أجنبيًا يحتاج تأقلمه إلى أجيالٍ متتابعة على أن تظل العناية به حبة مستمرة • غرس محمد على هذا النبات في تربة لم يهيئها لقبوله تهيئًا حسنًا ، وظهر هذا النبات سقيمًا يحتاج إلى أشدّ العناية ، وسقمه كامن في روحه التي هي روح غربية ، ثم في التخطيط الواقع في نظامه •••" (٢)

---

(١) انظر : خوجلي أحمد صديق ، نظم الحكم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٩٤•

(٢) الإسماعيلي ، الغزو الفكرى في مناهج التعليم في مصر والمغرب ، مرجع سابق ، ص ٨١•

* المبحث الثاني : العلماء الّذين وفدوا مع الحملة التُّركيَّة :

عندما دعا السلطان الترّكي سليم الأوّل ، سلطان سنار -بالسّودان- إلى طاعته ، أجابه ، سلطان سنار بما مفاده : " إنّي لا أعلم ما الذى حملك على حربي ، وامتلاك بلادى ، فإن كان لتأييد دين الإسلام ، فإنّي وأهل مملكتي ندين بدين الله ورسوله ، وإن كان لغرض مادّى ، فاعلم أنّ أكثر أهل مملكتي عَرَب بادية ، وقد هاجروا إلى هذه البلاد لطلب الرزق ، ولاشيء عندهم تجمع منهم جزية سنوية ، فعدل السلطان التركي عن غزو سنار " .(١)

وعندما تسلّم محمد علي باشا مقاليد الأمور في مصر ، لم يكن يعرف أهمية السودان ولم يفكر في غزوه إلاّ بعد محادثاته مع مندوبي الدُّول الأوربية بالقاهرة الذين تصلهم التقارير المفصَّلة من رحّالة بلادهم المنتشرين في أفريقيا بصفة عامة ، والسودان بصفة خاصة.(٢)

عندئذ فكر محمد علي في غزو السودان متّخذاً من الدِّين مدخلاً لتحقيق أطماعه ، وقد أدرك محمد علي منذ أن فكّر في غزو السودان ، أنّه يتّجه بحملاته الحربية إلى بلاد للإسلام فيها شأن خطير ، ولذا رأى أن يصحب جيشه الفاتح الذى كان يقوده ابنه إسماعيل ، ثلاثة من نخبة من العلماء وهم :

القاضي محمد الأسيوطي الحنفي ، والسيد أحمد البقلي الشافعي ، والشيخ السّلاوى المغربي المالكي ، ووهب كلّا منهم خلعةً سنيّة ، وخمسة عشر كيسًا ، وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعة ، بلا حرب بحجة أنّهم مسلمون ، وأنّ الخضوع لجلالة السلطان ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين واجب ديني .(٣)

ورغم أنّه كان لهؤلاء العلماء دور في تفقيد النّاس وربطهم بدينهم ، إلاّ أنّهم قد استُغِلّوا بعض الاستغلال من جهة وفادتهم إذ :" ربط هؤلاء العلماء بنظام الحكم ، وجعل

(١) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ج ٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ص ٣٨٨ .

(٢) للمزيد من التفصيل انظر : د مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٧٤ ومابعدها ، وكذلك د . الخضر مصطفى ، التبشير والاستعمار في نيجريا ، رسالة ماجستير - مخطوطة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ص ٣٩.

(٣) انظر : جغرافية وتاريخ السودان ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٤٩٤.

اعتمادهم على ما يَتَلَقَّونه من المرتبات مما أفقدهم الحرية التي كانوا يتمتعون بها ، وأضرّ بمكانتهم الاجتماعية ، ولأوّل مرّة، أضحى العلم للتكسب، بينما كان سابقا طهرًا على وجه الأرض " (١)

علاوة على ذلك فإنّ محمد على قد غرّر بهم إذ جعلهم يصدرون فتوى في إباحة حرب المسلم للمسلم ، مع أنّه لم يكن صادقًا في دعواه التّي ادعاها من أنّ تلك الحرب إنّما هي خضوع لجلالة السّلطان أمير المؤمنين ، بل كانت له أهداف مستورة، وراء ذلك الفتح الذى اتّخذ فيه من الدّين ورجاله ، وسيلة لكسب عواطف السودانيين ، ومن ثمّ تحقيق أهدافه . وتَمْويهًا لذلك ، وتغريرًا بالنّاس قام بتشجيع الطرق الصوفية ، وأجرى على مشايخها الخُلَع السنية.(٢)

وقد سار من جاء بعده على نهجه ، وقد كان لذلك أثَره فيما بعد على وحدة المسلمين في السودان ، حيث غدوا شيعًا وأحزابا ، وانتشرت بعض المظاهر المخالفة للعقيدة الإسلامية .

فمن التّمكين لهذه الطّرق الصوفية ، المكاتبة التّالية التّي بعثها سعادة كتخدا باشا إلى حكمدار السودان التّي جاء فيها : " جواب صورته أنّ حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد السنوسي من أهالي كردفان كان مقيمًا بالأزهر ، لتحصيل العلوم البهيّة ، ثمّ العودة إلى بلاده ليتحدث فيها بعلمه ، وينشر فيها نوافح عواطر الطريقة النّقشبنديّة التّي تلقاها عن حضرة الأُستاذ المُعظّم ، فخر السّادات الأشراف ، السّيد محمد منتصر النّقشبندى ، وقد أخذ تلا مذته وكتبه وتوجه بها ، فعند قدوم حضرته إليكم أحسنوا ملاقاته ، وعاملوه بما يجب لقدر فضله ، وأبذلوا عليه الوصية إلى سائر الحكام الذين يصادفهم في طريقه ..." (٣)

---

(١) انظر معالم تاريخ الإسلام - مرجع سابق - ص ٨٢ .

(٢) انظر : الخضر عبد الرحيم أحمد ، النشاط الكنسي في السودان رسالة دكتوراة مخطوطة جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدّين فرع العقيدة ١٤٠٨هـ ص ٤٠ .

(٣) د . عبد العزيز أمين ، التّربية في السودان ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ، : دفتر ٨٤ صادر معية صورة المكاتبة العربية رقم ٥٠ ص ٨٣٠ بتاريخ ٦ ذو القعدة سنة ١٢٦٨هـ ، وكمثال ثان انظر : المرجع السابق ، ج ٣ ص ١٢٤ ، دفتر ١٨٩٩ أوامر بحرى ، صورة المكاتبة العربية رقم ١٦٠ ص ٥٤ بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١٢٧٨هـ .

وقد ظهرت بعض تلك النّوايا، في رسائل محمد على التّي كان يبعث بها لأبنائه ، وقوّاد جيشه في السودان بين الحين والآخر .

ومن ذلك رسالته لابنه إسماعيل التي جاء فيها : " ... المقصود الأصلي من هذه التكلفات الكثيرة والمتاعب الشاقة ، ليس جمع المال كما كتبنا إليكم مرّة بعد أخرى ، بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ، ويجدرون بقضاء مصالحنا " (١)

ويقول في رسالته لابنه إبراهيم : " وجلب السّودانيين هو غاية مطلوبنا المراد ، ونتيجة المقصود مهما كانت الصورة التّي يجلبون بها من أوطانهم " (٢)

فنلحظ أنّ محمد علي قد استصدر الفتوى من العلماء بجواز فتح السودان لضّمه إلى السّلطان أمير المؤمنين ، واستغل ذلك لتحقيق أغراضه الذاتية ، وكان الواجب أن يصدر أولئك العلماء فتاوى مضادة ، عندما تبيّن لهم الأمر الذى عرفه العامة قبل الخاصة ولكن فيما يبدو أنّ كثرة العطاءات حالت دون ذلك .

ومحمد علي بهذه الخطوات التي خطاها في استغلال العلماء واستمالتهم لم يكن بدعًا في ذلك ، بل كان تبعًا ، فقد سلك مسلك نابليون ، حين أرادت فرنسا فتح مصر ، والقارىء لسيرة نابليون عند فتحه لمصر يبدو له مدى تأثر محمد على باشا به .

ولئن كان الهدف عند نابليون هو قطع الطريق الإمبراطورى بين بريطانيا والهند ، وتنفيذ مخططه الصليبي الكامل لإخراج مصر من دائرة الإسلام ... الخ ، فإنّ الهدف عند محمد علي هو قطع الطريق العثماني ، واجهاض الدّولة الإسلاميّة المتماسكة في ذلك الحين .

فحين وكل أمر فتح مصر لنابليون ألّف في فرنسا هيئةً من العلماء عرفت " بلجنة العلوم والفنون " (٣) كجزء من الحملة الذاهبة إلى مصر . وقد ذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى، أسماء هؤلاء العلماء الذين يربو عددهم على المائة وخمسين عالمًا . (٤)

---

(١) محمد علي في السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٥

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) انظر :د. محمد فؤاد شكرى ، الحملة الفرنسية ، وخروج الفرنسيين من مصر ، دار الفكر العربي ، ص ٦١٥.

(٤) انظر المرجع نفسه ص ٦١٥ _ ٦١٨

وكان هؤلاء العلماء بمثابة موظفي مخابرات ، مهمتهم جمع المعلومات وتقديمها للسّلطة في أي لحظة تشاء .

وسعى نابليون كذلك أول ما سعى بعد دخوله مصر ، تقريب العلماء ، فبعد هزيمته للمماليك في معركه" أمبابة " ، جاء نابليون واستقر في القاهرة في منزل " الألفي بك " وكان بوصفه مسلمًا ، محبًا للإسلام ، ترأس مجلس العلماء [1] ، وألّف هيئةً أخرى في مصر عرفت " بالمجمع العلمي المصرى " [2] وكان يخلع عليهم أحياناً خلعًا سنيّة ، ويحاول استخدامهم في ترويج القوانين الوضعية التي أراد احلالها محل الشريعة الإسلامية. [3]

قال نابليون ، حاثّا العلماء والشيوخ ، اقناع الشعب المصرى على الخضوع ، وعدم الحرب :" أيها القضاة والشيوخ ، والشوربجية ، قولوا للشعب انا أصدقاء مخلصون للمسلمين الحقيقيين ، أولسنا نحن الذين نكّلنا بالبابا ، وقد كان ينادى بوجوب شهر الحرب على المسلمين ؟ ، أولسنا نحن الذين أيّدنا فرسان مالطة الأغرار ، وقد كانوا يعتقدون أنّ البارى عزّ وعلا يريد أن يشهر القتال على المسلمين ؟ أو لم نكن في كلّ عصر أصدقاء المولى الأكبر (أيّده الله) . وأعداء أعاديه ؟ أوليس المماليك بعكس ذلك متمردون على سلطة السّيد الأعظم ، وهم لايزالون ينكرون آلاءه ، ولايجرون إلاّ على سنن أميالهم الملتوية" [4]

فنلحظ أنّ هناك تشابهًا في الفكرة ، بل تقليدًا لنابليون ، وتقديم الولاء لفرنسا ، خاصة وأنّ محمد على قد تولى عرش مصر (١٨٠٥م) ـ ولما يمض على نهاية الاحتلال الفرنسي لمصر (١٨٠٢م) ـ سوى ثلاث سنوات . [5]

---

(١) انظر : الأستاذ محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ص ٢٠٠ .

(٢) انظر : الحملة الفرنسية ، وخروج الفرنسيين ، مرجع سابق ـ ص ٦١٥ .

(٣) انظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ـ مرجع سابق . ص ٢٠١

(٤) الياس طنوس الحويّك اللبناني ، تاريخ نابليون الأول ج ١ ، مكتبة زيدان العمومية ، القاهرة ، ص ٩٢ .

(٥) انظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥.

ويزيد الموضوع ربطًا إذا علمنا أفضال فرنسا عَلَى محمَّد عَلِي باشا بعد أن آل الأمر إليه في مصر ، فقد " أنشأت له فرنسا جيشًا مدرَّبًا على أحدث الأساليب ، ومجهَّزًا بأحدث الأسلحة المتاحة يومئذ بإشراف سليمان باشا الفرنساوى ، - أحد العلماء الذين وفدوا مع الحملة الفرنسية - وأنشأت له ، أسطولاً بحريًا على أحدث طراز يومذاك .

وأنشأت له ترسانة بحرية في دمياط .

وأنشأت له القناطر الخيرية لتنظيم عملية الرّى في مصر " (١)

وفي مقابل ذلك قام محمد على بتنفيذ المخطط الذى عجزت الحملة الفرنسية عن تنفيذه ، بسبب اضطرارها إلى الرحيل .

وذلك مما جعل الأُستاذ محمد قطب الّذى سبر غور الدَّوْر الفرنسي في مصر يقول : بأنّ الظّروف والملابسات تشير إلى أنّ فرنسا ، هي التي تدخلت لدى السلطان لإرسال محمد علي واليًا على مصر ، لتحقيق أهدافها المتمثِّلة في القضاء على الدولة العثمانية ، والقيام " بتغريب " العالم الإسلامي ، مع العناية بتغريب مصر - بلد الأزهر - ، وتصدير التَّغْريب منها إلى بقية العالم الإسلامي . (٢)

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر - مرجع سابق - ص ٢٠٥

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

* المبحث الثالث : المدارس التي أسست في هذه الفترة :

رغم ما اعترى المجتمع السوداني من تغيّرات تَبَعًا لما اعْتَرى المجتمع المصرى من تغيّرات، تمثلت بادىء ذى بدء في التعليم الذى تأثر بفرنسا ومبادئها التعليمية تأثرًا واضحًا - برغم ذلك - لم يتغيّر التعليم في السّودان كثيرًا في أوّل عهد التركية السابقة فقد استمرت الخلاوى والمساجد مصدرًا أساسيا للتعليم في السودان ، برغم اغفال الحكومة لها .

وكانت بداية التّغيير تمثلت في تلك البعوث التي أشرنا إليها سابقا[١] والتي تمثلت في ايفاد عدد من الطلاب لتلقي العلوم الحديثة في مصر على أيدى الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا يشكلون الجزء الكبير من هيئات التدريس في المدارس هناك .[٢]

وظل الأمر كذلك حتى جاء عهد الخديوى عباس باشا (١٢٦٥هـ-١٢٧١هـ ، ١٨٤٨م -١٨٥٤م) الذى أغلق بعض الدّور التعليمية في مصر ، وأصدر أمرًا بتأسيس مدرسة ابتدائية بالخرطوم (١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م)[٣] فكانت أوّل مدرسة حديثة تمّ فتحها . وتعتبر هذه المدرسة ، البداية الحقيقية للتعليم المزدوج في السودان ، وكان من اهتمام عباس بأمر هذه المدرسة أن أصدر مرسوما عاليا بتعيين مؤسس هذه المدرسة - رفاعة الطهطاوى - وتكليفه باختيار معلمين من ذوى المَفْهُومِيَّة لها[٤] على حدّ تعبيره .

---

(١) انظر ص (٤٥) من البحث .
(٢) انظر : محمد لبيب ، في التربية ، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٩ القاهرة ص ١٣ .
(٣) لقد ورد أمر تأسيس هذه المدرسة في الخطاب الصادر إلى ديوان المدارس في ٦ من رجب سنة ١٢٦٦ هـ (١٨ مايو سنة ١٨٥٠م) . انظر : محمد الأمين سعيد - سياسة محمد علي في السودان (١٨٢٠-١٨٤٩م) رسالة ماجستير مخطوطة - كلية الآداب جامعة القاهرة - قسم التاريخ ١٩٧٥م ص ١٣٦ .
(٤) انظر : د. محمد فؤاد شكرى ، الحكم المصرى في السودان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢-٣٠٤ من خطاب عباس باشا الى حكمدار السودان ، دفتر رقم ١٩٥٨ ، قرارات المجلس الخصوصي رقم ٤ ص ١١٩ فصل المدارس .

ويذكر ريتشارد هل (١) ، أن جيمس هاملتون (٣) الذى زار الخرطوم في ذلك الوقت (١٨٥٣) قد وجد في مدرسة الخرطوم أربعة وثمانين تلميذًا ليسوا من أبناء الشعب السوداني والمواطنين ، وإنّما هم من أبناء العاملين في الدولة من الأجانب . (٢)

ولكن هذه المدرسة قد أغلقت بعد عام واحد نتيجة لبعض الظروف السياسية .

وفي عهد الخديوى إسماعيل (١٢٨٠هـ - ١٢٥٧هـ ، ١٨٦٣م - ١٨٧٩م) تم فتح خمس مدارس ، إبتدائية في الخرطوم وبربر ودنقلا وكسلا وكردفان (٤) ، وبعد أعوام فتحت مدرستان في سواكن وسنار . (٥)

وفي عهد توفيق باشا (١٢٩٧هـ - ١٢٩٩هـ ، ١٨٧٩ م - ١٨٨١م) أنشئت مدرسة الخرطوم الأميرية .

وإن كنّا لم نعثر في الوثائق التي توفرت لدينا عن تفاصيل برامج هذه المدارس ولا نظم الدراسة فيها ، لكن ما توفّر لدينا يثبت أن هذه المدارس جميعها كانت تحت الإشراف الفني لديوان المدارس بمصر ، وتتبع خطط الدراسة المتبعة في المدارس المصرية ، فهي إذًا عبارة عن امتداد لنظام التعليم المصرى المستمد من التعليم الفرنسي ، تسير على نفس نظمه ومناهجه تدلنا على ذلك الخطابات الصادرة من ديوان المدارس بمصر إلى حكمدارية السودان والتي منها :" ... قد قرّ الرأى على أن تفتح هذه المدرسة - مدرسة الخرطوم الإبتدائية الأولى - في عاصمة الخرطوم ، وأن يكون نظامها موافقًا لأصول المدارس المصرية ، وعلى نمط ترتيب مدرستي المبتديان والتجهيزية ..." (٦)

---

(١) من آثاره : مراجع السودان المصرى الإنجليزى لندن ١٩٣٩م ومعلومات عن السودان ، خط سير إلى كردفان ١٨٢٤م - ١٨٢٥م وحكام السودان من عام ١٨٢٠م - ١٨٨٥م.
نجيب عقيقي ، المستشرقون ج ٣ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م ، ص ٥٣٦ .

(٢) انظر عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ج ٣ ، صورة المكاتبة العربية رقم ١٦ ص ٩٦ .

(٣) Hill, Richard, Egypt in the Sudan 1820-1881 opcit . P. 88 .

(٤) انظر :د. عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ج٣ ص ١٣٠ ، قرارات المجلس الخصوصي ، سجل رقم ١١٦ صادر المعاونة - صورة المكاتبة العربية رقم ١٦ بتاريخ ١٦ صفر سنة ١٢٨٠هـ.

(٥) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان - مرجع سابق ص ٤٥.

(٦) د . عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ج ٣ ، ص ٩٦ دفتر رقم ١٩٥٨ ،(==)

وبناء على ذلك كانت المدارس عبارة عن ثكنات عسكرية في نظامها ومأكلها وملبسها.

وقد أحدث هذا النظام في نفوس الناس كراهية له للطريقة التي كان أبناؤهم يقتادون بها إلى المدارس الحكومية ذات النظام العسكري الداخلي الذي يحرمهم من أبنائهم طيلة مدة الدّراسة إلاّ أيام العطل ، وإذا عادوا إلى بيوت ذويهم فإنّ حياة أهلهم تصبح مستهجنة في أعينهم، لاختلافهم اجتماعيًا عما ألفوه في مدارسهم الأوربية النظام والمنهج ، والتي هي في الأساس امتداد للسياسات التغييرية التنصيرية في العالم الاسلامي .

وقد ذكر الشيخ محمود القباني [١] الأسس والنظم التي كانت سائدة في إحدى هذه المدارس وهي مدرسة الخرطوم الأميريّة التي كان هو ضمن طلابها فبيّن أنّ نظام الدراسة ينقسم إلى قسمين :

قسم خارجي : يدفع الطالب مصروفات تبلغ قيمتها الشّهريّة ريال مجيدى .

وقسم داخلي : كانت الدراسة فيه بالمجان ، ونظامه عسكرى ، ويصرف للطلاب القاطنين في الداخلية أكلاً وملابس ، ومرتّبات عسكرية ، وكان طلاب القسمين الداخلي والخارجي يتعلمون معًا في فصول واحدة ، ويتلقون نفس المواد إلاّ اللغة الفرنسية ، فإنّها كانت اختيارية للقسم الخارجي ، وكانت المواد التي تدّرس هي : العربية والفرنسية للبعض ، والتّركية وكانوا يعتنون جدا بالخط الرقعة والخط الفارسي ، وكان يسقط في الامتحان من لم ينجح في الخط ، وما كانوا يدرسون القرآن . [٢]

وكان الطلاب يتلقون دروسهم وهم جلوس على الأرض ، أمّا في **درس اللغة الفرنسية فكانوا يجلسون على تخت وأمامهم المكاتب** .

هذا جزء من النظام الذى أوجدته أسرة محمد على في التّعليم .

---

(١) الشيخ محمود القباني ـ مواطن سوداني درس بمدرسة الخرطوم الأميرية عام ١٢٩٨هـ ـ ١٨٨١م ولد عام ١٢٩٠ الموافق ١٨٧٣م . انظر د. عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان مرجع سابق ج ٣ ص ٢٦.

(٢) انظر : المرجع نفسه ، والصفحة ٢٦ ، ٢٧ .

وما يمكن الإشارة إليه من ملاحظات تغريبيّة على هذا النظام نجمله في الآتي :

أولا: الاهتمام الكبير بالقسم الداخلي ، والتنفير من القسم الخارجي وذلك لأنّ فرص التّأثير في القسم الداخلي أكثر .

ثانيا : تعلم جميع العلوم إلّا القرآن ، وعلومه كما قال محمود القبّاني الذى صرّح بذلك بقوله : " وما كنا نتعلّم القرآن " (١)

ثالثا : تحبيب اللّغة الفرنسية ، وتمييزها عن سائر المواد الدّراسية الأخرى بما في ذلك اللغة العربية ، حيث كان الطلاب يجلسون لدراستها على التخت ، وأمامهم المكاتب في حين أنهم يجلسون على الأرض لدراسة المواد الأخرى .

وهذا النظام مشابه لنظام المدرسة المصرية التي تولّي إدارتها " استفان بك " لتأهيل الطلبة لاتقان اللغة الفرنسية ، ومسايرة للمدارس العليا بفرنسا ، وفي ذلك نوع من الازدراء للمواد الأخرى ، والاعلاء من شأن اللغة الفرنسية حتى تكبر في عيون الدارسين .

---

(١) انظر : د . عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ، جـ ٣ ، مرجع سابق ص ٢٨ .

* المبحث الرّابع : المعلّمون الّذين أسّسوا هذه المدارس :

لقد كان للأساتذة الذين أختيروا للعمل في السّودان في المدارس الحديثة دورهم النافذ في ازكاء الرّوح التّغريبيّة التي كانت أسرة محمد علي متعلقة بها أيّما تعلّق، مما حدا بإسماعيل بن محمد علي أن يقول قولته الشهيرة :" أريد أن أجعل مصر قطعة من أوربا " (١)، وافتتح عهده في السّوادان بقوله : " ... بما أنّه من أقصى الآمال انتشار حالة التمدن والرفاهية ، وحسن التّواطن والعمارية ، ومن لزوم ذلك استحصال الرعايا على اكتساب العلوم ليمتازوا بها ، ويكونوا دائما مجبولين على حب الوطن ، ومتشوقين لنوال ثروة الامتياز والتقدم في المعارف والفنون .." (٢)

هذه العبارات الفضفاضة - التمّدن ، والتّقدّم ، التّواطن ، حب الوطن - التي جاءت على لسان الخديوى إسماعيل هي ذات العبارات والمعاني التي تحدث عنها "جومار " (٣) أستاذ رفاعة الطهطاوى وصديقه الذى لازمه في فرنسا في حفل توزيع الجوائز على طلاب البعثة المصرية التي كان رفاعة ضمن طلابها حيث قال :" إنّكم منتدبون لتجديد وطنكم ، الذى سيكون سببا في تمدين الشرق بأسره ، أمامكم مناهل العرفان فاغترفوا منها بكلتا يديكم، وهذا قبسه المضيء بأنواره أمام أعينكم، فاقتبسوا من فرنسا نور العقل الذى رفع أوربا على سائر أجزاء الدنيا ، وبذلك تردّون إلى وطنكم منافع الشرائع والفنون التي أزدان بها عدة قرون في الأزمان الماضية ..." .(٤)

---

(١) د . مكى شبيكة ، تاريخ شعوب وادى النيل " مصر والسودان " دار الثقافة بيروت ص ٥١٥ .

(٢) د . عبد العزيز أمين عبد المجيد - التربية في السودان ج ٣ ص ١٣١ سجل رقم ١٩٠٤ ، أوامر عربي ص ٦٤ . صورة الأمر الكريم رقم ٢٣ بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٠هـ .

(٣) " جومار " مستشرق فرنسي تولى الإشراف على البعثة التي كان رفاعة أحد طلابها . للمزيد من التفصيل انظر : محمد عمارة الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، مطبعة المتوسط لبنان . الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط الأولى ١٩٧٣م ص ٤٠

(٤) محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، مرجع سابق ج ١ ص ٤٢ .

وقد نقل رفاعه ورفاقه هذه الأفكار وبثّوها في مصر ومنها إلى الدّول الأخرى والسودان.

من ذلك ماجاء في " مناهج الألباب " لرفاعة الطهطاوى حيث يقول :" جميع ما يجب على المسلم للمسلم ، يجب على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الحقوق الوطنية ، فضلاً عن الحقوق الدّينيّة ، فيجب أدباً (!!) لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه ..." (١)

وعبارة حب الوطن ، والتواطن ، تعبير جديد قصد منه المناداة بالإقليمية ، وقد استغل محمد علي ذلك فرفع لواء الإقليميّة المصرية في مواجهة الدولة العثمانية. (٢)

ودعوى التّمدّن والتواطن والتقدم التي ينادى بها هؤلاء لا تحدث أبدا بالاقتباس بل بالاجتهاد والابتكار من أصول ثابتة تصون الأمور المتغيرة ، ويرجع اليها عند الاختلاف.

ولما لم يكن القائمون على الأمر في هذه الفترة على درجة واحدة في فهم وتحديد مفهوم التّمدّن، والتّواطن ، والتّقدّم بالمعنى الذى يتناسب مع البيئة التي يعيشون فيها، فقد اختلفت وسائلهم في تحقيقها ، فمنهم من كان يرى الحَلّ في الاستعانة بمن تشرّبوا الفكرة الغربية وسبروا أغوارها ، ومنهم من كان يرى أنّ النهوض بالاقتصاد هو السبيل الأوحد للتّمدن والأصالة ، بينما يتفق الجميع على أنّ الانضباط التّام في تنفيذ الخطط المرسومة، هو الذى يؤدى في النّهاية إلى غرس هذه المبادئ وتركيزها .

من هذا المنطلق ، وجد الفكر الغربي طريقه إلى مصر، ومن ثمّ إلى السودان، فكان التركيز في السودان في المقام الأول على التعليم بِنَمَطِهِ الفرنسي والتركيز على الأساتذة

(١) د . علي جريشه ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، مطابع دار الوفاء ، الناشر : دار الوفاء للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ص ١٠٥.
نقلا عن مناهج الألباب لرفاعه الطهطاوى ص ٦٦

(٢) انظر : أنور الجندى : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، دار النصر للطباعة الإسلامية - القاهرة ، الناشر : دار الاعتصام ص ١١٠ .

الذين سبق أن أوفدوا للدراسة إلى فرنسا ، وعايشوا هذا النظام هناك ، أو من تتلمذ عليهم بمدرسة الألسن بمصر ، وعلى رأس هؤلاء :-

رفاعة رافع الطهطاوى الذى تتلمذ في فرنسا على مجموعة من كبار المستشرقين- كما سيأتي- [1] وقد اشتهر بآرائه التحررية ، ودعوته إلى السفور والاختلاط .

ولماكان النظام العسكرى في التعليم هو السائد يومئذ في فرنسا ،حتى أنّ رفاعة الطهطاوى مؤسس المدرسة الأولى النظامية في الخرطوم كان يعامل ماليا وهو في فرنسا معاملة " اليوزباشي " [2] وعندما عاد من فرنسا إلى مصر رقيّ إلى رتبة " الأميرلاى"[3] -لما كان النظام كذلك- فقد نقل بحذافيره الى السّودان وكان الأساتذة يمنحون الرتب العسكرية وحتى الطلاب فقد كانوا يعاملون معاملة عسكرية .

ونذكر من هؤلاء الذين تقلدوا في التعليم الرتب العسكرية وجلهم من الذين سبق وأن ابتعثوا إلى فرنسا وقام التّعليم الحديث في السودان على أكتافهم :

* **القائمقام : محمد بيومي أفندى** (ت ١٢٦٨هـ - ١٨٥١م) : وهو من تلامذة البعثة الأولى إلى فرنسا ، ولما عاد عيّن مدرسًا بمدرسة " المهندسخانة " ببولاق بمصر ، واشترك مع رفاعة بك الطهطاوى في العمل،وترجم عدة كتب ، وعيّن في عهد عباس باشا مدرسا للحساب في مدرسة الخرطوم الأولية. [4]

---

(١) انظر ص (٧٢) من الرسالة .

(٢) انظر : د . علي جريشه - الاتجاهات الفكرية المعاصرة - مرجع سابق ص ١٠٥ .

(٣) لقد كانت البعثات التي ترسل إلى فرنسا تقضي عامًا كاملًا تسكن في منزل واحد ، ويشرف عليهم أحد كبار المستشرقين وبعد أن يتم صقلهم توزع أفرادها في" بنسيونات" متعددة حتى تتاح لهم فرص الاختلاط الكثير مع الفرنسيين ، وكان هذا المنزل يدار على النظام العسكرى . انظر : محمد عمارة : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى مرجع سابق ج ١ ص ٤٠ .

(٤) انظر : د. عبد العزيز أمين- التربية في السودان - مرجع سابق ج ٣ ص ٥٨ . سجل رقم ٢١٣٤ مدارس - ترجمة الوثيقة رقم ٧٩ بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٦٦ هـ ص ٢٠٤ . وانظر : محمد سليمان ،دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق ص ٦٣.

* **" الصـــاغ " أحمد طائل أو طايل** : الذى تلقى تعليمه بمدارس مصر ، وألحق بالبعثـة المصريـة ، وعيّن إثر عودتـه من فرنسا بمدرسة " المهندسخانة " مساعد مدرس ، ومعيداً لدروس الأُستاذ محمد بيومي ، واشترك مع بيومي في الترجمة ، وعين مدرسًا بمدرسـة الخرطوم الأوليـة . (١)

* **الملازم أول : على محمد أفنـدى .**

* **الملازم ثاني على عثمـــان .**

* **والملازم ثاني إبراهيم محمد أفندى .**

* **والملازم ثاني محمد مرسي أفندى .**

* **والملازم ثاني: أمير أفنـــدى .**

وهؤلاء الخمسة يُرَجِّح محمد سليمان في كتابه دور الأزهر في السودان أن يكونوا مـن تلا مذة رفاعة في مدرسة الألسن . (٢)

* **والملازم ثاني : الشيخ رجـب .**

* **والملازم ثاني الشيخ مكـاوى .**

وكانا عالمين بالأزهـر . (٣)

* **الملازم ثاني : سليمان السيوطي أفندى** ، وهو طبيـب . (٤)

ونذكر من غير هؤلاء الذين أسَّسوا مدرسة الخرطوم الأ ولية:

* **" اليوزباشي " الحسن طه أفندى** (٥) ناظر مدرسة الخرطوم الاميرية .

---

(١) انظر : المرجعين السابقين وصفحاتهما .

(٢) انظر : د. عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ٥٨ ، وكذلك : محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان ـ مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٣) انظر : نفس المرجعين السابقين وصفحاتهما .

(٤) انظر : نفس المرجعين السابقين وصفحاتهما .

(٥) قتل عند فتح الخرطوم (١٨٨٥م) .

انظر : د. عبد العزيز أمين ـ التربية في السودان ج ٣ ص ٢٩ .

وجاء بشأن ترقية أحد الأساتذة إلى حكمدار السودان : " ... وأمّا التماسكم الخاص بترقية أحمد سعد أفندى إلى رتبة " الصّاغ " فقد وافقت الإدارة السّنية ، ورُقّي المُومى إليه إلى تلك الرتبة ، وقد أرسلت عريضة على هذا مُزْدَاناً عاليها بالتصديق العالي " (١)

وكان مما يدل على أنّ اللّهث وراء التّمدن والأَصالة والتّحرر للحاق بالغرب هو الأصل ؛ عدم الالتفات في اختيار المعلمين إلى كفايتهم الدينية والأخلاقية والعلمية في أحيان كثيرة . بل المعيار الآوحد عند الولاة ، هو مدى تشبث هؤلاء المختارين بالمدنية الغربية ، ومدى انضباطهم وتنفيذهم للأوامر السّامية ، فكان لذلك مردود سلبي على المجتمع السوداني .

نذكر من هؤلاء على سبيل المثال : (اليوزباشي : إبراهيم أفندى سالم ، الذى ورد عنه في صورة المكاتبة إلى حكمدار السودان مايلي : " شرح صورته أنّ " اليوزباشي" إبراهيم أفندى سالم ، الذى كان باشمهندس القليوبية ، وقعت منه جنحة ، ومن أجلها حكم عليه من مجلس الأحكام بتنزيله رتبة وابعاثه مدرسة المهندسين بالخرطوم ... وحيث الأمر كما ذكر فمرسولٌ لطرف حضرتكم الشخص المذكور بواسطة مديرية قنا ...) (٢)

وجاء في خطاب من حكمدار السودان إلى المعية السّنية بمصر في شأن ناظرى مدرسة دنقله ومدرسة بربر مايلي : " .... بتفقد التلاميذ الموجودين فيها - في المدرسة - وجد من ضمنهم تلامذة تقدموا في السّن ، من عشرين سنة لغاية ثلاثين سنة ، ولايفهمون شيء (٣) في النحو والصرف والتركى ، وفقط يفهمون شيء قليل (٤) في العربي ، وأسباب ذلك عدم التفات " الخوجة" (٥) التركي ناظر المدرسة المُرتَّب له ألف قرش ، ومشغوليته في صيد السّمك وغيره ....

---

(١) د. عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ١٤٢ ، دفتر رقم ٥٨٤ ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢ صفحة ٥٨ بتاريخ ٢٣ شوال سنة١٢٨٧هـ (١٦ يناير ١٨٧١م).

(٢) د . عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ١٠٤ ، دفتر ٥٩ صادر ، صورة المكاتبة العربية رقم ٢١ صفحة ٣٢٢ بتاريخ ١٨ رجب سنة١٢٦٧هـ .

(٣) كذا ورد في الأصل ، والصواب شيئا .

(٤) كذا ورد في الأصل والصواب شيئا قليلا .

(٥) " الخوجة " هو : حافظ محمد على أفندى خربوط . انظر : سجل رقم ١٣٩ وارد المعاونة السنية وثيقة رقم ٥ صفحة ١٨ بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٨٠هـ . نقلا عن د . عبد العزيز أمين التربية في السودان ج ٣ ص ١٣٣- ١٣٤.

كما أنَّ الخوجه التركي [١] الموجود بمدرسة بربر المربوط له ألف قرش،ليس حاصلاً منه ثمرة من التعليم،ومراراً يتنبَّه عليه بالالتفات،ولم يحصل ثمرة ، فالأوفق أن يصير الاستغناء عن الاثنين خوجات المذكورين ..." [٢]

فإذا كانت هذه هي حال القائمين على هذه المدارس فما بال من هم دونهم .

إذا كان ربُّ البيت بالدُّفِ ضاربًا فشيمةُ أهل البيت كلّهم الرّقْص

ولايستغرب المرء أن يجد مثل هذا الصنف من النَّاس على مؤسسات من الأهمية بمكان إذا علم أنَّ من الأساليب المتَّبعة في هذه المدارس أسلوب الضَّبْطِ والرَّبْطِ،والتَّقيُّد بالتّوجهات العامة المراد منها تحرّر المجتمع وانسلاخه عن شريعته ، ويظهر ذلك جليا إذا علمنا أنَّ التّقيّد والالتزام وتنفيذ الأوامر من أسباب الترقية والامتنان . من ذلك ماجاء في الأمر الموجه من الجناب العالي،إلى حكمدار السودان . بناء على التَّقرير الذى رفع إليه بشأن الأداء في المدارس في السودان :" ... وقد حصل لنا غاية الممنونية من تقدم أولئك التلامذة لما يستلزم على هذا من انتشار المعارف بالجهات السودانية ، وانتظام أهاليها في سلك التمّدن ، كما هو أقصى آمال الحضرة الخديوية ، وعلمنا أنَّ هذا ناشيء عن حسن مساعيكم الخيرية . وبذل مجهود الخوجات في حركة التعليم ، وقيام النظار بأداء واجبات الضبط والربط .

وحيث أنَّهم بهذا صاروا يستحقون المكافأة على حسن صنيعهم فقد وافق لدينا ما استحسنتموه من علاوة المائة قرش شهرى على ماهيَّة كلّ من النُّظَّار ، واجعال ماهية الخوجات من ثلاثمائة قرش إلى خمسمائة قرش،بحسبما تروه في استعداد كلّ منهم ووظيفته

---

(١) **الخوجة :** هو محمد أفندى بودة لي . المرجع نفسه والصفحة.

(٢) د . عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ١٤٤ ، جواب رقم ٤ بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٨٨ هـ .
صفحة ٥٢ من الدفتر رقم ١٨٥٩ قيد الإفادات الواردة من الأقاليم والمحافظات .

مع ترتيب وصرف الأردب ذرة في كل شهر لكلّ من النظار والخوجات المذكورين ، ومع هذا يصير تفهيمهم بأنّنا مسرورين من قبلهم وأنّهم إذا استداموا على ماهم عليه من حالة الاجتهاد ، وصرف **الأفكار في التعليمات** · مازال تحصل لهم المكافأة وحسن الالتفات . ولهذا لزم اصداره لسعادتكم للمعلومية والأمر كما ذكر " . (١)

وجاء في ردّ لديوان المدارس من الأمر السامي : " ... وأنّ المدرسين الذين ذكرت فيه أسماؤهم قد كلّفوا تدريس الطلبة ، والقيام بمهمة الضّبط والرّبط معاً ..."(٢)

وفي بعض الأحيان نجد أنّ الانبهار بالغرب وباقتصاده يؤدّي بالولاة إلى استغلال نفس الأساليب التي يستغلها الغرب العلماني ، وإن خالفت الشّريعة الإسلاميّة التي هي شريعة الدولة العثمانية الإسلامية التي تتبعها مصر وولاتها .

لقد أرسل محمد على باشا ضمن ما أرسل إلى السودان لتعليم الناس أصول الزراعة والصناعة والعمران ، أرسل خبراء في زراعة**الأفيون** لتدريس وتدريب المزارعين أصول زراعة الأفيون ، ولكن هؤلاء الخبراء لم يفلحوا في ذلك ، فأُعيدَ بعضهم إلى مصر .

وقد كانت تلك هي البذرة الأولى لانتشار المخدرات في السودان .

" جاء في تقرير خورشيد أغا أنّ العشرين خبيرًا في زراعة الأفيون الذين هناك يبلغ مرتبهم الشهرى عشرة كيسات، وبما أنّ الأفيون لم ينتج نتجا حسنا لحرارة الجو، ومخالفة الرياح فقد تقرر ارسال عشرة منهم إلى مصر ، ثمّ عدل عن ذلك القرار ، واستحسن

---

(١) د · عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ١٤٠ ، دفتر رقم ١٩٣٣ ، أوامر عربي ·
صورة الأمر الكريم رقم ٢ صفحة ٦ بتاريخ ١٨ ربيع الآخر سنة ١٢٨٧هـ .

(٢) د · عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان ، مرجع سابق ج ٣ ص ٩٥ · دفتر رقم ٢١٣٤ ديوان المدارس تركي ·
ترجمة المكاتبة التركية رقم ٧٢ صفحة ١٩٥ بتاريخ ١٣ من رجب سنة ١٢٦٦ هـ وردّ الأمر السامي في ١٧ منه ·

ابقاء أربعة منهم ، وتوزيع الستة عشر الباقين على الرؤساء للعمل في معيتهم ..." (١)

كانت تلك هي بعض الأساليب التي أتبعت في الغزو الفكرى في هذه المرحلة تمثّلت في الجملة في الاعتماد على معلمين تأثّروا بالغرب ، وتشربوا فكره وهالهم تقدّمه وحضارته فانبهروا به ، وتمثلت كذلك في آخرين جبلوا على الطاعة في تنفيذ الأوامر والقيام بمهام الضّبط والرّبط بِغَضّ النّظر عن علمهم وأخلاقهم وتدينهم ، وآخرين من دونهم خبراء متخصصين في زراعة الأفيون وتخدير الشعوب .

* * *

(١) د . عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية في السودان مرجع سابق ج ٢ ص ١٢ البند الرابع - محضر مجلس المشورة المنعقد في يوم السبت ٨ محرم سنة ١٢٤٣هـ .

* المبحث الخامس : رفاعة رافع الطّهطاوى [١] ودوره في التّغريب في السّودان :

من وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين ، توجيه الفكر الإسلامي نحو تحقيق هذه الغاية ، وذلك بقيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تحت شعار التّمدّن والرقي والتّقدّم في الإسلام . تقوم بتقرير سلطة المستعمر ،وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية ، أو بعبارة أخرى ، تسعى إلى عدم تحديه ومعارضته ، سواء في مباشرة سلطته على المسلمين ، أو ادخال مايسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم.

من هؤلاء المفكرين رفاعة رافع الطهطاوى ، العالم الأزهرى الذى قرأ على بعض أساتذته العلوم الغربية ، وسمع عنهم علوم الفرنسيين ، وفنونهم ، وافتتن بها وبأوربا ، قبل أن يصل إليها ، وآمن بأنّ البلاد الإسلامية لابدّ أن تتغيّر ، وتجدّد بها من العلوم ماليس فيها . [٢]

وقد تتلمذ على أُستاذه حسن العطّار الذى اقترب من هذه العلوم الغربية ، أثناء احتكاكه بعلماء الحملة الفرنسية - الذين سبق الإشارة إليهم - [٣] فاشتاقت نفسه إلى أوربا وإلى علومها وحضارتها ، إذ لما كانت البعثة التي كان هو أحد أفرادها، بجزيرة صقلية في طريقها إلى فرنسا ، صادفت وجودها ، أنّ الأهالي كانوا يحتفلون بأحد أعيادهم التي تدقّ لها أجراس الكنائس بالمدينة ، تفجرت في رفاعة أخيلة وأحاسيس ، فتبارى مع زميلٍ له في ليلة من تلك الليالي في إنشاء مقامة على نمط مقامات الحريرى يدور مضمونها حول معان منها : [٤]

---

(١) ولد رفاعة بمدينة" طهطا " إحدى مدن محافظة " سوهاج " بصعيد مصر في ٧ جمادى الثانية ١٢١٦هـ ، ١٥ أكتوبر ١٨٠١ م . تلقى تعلميه بالأزهر ، ثم بعث إماما مع بعثة علمية لفرنسا حيث تجاوز مهمة الواعظ والإمام وانخرط في الدراسة مع البعثة ، وبعد عودته أسّس مدرسة الألسن ، ونقل إلى العَرَبيَّة كثيرًا من الكتب الأجنبية.
أنظر : الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ، التمدن والحضارة والعمران - دراسة وتحقيق محمد عمارة - مطبعة المتوسط لبنان ، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١ ١٩٧٣م ج ١ ص ٣١ ، ٤٠

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) انظر ص (٥٨) من البحث .

(٤) انظر : الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى - مرجع سابق - ص ٣٩.

(١) سكر المحب من معاني حمر عين محبوبه : فأنشأ شعرًا في هذا المعني منه :

قد قلت لمّا بَدا ، والكأسُ في يـــده   وجوهر الخمر فيها شبه خديـــه

حسبي نزاهة طرفي في محاسنـــه   ونشوتي من معاني سحر عينيـــه

(٢) أثر ضرب أجراس الكنائس على النفس : فأنشأ شعرًا في هذا المعنى منه :

قد جاء يضرب بالنّاقوس قلت لـــه   من علّم الظبي ضربًا بالنواقيـــس

وقلت للنفس : أيّ الضرب يؤلمـــك   ضرب النواقيس أم ضرب النوى ؟ قيـــس

فإذا كانت هذه بعض أفكاره ، قبل الاحتكاك بأوربا ، فماذا يرجى منه بعد الاحتكاك خاصة إذا علمنا أنّه تتلمذ في فرنسا على مجموعة من كبار المستشرقين منهم : سلفستر دى ساسي (Silvestre de Sacy)[١] والمستشرق : " كوســان دى برسفال : Caussin de Perceval)[٢] الذى قال عن رفاعة : إنّ رفاعــة : " أراد أن يوقظ بكتابه - يعني تخليص الإبريز - أهل الإسلام ويدخل عندهم الرغبة فـــي المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمّدن الأفرنجي ، والترقي في صنائع المعاش"[٣]

---

(١) هو سلفستر دى ساسي انطوان (١٧٥٨م - ١٨٣٨م) شيخ المستشرقين الفرنسيين في عصره درس اللاتينية واليونانية ثم العربية والعبرية ، عُيِّنَ أُستاذًا للعربية في مدرســة اللغات الشرقية بباريس ، ومنح لقب عميد جامعة باريس ، من آثاره " نمو اللغة العربية " ، " دراسة عن ديانة الدروز " ، " كليلة ودمنة " ، " مقامات الحريرى " ، " مختارت من الأدب العربي " .
انظر : جامعة الدول العربية ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م المجلد الأول ص ٨٢٥ .

(٢) جان كوسان دى برسيفال (١٧٥٩-١٨٣٥م) مستشرق فرنسي ، تعلم العربية في الكوليج دى فرانس وتولى التدريس فيها ، ثمّ عيّن أمينًا للمخطوطات العربية بدار الكتب ، من آثاره: نشر معلقة أمرىء القيس ، بشرح الزوزني ، وترجمة قصص عربية من ألف ليلة وليلة وغيرها .
انظر : الموسوعة العربية . المرجع السابق . ص ٣٤٨ .
ولمزيد من التفصيل انظر : د. عبد الرحمن بدوى ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ ١٩٨٩م ص ٣٤١.

(٣) الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى - مرجع سابق - ص ٤٥.

وتتلمذ كذلك على " جومار "[١] الذى تولّى الإشراف على البعثة عامًا كاملاً.[٢]

وكان لهؤلاء المستشرقين دورٌ كبير في بناء شخصية رفاعة ، بناءً غربيًا ، وبلورة أفكاره ، بلورةً علمانيةً ، فعندما عاد إلى مصر :" استقبله أهله بالفرح يوم عادَ من فرنسا ، بعد غيبة سنين ... أشاح عنهم في ازدراء ، ووسمهم بأنّهم " فلاحون " ، لايستحقون شرف استقباله .

ثمّ ألّف كتابه الذى تحدث فيه عن أخبار " باريز " ودعا فيه إلى تحرير " المرأة " ، أى إلى السفور وإلى الاختلاط ، وأزال عن الرّقص المختلط وصمة الدّنس ، فقال : إنّه حركات رياضية ، موقعة على أنغام الموسيقى ، فلا ينبغي النظر إليه على أنّه عمل مذموم "[٣]

هذا هو رفاعة ـ باختصار ـ الإمام الواعظ ، عاد من فرنسا بغير العقل الذى ذهب به ، وغرّه تقّدم الغرب فانبهر به ، وقد لعب دورًا كبيرًا ، وخطرًا في التّعليم ، حيث بدأ الخط العلماني يدخل ساحة التعليم في زمانه في مصر ، وتابعاتها من الدول الإسلامية.[٤]

ولّما كان الحديث عن دور رفاعة في الغزو الثقافي التعليمي في السودان ، فهناك ملاحظة هامة ينبغي مراعاتها ، وهي : أنّ رفاعة الذى أسّس مدرسة الألسن بمصر ، كأول مدرسة حديثة مناهضة للأزهر الشريف ، هو كذلك مؤسس أول مدرسة حديثة في السودان قائمة على غرار مدرسته التي أنشأها في مصر ، معلنا بذلك الازدواجية في التعليم .

---

(١) جومار : أُستاذ فرنسي عهد إليه محمد علي باشا ، الإشراف على الطلبة المبتعثين ويعتبر الصراع الثقافي الدائر في مصر ، والازدواجية في التعليم ، والقضاء على الأزهر ، ببقائه جامدًا معزولاً عن الحياة ومتغيراتها ، يعتبر أنّ طلبته هم الذين قاموا بهذا الدور انظر : حسب الله محمد أحمد ، قصة الحضارة في السودان بدون طابع ولا ناشر ص٥٩٠ـ٥٩١.

(٢) انظر : الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ، مرجع سابق ص ٤٠

(٣) الأستاذ محمد قطب ، واقعنا المعاصر ـ مرجع سابق ص ٢٠٩

(٤) انظر : المرجع نفسه ص ٢٠٧ .

ويظهر لنا الهدف واضحا ،إذا تأمّلنا اختيار رفاعة الطهطاوى الذى تَشَرَّب العلمانية ، للقيام بهذا الدور التأسيسي لكلّ من هاتين المدرستين،إذ المدرستان لم تكونا على سلّم واحد ، فمدرسة الألسن التي انشأها بمصر ، تعتبر في السّلم الجامعي ، إذ كانت عبارة عن كلية يدّرس فيها آداب اللغة العربية باللغات الأجنبية، وخاصة الفرنسية ، والتركية والفارسية ثمّ الإيطالية والإنجليزية ، وعلوم التاريخ والجغرافيا ، والشريعة الإسلامية ، والشرائع الأجنبية ، فهي إذاً أشبه ماتكون بكليةٍ للآداب والحقوق .(١)

أمّا مدرسة الخرطوم التي أنشأها في السودان ، فتعد في السّلم الإبتدائي ، ولم نسمع قط في شرقنا الإسلامي ، أنّ مديرًا لجامعة ، أو عميدًا لكليةٍ ، صار مديرًا لمدرسة إبتدائية إلاَّ عند رفاعة الطهطاوى، مما يدل على أنَّ المسألة كانت محبوكة ، ومخطّطة ، علاوة على ذلك فإنَّ أمر انشاء المدرسة ، واختيار رفاعة لتنفيذ ذلك ،كان قرارًا من قرارات المجلس الخصوصي (٢) ، الذى هو أعلى سلطة في مصر ، على أنّ تفتح هذه المدرسة في العاصمة الخرطوم ، وأن يكون نظامها موافقًا لأصول النُّظُم المدرسية - مدرسة الألسن - وعلى نمط ترتيب مدرستي المبتديان(٣) والتَّجهيزيَّة.(٤)

ونحن بذلك نستبعد أن يكون رفاعة قد ذهب إلى السودان مغضوبًا عليه ، أو منفيا ، كما تذكر غالبية المراجع ، بل إنَّه كما قال الدكتور عبد العزيز أمين :" لو أراد عباس نفي

---

(١) انظر : عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ص ٥١٥ ومابعدها .

(٢) انظر : خطاب عباس باشا إلى حكمدار السودان ، عابدين ، المعية ، دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوصي (تركي) رقم ٤ صفحة ١١٩ فصل المدارس نقلاً عن : د . محمد فؤاد شكرى ، الحكم المصرى في السودان - مرجع سابق - ص ٣٠٢ - ٣٠٤ .

(٣) المبتديان : هي المدارس الإبتدائية التي كانت موجودة في الأقاليم في عهد محمد علي . انظر : احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عهد محمد علي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٨م ص ١٤٧.

(٤) التجهيزية : عبارة عن مدرسة إبتدائية كانت تعد الطلاب لدخول المدرسة الحربية . انظر : أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عهد محمد علي ، مرجع سابق ،ص ٨٣ .

رفاعة الطهطاوى أو غيره لأ مكنه ذلك ، دون اللجوء إلى المبرِّرات والمعاذير ". [١]

هذه المدرسة التي قام بإنشائها رفاعة الطهطاوى ، تعتبر النَّواة الأولى للتعليم النظامي الحديث القائم على المنهج الغربي .

لقد قام رفاعة الطهطاوى بأدوار هامة - بجانب ما ذكرنا - إبّان إقامته في السودان ففي مدة بقائه في الخرطوم ، قام بترجمة كتاب " مواقع الأفلاك في أخبار تليماك" وهو كتاب لقس كان مربيًا لحفيد لويس الرابع عشر . كذلك شرع في تأليف كتابه :" مباهج الألباب المصرية ، ومناهج الآداب العصرية " وقد سجل فيه رأيه عن السودانيين حيث قال فيهم : " إنَّ لهم قابلية للتمّدن الحقيقي لدقّة أذهانهم ..." [٢]

ويجدر بنا ، ونحن نتحدث عن دور رفاعة في التغريب في السودان أن نشير إلى مضامين مؤلفاته ، وترجماته التي قام بها ، سواء أكان ذلك في السودان ، أو في مصر ، أو في باريس ، ولا نغمط الرجل حقّه فقد :" حافظ - الرجل - على مفهوم الترجمة ، الأصيل في نوعيته وأسلوبه ، ولكن النفوذ الأجنبي استطاع استخدام هذه الخيوط الدقيقة لتحريك دعوته وتنمية فكرته التّغريبيّة في الدّعوة إلى العَاميَّة وإلى الإقليميَّة ، وإلى استغلال رفاعة في إبراز ما يسمونه عظمة الحضارة الغربية ". [٣]

كانت المواضيع التي يتناولها بالترجمة : لا تكاد تجد فيها مايخدم هدفًا عقديًا إسلاميًا ، بل هي في مجموعها كما يذكر الإسماعيلي :" عبارة عن دلائل قاطعة على تأثُّر رفاعة الطهطاوى بالفكر الغربي ، وشغفه الشديد بكل ما شاهده ، وعايشه في أوربا ، منبهرًا ، أَشدّ الانبهار بالحضارة الغربية ، ونظمها ، حتى أنَّه في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز "

---

(١) التربية في السودان - مرجع سابق - ج ٢ ، ص ٢٥

(٢) محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦٦

(٣) أنور الجندى ، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

عرّب دستور فرنسا في ذلك الحين ، وهو لا يكتفي بالتعريب فحسب ، بل له على مواد الدستور الفرنسي تعليقات تدل على فهم صحيح لأُحكامه ، ومبادئه ، وميل فطرى إلى النّظم الحرّة ".[١]

وقد انبهر بترجماته هذه ، عددٌ لا يستهان به من الكتاب السودانيين[٢]، ووصفوه بأنّه باعث النّهضة العربية ، وأنّه مفجر الثورة التعليمية ، ورائد من روادها.

ومن الأدوار التي لعبها رفاعه الطهطاوى في السودان استغلال بساطة المواطنين وتعلّقهم بالطرق الصوفية ، التي وجدت التشجيع والدعم في عصر محمد على[٣]، فعمّق فيهم روح التبعية له ليسهل من بعد ذلك توجيههم وقيادتهم، والوثوق بما جاء به من تغريب. فقد ذكر صاحب كتاب دور الأزهر في السودان، أنّه لما " شرع في تخميس البردة "[٤] للبوصيرى التي مدح فيها النّبي - صلّى اللّه عليه وسلّم - وعندما فرغ منها، أقام حفلاً كبيرًا دعا له كبار السودانيين، وعلماء هم حيث سهرت الخرطوم ليلة من أبهج لياليها ، وقبل أن يطلع الفجر - كما يدعي - رأى رفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - بين اليقظة والنوم مصافحًا ، ومخاطبًا له :" قبلت هذا التخميس وأجزيك عليه بالعودة إلى القاهرة وسيصلك الأمر بتاريخ هذا اليوم " وبعد أربعة أسابيع وصل البريد والأمر مؤرخا بتاريخ اليوم ، وقد قرأه الناس بعد أن سمعوا بحديث الرؤية صبيحة يوم الحفل ".[٥]

---

(١) الإسماعيلي : الغزو الفكرى في مناهج التعليم في مصر والمغرب - مرجع سابق ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) على سبيل المثال : انظر : محمد سليمان - دور الأزهر في السودان - مرجع سابق ص٦٣ وكذلك : حسب الله محمد أحمد قصة الحضارة في السودان - مرجع سابق ص ٣٦٤-٣٦٦.

(٣) انظر : د . عبد العزيز أمين : التربية في السودان ، مرجع سابق ، ج ٣ ص٤٤، ١٠٥، ١٢٤ .

(٤) البردة : قصيدة شهيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم نظمها الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد البوصيرى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ ، وسمّاها :" الكواكب الدرّية في مدح خير البرية " .
انظر : بطرس البستاني ، دائرة ، دار المعارف بيروت لبنان وشركة الفجر العربي - المجلد الأول ص ٣١١.

(٥) دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق - ص ٩٤.

ونحن لا ننكر رؤية النَّبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقد فاضت الأحاديث النبوية في ذلك ، ولكن كون الرؤية يقظة ففيها نظر وأي نظر . فقد جاء في شرح الإمام النَّووى لصحيح مسلم عند قوله - صلى الله عليه وسلم - :" من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة " [1] قال النووى : قال العلماء إن كان الواقع في نفس الأمر، فكأنَّما رآني، فهو كقوله - صلى الله عليه وسلم - فقد رآني ، أو فقد رأى الحقّ ... وإن كان سيراني في اليقظة ففيه أقوال :

* **أحدها** : المراد به أهل عصره ، ومعناه أنَّ من رآه في النَّوم ، ولم يكن هاجر، يوفّقه اللّه تعالى للهجرة ، ورؤيته - صلّى اللّه عليه وسلّم - في اليقظة عياناً .
* **والثّاني** : معناه أنّه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة لأنَّه يراه في الآخرة جميع أمته من رآه في الدُّنيا ، ومن لم يره .
* **الثّالث** : يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه ، وحصول شفاعته ونحو ذلك والله أعلم ". [2]

ونقل ابن أبي جمرة عن جماعة من الصالحين، أنّهم رأوا النبيّ - صلى الله عليه وسلم - في المنام، ثمّ رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها . فجاء الأمر كذلك . قلت - يعني ابن حجر- وهذا مشكل جدًا ، ولو حُمِل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ، ويعكّر عليه أنّ جمعًا رأوه في المنام ثمّ لم يذكر واحد منهم أنَّه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف " . [3]

(١) روى هذا الحديث عن عدد من الصحابة منهم أبي هريرة ، وحديثه متفق عليه : أخرجه البخارى في كتاب التعبير ، باب من رأى النبي (ص) في المنام ج١٢ حديث رقم٦٩٩٣ ، وصحيح مسلم كتاب الرؤيا ، باب قول النبي (ص) : من رآني في المنام فقد رآني ج٤ حديث رقم ٢٢٦٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثامن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ٢٦ ، ٢٧.

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٢ للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ص ٣٨٥.

هذا فيما يختص بجانب الرؤية في اليقظة ، أمّا كون الرؤية قد صدقت باليوم والتاريخ المحدّد ، وبالبريد فلا يستبعد ذلك عقلاً ، ولكن هنالك من القرائن ماتدل على أنّ الأمر ليس كذلك ، بل إنّ الأمر كان محبوكا من جهات خارجية غربية أرادت أن تجعل من رفاعة بطلا ومثلا يقتدى به حتى لا ينازع الأمر أهله ، فقد جاء في كتاب الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى أنّه : " عندما التقى رفاعة في الخرطوم بالرحالة الأمريكي " بايارد تيلور " حمّله رسالتين سريتين إحداهما إلى والده وأهله بطنطا ، والثانية الى قنصل إنجلترا بالقاهرة، وقال له : " إنني لا أستطيع ائتمان التجار المصريين على هاتين الرسالتين ، فلو فضّتا وقرئتا لطال أمد نفيي في هذه البلاد سنين عديدة ، أما إذا تفضلت بايصالهما فإنّ أصدقائي بمصر سيعرفون السبيل إلى معاونتي ، وربما تمكنوا من إعادتي إلى وطني " (١)

هذا وقد سبق أن أوضحنا أنّ موضوع النفي في الأساس لم يكن مسّلمًا به ، والأمر لايعدوأن يكون مخططاً ،خاصة أن تلك الرسالة المرسلة إلى السفير البريطاني بالقاهرة لابّد أنها تحمل معلومات وتقارير جد هامة عن الأوضاع في السودان ، بحيث لو أطلعت الحكومة المصرية ـ شريكة الحكومة البريطانية في حكم السودان - على محتوياتها ؛ لأنزلت العقاب الرادع الذى كان يُعَامل به السياسيون وهو النفي ، وهو أمر معلوم لدى رفاعة الطهطاوى ٠

ويزيد الأمر شبهة إذا علمنا أنّ رفاعة الطهطاوى كان وثيق الصلة بالرحالة وسفراء الدول الغربية ، ويأتمنهم دون غيرهم ٠

ويؤكد ذلك وصفهم " بأصدقائي في مصر " ولاشك أنّه يعني القنصل البريطاني وموظفيه كما أنّ خشيته وعدم ائتمانه لبني جلدته من التّجار المصريين أمر يثير الاستغراب ٠

---

(١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى - مرجع سابق ص ٦٢٠

* المبحث السادس : نشاط النّصارى في إنشاء المدارس :

كان قيام الحكم التركي المصرى ، ونظرة محمد علي المتحرّرة تجاه التبشير المسيحي فرصة سانحة للإرساليات للقيام بخطوات ايجابية في هذا السبيل .

فقد أصدر محمد على أوامره للولاة في الخرطوم بتقديم كلّ عون للإرساليات ، واعفائها من الضرائب ، كما وافق سلطان تركيا العثماني من قبل استجابة لرغبة الإمبراطور "فرانز جوزيف" إمبراطور النّمسا على منح الإرساليات التبشيرية في السّودان ، نفس الإمتيازات والإعفاءات التي منحت للمبشرين النصارى في سائر أرجاء الدّولة العثمانية [١]، وهذه الإمتيازات كانت قد منحت للدّول الأوربية في الدولة العثمانية في طورها الأخير أيام ضعفها وتفككها .

ومن تلك الأوامر على سبيل المثال الآتي :

(١) أمر من خالد خسرو حكمدار ممالك السودان :" بالنظر لمنطوق الإرادة السّنية ، الصادرة بيده - أي يد البطريق - عمومي توركيا رقم ٢٤ رجب سنة ١٢٦٣هـ ، وجد نمط منطوقه الشريف عن توجه البطريق الحومي إليه [٢]، يمّر بأقاليم الصعيد ، ويدور في بلاد السودان ، ولا أحد يتعرض إليه بتفتيش الصناديق والمهمات في جهات الجمارك وما يلزم إليه بالثمن طرفه ، بناء على التماس جناب قنصل الانجليز ، وخلاف ذلك لم وجد أوامر صادرة في حقّه تعلم بالمديرية ... " [٣]

(٢) أمر " من وكيل أشغال عموم قبلي السّودان إلى خيرى باشا .

يوم الإثنين ٨ الجارى، حضر إلى الخرطوم واحد ريّس كنائس الكاثوليك بالسودان ، أشبه

---

(١) انظر :التربية في السودان - مرجع سابق ج ٢ ، ص ١٠٠
وكذلك ، تطور التعليم في السودان - مرجع سابق - ص ٤٩ .

(٢) البطريق الحومي إليه هو :" كاسولان "
انظر : د. عبد العزيز أمين ، التربية في السودان - مرجع سابق ج ٣ ص ٧٨.

(٣) المرجع نفسه ج ٣ ص ٧٨-٧٩ ، محفظة رقم ١٩ ، صورة الوثيقة العربية رقم ٩٧ بتاريخ ٢٢ رمضان ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م.
ويبدو أنّ المقصود ب " لم وجد أوامر صادرة " أي لم توجد أوامر غيرها صادرة .

بوكيل أسقف ، وصحبته ثلاثة رهبان بخلاف اثنين كانوا موجودين هنا من سابق ، وثمانية عشر بنات ، بما فيهم الريّسة ، منهم أربعة من أجناس الشوام وغيره وأربعة عشر سوداني أصولهم من هذه الجهات ، وعلى ماقيل بأنّهم قاصدين إنشاء مدارس بالخرطوم ، وكردفان ، والبحر الأبيض ، ومقتضى توزيع هؤلاء عليهم وما يتم في ذلك بعد الآن يعرض عنهم لسعادتكم وللإحاطة وجب العرض أفندم "(١)

وقد بدأ العمل التبشيرى بصورة واضحة في عهد الخديوى عباس ، والخديوى سعيد (٢) ، اللذين شهد عهدهما نوعًا جديدًا من التّعليم ، وهو التّعليم الكنسي ، الذى كان له بالغ الأثر على مستقبل البلاد .

وبدأ نشاط الإرساليات بوصول الأب " لويجي منتيورى " (٣) الذى كتب إلى ممثل البابا بأنّه اعتزم فتح مدرستين إحداهما بمنطقة " الشُّلُك" بالجنوب ، والثانية بين قبائل " القَالَا " في شرق السّودان على حدود أثيوبيا ، إلاّ أنّ الأب " منتيورى " غادر السودان ، قبل تنفيذ مشروعاته الأخيرة ، ولكن تحت إشرافه ، ورعايته ، قامت كنيسة كاثوليكية ومدرسة تابعة لها عام (١٢٦٣هـ - ١٨٤٦م) كأول مدرسة تبشيرية مسيحية في السودان . (٤)

---

(١) د. عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٩٢ .
دفتر ١٨ عابدين وارد تلغراف ، صورة التلغراف العربي رقم ٨٣٢ بتاريخ ٧ محرم ١٢٩٠هـ
وانظر مثال ثالث - المرجع نفسه والجزء والصفحة ، دفتر رقم ٢١ معية عربي صورة الإفادة رقم ٣٠ ص ٣٨ بتاريخ ١٤ ربيع الثاني الموافق ٢٨ أبريل ١٨٧٧م .

(٢) انظر : وزارة التربية والتعليم ، شعبة التاريخ ، بخت الرضا ، تاريخ السودان للصف الرابع الوسطى ، طباعة دار الكتب للطباعة ١٩٦٩م الناشر : مكتب النشر التربوى ، الخرطوم ص ١٠٥ .
وانظر أيضا : د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٩.

(٣) " منتيورى " : قسيس من نابلي بإيطاليا ، كان قد حكم عليه بالإعدام في أثيوبيا ولكنه فرّ بجلده إلى السودان.
انظر :د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٩.

(٤) انظر : حسن مكي محمد أحمد ، جذور وأبعاد التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ، كراسة رقم(١) ص ٤ .
وكذلك انظر : د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

وقد أسهمت هذه المدرسة في نشر التّعليم العلماني ، مدفوعة بالحقد الصليبي تجاه الإسلام ، وبرغبة في نشر المسيحية لا في السودان فحسب ، بل في أفريقيا عامة ، لموقع السودان المتّميز بين دولها .

وقد حظيت هذه المدرسة " بتأييد سلطات الحكومة ، ولم يعترض عليها الأهالي لأنّه لم يكن يعنيهم من أمرها - في ذلك الوقت - شيء اذ لم تفتح أبوابها لقبول الأطفال المسلمين ، بل اقتصرت على ابناء المسيحين " (١) من الأقباط والأوربيين المقيمين فيها وأبناء الزنوج من جنوب السودان .

ويذكر أنّ تلاميذ هذه المدرسة قد بلغ عددهم في وقت من الأوقات أربعين تلميذًا جلهم من السودانيين . (٢)

وقد كانت المواد التي تدّرس في هذه المدرسة ، هي : اللغة العربية والفرنسية والإيطالية ، والحساب ، والموسيقى ، والأعمال اليدوية (٣).

واتّسع النشاط التبشيرى في السودان حتى شمل الجنوب ، ولكن لم يتبع ذلك القيام بأى نشاط في حقل التعليم ، وذلك لسلوك الإداريين في تلك المنطقة ، والقبائل المحلية الذين اتخذوا " موقفًا معاديًا لنشاط المبشرين المسيحيين هناك ، بالرّغم من عين الرّضا التي كانت تنظر بها الحكومة المركزية في الخرطوم ، للنشاط الكنسي .

وهكذا لم يكتب للتعليم التبشيرى أن يستعيد نشاطه حتى قام الأب " دانيال كمبوني" (٤)

---

(١) د . محمدعمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سباق ، ص ٥١

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٥٠

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٥١.

(٤) **دانيال لويجي كمبوني** : إيطالي ولد في بلدة (Limone) سنة ١٨٣١م وتخرج في معهد " مازا" سنة ١٨٤٩م ، وتعهد بوقف حياته للعمل التبشيرى بأفريقيا وفي سنة ١٨٤٩م باشر دراسة اللاهوت ، وفي سنة ١٨٥٤م رسّم كاهنا ، وفي سنة ١٨٥٧م توجه للخرطوم وفي سنة ١٨٥٩ رجع إلى إيطاليا مع من بقي من المبشرين لأنّه أصيب بالملاريا في سنة ١٨٦٤م،بعد أن جمع المال من الأقطار الأوربية عرض خطته التبشيرية على البابا بولس التاسع ، والكاردينال بريابو ... وفي سنة ١٨٦٧م أسس جمعيته الرسولية ثمّ أسس معهدًا للأفريقيين في مصر ، وفي سنة ١٨٧٢م أسس جمعية راهبات أمهات (==)

بمجهودات كبرى ، ودفع التبشير المسيحي دفعًا قويًا " (١).

كان الأب كمبوني الذى عمل في الحقل التبشيرى المسيحي في السودان منذ سنة (١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م) يرى أنّه لايمكن أن يتم اعتناق الوثنيين الأفريقيين للمسيحية إلاّ بواسطة قسس من بني جلدتهم ، يعلّمون ويدرّبون لهذا الغرض .

وكان " كمبوني " يرى في التّعليم وسيلة للتحول ، ولاعتناق المسيحية (٢).

لذلك فقد أرسل ثلاثة سودانيين من الجنوب إلى معهد "فيرونا " (٣) بإيطاليا ، وهم " لورو فيكو " ، و " جيوفاني " ، و " بونافنتينا " . وكذلك ثمانية عشر امرأة كن قد تلقين تدريبهن في القاهرة . وكان كمبونى نفسه هو الذى أنشأ معهد " فيرونا " بإيطاليا عام (١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م) وكذلك معهدًا آخر بالقاهرة ، لتدريب القسس للعمل التبشيرى في أفريقيا ، ومعهد الأمهات لتدريب الراهبات لأرض السود . (٤)

فيلاحظ أنّ اهتمام المبشرين بالمرأة كان كبيرًا ، لما لها من قدرة على التأثير على الأسرة ، وعلى المجتمع بوجه عام ، ولذلك فقد وجّهوا شطرًا كبيرًا من أعمالهم التبشيرية إليها ، وخصّوها بعددٍ وافرٍ من المدارس والمعاهد على نسق المدارس التي أسّسوها للذكور ، ووجهوا عناية كبيرة لفتح المدارس الدّاخلية ، لأنّ فرص التّأثير فيها أكثر. (٥)

== السودان ، وفي عام ١٨٧٣م أسس كنيسة في بربر بالسودان ثم عاد إلى إيطاليا سنة ١٨٧٩م ثم رجع إلى السودان سنة ١٨٨١م وتفقد أعماله في الأبيّض والدّلنج وجبال النّوبا ، ورجع إلى الخرطوم ليلقي حتفه سنة ١٨٨١م .
انظر : الخضر عبد الرحيم أحمد النشاط الكنسي في السودان ، ص ٤٩.

(١) د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥٣.
وانظر تفصيل الموضوع . د. عبد العزيز أمين ، التربية في السودان ، مرجع سابق ، ج٢، ص١٠٥

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٣) معهد فيرونا : أنشأه كمبوني عام (١٨٦٧م) بإيطاليا لتدريب القساوسة .

(٤) انظر : محمد عمر بشير ، المرجع السابق ، ص ٥٣-٥٤.

(٥) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، دار القلم ، دمشق بيروت ، ص ٦٣ .

وعن ذلك يقول نفر من المبشرين المسيحيين :" بما أنّ الأثر الذى تحدثه الأم في أطفالها - ذكورًا وإناثًا - حتى السنة العاشرة من عمرهم ، بالغ الأهمية ، وبما أنّ النّساء هم العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فإنّنا نعتقد، أنّ الهيئآت التبشيرية يجب أن تؤكّد جانب العمل بين النساء المسلمات، على أنّه وسيلة مهمة في التعجيل بتحويل البلاد الإسلاميّة إلى المسيحية." (١)

وقام الأب " كمبوني " كذلك بفتح مدرسة مهنية بالأُبَيِّض بلغ عدد طلابها في سنة (١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م) أكثر من مائة وخمسين طالباً ، درسوا مختلف المِهَنِ ، وفي عام (١٢٩٩هـ - ١٨٨١م) أعدّت مدرسة كبيرة في جنوب الأبيض للتدريب على الأعمال الزراعية. (٢)

وقد كانت المدارس المهنية أولى المنافذ للفكر الأوربي عبر التبشير المسيحي في السودان ، كما يذكر المستشرق "جب" من أنّ هذه المدارس المهنية - على حد قوله - "كانت المصادر الأولى التي أخذ الفكر الآوربي يشع منها ؛هي المدارس المهنية التي أنشأها محمد علي ، والبعثات العلمية التي أرسلها إلى أوربا". (٣)

كما أسست مدرستان تبشيريتان في بربر وسواكن ، كما بلغ عدد طلاب مدرسة الخرطوم الكاثوليكية في سنة (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م) مائتين من البنات ، ومن الطّلاّب ثلاثمائة معظمهم من السّودانيين .

ونتيجة للنجاح الملحوظ الذى حقّقه " دانيال كمبوني" فقد طَلَبَ منه غردون باشا و "جسّي" وأمين باشا ، أن يعيد إنشاء وتنظيم التعليم التبشيرى في جنوب السودان. (٤)

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٦٤

(٢) **انظر** : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥٤.

(٣) "جب" دراسات في حضارة الاسلام ، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٤) تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٥٤.

فيتضح لنا مما تقدّم ، الدّور الذى لعبه الأب " كبوني " ، ومن قبله " لويجي منتيورى " ومن نحانحوهما ، وماكان لهم أن يلعبوه لولا أنّ الدولة قد سمحت لمؤسساتهم التبشيرية المسيحية بإنشاء تعليم كنسي مختلط ، لأوّل مرة في تاريخ السّودان ، مما كان له أثر سلبي على الأجيال ، خاصة وأنّ هذه المؤسسات التبشيرية ظلت تنفث سمومها ضد الإسلام ، وحضارته عبر مدارسها ومؤسساتها التّعليمية ، كما أوجدت هذه المؤسسات شريحة من المتعلمين ، غريبة الولاء ، أحدث شرخًا واسعًا في المجتمع السوداني المسلم . وزاد الطين بلة ، أنّ هذه المدارس الكنسية لا تخضع لنظام التعليم في الدولة ،[1] بل سمحت لها الإدارة المصرية بإنشاء تعليم خاص بها ، مايزال قائما إلى يومنا هذا ، وبعد أن كان في الماضي قاصرًا على أبناء النّصارى ، أصبح يؤمه اليوم قطاع كبير من أبناء المسلمين .

* * *

---

(١) لمزيد من التفصيل عن هذه المدارس الكنسية ، انظر: دور الارساليات في الغزو الفكرى في التعليم فى شمال السودان ص ١٥٨، ١٧٠ من البحث

الفصل الثاني

الغزو الفكرى فى مناهج التعليم فى فترة الحكم الثنائى

ويشتمل على أحد عشر مبحثا :

المبحث **الأول** : الأهداف التعليمية والأغراض الاستعمارية

المبحث **الثانى** : كلية غردون التذكارية

المبحث **الثالث** : وضع خريج المعهد العلمى مقارنا بخريج كلية غردون التذكارية

المبحث **الرابع** : موقف الاستعمار البريطانى من القرآن الكريم ومؤسساته التعليمية

المبحث **الخامس** : قيام التعليم الأهلى كرد فعل لتضييق فرص التعليم

المبحث **السادس** : **وسائل فصل الجنوب عن الشمال**

المبحث **السابع** : دور المؤتمرات التعليمية والمذكرات الخاصة فى الغزو الفكرى فى الجنوب

المبحث **الثامن** : الغزو الفكرى فى التعليم فى جبال النوبا

المبحث **التاسع** : دور الارساليات فى الغزو الفكرى فى التعليم فى شمال السودان

المبحث **العاشر** : معهد بخت الرضا واعداد المعلم

المبحث **الحادى عشر** : لغة التعليم فى المدارس الحكومية

* المبحث الأول : الأهداف التّعليميّة والأغراض الاستعماريّة :

رغم أنّ هناك اتفاقية مبرمة بين مصر وبريطانيا لإدارة السودان،فيما عرف باتفاقية " الحكم الثنائي " إلاّ أنّ مقاليد الأمور في السودان كانت تدار من وراء ظهر الحكومة المصرية حينًا، وأحيانًا أخرى تجد الحكومة المصرية نفسها محكومة بلوائح ودساتير الاتفاقية الثنائية،التي أحكم البريطانيون تفصيلها وصياغتها وتنفيذها [١]. وبالتالي فنحن عندما نتحدث هنا عن الاستعمار والغزو الفكرى في هذه الفترة ، فإنّما نعني الاستعمار البريطاني ، لأنّ إدارة السودان كانت خالصة لهم من دون الحكومة المصرية .

لقد وضع المستعمر نصب عينيه تصفية الوجود الإسلامي العربي في السودان ، وكان يدرك ما للمؤتمرات الثقافية ، والتعليمية من تأثير جذرى على الشعوب ، ولذلك طوّق المدّ الإسلامي والعربي في شمال القارة الإفريقية ، تحت ستار محاربة تجارة الرقيق.[٢]

وانطلاقًا من هذا المفهوم شهد السودان في بداية الحكم الثنائي ميلادًا لنظام تعليمي جديد هو عبارة عن خلاصة التجارب التعليمية في الهند ومصر [٣] وضعه وخطط له اللورد كرومر ، وكتشنر وونجت ودانلوب،حكام وقادة الفتح الاستعمارى في السودان ، ووضع أهدافه وقام بتنفيذه " جيمس كرى " الذى عّين مديرًا للمعارف في السودان (١٣١٨هـ ـ ١٣٣٣هـ) (١٩٠٠ـ ١٩١٤م) وقام بجهد كبير في مجال التعليم العام . [٤]

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر بنود الاتفاقية : جمهورية مصر ، رئاسة مجلس الوزراء السودان ، " من ١٣ فبراير سنة ١٨٤١م إلى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م" القاهرة : المطبعة الأميرية ١٩٥٣، المواد ٣ ، ٤ ، ٥ من اتفاق ١٨٩٩م ص ٦ ، ٧ .

(٢) والآن في القرن العشرين تحت ستار حماية الأقلية ، وحماية حقوق الإنسان .... الخ .

(٣) انظر : هـ . أ . ل فشر ، تاريخ أوربا الحديث ١٧٨٩م ـ ١٩٥٠م ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦م ص ٣٤٠.

(٤) انظر : مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، مرجع سابق ، ص ٤١٢ .
وكذلك : موسى قسم السيد ، وعبد الغني ابراهيم محمد ، بخت الرضا بين الماضي والحاضر ، ندوة حول بخت الرضا وقضايا التعليم الملحة ، ص ٣ .

وتتلخص أغراض التعليم وأهدافه في هذه الفترة في الآتي :

(١) أهداف ظاهرية معلنة ٠

(٢) أهداف حقيقية خفيّة ٠

أمّا الأهداف الظاهرية ، فقد أشار " اللورد كتشنر " إلى بعض الخطوط الأساسية لهذه السياسة التعليمية الصورية ، حيث حدّد في خطابه للشعب البريطاني ، نوعية التعليم الذى يريده للسودانيين ومن يراد تعليمهم من أبنائه ، والخطة التي سوف تتبع لتنفيذ ذلك ، حيث قال :" وإن تسألوني عن نوع التعليم الذى أريده وعن نوع الشخص الذى يجب أن نعلّمه ، أقول : إنّ خطتنا يجب أن تبنى تدريجيًا ، وأن نبدأ الآن بتعليم أبناء زعماء ، ورؤساء الأقاليم ، ومشايخ القرى والأعيان ، لأنّ هؤلاء ينتمون إلى " جنس" يتوفر فيه الاستعداد العظيم للتعليم ، والمقدرة على الإفادة منه ٠ ويجب أن نحصر التعليم في مراحله الأولى في المواد الأولية كالقراءة والكتابة ، والجغرافيا واللغة الإنجليزية ، ثمّ يأتي الطور الثاني بعد أن تتركز هذه المرحلة ، فيوضع منهج أرفع، يدخل فيه التعليم الصناعي بما يتناسب وحاجات الجزء الأعلى من وادى النيل وسيكون كبار المدرسين بالكلية من البريطانيين ، ويكون الإشراف على جميع الإجراءات من اختصاص الحاكم العام " (١)

ونلخص هذه الأهداف الظاهرية في النّقاط التالية :

أ - إعداد طبقة من الصّناع المهرة بالقدر الذى يفهمون به إدارة آلة الصناعة ، وتدريب الكتبة الذين يلحقون بالوظائف الصغيرة ٠ (٢)

ب - نشر قدر من التعليم بين سواد الشعب يمكنهم من فهم الأسس التي تقوم عليها الإدارة الحكومية ، خاصة فيما يتعلق بالمساواة وحيدة القضاء ٠

---

(١) أحمد سعد مسعود ، السياسة التعليمية في السودان وأثرها على التعليم الديني الإسلامي ، رسالة ماجستير ، غير منشور ، جامعة الأزهر ، كلية التربية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ص ٥٧ ، نقلًا عن جريدة الأيام السودانية بتاريخ ٣١ يناير ١٩٥٦م٠

(٢) انظر : مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، مرجع سابق ، ص ٤١٢٠

جـ- ايجاد طائفة من الإداريين من بين أبناء البلد لملء الوظائف الإدارية الصغرى في الحكومة .[١]

د- نشر دعوة المسيح في المجتمعات التي لم تسمع بها .

هـ- قبول المرتدين من الأديان الأخرى، ونشر الحضارة ، والمبادىء الخلقية السّامية وإعانة المحتاج ، وعلاج المريض ، وتعليم الجاهل ... الخ .[٢]

وهذان الهدفان الأخيران المعلنان (د ، هـ) يخصّان جنوب السودان ومناطق جبال النوبا[٣] وحدهما ، أمّا الأهداف الثلاثة السابقة "أ ، ب ، جـ" المعلنة ، فهي تخصّ الجزء الشمالي من السودان ، وهي في مجموعها إذا تأملناها وفحصناها في الواقع ، نجد أنّها تهدف إلى ضرب التعليم الديني الذى كان قائمًا في البلاد ومحاربة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، ونلحظ ذلك في :

(١) ربط الإدارة البريطانية التعليم بحاجة الجهاز الإدارى الإستعمارى لمجموعات من الكتبة ، والمهنيين يسند إليهم تصريف الأمور الدنيا في ذلك الجهاز .

أمّا الوظائف الكبرى فهي بلا شك للإنجليز ، والوسطى منها للسوريين والأرمن ، وما أشبه من الأجانب .[٤] وهذا الربط في تقديرنا ماهو إلاّ ذريعة مفتعلة لكي تتحاشى الحكومة الصرف على أى تعليم لا يلبي حاجاتها ، لأنّه لايُخَرِّج النّوعيّة المطلوبة من الأشخاص الذين تريدهم الدولة ، ممّا يدلّ على سوء نية المستعمر ، والدليل على ذلك أنّ السياسة التعليمية في هذه الفترة قد تجاوزت أهدافها المعلنة ،

---

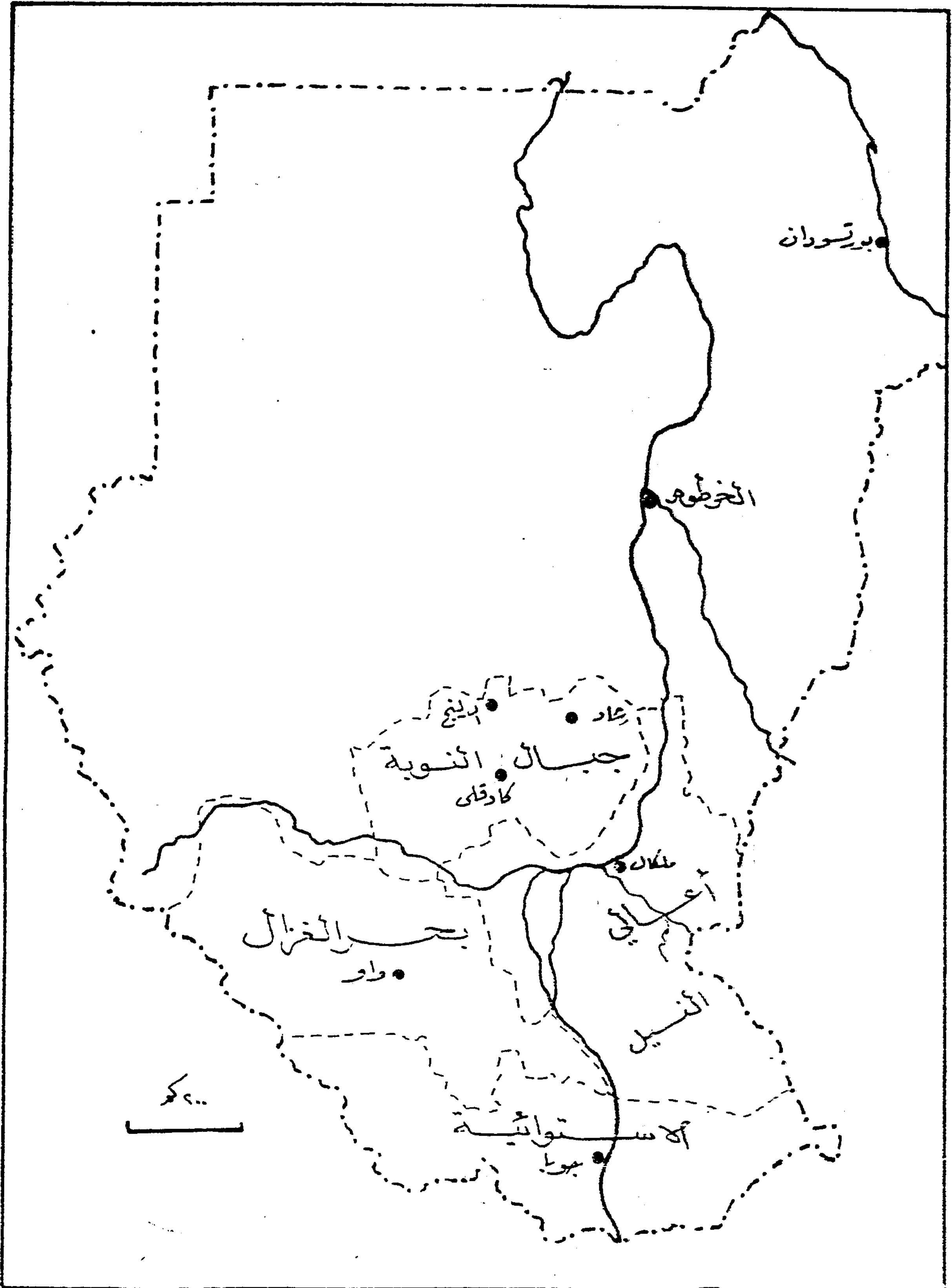
(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦٩-٧٠ ، وكذلك انظر : موسى قسم السيد ، وعبد الغني ابراهيم ، ندوة حول بخت الرضا بين الماضي والحاضر ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٢) انظر : أمير الصاوى ، وجعفر محمد علي بخيت ، مشاكل التبشير المسيحي بالسودان ، (الخرطوم جمهورية السودان) وزارة الداخلية ، تحت الرقم ١٩٥٣ طبع مصلحة المساحة السودانية ص ١٣- ١٤ .

(٣) " نوبا " بالألف جبال بالركن الجنوبي الشرقي من مديرية كردفان بجمهورية السودان متاخمة لمنطقة جنوب السودان . لمزيد من التفصيل انظر المبحث الثامن من هذا الفصل ، وانظر الخريطة ص / ٩٢ .

(٤) انظر : معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، دار الطباعة - قسم التأليف - جامعة الخرطوم ص ٣٣ .

خريطة تبين موقع جبال النوبة وحدود جنوب السودان (١)



(١) قام بتصميم هذه الخريطة الدكتور بدر الدين يوسف الأستاذ بقسم الجغرافيا بكلية التربية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة .

فخلقت نخبة من السياسيين المثقفين المعجبين بالأفكار والمفاهيم الغربية الذين يرون أنّ ماهو صالح للإنجليز لابدَّ أن يكون صالحًا ومفيدًا لغيرهم أيضا ، ويوجهون إلى الدولة الحاكمة تحديًا يستند إلى مبادىء ومعتقدات الإنجليز أنفسهم في الحرية والتّقدم . (١)

(٢) محاصرة التعليم الديني عن طريق ادخال مواد علمية دون مراعاة للمنهج الموجود أو تعديله ليعطي الثمرة المرجوة منه ، ويتمشى مع متطلبات المسلمين ، وكان من رأى كرومر : " أنّ تلطف دراسة القرآن بتدريس مواد علمانية ٠٠٠" (٢) ومن هذا المنطلق فقد رفض " جيمس كرى " مدير التعليم آنذاك اقتراحا بتخصيص إعانة ماليّة لخلاوى القرآن الكريم التي رفضت الانصياع لدعوى التحديث : " إذ كان يرى في ذلك خطورة سابقة لأوانها ، ربما زادت الأعباء المالية ، وعاقت تطور النظام التعليمي الحديث المقترح في البلاد ". (٣)

وقد لخص جرجس سلامه هذه السياسة التعليمية ، في أنَّ المستعمر قد اتبع فلسفة تعليمية رجعية مبنية على استمرار الإزدواج في نظم التعليم ، بقصد إحداث تمييز طبقي ، والتفرقة بين القادرين ، وغير القادرين ، وتعميق الفروق بينهم ، والاستمرار في سياسة اعتبار الغاية من التعليم هي الإعداد الوظيفي . وكان من نتيجة تلك السياسة ، أن قوى الميل إلى العمل الحكومي في نفوس خريجي المدارس الحديثة ، حتى أصبح التعليم في نظرهم مجرد وسيلة للحصول على الشهادات الدراسية التي تؤهلهم للوظائف . (٤)

---

(١) انظر : هـ . أ . ل . فشر ، تاريخ أوربا الحديث ١٧٨٩م - ١٩٥٠م ترجمة أحمد نجيب . مرجع سابق ص ٣٤٠ .

(٢) د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٧٢ .

(٤) للمزيد من التفصيل انظر : جرجس سلامه ، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م ، ص ٨٥ - ٨٧ .

وبالتالي فان هذا النمط من التعليم ، وهذا التفكير لا يهتم ولا يسعى لإعداد الإنسان ذي القدرات الروحية ، والخلقية الممتازة .

ثم كانت المرحلة التالية للتعليم على النظام الحديث ، عندما اتجهت سياسة التعليم اتجاها خطيرًا في عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م حيث قضت تلك الإدارة بأن تكون لغة التّعليم ، هي اللّغة الإنجليزيّة ، فربط نظام الشهادات في كلية غردون ، بنظام الشهادات الإنجليزيّة [١] - كما سيأتي - التي مازالت بعض مدارس الجاليات ، والتبشير المسيحي مرتبطة بها ، وما فتئت الحكومات المتعاقبة تعترف بها إلى يومنا هذا . [٢]

هذا عن الأهداف والسياسات الصّوريّة في حقل التعليم ، أما ما خفي من السياسات والأهداف التعليمية ، فنتبيّنها من خلال القراءة المتأنية لنتائج تلك السياسة الظاهرة ، المعلنة ، ومن خلال الواقع الممارس في سائر أركان التعليم المنهجي في الخطط الدراسية [٣] والمناهج والكتب ، والمدرسين ، والبيئة التعليمية ، وتصّرفات الأجهزة الإدارية ، والتوجيهية ، وأنواع الأنشطة التابعة للعملية التعليمية ، نلخصها في الآتي : [٤]

(١) تطوير تقدم الجنوب في اتجاه مغاير للشمال .

(٢) منع الإسلام من النفوذ إلى الجنوب .

(٣) تذكير الجنوبيين بتاريخ النخاسة ودور العرب والمسلمين الشماليين فيه ، وتجسيم مظاهره بصورة مثيرة للبغضاء .

(٤) دفع الإسلام عن مناطق السودان غير المسلمة .

(٥) التعاون مع الحكومة في تنفيذ سياسة ترمي إلى تقسيم القطر وتطويره في اتجاهين متضادين .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : **أحمد خير المحامي** مآسي الانجليز في السودان ، مرجع سابق ص ١٤ - ١٥

(٢) للدلالة على ذلك انظر : د . صديق أمبده ، سياسة القبول للتعليم العالي ، ومعادلة الشهادات الأجنبية " باشارة خاصة إلى جامعة الخرطوم " مطبعة جامعة الخرطوم للنشر الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

(٣) انظر : عبد الرحمن الميداني ، غزو في الصميم ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٣ .

(٤) انظر : أمير الصاوى ، وجعفر محمد علي بخيت ، مشاكل التبشير المسيحي بالسودان ، مرجع سابق ص ١٣ ، ١٤ .

(٦) توسيع شقة النفّور بين المواطنين الشّماليين والجنوبيين وعدم المساعدة في إحلال روح التفاهم بينهم عن طريق التعليم ، بوضع مناهج وأساليب تعليمية مختلفة .

(٧) محاولة إيجاد كيان قومي مستقل ذى طابع مسيحي لعناصر من السودانيين ، والمطالبة بمعاملة خاصة ، وضمانات خاصة ، كتلك التي تعطى للأقليات .

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف غير المعلنة فقد أطلقت الادارة البريطانية يد الهيئآت التبشيرية المسيحية في جنوب السوادن ، وفي جبال النوبا ، وترك أمر التعليم لها ، واستفحل أمرها ، حتى أنّ محاولات الحكومة - فيما بعد - للقيام بدور مباشر في التعليم في الجنوب عام ١٩١٨ م والتي كانت على يد " البكباشي " ، " أ. حروف " مفتش مركز " أوبارى " بمديرية " مونجالا " ، قد فشلت [(١)]. وكذلك كان مصير المدرسة التي أُنشئت بمدينة واو عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م بأموال التعويضات التي صرفت باسم" السير لي استاك " والتي عرفت بـ " مدرسة السير لي استاك التذكارية "، وكان المعتقد أن تكون أول مؤسسة تعليمية حكومية في الجنوب على غرار " كلية غردون التذكارية " في الشمال، ولكنها وجدت معارضة شديدة من المبشرين في إشراك الحكومة المباشر في التعليم ، مما اضطرت الحكومة إلى إغلاقها وتسليمها إلى إرسالية الروم الكاثوليك في عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م . [(٢)]

وبذلك تكون هذه السياسة ، قد أسهمت بدرجة خطيرة في إثارة المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي عانت ومازالت تعاني منها البلاد ، والتي ماتزال رواسبها النفسية ، سادلة تطل برأسها من آن لآخر ، بالرغم من التغيّر الكبير الذى طرأ على الحياة في مختلف جوانبها، في تلك الأجزاء من السودان .

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع - ترجمة أسعد حليم - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م ص ٧٣.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٧.

* المبحث الثانـي : كلية غردون التّذكـــارِيَّة :

لقد كان ضمن سياسة الاستعمار في التعليم في العهد الثنائي في السّودان، إعداد كوادر لـه ، تحمل أفكاره بعد رحيلـه ، وكان لابّد لهذا الكادر أن يكون مثقفاً ثقافـــة خاصَّة ، ولايكون الكادر المثقف محلّ ثقةٍ إلاّ إذا عدّ إعداداً خاصـًا ٠

من هـذا المنطلق كانت فكرة إنشاء كليّـة باسم الجنرال " غردون " الذى كان يحكم السودان باسم الخديوى ، والذى قتل بالخرطوم في صبيحة السادس والعشرين من ينايـــر عام ١٨٨٥م (١) تخليدًا لذكراه كأحد بناة الإمبراطورية البريطانية ٠ وفي الحقيقة أنشئـــت الكليـة لتفريخ الكوادر وتعميق سياسة التغريب المطلوبة، ظهر ذلك بوضوح في تقريـــر لجنة "دى لاوار" (٢) ، التي كونت من قبل حكومة السودان آنذاك ، حيث شرعت في تقديـــم توصيات من شأنهـا أن تترك أثرًا واضحًا على حياة أبناء شمال السودان ٠ وكان عليهـــــا كذلك أن توائم بين الحضارة الأوربية ، والمجتمع السّوداني ، والتحقّق من أنّ ثمة رابطـــة وثيقـة بين المدارس ، والكلية ، وبين المجتمع الريفي البدائي ، والقادة المدربين٠

ولإنشاء هذه المؤسسة التعليمية العليا ، التمس اللورد "كتشنر" حاكم عـــام السودان آنذاك ، مساهمة الشعب الإنجليزى لتأسيس الكلية في الثلاثين من نوفمبرعام١٨٩٨م الموافق ١٣١٦ هـ (٣) وأوضح الهدف من فتح هذه الكليـة عبر الصحافة الإنجليزية، وتوالـت التبرعات من شتى البقاع من بريطانيا وكندا وأُستراليا ، ونيوزيلنده ، ورأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا ، والهند ومصر وأمريكا ، ومن الأفراد والشركات والكنائس وجمعيـــات المسارح ، ورؤساء المجالس البلدية في كلٍّ من لندن وليفربول ومانشستر ، وأدنبـــرة ، وجلا سجـو ٠ وتبرعت شركات " فلن ميلنز " و " كرى " وشركاه ، و" ك٠ كاســـل " ، و "روتشيلد" وأولاده ، " وبرت " ، " وأستون " ، " ورنر " ، " وبيشامب" وغيرهم(٤) ٠

---

(١) انظر : محمد سليمان ، دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق، ص ١٠٦، ١٠٧ ٠
(٢) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان، مرجع سابق، ص ٢١٥ ٠
(٣) انظر : المرجع نفسه ، ص ٨٧٠
(٤) المرجع نفسه ص ٨٩ ٠

وقد فاضت هذه التبرعات عنء حاجة كلية غردون، فأنشئت بالفائض بعض المدارس في السودان . (١)

ويتضح لنا بجلاء أنّ نداء كتشنر لأوربا ، والاستجابة السخية السريعة أنّ التعليم الحديث الذى سوف ينشأ ليس من أهدافه نشر المعرفة بين أبناء الشعب السّوداني تمهيدًا للا رتقاء بحياته العامة ، ولكنه تعليم يهدف إلى تثبيت دعائم المستعمر الأوربي، وتحقيق أهدافه من احتلال السودان .

وقد قام اللورد " كرومر " معتمد بريطانيا في مصر وحاكمها الفعلي بوضع حجر أساس الكلية في الخرطوم باسم الملكة " فكتوريا " في يناير عام ١٩٠٠م وافتتح مبانيها اللورد كتشنر رسميًا عام ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م ، واطلق عليها " كلية غردون التذكارية وتمنى أن يرتكز عليها التعليم النظامي في السودان الذى من شأنه أن يلبي حاجات السودانيين - على حد زعمهم - تحت إشراف بريطانيين لإيجاد طبقة من السودانيين، ترتبط فكريا ببريطانيا ، وكان يرى أنّ قيام هذه الكلية سيعطي بريطانيا المركز الأول في أفريقيا كقوة حضارية . (٢)

وتحقيقًا لهذه الشعارات المعلنة منها والخفية اتخذت الإدارة البريطانية عدة وسائل لتحقيقها تمثلت في :

(١) إعداد معلمين بريطانيين إعداداً خاصا لهذه المهمة وتهيئة مجال لتدريبهم على القيادة ، ثم إرسالهم إلى السودان .

(٢) ربط التعليم بالوظيفة .

(٣) محاصرة ومحاربة الدين الإسلامي عن طريق الكلية .

(٤) دس المناهج الدراسية المغلوطة ، ذات الأهداف التي تتّفق مع السياسة التي يريدونها. (٣)

---

(١) انظر : محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٨٩.

(٢) انظر : محمد سليمان - دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق ص ١٠٧ .

(٣) انظر : نماذج من هذا الدّس ص ٢١٠ وما بعدها من البحث .

أمّا فيما يختص بإعداد المعلمين لهذه الكلية ، فقد درجت الحكومة البريطانية على اختيار الأساتذة البريطانيين من السّلك السّياسي يقضون عدة أعوام يتمرّنون خلالها على الحكم ، لا عَلى التعليم بين طلبة العلم وصفوة أبناء البلاد . والحقيقة أنّهم يقضون أعواما في الكلية " تحت التجربة " فمن أفلح منهم وأجاد وسائل العنف والشّدّة والضغط والاستبداد رُقّي سريعا لوظيفته في السلك الإداريَ إذ أنّه قد اجتاز الامتحان وأمضى مدّة " التجربة " على أحسن مايرام . (١)

وقد وصف المستر إدورد عطية، أحد الأساتذة الأجانب بالكلية في كتابه الذى أسماه " عربي يروى قصة حياته" هذا الإعداد الخاص بقوله :" كان الأساتذة البريطانيون أعضاء في السلك السياسي ، شخصيتهم مزدوجة ، فهم معلمون من ناحية وهم حكام من الناحية الأخرى ، وكانت الصفة الأخيرة غالبة عليهم ، وكان مطلوبا من التلاميذ أن يتسموا في مسلكهم نحوها ، ليس فقط بالاحترام ، بل بالاستكانة والإستسلام المنشود من الرعية ، وكان هؤلاء التلاميذ يدركون أنه تقف خلف كل مدّرس من هؤلاء البريطانيين صولة الحكومة وجبروتها وقوتها ، ويسانده مدير المعارف ، والسكرتير الإدارى ، والحاكم العام والعلم الإنجليزى ... ليس كذلك وحده ، بل كان المدرس الإنجليزى في الكلية ينقل منها إلى المركز مفتشًا ، وينقل المفتش مدرسا إليها " . (٢)

بجانب ذلك نجد أنّ بعض هؤلاء الأساتذة لهم سابق خبرة في بعض المستعمرات البريطانية الأخرى كالمستر " لين " والمستر " قريفث " وقد عملا معا في قسم المعلمين بكلية غردون . (٣)

أمّا ربط التعليم بالوظيفة كسياسة عامة ، فقد كان مبنيا على تخطيط من اللورد كرومر الذى عمل جاهدًا على استيعاب وتوظيف كلّ خريجي كلية غردون ، لأنّه كان

---

(١) انظر : معاوية محمد نور - قصص وخواطر ، مرجع سابق ص ٣٤.

(٢) بشير محمد سعيد ، الزعيم الأزهرى وعصره ، القاهرة الحديثة للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ص ٣٧ .

(٣) انظر : عز الدين الحافظ ، مقال عن السيد عبد الرحمن على طه ، مجلة بخت الرضا العدد ٣٤ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ ، المؤسسة العامة لمطابع التربية ص ٤٠.

يرى أنّ الخرّيج الذى لم يوظّف في دواوين الحكومة ، سيصبح خطرًا ماثلاً على الحكومة من جهة ، ومن جهة أخرى ، يسهل على الحكومة الإشراف عليه ، ومتابعته ، وربطه بالنُّظم السياسية للدولة ، فجعل ذلك من كلية غردون التذكارية المنفذ والمؤسسة الوحيدة للتعليم العالي في السودان ، ومعهدًا لتدريب كوادر الموظفين الذين تحتاجهم الإدارة البريطانية قلبًا وقالبًا .[1]

ونتيجة لذلك فقد طرح بين طلبة الكلية فيما بعد ، موضوع :" العلم ، أيكون مقصودًا لذاته أم لوظائف الحكومة "[2]، وقد طرق هذا الموضوع كثيرًا داخل الكلية نتيجة لإحساس الطلاب ووعيهم بما يدور حولهم .

وفي سبيل محاربة الدين الإسلامي في الكلية ، وضع الإستعمار قوالب معينة لايتعداها المتعلّم ، عندما جعل تدريس الدين في الكلية يقف عند نهاية السنة الثانية ويعتبر تدريس الدين بعد ذلك تعصّبًا .[3]

ولكن إرادة الله غالبة ، فقد قيّض الله تعالى لهذه الكلية نخبةً ممتازةً من الأساتذة الأزهريين المصريين[4] الذين جمعوا بين الوطنية والعلم ، نذكر منهم : الشيخ الخضرى ، والشيخ الجداوى ، والأُستاذ عبد الرؤوف سلام وغيرهم[5]، فقد اختارتهم إدارة الكلية بنفسها ، إرضاء للحكومة المصرية ، فشاركوا في تعليم السودانيين ، وفي إذكاء الرّوح الوثّابة المتطلعة إلى العلم ، والحرية وكانوا بذلك سندًا لحركة الوعي الإسلامي والوطني فيما بعد .

وكانت النتيجة ، غير متوقعة ، وغير محسوبة ، ضجت على أثرها الإرساليات ،

---

(١) انظر : وزارة التربية والتعليم - الخرطوم ، التربية السودانية تقويم واستراتيجية عمل يناير ١٩٧٧م ص ٥ .

(٢) د . عبد المجيد عابدين ، تاريخ الثقافة العربية في السودان ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

(٣) انظر : بروفسور مندور المهدى ، المربّي المسلم مسئولياته وتطلعاته ، مجلة بخت الرضا ، العدد ٣١ مارس ١٩٧٩م .

(٤) انظر : د . إبراهيم الحردلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ص ١٠٧ .

(٥) انظر : معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، مرجع سابق ص ٣٣-٣٤ .

المسيحية ، ولم ترض عن نشاط أولئك العلماء الأزهريين ، فقد نشر بحث في مجلة الإرساليات العالمية تقول فيه إحدى الإرساليات : " إنّ كلية غردون التذكارية بأسرها يجب القضاء عليها بوصفها كلية إسلاميّة لحمًا ودمًا من ناحية دينية ... ومن المؤكّد أنّ اسم كلية غردون ، اسم على غير مسمّى ، ولايمكن الا أن يكون سبيلا لخداع الشعب المسيحي في بريطانيا العظمى ، وأنّ الجنرال غردون لم يخلّد له ذكر في هذه الكلية بل خُلّد النّبي محمّد .

ولعلّ تسمية الكلية مدرسة محمد الرّوحيّة في أعالي النّيل تكون أنسب لأنّها بكل تأكيد تقوم بتدريس الشريعة والقرآن أكثر من أى علم آخر ..." (١)

وكان من جرّاء هذه الحملة الشرسة، والنّتائج غير المتوقعة، أن استغنت إدارة الكلية بايحاء من الحكومة عن خدمات هؤلاء الأساتذة الأجلاء ، وحل مكانهم بعض الأساتذة السّوريين .(٢)

أمّا عن مناهج التدريس في هذه الكلية بصفة عامة ، فيدور معظمها ، حول تمرين الطلاب على الآلة الكاتبة ، أو على شئون الهندسة العملية والمحاسبة ، ليعد الطالب ليملأ وظيفةً صغيرةً في الحكومة لا يصلح في عمل سواها ، ولايفقد شيئًا في عالم الأدب ، والتاريخ والاجتماع ، وكل المواد الدراسية تدّرس باللغة الإنجليزيّة ، عدا اللغة العربية والتربية الإسلامية .

ويركّزون على تاريخ وجغرافية أوربا والمستعمرات البريطانية . أمّا التاريخ الإسلامي ، والذى يطلقون عليه تحريفًا " تاريخ العرب " فالكتاب المقرر فيه هو

---

(١) محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ٩٣ ، نقلاً عن بحث نشر بمجلة الإرساليات سنة ١٩٠٧م عن الجنرال غردون والتعليم في السودان ص ١١٢ .

(٢) انظر : معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

كتاب " تاريخ العرب " " لفيلب حتّى " (١) كأساس في التاريخ الإسلامي ، وهو كتاب لم يخلو من لمز للإسلام وغمزه . (٢)

وهناك تركيز على تقوية العلوم المدنية ، وتحبيب الطلبة فيها أكثر من العلوم العربية وذلك بإجراء المحاورات والمسرحيات باللغة الإنجليزية على المسرح العام للكلية بحضور جميع الطلبة ، ورغم أنّ فيها تقوية للطلاب في مادة اللّغة الإنجليزية إلاّ أنّها تُؤثّر في توجيههم، لأنّ غالبية هذه المسرحيات تدور حول المعتقدات المسيحية ، كقصة الفتاة الفرنسية " جان دارك " (٣)، وموضوع الحرمان.

---

(١) فيليب حتى : (١٨٨٦-) مؤرخ مسيحي الديانة عربي الأصل ، أمريكي الجنسية ، سافر إلى أمريكا للدراسة هناك ، عمل أستاذاً بجامعات كولومبيا وبرنستون ، وهارفرد ، من مؤلفاته " تاريخ العرب " ، " وتاريخ سورية " ، " وتاريخ لبنان " .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٦٨٩ .

(٢) مقابلة مع الأستاذ محمد الخير عبد القادر ، رئيس قسم الثقافة والنشر بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم حاليًا ، وأحد طلاب كلية غردون سابقًا .

(٣) **جان دارك :** فتاة فرنسية كانت متعددة الشغل خارج البيت كرعي المواشي ، وركوب الخيل ، وكان الناس في جوار " دومرى " - بلدها - متمسكين بالخرافات ويميلون إلى حزب " أورليان " في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا ، وكانت جان دارك ، تشترك في الهياج السّياسي ، والحماسة الدينية وكانت كثيرة التّخيُّل والورع ، تحب أن تتأمل في قصة العذراء ، وعلى الأكثر في نبوءة كانت شائعة في ذلك الوقت ، وهي أن إحدى العذارى ستخلص فرنسا من أعدائها .

ولمّا كانت عمرها ثلاث عشرة سنة كانت تعتقد بالظهورات الفائقة للطّبيعة وتتكلّم عن أصوات كانت تسمعها ، ورؤى كانت تراها ، ثم بعد ذلك خيّل لها أنّها قد دعيت لتخليص بلادها وتتويج ملكها ، ثم أوقع " البرغيتور " تعديًا على القرية التي ولدت فيها ، فقوى ذلك اعتقادها لصحة ماخيل لها " .

انظر : محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين ، دار الفكر ، بيروت ج٣ص١٥ .

وقد استغل المستشرقون هذه القصة للطعن في النبوة المحمدية ، وأنّ النبوة نوع من أنواع الوحي النفسي - للمزيد من هذه القصة انظر : الوحي في الاسلام وابطال الشبهات حوله ، رسالة ماجستير للباحث ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ ص :

وعلى كلّ فليس هناك منهج ظاهر يسير المعلم على نهجه،خاصة في مادة التّاريخ ، فالكلية لا تصرف للطلبة الكتب التاريخية المكتوبة لمثل هذا الغرض، أو تشجعهم على اقتنائها ، لأَنَّها تعتقد أنَّ الطالب ربما يقرأ في مثل هذه الكتب أشياء عن الحركات الإِسلامية والوطنية فيكوّن رأيًا إِسلامية يناهض به الاستعمار .

أمّا عن الشّهادة التي تمنح لخريجي هذه الكلية فتسمى " شهادة كمبردج المدرسية" وهي تعادل الشهادة السودانية ، وأطلق عليها هذا الاسم نسبة لتبعيتها الكاملة لجامعة " كمبردج " بإنجلترا في وضع الامتحانات وتصحيحها ، وحتى عندما غيّروا اسمها ، سمّوها :" كلية الخرطوم الجامعية " باعتبارها كلية ملحقة بجامعة كمبردج تتبناها وكأنّها إحدى كلياتها .

* * *

* **المبحث الثالث : وضع خريج المعهد العلمي مقارنًا بخريج كلية غردون التذكارية :**

إنّ سياسة التعليم التي اتبعتها الإدارة البريطانية إبان الحكم الثنائي أفرزت عدّة أنظمة للتعليم في السودان، من أهمّها التعليم المدني العلماني الذى استحدث نظامه التعليمي، على نمط التّقاليد والمعارف البريطانية من مراحله الأوّليّة وحتى كلية غردون التّذكارية ، بجانب النّمط القديم السائد في البلاد ، وقبل الاستعمار البريطاني وهو التعليم الديني المتمثل في الخلاوى ، والمساجد .

وقبل الخوض في وضع خريج المعهد العلمي مقارنًا بخريج كلية غردون التذكارية ، لابّد أن نتعرّض في شيء من الايجاز إلى التعليم الديني المتمثل هنا في المعهد العلمي - موضوع المقارنة - من حيث نظام التعليم وسني الدراسة ، كما سبق وأن أفردنا مبحثًا عن نظام التعليم وسنى الدراسة لكلية غردون - وذلك حتى تكون المقارنة موضوعية .

لقد كانت الإدارة البريطانية تدرك أثرَ الثقافة الإسلامية التي كان الطلاب السودانيون يَتَلَقَّوْنَها في رحاب الأزهر الشريف ، وكان الجنرال " ونجت "[1] لم يك راضيًا عن البعوث الطلابية إلى مصر اعتقادًا منه بأنّ ذهاب السودانيين للأزهر ، وتلقّيهم الثقافة الإسلامية هناك قد يجعلهم يتشرّبون آراء وأفكار معادية للإدارة البريطانية في السودان[2] ، لذلك أرسلت السلطات الإدارية البريطانية في السودان مدير المعارف إلى مصر عام ١٩٠١م لجمع الطلبة السودانيين الذين يدرسون في الأزهر ، ليكونوا نواة لأزهر جديد في السودان ، وكان ذلك ضمن خطتها الرامية إلى تحويل الطلاب السودانيين عن الدراسة في مصر ، فأنشأت الإدارة البريطانية بالمعهد العلمي بأم درمان قسمًا للمعلمين ، وآخر للقضاء في عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م[3] ، على غرار دار العلوم ، ومدرسة القضاء بمصر ، وقد حددت اللائحة التي صدرت عام ١٩٢٥م لتنظيم الدراسة ، وما يتعلق

(١) انظر : محمد سليمان دور الأزهر في السودان مرجع سابق ص ١٢٧

(٢) انظر : مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص ٤٩٦ .

(٣) انظر : مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، مرجع سابق ، ص ٤٩٦ .

من شئون بالنسبة لمعهد أم درمان العلمي ، الذى يعدّ إلى ذلك الوقت ، المعهد الديني الإسلامي النِّظامي الوحيد في البلاد - حددت - أغراض المعهد بالآتي : " القيام بتعليم الشريعة الإسلامية ، وفهم علومها ، ونشرها بما يفيد الأمة ، وتخريج علماء يرشدونها إلى طريق السعادة الصحيحة ، ويرفعون عنها ضرر الجهل ، والعقائد الفاسدة " (١)

وقد كانت مدّة الدراسة بالمعهد العلمي اثنتى عشرة سنة ، يختص القسم العالي من المعهد بأربع سنواتٍ منها ، لينال الطالب شهادة العالمية إذا نجح في الامتحان المقرر لها . (٢)

وبذلك يكون التعليم الديني الإسلامي قد سجل سبقًا هامًا ، إذ أنّه بوصوله إلى هذه المرحلة ، يعد أوّل تعليم نظامي في السودان يصل إلى مابعد المرحلة الثانوية . (٣)

وبالرغم من ذلك السّبق إذا ذهبنا إلى المقارنة بين خريجي هذا المعهد وخريجي كلية غردون التذكارية ، من النّواحي الوظيفية والاجتماعيّة ، فإنّنا نجد البون شاسعًا للدرجة التي لا يتيح فرصة للمقارنة ، فقد عمل المستعمر دائمًا وبشتى الوسائل على أن يكون وضع خريج المعهد مزريًا ، حتى يكون منفّرًا للأجيال الجديدة من الالتحاق بهذا النوع من التعليم .

فمن الفوارق الوظيفية والاجتماعية التي أثّرت على وضع خريج المعهد العلمي ، مقارنًا برصيفه خريج كلية غردون ، نذكر الآتي :

أولا: النّظام الاجتماعي الجديد الذى أنشأه الاستعمار ، لم يكن قد حُدّد ، بحيث يجعل لهذا النّمط من التعليم دورًا يذكر في الدواوين الحكومية ، فالظروف المهنية والإدارية ، كانت متحيّزة ضد خريجيه ، لهذا ظل دور هذا التعليم ثانويا ، وهامشيا ،

---

(١) المصلحة القضائية ، مذكرة السكرتير القضائي عن معهد أم درمان العلمي سبتمبر ١٩٤٦م ص ٢

(٢) انظر : القسم العالي بمعهد أم درمان العلمي ، دار الوثائق ، تعليم ١٢/٢/١١ .

(٣) وإن كان للإنجليز دور في المساعدة في إنشاء هذا المعهد ، وتطويره ، إلاّ أنّه لم يكن في حساباتهم ، أنّه سيصبح في يوم ما منارة للعلم يأوى إليها الدارسون من أقصاع السودان المختلفة .

وانحصر متحيّزاً في المجالات التي حددتها له السلطات الاستعمارية، التي أخذت منذ البداية تغّذى عوامل الفرقة بين خريجي هذه المدارس والمعاهد العلمية بمختلف الوسائل .[(١)]

فمثلاً ، لم تكن للمعهد ميزانية معينة ، وإنّما كانت تعطى له إعانات سنوية من إعانة المساجد ، وقد كان المبلغ يتأرجح بين الزيادة والنقصان حسبما تراه الحكومة ، الى جانب اعانات ريع الأوقاف ، وهبات المحسنين[(٢)]، بينما نجد أنّ للكلية التذكارية ميزانية ثابتة تزيد كلّ عام ، ففي عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م كانت ميزانيتها ثلاثين ألفا من الجنيهات .[(٣)]

ثانياً : لم تعترف الحكومة الاستعمارية بصفة رسمية بتلك الشهادة ، بل اعتبرتها شهادة ثانوية حتى عام ١٩٦٢م في حين أنّ الجامعة الأزهرية، اعترفت بهذه الشهادة قبل ذلك الوقت عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م[(٤)] واعتبرتها شهادة عالية مساوية لشهاداتها من كلياتها المختلفة التي هي مساوية لبعض الجامعات في الهند والباكستان ، والعراق وسوريا ، والمغرب وتونس ، مما جعل الأزهر يفتح لخريجيه ، فرصة الدراسات العليا .

ولم تعترف الحكومة الاستعمارية بهذه الشهادة خوفًا من فتحها لباب سعت منذ قدومها إلى اغلاقه بشتى السّبل ، من ناحية ، وخوفًا من أن يلزمها ذلك الاعتراف ايجاد الوظائف القيادية والإشرافية التي يكون لها تأثير في المجتمع من الناحية

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : محمد الحسن أبو شنب : معلم التربية الاسلامية ، وظيفياً واجتماعيًا ، ضمن ندوة مادة التربية الإسلامية بالمركز الإسلامي الأفريقي في الفترة من ١٧ - ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٥هـ ص ٩-١٠ .
وكذلك انظر : حسن مكي ، الحركة الطلابية السودانية بين الأمس واليوم ، دار الطباعة الحديثة ، نشر : دار الفكر الخرطوم ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) انظر : أحمد سعد مسعود ، السياسة التعليمية في السودان وأثرها على التعليم الديني الإسلامي ، رسالة ماجستير - كلية التربية جامعة الأزهر ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص١٠٤ .

(٣) انظر : د . خالد المبارك ، التعليم العالي بالسودان ، دار البحار ، نشر دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ٢٠ .

(٤) انظر : القسم العالي بمعهد أم درمان العلمي ، دار الوثائق المركزية ، بالخرطوم ، تعليم ١١/ ٢/ ١٢ .

العقدية والاجتماعية ، حتى تبطل الغاية التي أُنشئ من أجلها هذا المعهد ، والتي كان يؤملها كثير من الناس ، الذين حوّلوا قسرًا من الأزهر إليه ، وهو هدف الإدارة البريطانية ، حيث كانت تهدف من وراء هذا الصنيع، إلى تعميقه في نفوس القائمين بأمر التعليم الدّيني ، وفي نفوس طلابه بصفة خاصة ، بأنّهم مهما فعلوا ، وجاهدوا للارتقاء بهذا التعليم ، فإنّ نظرتها إليهم ستظل كما هي. وسيظل التعليم الديني الإسلامي تعليمًا غير مرغوب فيه بالنسبة لها ، فهو إذاً تعليمٌ من الدرجة الثانية ، وقد كانت تلك حربًا نفسية قاسية على خريجي هذه المعاهد .(١)

ثالثًا : بينما نجد أنّ خريج كلية غردون التّذكارية يعين منذ تخرجه ، وبكادر أفضل وراتب أكبر من رصيفه خريج المعهد ، لم تفتح لخريج هذا المعهد ، أبواب العمل ، الاّ في وقت متأخر ، وفي مجالات ضيقة ،(٢) انحصرت في الوعظ والإرشاد ، والتدريس ، والعمل في السّلك القضائي ، ككتبة في المحاكم الشرعية ، على أن يظلّ حامل الشهادة العالمية في سلك الكتبة لا يتعداها .(٣)

---

(١) انظر : مذكرة اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية ، دورة ١٩٦٦م ، ملحق رقم (٢٠) ص ، ٦١٧ .

(٢) انحصر عمل حاملي هذه الشهادات في تدريس التربية الاسلامية ، واللغة العربية ، وقد جاء ذلك في وقت متأخر ، بعد أن عزف طلاب كلية غردون التذكارية ، عن تدريس اللغة العربية بصفة خاصة ، وسيأتي تفصيل ذلك في الباب التالي لهذا الباب .

(٣) يبدو من قراءتنا في أهداف التعليم الديني بصفة عامة ، وأهداف معهد أم درمان بصفة خاصة ، أنّ لضغط الاستعمار على العلماء ، وخوف العلماء ، وعلى رأسهم الشيخ أبو القاسم هاشم ، من عدم موافقة السلطات الاستعمارية على لائحة المعهد وتفويت الفرصة عليهم ، وحرصا منهم لإقامة هذا الصرح ، يبدو أنّ ذلك ، قد أثّر بشكل أو آخر، على وضع خريج المعهد العلمي الوظيفي ، إذ نجد أنّ الشيخ أبا القاسم قد حصر رسالة المعهد بنفسه في وظائف محددة ، هي : تخريج علماء ووعاظ ، عملهم الوعظ والإرشاد فقط ، ولا يحق لهم منافسة غيرهم في الوظائف المدنية ، وهذا هو المخطط الذى رسمه الاستعمار من وراء تكوينه للجنة (===)

فالدفعة الأولى التي تخرجت في المعهد ، القسم العالي عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م لم يعين خريجوها إلاّ عام ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م، عندما قضت الضرورة على بعض الخريجين بقبول هذا الوضع المجحف ، وتحت ضغط الحاجة إلى القضاة الشرعيين، عند إغلاق قسم القضاء الشرعي بكلية غردون التذكارية [١]، وعزوف بعض خريجي المدارس العليا ، وكلية الحقوق عن وظائف القضاء الشرعي ، ـ عند ذلك ـ ترقّى حملة الشهادة العالمية إلى عمال قضائيين ، فقضاة حُصِرَ تخصّصهم في الأحوال الشخصية (الزواج والطّلاق والميراث).

وحتى وزارة المعارف في الحكومة الاستعمارية ، لم تعيّن أحداً من حملة الشهادة العالمية في وظائفها قبل سنة ١٩٤٢م ، ولم تتوسع في تعيينهم إلاّ عام ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م، بعد الحاجة الماسة لمدرسي التربية الإسلاميّة ، واللغة العربية ، عند عزوف طلاب ، كلية غردون عن ذلك . [٢]

== العلماء ـ سابقة الذكر ـ حيث أغدق عليها الإنعامات ، وخَصَّها بحضور الحفلات الرسمية ، فأَمِنَ جانبها ، ومن ثمّ بدأ ينفذ أهدافه عن طريق هذه الفئة التي لم تدرك خفايا السياسة البريطانية ، ولم تفطن إلى أنّ ذلك التقرب قصد به خلق نوع من العزلة بينها وبين الارتباط بالقضايا الوطنية والإسلامية .

لمزيد من التفصيل ، انظر : يحيى محمد إبراهيم ، تاريخ التعليم الديني في السودان ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ص ٣٥٤.

وكذلك انظر : الشيخ حسن مدثر ، ماضي المعهد العلمي الكبير بأم درمان ، مجلة معهد أم درمان العلمي ، العدد السادس يناير ١٩٦٣م ص ٣٢ .

غير أنّه على الرغم مما هدفت إليه السياسة البريطانية ، وسعت إلى تحقيقه ، إلاّ أنّ تلك النخبة من العلماء ، قد قامت بدور مشهود في مجال التعليم الديني كما أنّ بعض طلابهم قد شكلوا النواة الأولى من المعلمين الذين اعتمد عليهم التعليم الديني النظامي فيما بعد .

انظر : أحمد سعد مسعود ، السياسة التعليمية في السودان ، مرجع سابق ، ص ٧٦.

(١) انظر : القسم العالي بمعهد أم درمان العلمي ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ٢/١١/ ١٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه .

وكان الاستعمار يهدف من وراء ذلك إلى العمل على إحراث شعور بالدّونية بين طلاب هذا النوع من التعليم عندما يقارنون أنفسهم بنظرائهم في المدارس المدنية العلمانية ، والاستخفاف بهذا النوع من المتعلمين ، واظهارهم في المجتمع في أوضاع متدنية من الفقر ، والحاجة ، ونشر الشعور بأنّهم خارج إطار الحياة الاجتماعية العامة ، أي "دراويش" لايفهمون في الحياة شيئًا " .

وقد نجحت خطة المستعمر في هذا المجال نجاحًا ،فاق ماكان يتوقعه ، إذ بدأ بعض الطلاب يتذمرون على أوضاعهم ، وعلى مستقبلهم الغامض (١) فتخلى كثير منهم عن هذا النوع من التعليم ، وانصرف إلى أعمال أخرى ، وبعضهم حاول تغيير مساره التعليمي بمحاولة الالتحاق بالمدارس العلمانية ، لإحراز شهادة تؤهّله لمتابعة دراسته في المدارس الحكومية إلى الجامعة .

ونوع ثالث: بقي بهذا النوع من التعليم ، ولكنّه مع ذلك ساخط عليه، ناقم على الظروف التي أجبرته على البقاء . وهذا النوع هو الذى تولى الدّعوة إلى تصفية المعاهد العلمية ، وتحويلها إلى مدارس مدنية ، كما حدث بعد ذلك . (٢)

وهناك قلّة هي التي أقبلت على هذا النوع من التعليم مدفوعة برغبتها الذاتية في تعلّم أمور الدين ، والتفقه فيه ، بغض النظر عما يعتور المستقبل من غموض وصعاب .

رابعًا: لما كانت المزايا الاقتصادية لمدارس الحكومة قد تعلّقت بكسب دخول أكبر لخريجها ، فقد تلاشى ماكان يدور بأذهان المواطنين حيالها من شكوك ، ونفور ، فقد كانوا أوّل الأمر ، متوجّسين خيفة من الدخول في هذه المدارس الجديدة ، التي افتتحها اللورد " كتشنر " ، والسّير " جيمس كرى " ، ثم إنّهم أقبلوا من بعد عليها ، إذ كان المتخرّجون من جميع مراحلها يصيبون حظا من وظائف مكاتب الحكومة ، وفائدة ذلك

---

(١) مقابلة مع الأستاذ إبراهيم محمد أحمد سوار . سبق ذكرها .

(٢) راجع مواقف بعض وزراء التربية في عهد مايو ص ٢٤٠، ص ٢٥٣ من البحث .

لاتخفى[(١)] .

فاتجه النابهون من التلاميذ ، وأبناء الشيوخ ، والطبقات المستنيرة إلى ذلك التعليم المدني العلماني ، الذى يقود إلى الوظيفة الحكومية ، وإلى المكانة الاجتماعية المرموقة ، وحرص حتى علماء الدين الإسلامي أن يُدْخِلُوا أبناء هم المدارس الجديدة .[(٢)]

وبعد :

فقد كان هدف الاستعمار البريطاني المسيطر على مقومات الحياة في السودان من إحداث الازدواجية في التعليم ، وتغذية عوامل الفرقة بين التعلمين الديني والمدني هو تأصيل لفكرة فصل الدين عن الدولة ، التي تنادى بها العلمانية ، واضعاف لقيمة الدين في نفوس المواطنين ، وصرفهم عن عقيدتهم الإسلامية ، والنظر إلى خريجي هذه المعاهد العلمية كمواطنين من الدرجة الثانية ، وكذلك اضعاف الثقافة العربية الإسلامية في السودان ، الأمر الذى تأصّل في نفوس السُّودانيين بعد الاستقلال ، وسادت تلك النظرة إلى وقت طويل . حتى أنّ وزارة التربية والتعليم بعد الاستقلال في العهد الوطني لم تعترف بالشهادة العالمية ، للمعهد العلمي العالي إلاّ عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م[(٣)]، أى بعد أكثر من ست سنوات بعد الاستقلال ، فقد كانت تعتبرها شهادة ثانوية ، كما كانت في عهد الاستعمار تماماً ، بل ما تزال تلك الرواسب راسخة في أذهان العديد من مسئولي وزارة التربية والتعليم إلى يومنا هذا .

ويؤكد ذلك ماكان يعانيه معلمو اللغة العربية والتربية الإسلامية من اضطهاد ، حيث كانت الترقيات تتم على أساس أن العلوم الرياضية والطبيعية فى المقام الأول ، ثم من بعد ذلك اللغة الأجنبية ، ثم من بعد ذلك الجغرافيا والتاريخ ، ثم اللغة العربية والتربية الإسلامية . وذلك حتى عهد قريب . وقد زالت تلك الفوارق الآن .

---

(١) انظر : د . عبد الله الطيب : مكان القرآن الكريم في مناهج التعليم الحديث ، مجلة التوثيق التربوى العدد ٣١ ديسمبر ١٩٧٤م ص ٢٥ .

(٢) انظر : الإسلام في السودان - بحوث مختارة ، دار الأصالة ص ٣٠٩ .
وكمثال لما ذكرنا انظر : المستر قريفث ، تجربة في التعليم ، رسالة المعلم - العدد ٤ رمضان ١٣٩٥ هـ ص ٢٨ .

(٣) انظر : القسم العالي بمعهد أم درمان العلمي - دار الوثائق ١١/٢/ ١٢ تعليم .

* المبحث الرابع : موقف الاستعمار البريطاني من القرآن الكريم ومؤسساته التّعليميّة :

لقد وجّه إلى التعليم الدّيني في هذه الفترة اهتمام من نوع خاص، فقد أراد سردار وحاكم عام السودان الجديد " السير ونجت " أن يصنع له سياسة جديدة هدفها :

أولاً: تقليص دور العلماء ووضعهم في دائرة الضوء بحيث تكون كلّ تحركاتهم ، ومايلقون من دروس تحت سمع وبصر الحكومة .

ففي عام ١٩٠١م أى بعد سنتين من اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر عيّن الحاكم العام البريطاني لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم مهمة استشارية له كما ورد في خطابه لهم أدناه :

" إنّه نظرًا لما أحرزتموه من ثقتنا بكم ووثوقنا بعالميتكم ، وفضلكم قد ارتحنا إلى انتخابكم لتكونوا عضوًا للجنة الرئيسية لجماعة العلماء في جامع أم درمان، التي يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف في الجامع المذكور ، وللنظر في تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع ، وفي شئون الطلبة فيه ، وتكون أيضا موضع استشارتنا ، ورؤساء الحكومة السودانية فقط في الشئون الدينية ، وكل ما يختص بالعلم والعلماء دون أن تكون مكلفة بأن تبتكر النّظر في أيّ موضوع من تلقاء نفسها، بل متى عرض عليها من قبلنا ، أو من رؤساء الحكومة ، أمّر من هذا القبيل كان عليها أن تحرّر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاقتضاء التي لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة ، وعلى اللجنة ألاّ تهمل إحاطة الحكومة الاطلاع عليها دينية كانت أم علمية على السواء ، وبالاجمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن تقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم أحسن قيام، يكون من نتائجها ترقية شأن العلم وطالبيه ، وصيانة الشعائر الدينية ، فإنّ ذلك هو الغرض الذى ترمي إليه الحكومة السّاعية فيما فيه سعادة البلاد وأهلها "[١]

---

(١) نقلا عن : محمد سليمان ، دور الازهر في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٢٣-١٢٤. والخطاب محررا في الخرطوم بتاريخ ١٣ يونيو عام ١٩٠١م الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩هـ.

ويلاحظ أنَّ هذا الخطاب قد اشتمل على ضوابط ومحاذير للحّد من نشاط العلماء، الذين أصبحوا موظفين لدى الحكومة غير مكلَّفين في النظر في أيّ مسألة من تلقاء أنفسهم ، بل يكونون رهن الإشارة متى ماطلب منهم أمر ، وعليهم إحاطة الحكومة عِلْمًا بما يدور في أوساطهم وأوساط طلابهم .

ورغم أنّ الحاكم العام أراد بذلك أن يقيد نشاط العلماء بتكوينه لهذه اللجنة التي كونت برئاسة الشيخ محمد البدوى [1]، إلاَّ أنَّ اللَّه قدر لها أن تكون لها بادرة السّبق في تجميع المسلمين وإقامة مؤسسات علمية عنيت في المقام الأول بالشريعة الإسلامية واللغة العربية ـ كما سيأتي .

ثانيا : محاولة إبعاد المسلمين عن الاهتمام بالقرآن الكريم ، بالطعن في طريقة استظهاره وحفظه حتى يتفلت من القلوب فيضيع ويحرَّف، ويبدل شأنه شأن الأديان الأخرى وفاتهم أنَّ اللَّه تعالى قد تكفَّل بحفظه فقال عزَّ من قائل : ﴿ **إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون** ﴾ [2]

وقد تركز الهجوم أكثر ما تركز، على الحفظ ، فكونت عدة لجان، ورفعت مذكرات عدّة كلّها تدور حول الأساليب التي يمكن بمقتضاها اقصاء القرآن الكريم عن القلوب . من ذلك :

- محاولة مصلحة المعارف بمالديها من سلطة من إلغاء نظام الحفظ باستخدام ، المنشورات ، والكتب الدورية المرسلة الى المدرسين . [3]

وقدّم المستر " ج . س سكون " ، المفتش الأول للتعليم ، وأحد قادة الإصلاح بمصلحة المعارف مذكرة عن التعليم في الشمال إلى مدير مصلحة المعارف في

---

(١) أعضاء اللجنة التي كونت برئاسة الشيخ محمد البدوى هم : النذير خالد ، عيسى دوليب ، إبراهيم شريف ، محمد عبد المجيد ، محمد ود الجريف ، محمد الأمين الضرير ، إسماعيل الولي ، محمد أحمد نور ، أحمد المجذوب الجعلي التلب . انظر : محمد سليمان ـ دور الأزهر في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ـ ١٢٦ .

(٢) سورة الحجر الآية (٩)

(٣) انظر : خطاب اللورد كرومر إلى السير غورست في ١٢ نوفمبر ١٩٠٨م عن : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

مايو ١٩٣٢م ورد فيها :" أنّ الخطأ الرئيسي للتعليم يكمن في انتشار النظام الذى يلزم الطّلبة بالحفظ والترديد الببغاوى للعبارات دون ادراك معانيها ، ذلك النظام الذى ورثته المدارس الوسطى ، وكلية غردون عن الخلاوى ". [(١)]

وبعد ستة أشهر من مذكرة سكوت لمدير مصلحة المعارف كونت لجنة " ونتر"[(٢)] التي بحثت مشاكل التعليم ، وأوصت بـ " صرف النّظر عن نظام الخلاوى باعتبارها قليلة النّفع ، وأكّدت اللجنة دور المدارس الأولية ، باعتبارها وسائل حديثة للتربية والتعليم ، وحدد دورها في تلقين العلم الملائم لكلّ من أبناء المدن والقرى " [(٣)]

ولمافشلت تلك المساعي في إحراز النتائج المرجوة ، دعت حكومة السودان ، لجنة " دى لاوار " [(٤)] بناءً على اقتراح من السير " جيمس كرى " لزيارة السودان عام ١٩٣٧م [(٥)] ، وكان مما ورد في تقريرها :" أنّ الجذور العقلية للطلاب اتصلت بالتقاليد في التحصيل والدرس ، وحفظ القرآن ، تتطلب حفظ الدروس عن ظهر قلب ، الأمر الذى جعل التعليم والثقافة الغربيين تبدوان نتاج دولة أجنبية " [(٦)]

ومما جاء في تقريرها أيضا أنّها أوصت :" بأن تكون سن القبول بالمدرسة الأولية مابين الخامسة والسادسة ، وذلك لتخليص الأطفال من عادة الحفظ التي تكتسب عند

---

(١) د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ١٨٩ ـ ١٩٠
معلومات مستمدة شخصيًا من ج . س . سكوت .

(٢) أعضاء هذه اللجنة هم : ر.ك . ونتر مدير مصلحة المعارف " رئيسًا " ، سير هارولد ماكمايكل ـ السكرتير الإدارى ، هـ . و . فاس ، ر . م. مكجريجور (أعضاء) ، ف . ل . جريفت (سكرتيرا).
المرجع السابق ص ١٩٢.

(٣) سكرتارية التعليم والصحة ـ سياسة التعليم في شمال السودان ـ تقرير اللجنة التي عينها الحاكم العام في ٧ مارس ١٩٣٣م. (المرجع السابق ص ١٩٣).

(٤) أعضاء اللجنة هم : دى لاوار (رئيسًا) ، روبرت برتايس مدام فيلبا ، هويت جونز ، الإسكندركر و. مكليان ، ز. ك . ماثيوس ، جون مورى ، هارولد نيكسون ، انظر :د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ٢١٥.

(٥) المرجع السابق والصفحة.

(٦) د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص٢١٨ـ٢١٩ ، نقلاً عن حكومة السودان ، تقرير دى لاوار عن التعليم ، الخرطوم ، ١٩٣٧م.

قضاء سنتين أو ثلاثة بالخلوة قبل الالتحاق بالمدرسة الأولية " (١)

وقد كان لهذا الهجوم الشرس أثره العميق في المجتمع، إذ أدّى كما يقول الدكتور عبد الله الطيب، الذي فنّد مزاعم الاستعمار في هذا الجانب - أدّى - "إلى تطرّق في الفزع منه ، فتجنّبه المدرسون تجنباً، في باب تعلم اللغة العربية والقرآن والحديث ، ولكنّهم استمروا في التمّسك بأسلوب الحفظ فيما سوى ذلك من العلوم، بما فيهن اللغات الأجنبية فتأمل ، ولكأنّ الذى أوقعه النّقد الأوربي لطريقة الحفظ التي كان معمولا بها - عندنا - أنّ المراد بذلك لا الطريقة ولكن المادة " . (٢)

ويرجح بل ويؤكد ماذهب إليه الدّكتور عبد الله الطيب من أنّ المراد بالهجوم على الحفظ المادة لا الطريقة ، مستخلصات تقارير المبشرين " الذين وظفهم الاستعمار للتّنديد، والاستخفاف، بمقومات أمة الإسلام بأسلوب الجدل والمناقشة في قاعات الدرس ، أو بوسائل الطباعة والنشر في الميدان الفكرى ، وبوسائل العون والدّعم والإنشاءات في مجالات أخرى ". (٣)

فمن مستخلصاتهم عن صورة المناهج التي تدرس في معاهد تخريج المبشرين، كما يذكر الأستاذ أنور الجندى، يتبيّن لنا صريح رأيهم في أنّ " المسلمون قوم لهم كتاب يثقون به ثقة لا حدّ لها ، وقد حملت تعاليمه لهم عوامل الوحدة والقوة وهو يدفعهم إلى مقاومة الغاصب والمعتدى والدخيل ، ويشن أعنف مقاومة هي الجهاد ... وقرآنهم يرسم لهم منهج حياة كامل في القانون والسياسة والاقتصاد

---

(١) د . محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان - مرجع سابق ص ٢٢٠ .
لقد اشترطت وزارة التربية في حكومة ثورة الإنقاذ الحالية إلحاق الأطفال بمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم قبل ادخالهم المدارس الإبتدائية .

(٢) د . عبد الله الطيب ، مكان تعليم القرآن الكريم في مناهج التعليم الحديث ، رسالة المعلم ، العدد الرابع ، رمضان ١٣٩٥ هـ ، سبتمبر ١٩٧٥م ، دار النشر التربوى الخرطوم ، ص ٥ .

(٣) د . صابر طعيمة ، أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامي ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ص ٧٣ .

والاجتماع ، ويقدم نظامًا شاملًا يقوم على التَّوحيد ، والأخلاق، والوحدة والمساواة، والعدل الاجتماعي والشُّورى ... وهم إذا ما اتبعوا هذا المنهج فمن المحتّم أن تكتب لهم السيادة ، ولابد أن يزيلوا نفوذ الغرب عن بلادهم لذلك فإنّ أصلح طريق للسيطرة عليهم ، وإدامة هذه السيطرة ، إنَّما يكون عن طريق الحيلولة دون تنفيذ مخطط الإسلام الاجتماعي والسياسي ، هذه الحيلولة لن نكون قادرين عليها إلاّ بتربية جيلٍ يكره هذه المفاهيم ويحتقرها ، ويسخر منها وبها " . (١)

ويكشف لنا مخططهم بوضوح إذا علمنا أنّ الأُفرنج ـ كما يذكر الدكتور عبد الله الطيب ـ : " يُحَفِّظون صغارهم روائع أدبهم حفظاً عن ظهر قلب ، ثم يأخذونهم من بعد ، بقراءة أصناف التعليقات ، ويناقشونهم المناقشة التي تفتّق أذهانهم ، ويمكّن كلّا منهم بحسب قوة إدراكه من النظر وإنشاء الآراء ". (٢)

فهم قد علموا ما للحفظ والاستذكار من أهمية في تثبيت العلم في القلوب فأرادوا اجتذاذ القرآن الكريم من القلوب بالطعن في الطريقة التي تؤدى إليه ، واصمين القائمين عليها بالرجعية ، مما حدا بالبعض من أن يعتذر ويتبرأ عن تلك الطريقة وينادى بما نادى به الاستعمار .

وقد جرّ اهمال حفظ القرآن الكريم كما يقول الدكتور عبد الله الطيب : " إلى كثير من تناسي أهميته ، ثمّ الهبوط شيئًا فشيئًا في مستويات العربية من تحصيل للألفاظ ، وتجويد للخط والإملاء ، وتقويم الألسن في المخارج ، وأساليب البيان ، وقد كثر الآن عدد الجاهلين بقصار المفصّل من خريجي الجامعات ، كما كثر أعداد غير القادرين على التلاوة من المصحف المطبوع، بله المخطوط، من أجل الجهل بالرسم " . (٣)

---

(١) أنور الجندى، الإسلام في وجه التغريب ، دار النصر للطباعة الإسلامية، الناشر دار الاعتصام ، القاهرة ، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) د . عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث، مجلة التوثيق التربوى العدد (٣١) ، دار النشر التربوى ، الخرطوم ، ص ٣٣-٣٤.

(٣) د. عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث، رسالة المعلم، مصدر سابق ص ٥.

ثالثا : محاولة الإقلال من مكانة القرآن الكريم بالحدّ من نشاط مؤسساته التعليمية القائمة .

ومما يؤكد ذلك أنّ " كرومر " كان يرى في تطور التعليم الأوّلي " الخلوة " التي كانت تقوم أساسا على دراسة القرآن الكريم بعض المخاطر ، إذ يثير هذا النمط - في نظره - الحماس الديني والتّعصب ، ولذلك فقد كان من رأيه كما سبق وأن قدّمنا،[1] أن تلّطف دراسة القرآن بتدريس مواد علمانية .[2] وكانت نظرة كرومر للتعليم الديني هو أن :" يقتصر على المعلومات الأولية في الدين الإسلامي ، وأن ليس ثمة لزوم لأى زيادة على ذلك ، بل إنّها تشكل خطورة لا مبرِّر لها "[3] ولذلك عندما أدخل " جيمس كرى " وزير المعارف ما سماه بإصلاح الخلاوى وذلك بتحويلها إلى مدارس " كتاتيب " وأدخل كذلك في مناهجها تدريس الحساب ، ومبادىء العلوم الانسانية ، وذلك للحد من تحفيظ القرآن الكريم وتحويلها عن أهدافها التي أنشئت من أجلها . أدرك العلماء هذا الهدف ، فاحتفظوا لخلاويهم بوضعها الأصلي، خوفا من هيمنة الإدارة الإنجليزية ، وليس رفضًا للحساب ، والمواد الأساسية التي لا يستغنى عنها الإنسان ، ولكن نجد آخرين قد انساقوا وراء هذا النظام الجديد ، تحت ضغط الحاجة والاغراءات المادية . يقول الهادى أبو بكر واصفًا ذلك بقوله :" حوربت خلاوى القرآن ، وراحوا يغرون مشايخها بمنحهم رواتب ثابتة نظير أن يسمحوا بادخال علوم الحساب وقواعد النحو ، ومبادىء العلوم الإنسانية ، ولكن بقدر لا يغني فتيلا ، ثمّ طوّروها ، بعد أن أذعنت لسلطان الحكومة ، وأصبح شيوخها موظفين تنطبق عليهم شروط

---

(١) انظر ص (٩٢) من البحث .

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ٦٥ -٦٦ خطاب اللورد كرومر إلى السير غورست في ١٣ نوفمبر ١٩٠٨ م .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

المستخدمين ، وأصبحت تعرف باسم " المدارس الصغرى ، وبذلك اختفت نار القرآن من مراكز حفظ القرآن الكريم " (١).

وقد نتج عن هذا الوضع الجديد لخلاوى تحفيظ القرآن الكريم، ماعرف في نظام التعليم العام في السودان باسم " ازدواجية التعليم " . وهي أنّ تطوير الخلاوى بالطريقة التي تمت بها "، جعلها في وضع جديد تماما ، فلا هي ظلت خلاوى للقرآن الكريم بالمفهوم الذى عرفت به الخلوة في السودان ، ولا هي أصبحت مدارس أولية مكتملة من حيث مدّة الدراسة ومحتوى المناهج الدراسية ، وكان هذا النظام الجديد، يبيّن لنا البعد الذى قصدته الإدارة البريطانية من هذا الاتجاه في سياسة التعليم ، وقد خلقت تلك الازدواجية كما يقول الأُستاذ : أحمد سعد مسعود :" مشاكل كثيرة لنظام التعليم العام في السودان ، امتّد إلى مابعد استقلال البلاد بفترة طويلة ، ومن أهم تلك المشاكل هي أنّ مدّة الدراسة في المدارس الصغرى هي ثلاث سنوات فقط ، بينما كانت مدة الدراسة في المدارس الأولية أربع سنوات، إلى جانب أنّ مستوى الدراسة في المدارس الصغرى أقل منه في المدارس الأولية ، ونتّج عن ذلك حرمان طلاب تلك المدارس من مواصلة تعليمهم في المدارس الوسطى ، وبالتالي المدارس الثّانوية (٢).

ولعل من الأوجب أن نشير في ختام هذا المبحث إلى ما ينبغي التعويل عليه في المنهج، بين المنهج ذى الطابع القديم، الذى فيه مباينة جوهرية لما عليه منهج التعليم الحديث ، وبين المنهج ذى الطابع الحديث، الذى يُؤمّل الطالب فيه على الحصول على مستوى جامعي معترف به . يمكنه من بعده تحصيل فوائد مماثلة لما يحصل عليه خريجو الجامعات. ومثل هذا الدأب كما يقول الدكتور عبد الله الطيب :" صائر لا محالة بطالب القرآن إلى طلب منهج حديث

---

(١) الهادى أبو بكر نقلاً عن : خضر حمد ، الحركة الوطنية ، الاستقلال وما بعده ، الطبعة الأولى ، الشارقة ، مكتب الشرق والغرب ١٩٨٠م ص ٩ - ١٠ .

(٢) أحمد سعد مسعود - السياسة التعليمية في السّودان وأثرها على التعليم الديني الإسلامي - رسالة ماجستير - مرجع سابق ص ٩٧.

يباعده من حاق (وجوب) الاقبال على حفظه ثمّ يبتعد عنه شيئاً فشيئاً حتى تعود المشكلة كما بدأت .

ولعمرى أنّ هذا الخطر لمستكن أبداً، في ألوان الإزدواجية التعليمية التي تواجهها البلاد العربية والإسلامية في عصرنا هذا الحاضر " (١)

وللحقيقة كما يقول الدكتور الطيب زين العابدين :" فإنّ مادة العلوم الدينية وطريقة تدريسها في ذلك الوقت ماكانت لتعين الطالب على توسيع أفقه ، والمامه بمشاكل العصر ، وتزويده بما يحتاج إليه في الحياة العامة ، وماكانت تعينه على صقل مواهبه ، وتنمية قدراته الفكرية والاجتماعية ، وهكذا اجتمع كسب دارس العلوم الدينية، زائداً سياسة الاستعمار التي قصدت إلى إضعاف الثقافة الإسلامية، وابعاد أهلها عن فاعلية التأثير في الحياة العامة . فأدّيا لأن يتصّدر خريجو المدارس المدنية مجالات الحياة المختلفة " (٢)

وقد وضع الدكتور عبد الله الطيب تصور ما ينبغي التعويل عليه، ومخرجاً من هذه الإزدواجية القائمة، ذات الخطر المستكن موضحا أن التوفر في الحفظ ليس بقاتل لملكة النقد والتحليل كما يتصور المرجفون حيث قال : "....إنّ المخرج عسى أن يكون في المحاولة منّا بجد، أن نجعل القرآن والعربية هي الأصل في التعليم ، كما قد كانا في مجتمعنا القديم ، وأن تجمع إلى ذلك ما استفدناه من تجارب التعليم الحديث ، ومناهجه ، ونقد أصناف النقدة لما كان من مناهجنا القديمة ، وما كان يقع فيها من أخطاء ، وعلينا ألّا نفزع من تهمة التعويل على الحفظ ، فإنه لا يستغنى عن الحفظ في التعليم على أية حال.

(١) د. عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مجلة التوثيق التربوى العدد (٣١) ، مرجع سابق ، ص ٣٢ -٣٣.

(٢) د . الطيب زين العابدين ، التيار العلماني وأثره في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦ .

ولذلك قيل في المثل :" العلم في الصغر كالنقش في الحجر" [١] ، وإنّما يعاب الحفظ بلا فهم ، والخلو من ملكات التحليل والنقد ، وليس التّوفر على الحفظ بقاتل لملكة النقد والتحليل ، وإنّما يقتلها اهمالها ، وقمعها ، وكراهة التصرف من التلاميذ ، وحملهم على إجابة ما يسألون عنه بتكرار ماقيل لهم في ساعة الدرس ، وأمروا بنقله من كتاب معيّن نقلاً لفظياً ليس" [٢]

هذه بعض الوسائل والمحاولات التي مورست من قبل المستعمر في محاربة القرآن الكريم ومؤسساته، سقناها من باب المثال لا الحصر ،بحسب تسلسلها التاريخي، ليدرك القارىء الهجمة الشرسة التي وجهت من عدّو عنيد لايكل ولايمّل ، يغير أُسلوبه،وطريقة مراوغته بين الحين والآخر ، مستعيناً بخبراء دوليين في شئون التعليم لهدم عقيدة الأمة الإسلامية بشتى الوسائل، وقد كان الهجوم عنيفاً . ولكن خاب الفأل .

---

(١) هذا الذى ذكر أنّه مثل روى مرفوعاً عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد ضعيفة عن أبى الدرداء ، وعن إسماعيل بن رافع وغيرهما . وروى أيضاً مقطوعاً من قول الحسن البصرى .أخرج هذه الطرق البيهقى فى المدخل والطبرانى فى الكبير .
انظر : الإمام محمد عبد الرحمن السخاوى ، المقاصد الحسنة ، دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ الناشر دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة ص ٢٩٣ .

(٢) د . عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مجلة التوثيق التربوى العدد (٣١) ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

* **المبحث الخامس : قيام التّعليم الأهلي العلماني كرد فعل لتضييق فرص التعليم :**

المدارس الأهلية التي كانت قائمة في عهد حكومة العهد الثنائي بادىء الأمر تشمل مدارس الإرساليات ، ومدارس الجاليات ، ثمّ كان من بعد ، معهد أم درمان العلمي ، ونظرا لحدوث بعض المتغيرات في سياسة الحكومة ، فقد اتّسعت هذه المدارس لتشمل المدارس الأهلية السّودانية التي كان للاجراءات الصّارمة التي اتخذتها الحكومة ، والتي انعكست سلبًا على السياسة التعليمية ، وبالتالي على المؤسسات التعليمية ، دور في بروز المدارس الأهلية السودانية ، كمنافس للمدارس الأهلية والحكومية التي كانت قائمة .

هذه الإجراءات في مجملها،تنحصر أهدافها في : محاربة الثقافة الإسلامية ، وتشجيع الثقافة الأجنبية ، وتضييق فرص التعليم وتنفيذ سياسة التفرقة والتشتيت للشّعب السوداني .

ففي مجال تشجيع الثقافات الأجنبية : نجد أنّ هناك مساعدات تقدّم للمدارس الأجنبية ، وكانت المدارس الإرسالية وبموافقة الحكومة تحول دون دخول الطلاب الذين اعترض آباؤهم على تلقينهم دروس الدين المسيحي ، حتّى أنهّ قد حدث أن أشيع في عام ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١م أنّ إحدى الطالبات السودانيات بمدرسة الإرسالية الأمريكية بالخرطوم بحرى قد اعتنقت المسيحية . (١)

لذلك كان الاعتراض على تأسيس مدارس سودانية للبنات، أيًّا كان نوعها أهلية أو حكومية ، عنيفًا من قبل الإرساليات والإدارة البريطانية (٢) على حدٍ سواء . وكان رأى كرومر المندوب السامي البريطاني منصبًا في هذا الاتجاه ، فقد كان من رأيه أن تتقاضى الحكومة مستقبلًا رسومًا مدرسية، من البنات حتى لا تشجعهنّ على ترك مدارس الإرساليات ، ولكن برغم ذلك كان يرى أنّ تأسيس مدرسة أهلية للبنات في رفاعة

---

(١) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

سيكون محكاً ، وجس نبض، لما إذا كان هناك إقبال على تعليم البنات في الواقع من الأمر ، كما أنَّه لن يعرّض جهود الإرساليات للخطر في حقل التعليم .[١]

أمّا عن تضييق فرص التعليم ، فقد اتخذت الحكومة بشأنه وسائل عدة من ذلك :-

(١) قفل المدرسة الحربية التي ارتبط إنشاؤها عام ١٩٠٥م بخوف السلطات البريطانية من الأفكار التحررية التي تكونت لدى الضباط السودانيين الذين سبق وأن درسوا في المدرسة الحربية المصرية ، والذين اشتركوا في تمرد قامت به الحاميات السودانية في أم درمان سنة ١٩٠٠م .[٢]

قفلت هذه المدرسة رغم حرص السلطات البريطانية عليها بادىء الأمر . وشرّد جميع طلابها .

(٢) تحويل كلية غردون التذكارية إلى مايشبه الثكنة العسكرية، أكثر منها معهداً للعلم ، ومكاناً لتربية أجيال المستقبل ، وذلك عندما لم تأت سياسة اللين والدبلوماسية بالنتائج الفورية المرجوة لها [٣]، فكان الأساتذة الإنجليز يضيّقون على الطلبة . ويرهقونهم بكثرة الأمر والنهي ويعاقبونهم على أقل هفوة ، أو بادرة، بالجلد الصّارم ، والعقاب الشّديد ، وكان على الطلبة نقل الأتربة ، وكنس الفصول مع حظر الكتب والمجلات المصرية عنهم [٤]، ظنا منهم أنّ تلك هي الطريقة المثلى لتخريج شباب مطيعين مخلصين منقادين لسياسة الاستعمار .

---

(١) انظر محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٢) انظر ، المرجع نفسه ، ص ٩٥ - ٩٦

(٣) انظر : د . نوال عبد العزيز مهدي راضي ، رياح الشمال ، دراسة في العلاقات المصرية السودانية ، المطبعة التجارية الحديثة ١٤٠٥هـ ، ص ٤٠ - ٤١.

(٤) انظر معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ ، وكذلك : مقابلة مع الأستاذ محمد الخير عبد القادر .

* ولمّا لم تؤت تلك الطريقة أُكُلها ، كونت لجنة برئاسة المستر " منـــر " عرفت فيما بعد بلجنة " منر " (١) لدراسة وضع التعليم الجديد ، وضمن ماجاء في توصياتـها تخفيض عدد المقبولين بالمجان والمعانين في كلية غـــردون. وأوصت كذلك بنقل قسم تدريب المعلمين التابع لكلية غردون إلى خـــارج العاصمة بعيدًا عن رقابة الطبقة المثقفة .

وبناء على تقرير اللجنة خفّض عدد طلاب كلية غردون والبالغ عددهم عـــام ١٩٣٠ نحو خمسة وخمسين وخمسمائة طالبًا إلى نحو ثمانية وثلاثين وثلاثمائة طالبًا في سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م. (٢)

(٣) نهج الاستعمار كذلك نهجا جديدًا في التفرقة ، وتضييق فرص التعليم ، وعـــزل الطبقة المثقفة الواعية . من ذلك الأسلوب السياسي الجديد الذى انتهجـــــه " مَـفِي " الذى كان يصدر عن عقلية معادية لتعليم السودانيين ، حيث كـــان يرى أنّ التعليم يهيىء المناخ الملائم لانتشار الجراثيم الناقلة لعدوى الغيـــرة الوطنية .

والأُسلوب الجديد الذى انتهجه " مَفِى " يقضي بالاعتماد على الإدارة الأهليـــة في الإشراف على المدارس الحكومية مع ملاحظة ومتابعة المفتش الإنجليزى فـــي كل مركز ، " وأن تأخذ المديريات ما تحتاجه من صغار الكتبة من خريجــــي المدارس الإبتدائية ، وأن تقسّم السّودان لهذا الغرض، إلى أقاليم متعدّدة ، وأَن لاتكون هناك وزارة معارف مركزية مثل ماهي عليه الآن ، بل تصبح مسألـــة تأسيس المدارس وقفلها مسألة إدارية ، وفقًا لاهواء النُظّار والعمد والمشايـــخ وما يمليه عليهم المستعمر الإدارى ... ولا يأمل الطالب بعد تخرجـــــه

---

(١) انظر : المستر قريفث ، تجربة في التعليم ، مجلة التوثيق ، العدد٣١ ، ص ٣

(٢) انظر : معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، وكذلـــك : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ١٧٧.

أكثر من أن يعرف الكتابة والقراءة العربية ، وأن يبقى حيث كان في قريته ، وأن تكون هذه المدارس بعيدة عن المدن، لأنهم لايريدون للطلبة الاختلاط بالعناصر المستنيرة الموجودة في المدن فيتسع أفق إدراكهم ، وتنمو أسباب قوتهم " (١)

ويزيد الأمر وضوحًا في تضييق الحكومة لفرص التعليم، إذا عرفنا أنَّ ميزانية حكومة السودان في ذلك الوقت، تزيد على أربعة ملايين من الجنيهات، وأنَّ مايصرف على التعليم، لا يتجاوز المائة والأربعين ألف جنيها ، وأنَّ هذا المبلغ المخصص للتعليم قد أخذ ينقص ، فلقد كان المنصرف على التعليم في عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م نحو ٩٥٥ر١٩٤ جنيهًا والدخل هو ٨٤٣ر١٨ جنيهًا ، فنقص المنصرف على التعليم في ميزانية ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م إلى ٦٣٣ر١٦٦ جنيهًا وزيد الدخل إلى ٥٢٨ر٢٤ جنيهًا ، فكان صافي مايصرف على التعليم لا يتجاوز ١٤٠ ألف جنيه، معظمها مرتبات للإنجليز (٢) - إذا أدركنا ذلك - عرفنا سوء قصد الحكومة من هذه السياسة الرامية إلى حصر التعليم وتضييق نطاقه، وجعله أمرًا محليًا ، ومحاربة كلّ من يود الاستزادة في التعليم خارج البلاد وبخاصة مصر .

وقد كان جمس كرى وكرومر وكتشنر وونجت الرواد الذين وضعوا أسس السياسة التعليمية في السودان، يهدفون من وراء إتاحة فرص التعليم العام لفئة صغيرة، إلى اضعاف الحركة الوطنية ، ومحاصرة الثقافة الإسلامية ، وقد كانوا مدفوعين - وبخاصة كرومر - باعتقادهم الجازم بأنَّ من تبعات التَّعليم الطبيعية ، ميلاد طبقة وطنية تسعى للتخلص من الحكم الاستعمارى .

ولذلك كان كرومر يوجه دائمًا تعليماته، كي يقتصر التعليم على نفر تحتاج إليهم الدولة في وظائفها (٣) وهو المبدأ المسمَّى عندهم " بقدرة الاستيعاب " (٤)

---

(١) معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، مرجع سابق ، ص ٣٦

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٤) انظر : محمد خير عثمان ، قصة التعليم الأهلي في السودان ، مجلة الخرطوم ، العدد التاسع ١١ صفر ١٣٨٦هـ السنة الأولى ص ١٨ .

أى العرض والطلب في مجال التعليم .

وكان يوجه أيضًا بأن يقتصر التعليم على نفر يخلفونهم بعد رحيلهم .

ونتيجة لهذه الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لتضييق فرص التعليم ، طالب المثقفون بتوسيع فرص التعليم ، لإشباع الحاجة المطّردة ، والطلب المستمر للتّعليم بين أفراد الشعب .

وتحت الإصرار والضغط على الحكومة ، صدر قانون المدارس الأهلية عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م .(١)

وكانت مدرسة أم درمان الأهلية الوسطى هي أوّل مدرسة أنشئت بعد هذا القانون عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م ، وكان السبب المباشر في إنشائها ، هو مطالبة الإرسالية الأُمريكية بأم درمان سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م للطلاب المسلمين بحضور دروس النصرانية(٢). بل إصرارها على تعليم الديانة النصرانية ، ومطالبتها أولياء أمور التلاميذ بكتابة إقرار بالموافقة على تعليمهم المسيحية ، أو سحبهم من مدارسها ، ومحو أسمائهم فتحمس الناس لإنشاء المدرسة الأهلية .(٣)

ثمّ أنشأ الأُستاذ بابكر بدرى بعد ذلك عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م مدرسة أولية للبنات ، وهي أول تجربة نظامية لتعليم الفتاة السودانية ، إذا استثنينا مدارس الإرساليات التي كانت هي المؤسسات التعليمية الوحيدة التي تستقبل الفتيات المسلمات السودانيات . وعندما أُلْحِقَ بمدرسة الخرطوم الأولية للبنين أول فصيلة لتعليم البنات ، عارضت جمعية الكنائس الإرسالية بالخرطوم ذلك القرار ، على أساس أنّ فتح مدرسة حكومية للبنات يجعل مدرسة الإرسالية الإنجليزية بالخرطوم عملاً مكررًا ، وقد يؤدى إلى انسحاب

---

(١) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٧٤

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ١٧٢ ، وكذلك : حكومة السودان ، تقارير المديرين ، ١٩٢٥م ص ٢٦٤ .

(٣) انظر : خضر حمد ، مذكرات خضر حمد ، الحركة الوطنية السودانية ، الاستقلال وبعده ، الخرطوم ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

السودانيات منها • فكانت النتيجة أن أُغلق الفصلان اللذان افتتحا لتعليم البنات، وقد أدّى ذلك إلى عرقلة تطور تعليم البنات في السودان • (١)

وبدأت هذه المدارس تتكاثر عندما قام مؤتمر الخريجين عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ، وناشد الوطنيين التبرع للتعليم ، حتى أنّه في الفترة مابين ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م و ١٣٧٠ - ١٩٥٠م أُنشئت مدارس أهلية وسطى،أكثر عددًا من المدارس الحكومية في فترة الحكم الثنائي • (٢)

وكان السبب في هذا التّفوق هو مباركة الحكومة الثنائية،قيام مثل هذه المدارس عندما اطمأنت على أنّها سائرة في خطها العام ، منفذة لخططها ، وقد صرّح بذلك المستر " روزفير " أحد مديرى مصلحة المعارف بالسودان خلال سنّي الحرب، والذى كان صريحًا في التعبير عن هذا التّحوّل في سياسة الحكومة ، فقد قال في مذكرة له بشأن المدارس الأهلية الثانوية : " إنّ تعليم الشعب بالشعب وللشعب مسئولية مقدّرة ، وعلينا أن نشجعها ••• ومن الحكمة أن نتيح لهذه المدارس أن تقوم حتى ولو كان مآ لها الفشل ••• وليس من رأيي أن نعترض على قيام هذه المدارس بدعوى أنّ عدد طالبي الوظائف سيتضخم بخريجها ، فقد آن الأوان لفصل التعليم عن التوظيف " • (٣)

ورغم تلك المبادرة من قبل حكومة العهد الثنائي إلّا أنّها في الوقت ذاته كانت تخشى أمرين :

الأول : ميلاد طبقة مثقفة تهدد سيادتها على البلاد في المستقبل •

الثاني : غضب جمعية الكنائس الإرسالية بالخرطوم •

---

(١) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص١٠٠-١٠١

(٢) انظر : وزارة المعارف السودانية ، التعليم في العهد الوطني ، دار الوثائق المركزية : Dept. R. 6/18/198 .

(٣) محمد خير عثمان ، قصة التعليم الاهلي في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٩ •

لذلك قامت الحكومة بمحاولات للموازنة بين هذين الأمرين ، ولكن موازنتها قد انطوت على كثير من المفارقات، من حيث المعاملة بين أنواع المدارس الأهلية المختلفة ، مما يدلنا على أنَّها لم تقصد الموازنة في حد ذاتها ، بل قصدت الترجيح والتحجيم ، وكمثال لذلك : " نجد أنّ عدد المؤسسات التَّعليميَّة الأهلية في عام ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م كان نحو أربع عشرة مؤسسة ، تتلقى ست منها فقط ، إعانات حكومية تبلغ في مجموعها أربعمائة جنيه فقط في العام ، ويبلغ عدد طلبتها ألفان وستمائة طالب. بينما تتلقى خمس مدارس تبشيرية في السُّودان الشَّمالي ، ولا يتعدى عدد تلاميذها ألف وأربعمائة تلميذ ، أكثر من ألف وسبعمائة جنيه في العام " (١)

ونجد كذلك أنّ من شروط إنشاء المدارس الأهلية ألّا تكون الحكومة ملزمة بالحاق خريجيها في الوظائف العامة (٢)، وكان هذا هو المحك الرئيسي في التفاضل بين المدارس الحكومية والإرسالية من جهة ، وبين المدارس الأهلية الأخرى من جهة أخرى .

وكان من المؤمل،أن تقوم هذه المدارس الأهلية بدور ريادى في مجال التعليم الإسلامي،خاصة وأنّ الأسباب التي حدت على إنشائها تحتّم عليها ،ألّا تسير على المنهج العلماني الذى وضعته الحكومة الإستعمارية ، قاصدة بلبلة الأفكار ومحاربة الإسلام.

ولكن رغم ذلك نجد أنّ التعليم الأهلي باستثناء معهد أم درمان العلمي بمراحله المتعددة ، والذى كان أقرب إلى الأزهر الشريف في مناهجه ، ورافدًا أساسيا للثقافة الإسلامية ، باستثناء هذا المعهد وفروعه في مدن السودان المختلفة ، كان التعليم يقوم على أساس علماني صرف . فمناهج هذه المدارس الأهلية هي نفس المنهج العلماني الذى كان يدّرس بالمدارس الحكومية ، مع إحكام اللوائح الخاصة المنظمة لهذه المدارس من قبل الحكومة الإستعمارية ، والإشراف والتفتيش المستمر لها .

---

(١) محمد خير عثمان ، قصة التعليم الأهلي في السودان ، مجلة الخرطوم ، مرجع سابق ، ص ١٩

(٢) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٧٣.

وبذلك تكون هذه المدارس قد قدّمت - قصدت أم لم تقصد - عملاً جليلاً للاستعمار والتبشير الذى نادى أساطينهم في مؤتمرات عدّة ، بهذا النّوع من التعليم. من ذلك ماقاله المبشر " تكلي " : " يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأنّ كثيرًا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن ، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية ، وتعلّموا اللغات الأجنبية " (١)

ويقول المبشر " صمويل زويمر " : " مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهّل إلتحاقهم بها ، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب " (٢)

وهكذا رأينا كيف أنّ الاستعمار بتضيقه لفرص التعليم قد ساعد فى ايجاد نوع من المدارس الأهلية، قائمة على نمط المدارس التى أنشأها ، رغم أنّ الأسباب الّتى حدت على انشائها ، كانت تحتّم عليها ألاّ تسير على المنهج العلمانى الذى وضعته الحكومة الاستعمارية . وهنا يبرز دور الغزو الفكرى فى تطويع هذه المدارس ، وترويض القائمين عليها للسير بها على منهج المدارس التغريبية القائمة آنذاك .

---

(١) د . مصطفى خالدى ، د . عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٨٨

(٢) محب الدين الخطيب ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٨٢

* المبحث السادس : وسائل فصل الجنوب عن الشمال :

يدين كلّ ملة تضع سياسة تعليمية،أن تسعى ، وبشتى السُّبل إلى تنفيذها بدقة ، وإحكام لتثبيت مبادئها ، وزيادة عضويتها وترويج مذهبها ، إضافة إلى إقرار وتنفيذ أهداف وسياسات أخرى مساعدة،تتّصل بموضوعات المعرفة ، وصور البناء الحضارى وشكل بناء المجتمع وغير ذلك ٠

من أجل ذلك نجد أنّ الاستعمار قد اتّخَذَ وسائل متنوعة في سبيل تحقيق أهدافه،التي قصد بها الحدّ من التغلغل السَّريع للإسلام بين السكان ، والتي من شأنها تنشئة أجيال متحللة من دينها ، عقيدةً وسلوكاً ، وأخلاقاً ، مدينة بالولاء والطاعة له ، منسلخةً عن ولائها للإسلام ، مقتبسةً من العادات والتقاليد الغربية، وكلّ أنواع السلوك التي تأباها الإسلام ٠

فزرعوا العصبية البغيضة بين أبناء الوطن الواحد - بين الجنوبين والعنصر العربي في الشمال ، فأشاعوا بين الجنوبيين ، ولقنوهم أنّ الاسلام الذى يدعيه هؤلاء الشماليون العرب، إنّما هو نوع من الإستعمار والإستعباد ، يريدون فرضه عليهم في الجنوب خاصة ، وفي القارة الأفريقية عامة ، وقد ركّزوا في تحقيق هدفهم على بذر الكراهية للعنصر العربي ، الذى يجد احتراما وتقديرا ، في تلك المناطق ، لما تحمل لغته من ثقافة الإسلام وحضارته ، فبذلوا كل مايملكون لمحاربته ، والحد من نشاطه وكل ما اتصل به ، والهدف من وراء ذلك هو صدّ الاسلام من التغلغل إلى تلك الأذغال الناشية في الجنوب ٠

ففي بداية الحكم الثنائي ، أُنشئت عدة مدارس نظامية،تجمع خليطاً من أبناء الجيوش المصرية ، والسودانية (شماليين وجنوبيين) في كلّ من جوبا ، وواو ، وملكال (١)

---

(١) انظر : د ٠ فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الادارة البريطانية ، مجلة الدراسات الأفريقية - العدد الأول ، رجب ١٤٠٥هـ - ابريل ١٩٨٥م ، المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، ص ٧٦ ٠

تحت إشراف مدرسين من الضباط المصريين ، أو السودانيين الشماليين ، وكانت السمة البارزة لهذه المدارس ، أنها تدرس المقررات الأساسية باللغة العربية وقد أظهرت الإحصائيات أنّ جميع التلاميذ المسجلين بمدرسة " واو " عام ١٣٢٢هـ -١٩٠٤م ، كانوا يتكلمون ويكتبون بالعربية .(١)

وقد استرعى ذلك انتباه الحاكم العام السير " وينجت " باشا الذي زار المدرسة ورفع تقريرًا ، أهم ما جاء فيه :" قد لاحظت في زيارتي للمدرسة ، تعدد الجنسيات فيها ، وكذلك الدين ، إنّ مسألة التعليم في المراحل الأولى ، يجب أن تُراعى جيدا . لأنّ ذلك " تُوَرِّط " الحكومة في مشاكل هي في غنى عنها ، وقد لاحظت أنّ كلّ الطلبة يتكلّمون العربية ، إلى جانب اللهجات المحلية ، ومعنى ذلك أنّهم يعتنقون الإسلام ، ولاشك في أنّهم اعتنقوه بعد دخولهم المدرسة، وإذا استمر الحال على هذا المنوال، فسوف تخرج المدرسة تلاميذًا يتحدثون العربية ، ويدينون بالإسلام ، ولايحسنون لغتنا ، وهذا أمر مرفوض تماما ، لأنّ اللغة العربية لمعظم سكان مديرية بحر الغزال لغة أجنبية ، كما هو الحال على لغتنا ، وعليه ، فإنّ توجيهاتنا؛ أن يقتصر التعليم في بحر الغزال على المرحلة الأولية فقط "(٢)

وأوصي في نهاية التقرير بتصفية هذه المدرسة ، وتجميع أبناء الجيش والمدنيين المسلمين في مدرسة خاصة داخل ثكنات الجيش .(٣)

وفي عام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م كتب " ونجت " إلى حاكم بحر الغزال(٤) يبلغه أنّه : لايجوز تدريس اللغة العربية لغير المسلمين في بحر الغزال، نظرًا لأنّها لم تكن

---

(١) انظر صورة الوثيقة رقم / ٥٧ ص٨١-٦ التي تحتوى على قائمة بأسماء تلاميذ مدرسة " واو " في ١٩٠٤/١١/١٨م بامضاء ناظر المدرسة ، أحمد عزت .

(٢) د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ ، نقلا عن OP. Cit. Ds. O- , S.S.A. , A Courring letter from Wingatse Governor General to Mudir of Bahr El Gazal School on 21. November, 1904 .

(٣) انظر : د. فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٤) انظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

ابتداءً لغة القبائل هناك ، وأنّه لما كانت اللغة العربية تحوى دائما إشارات إلى النبي محمد ، فإنّ اللغة الإنجليزية ينبغي أن تكون هي لغة التعليم .

ودارت للغرض نفسه عدة لقاءات ومشاورات بين الأسقف "جيبار" من رجال الإرسالية الكاثوليكية ، والأسقف "جواين" ، والقس "أ.شو" من جمعية مبشرى الكنيسة [١]، انتهى فيها الرأى إلى أنّه مالم يمنح أبناء الجنوب الناطقين بالإنجليزية الأفضلية في وظائف الحكومة، على من يتكلّمون العربية ، فلن يكون هناك حافزٌ يدفع المبشرين ، أو الطلاب إلى دراسة اللغة الإنجليزية . وكتب "جواين" إلى " وينجت " في ذلك يقول إنّه : "إذا بذلت الحكومة جهدًا لتشجيع استخدام اللغة الإنجليزيّة كأداة يمكن من خلالها اتمام الأعمال ، والصّفقات مع أبناء الجنوب ، فإنّ ذلك سيكون حافزًا للسكان المحليين لدراسة لغتنا - أى الإنجليزية - ويمنح المبشرين المسيحيين فرصة ضئيلةً في مواجهة المميزات الجمّة التي تبدو أنّها متوفرة الآن للإسلام في جنوب السودان" . [٢]

---

(١) كانت جمعيات التبشير التي أنيطت بها تنفيذ السياسة التعليمية في المديريات الجنوبية هي : جمعية آباء فيرونا الإيطالية للروم الكاثوليك ، وجمعية الإرسالية الإنجيلية ، والإرسالية الأمريكية المتحدة ، ولم تدخل الإرسالية الأسترالية النيوزيلندية المتحدة هذا المجال إلاّ في عام ١٩١٣م ، وجاء تقسيم الجنوب إلى مجالات للنفوذ ، واصدار القرارات المنظّمة للعمل التبشيرى في عام ١٩١٥ م فتقرر أن يكون في كل منطقة إرسالية واحدة ونظام واحد للتعليم ، وكان طراز التعليم ومدى انتشاره في كل منطقة، يتوقف على الموارد المالية والسياسة التعليمية لكل إرسالية .
أنظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ص ٦٦ .
ولمزيد من التفصيل عن نشاط هذه الإرساليات في المجال التعليمي .
أنظر : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ومابعدها .

(٢) د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق، ص ٧٠
نقلا عن : Letter from Gwynne to Wingate , Khartoum December 26, 1910 , SAD/103 .

وحددت مذكرة خاصة بالسودان من أوراق اللورد " منر " الهدف من سنّ قانون المناطق المقفلة عام ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢ م ، بأنَّه :" كان يهدف لعزل تلك المديريات عن المؤثرات الإسلامية، لأبعد حدٍ ممكن " ، وتمضي المذكرة فتقول "إنَّ فصل الجزء الجنوبي " الأسود " عن الإقليم الشَّمالي (العربي) من السودان ، وضَمّه آخر الأمر إلى إدارة أخرى تنشأ في أواسط أفريقيا، مازال موضع نظر المسئولين ". [١]

وبناء على توجيهات السكرتير الإداري في مقارنة الحضارة الإسلامية العربية في المديريات الجنوبية، كتب مدير بحر الغزال إلى مفتش " راجا " ـ من مراكز المديريات التي انتشرت فيها اللغة العربية ـ قائلاً :" أرجو أن تذكر دائمًا أنَّه ينبغي عمل كلّ شيء ـ وإن بدا صغيرًا تافهًا ـ يكون من شأنه المساعدة ، ولو بقدر ضئيل ، على محو اللغة العربية، وتشجيع اللهجات المحلية ، والوعي القبلي ، واللغة الإنجليزية بدلاً عنها ، فلابد من إيقاف استعمال الكلمات العربية ، مثل " شيخ " و " سلطان "، واتخاذ العبارات المقابلة لها في اللهجات المحلية ـ كلفظة " بنج " مثلا في مناطق الدّينكا ، كما ينبغي حث زعماء العشائر ، وعامة الناس على الحفاظ على أسمائهم القبلية ، أمَّا الذين تخلَّوا عن تلك الأسماء، واتخذوا أسماء عربية بدلاً عنها فيجب ألاَّ يشجعوا على استعمالها " [٢]

---

(١) د . مدثر عبد الرحيم ، سياسات الإدارة البريطانية ، والجمعيات التبشيرية المسيحية في مديريات السودان الجنوبية ، ضمن المؤتمر الأول (الإسلام في السودان) المحور الرابع " التيارات المناوئة للإسلام " نقلاً عن : المذكرة الخاصة من أوراق اللورد " ملنر " المحفوظة في مكتبة " نيو بولد " ج باكسفورد المؤرخة بتاريخ ١٤ مارس ١٩٢٠م الخرطوم .

(٢) البروفسور مدثر عبد الرحيم ، سياسات الإدارة البريطانية ، والجمعيات التبشيرية في مديريات السودان الجنوبية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .
نقلاً عن : خطاب مدير بحر الغزال إلى مفتش " راجا " بتاريخ ١٩ مارس ١٩٣٠م ، دار الوثائق المركزية . CS-ICI

وقد أرسل المفتش بدوره خطاباً شديد اللهجة إلى الخواجه "أمانيويل لاتموتيرس" قال فيه :"لقد اتضح لنا أنكم رغم تنبيهاتنا المتكررة، مازلتم توالون صناعة الملابس العربية، وبيعها بكميات كبيرة، ولذا نلفت أنظاركم، إلى أن صناعة الملابس العربية، وبيعها ستكون منذ اليوم ممنوعة منعاً باتاً، فإذا أردتم تفصيل أي قمصان في المستقبل، فلتكن ذا ياقةٍ وفتحةٍ أمامية، على الطريقة الأوربية، وليست بأعناق مستديرة كقمصان البقارة من أهل دارفور. كذلك ينبغي أن تكفوا منذ اليوم، عن صناعة الطواقي التي تلف عليها العمائم، كما عند القبائل العربية، إننا بموجب هذا الإنذار، نمنحكم فرصةً تمتد إلى آخر فبراير، تتخلصون فيها من الكميات الموجودة عندكم من الملابس العربية، وليكن معلوماً لديكم أن الأوامر المذكورة أعلاه تنطبق أيضاً على جميع الوكلاء وأصحاب مكنات الخياطة الموجودين خارج المدينة" (١)

وبناءً على هذه التقارير التي كُتِبت، والرسائل التي تُبُودلت، والمناقشات التي دارت، وما ادّعاه أحد المبشرين في خطاب للحاكم العام، من أن مدير مدرسة (واو) قد مَنَع أحد رعاياه من مزاولة نشاطه التبشيري في المدرسة في أوقات فراغه، - بناء على ذلك - اتّخذت الإدارة البريطانية في الجنوب عدّة وسائل وتدابير للحد من نشاط هذه المدارس التي تعتمد على اللغة العربية والتربية الإسلامية، كخطوة أولى، خوفاً من إثارة المسلمين، وخوفاً كذلك من أن تتخذ، سياستهم للطرف الثاني الشريك في الحكم.

* **من هذه التدابير الأولية التي اتّخذت :** (٢)

(١) عدم الصرف على هذه المدارس.

(٢) تأجيل مطالبها.

---

(١) البروفسور : مدثر عبد الرحيم، سياسات الإدارة البريطانية والجمعيات التبشيرية المسيحية في مديريات السودان الجنوبية، مرجع سابق، ص ٢٠ - ٢١.
نقلا عن : خطاب مفتش "راجا" إلى "أمانيويل لغوتيرس" Mr.Emmanuel Lagotevis بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٥م دار الوثائق المركزية : CS-ICI

(٢) انظر : د. فيصل محمد موسى، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٣) عدم فتح فصول جديدة أُخرى بهـا ٠

(٤) اتخاذ موقف من الموجهين الدّينيين ، حيث كان ينظر إليهم على أنّهم جرثومة خطيرة "٠

كانت تلك هي الخطوة التّنفيذيّة الأولى لتغيير نظام التعليم القائم في الجنوب آنذاك ، ولم تلبث تلك التدابير أن أصبحت فيما بعد، هي السياسة الرسمية المنفّذة ، حيث صدرت بشأنها التّعليمات لحكام الأقاليم [1] بالجنوب بتطبيقها دون ضجة ، فأصبح الأمر المرغوب فيه أمرًا واقعًا ٠

أمّا الخطوة التّنفيذيّة الثّانية التي نلحظها لهذا الغزو الفكرى، فقد قسّمها الدكتور فيصل محمد موسى إلى ثلاث [2] مراحل :

* **المرحلة الأولى :** مرحلة انفراد المبشرين الأوائل بنشر التعليم في جنوب السودان ، وقد امتدت هذه الفترة منذ سقوط دولة المهدية ، وبداية الحكم الثّنائي حتى عام ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م ، وكان التّعليم يسير بطريقة غير منظمة وبدون أيّ إشراف من الحكومة ٠

* **المرحلة الثّانية :** هي المرحلة التي تعاونت فيها الإدارة البريطانية، وجمعيات التبشير المسيحي على نشر التعليم ، ولكن بطرق مُنظّمة ، وتحت إشراف ومراقبة الحكومة ، وقد امتدت هذه الفترة من عام ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م حتى عام ١٣٦٥هـ ـ١٩٤٥م [3]

* **المرحلة الثّالثة :** وهي المرحلة التي انفردت فيها الإدارة البريطانية بالإشراف الكامل على التعليم في الجنوب وامتدت هذه الفترة منذ عام ١٣٦٥هـ ١٩٤٥م حتى عام ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م٠

---

(١) انظر : د ٠ محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ص ٧٠ نقلا عن : Letter from Wingate to Governor Bahr El Gazal , Khartoum , Dec. 27,1910, SAD/103

(٢) انظر د ٠ فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، مرجع سابق ص ٧٧

(٣) انظر : د ٠ إبراهيم عكاشة ، التبشير الديني في جنوب السودان ، رسالة دكتوراة من جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م ص ١٥١٠

والمرحلتان الأولى والثانية أكثر أهمية من التي تليهما . ذلك لأنّهماكونتا الأساس الذى انبنى عليه تنفيذ السياسة التعليمية الجديدة القائمة على محاربة الوجود الإسلامي والعربي ، أمّا المرحلة التالية لهما ، فبرغم أنّها شهدت أيضاً تغيرات جوهرية فيسياسة الحكومة الرامية إلى إزالة الآثار العربية والإسلامية كسابقتيها ، إلاّ أنّها شهدت أيضاً تراجعاً، في تنفيذ هذه السياسة لاقتناعها بعدم واقعيتها . (١)

ومن هذا المنطلق سأقصر الحديث على المرحلتين الأولى والثانية لأهميتهما .

* **المرحلة الأولى :**

انقسمت مدارس الإرساليات في هذه المرحلة إلى نوعين من المدارس :

(١) مدارس أحراش . Bushes Schools (٢)

(٢) ومدارس أولية Elemntry Vernacular Schools (٣)

---

(١) انظر : حسن مكي محمد أحمد : السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، الطابعون : معامل التصوير الملون السودانية ، الناشر ، المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ص ٢١ .
وانظر كذلك : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٢) مدارس الأحراش اصطلاح غير رسمي لمدرسة الإرسالية التي يقوم بالتدريس فيها مبشرون أو مدرسون وطنيون ، تمّ تعميدهم وتنصيرهم وحصلوا على شهادة التدريس التي تؤهلهم للتدريس في مدارس الأحراش ، وقد أصبحت هذه المدارس تقع تحت قائمة المدارس دون مستوى البداية : The Sub-Grade Schools بعد صدور قانون تصنيف أنواع المدارس سنة ١٩٢٧م.
انظر : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ص ٧٨ .

(٣) المدارس الأولية هي التي تلي مدارس الأحراش ، وغالباً ماتوجد المدرسة الأولية داخل مركز التبشير ، وتغذى هذه المدرسة بالمبرزين من التلاميذ من مدرسة الأحراش وهي موزّعة على المناطق ذات الكثافة السكانية العالية .
انظر : المرجع السابق ، والصفحة.

أمّا مدارس الأحراش فالدراسة فيها غير منتظمة ، وباللغة الدارجة ، والتلاميذ فيها غير مقيدين بسنٍ معينة ، والمادة التي تدّرس فيها هي : تلقين مبادىء الإنجيل والإلمام بالقراءة والكتابة إن أمكن ، ولذلك فإنّ مدارس الأحراش في تلك المناطق تعتبر من أهم المراحل في نشر المسيحية لأنّها تقوم بإعداد الطفل وتنشئته نشأة مسيحية ، حتى إذا انتهى من هذه المرحلة ، اعتبر رسميًا مسيحيًا ، وأخذ اسمًا مسيحيا بدلًا عن اسمه القبلي أو العربي .(١)

وكانت الكنائس تختلف في كيفية تنفيذ سياسة المبشرين المسيحيين التعليمية في هذه المرحلة ، فبينما كان بعضها يشترط على من يريد تعلّم القراءة والكتابة أولًا أن يقبل المعمودية ، وكان البعض الآخر يرى أنّ تعلم القراءة والكتابة شرط ضروري للتعميد .(٢) فكانت هذه المدارس شبيهة في وضعها بمدارس الهيئآت الدينية في دول أوربا الغربية (٣) ، حيث يطغى فيها الاهتمام ببسط السلطان الروحي على الأغراض التعليمية الخالصة ، بيد أنّ التعليم في حدّ ذاته كجزء من حركة الإصلاح ، عام يشمل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، ويكون تأثيره هامشيًا ، وغير فعال إذا جاء كخطة منعزلة لا تراعى الجوانب جميعها .

وأمّا المدارس الأولية والتي تستخدم اللهجة العامية " Vernacular " فمدة الدراسة فيها أربع سنوات دراسية يتلقى التلاميذ فيها تدريبا منتظمًا على أيدى مدرسين من المبشرين ، أو مدرسين أفريقيين ، وقد أصبحت الإنجليزية هي لغة التعليم منذ

---

(١) انظر : د . إبراهيم عكاشة ، التبشير الديني في جنوب السودان رسالة دكتوراة من جامعة القاهرة ١٩٧٨م ص ٥٦ .
وانظر كذلك : د. محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سباق ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، المرجع السابق ص ٦٧ .

(٣) انظر : وزارة التربية بجمهورية السودان ، التربية السودانية تقويم واستراتيجية عمل يناير ١٩٧٧م ص ٦.

اعتمدت السياسة المقررة إزاء اللغة [١] ، وكانت المواد والمناهج وأساليب التعليم تختلف من إرسالية إلى أخرى ، وإن كانت جميعها تخصّص جانبًا كبيرًا من الوقت لدراسة الدين المسيحي . [٢]

أمّا الطلاب الذين يكملون هذه المرحلة،فيحصلون على شهادة تؤهلهم لدخول المدارس الوسطى،أو العمل كمدرسين في مدارس الأحراش،أو الانخراط في السّلك الكنسي، أو العمل في دواوين الحكومة ، أو مساعدى كتبة أو فراشين في المرافق الحكومية ..الخ [٣]

فيلاحظ أنّ خريجي هذه المدارس الأولية الكنسية تتاح لهم الفرص في الدواوين الحكومية بشكل ملفت للنظر ، رغم أنّ الحكومة لا دخل لها بالتعليم لا في وضع مناهجه ولا حتى في الإشراف عليه ، ممّا يؤكد لنا أنّ هناك أمورًا خفية، غير معلنة ، وأنّ هناك قصدًا وراء ترك أمر التعليم في الجنوب للإرساليات في هذه الفترة لأنّ الأسباب التي ذكرت من ضعف الإمكانات ، وشح الموارد ، ليست مقنعة خاصةً إذا علمنا أنّ هناك بعض المدارس الأولية كانت قائمة من ذى قبل في جوبا وواو وملكال . [٤]

* **المرحلة الثانية :**

شهدت هذه المرحلة تغييرات في السياسة التعليمية في الجنوب تبعًا للتغييرات التي شهدتها الساحة السياسية في شمال البلاد وفي مصر [٥]، حيث اقتضت الظروف

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ص٧٢ وانظر كذلك ، د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ص ٧٨ .

(٢) انظر: د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، المرجع السابق ص ٧٣

(٣) انظر د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، المرجع السابق ص ٧٩ .

(٤) انظر ص (٦١) من البحث .

(٥) لقد طالب الشيخ المراغي شيخ الأزهر بإلغاء الدعم الحكومي للإرساليات وإرسال بعثات إسلامية للجنوب أسوة بالبعثات المسيحية حسب ما نصت عليه اتفاقية سنة ١٩٣٦م ولكن " سايمز" بدهائه استطاع أن يقنع المسئولين في الحكومة المصرية بصعوبة ارسال بعثات تبشيرية إسلامية فانظر شيخ الأزهر للعدول عن موقفه.
انظر : د. فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ص٨٥ـ٨٦ .

رفع مستوى التعليم ، وتدريب الكوادر، ليتسنى الفصل بين جنوب البلاد وشماله ، ومن ثم كان التعاون واجبًا إلى أقصى حد مع الجمعيات التبشيرية العاملة في جنوب السودان . ومن هنا جاءت فكرة إعانة الحكومة للنشاط الكنسي لتسيير النشاط التبشيري في مجال التعليم وفق خطط من شأنها أن تعود بفائدة عاجلة على الحكومة ، والعمل الجاد على إزالة الآثار العربية والإسلامية من جنوب السودان من خلال تنفيذ هذه السياسة التعليمية . (١)

ورغم أنّ هذه الفكرة قد وجدت معارضة شديدة من الكنيسة خوفا من أن تعرقل تدخل الحكومة ، لنشاط الجمعيات الكنسية ، اعتبارا ماللهيئات التبشيرية المسيحية من ارتباطات خارجية تقتضي ألّا ينظر لنشاطها من زاوية تعليمية محلية ضيقة (٢) - رغم ذلك - ، فإنّها رضخت للأمر الواقع في نهاية المطاف ، خاصة وأنّها كانت في وضع متردّ ، وإفلاس شديد . (٣)

وقد أدّت هذه المساعدات إلى توسيع القاعدة التعليمية في هذه المرحلة ، وازدياد مدارس الارساليات بصورة ملحوظة .

وكانت هذه الإعانات، شرطها الأول ألّا تعطى إلّا أنْ تكون المدرسة تحت إدارة أوربية ، والمحافظة على مستوى رفيع . (٤)

والغريب حقًا أنّ هذه المساعدات التي كانت الإدارة البريطانية تقدمها لدعم الجمعيات التبشيرية ، والتي بلغت في جملتها في عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م حوالى خمسة آلاف

---

(١) انظر : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ص ٨٠

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٣٢٧.

(٣) انظر : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في المسياسة التعليمية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(٤) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ١٣٩.

جنيه سوداني [(١)] كانت تدفع من خزينة الحكومة التي يغذيها دافع الضرائب المسلم في شمال السودان ٠

والتغيير الذى حدث بين المرحلة الأولى والثانية ، كان القصد منه هو ايجاد وجه لتدبير صرف الإعانات التي تقدمها الحكومة لهذه الإرساليات تحسُّبًا لنتائج اليقظة السياسية التي بدأت تظهر في أوساط المثقفين السودانيين والمصريين التي كانت تنادى بإلغاء الدعم الحكومي للإرساليات ٠ [(٢)]

ولكن رغم تلك المحاولات فإنَّ المدّ الإسلامي ، وانتشار اللغة العربية في جنوب السودان لم تتوقفا ، وقد عبّر عن ذلك الحاكم العام بعد زيارة لجنوب السودان في عام ١٩٢٧م حيث قال :" لقد استوعبت تمامًا ، الآن الصعوبات التي تحول دون جعل الإنجليزية لغة للجنوب ، وقد مضت الأشياء أكثر مما تصورت ، إذ أنني توغلت سواء كان ذلك لحدود الكنغو البلجيكي ، أو جبال الأماتونج أجد العربية مستعملة بين السكان المحليين ، ولا احتاج لتعداد الأسباب الرئيسية ، التي أدت لخلق هذه النتيجة ، والتي ماتزال تعمل لتأكيدها وهنا لابدّ أن نعتبر بدقة جدوى الاستمرار في سياسة تعويق انتشار العربية وهل عائدها يتساوى مع ما بذل من جهد ومال فيها ". [(٣)]

ومعنى ذلك أنها فشلت لأنها وضعت مشكلة مفتعلة فى الجنوب

---

(١) انظر : د ٠ فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٨٠

(٢) انظر : حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٠
وكذلك : د٠ فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية ، مرجع سابق ، ص ٨٥

(٣) حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ١٨ ، نقلًا عن : د ٠ يوسف الخليفة أبو بكر والدكتور سيد حامد حريز ، الخريطة اللغوية للسودان ووضع اللغة العربية فيها ، ص ٨٤٠

* **المبحث السابع : دور المؤتمرات التّعليمية والمذكرات الخاصة في الغزو الفكرى في الجنـــــوب:**

رغم المجهو دا ت الّتي بذلت ، والقيود الّتي فرضت ، والامتيازات التي أعطيت لمدارس الإرساليات، على أساس اقصاء اللغة العربية، والحد من ذيوعها ، بتشجيع تعلم اللغة الإنجليزية ، واللّهجات المحلية - رغم ذلك - لم تستطع هذه المدارس أن تنفّذ بصورة فعالة سياسة تربوية تعليمية ناجحة ، كما لم تستطع أن تجعل للتعليم أثرًا محسوسًا في المجتمع الجنوبي كما كان يتمناه المستعمر .

لذلك كان لابّد من وضع مخطط جديد للتعليم ، يؤتي ثماره ، ويفي بالغرض المنشود في وقت قصير ، فكان التطور الهام الثاني، في أساليب الغزو الثقافي للجنوب ، والذى تمثل في عقد مؤتمرات ، ورفع تقارير ، ومذكرات ، انصبّت جميعها في البحث عن الأسلوب الأ نجح في محاربة اللغة العربية واقصائها عن الجنوب ، وكانت نقطة البداية المنظمة هي اجتماع الإرساليات في أدنبره عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م [١] ، حيث تمّ انشاء مجلس تعليمي يضّم كل الإرساليات المختلفة المذاهب ، والاتجاهات لمناقشة شتى المشاكل التعليمية والسياسية في أفريقيا بصفة عامة ، والسودان بصفة خاصة ، لاستراتيجية موقعة وتنوّع ثقافة أهله .

وطرحت عدة طرق عن كيفية تقديم العون والمراقبة والتفتيش على جميع المدارس . [٢]

وقد اعترضت هذه السياسة مشكلة الوضع اللغوى في الجنوب حيث توجد أكثر من سبعين لغة متميزة إلى جانب مائة تقريبًا من اللهجات . [٣]

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .
وانظر : د. عبد العزيز الجلال ، التعليم واللغة العربية في جنوب السودان ، مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة العدد الثاني ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ص

(٢) انظر : د . عبد العزيز الجلال ، التعليم واللغة العربية في جنوب السودان ، المرجع السابق ص ٣٧٧ .

(٣) انظر : حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص

وتذليلاً لهذه الصعاب التي واجهت تلك الاقتراحات ، عقد عدد من المؤتمرات نذكر منها :

أولا: مؤتمر الرجاف : الذى عقد في مدينة الرجاف بالجنوب في عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م (١) لمناقشة شئون اللغة في الجنوب ، ويعتبر مَعْلَماً بارزًا في تاريخ تطور التعليم في جنوب السودان ، وفي تنفيذ سياسة محو الآثار العربية والإسلامية من الجنوب .

شارك فيه أكثر من أربعين شخصية من العاملين في مجال الدراسات اللغوية في أفريقيا وإنجلترا (٢) ، إذ حضره موظفو حكومة السودان المسئولون عن التعليم في جنوب السودان ، وكبار الإداريين وعدد من ممثلي البعثات التبشيرية في أوغندا والكنغو ، وجنوب السودان (٣) ، تحت إشراف المعهد العالي للغات والثقافات الإفريقية في لندن . (٤)

وضع هذا المؤتمر الأسس الضرورية لتنمية اللَّهجات المحلية والمتمثلة في توحيد الحروف (٥) التي تكتب بها اللغات في الجنوب للتعليم والارتقاء باللغة الإنجليزية ، وإقامة كافة العراقيل في وجه اللغة العربية، حيث قرّر عدم صلاحيتها كلغة للجنوبيين (٦) ، وأوصى بالعمل على تنحيتها ، وعدم

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .
وكذلك انظر : د . فيصل محمد موسى ، الكنيسة ودورها في السياسات التعليمية في جنوب السودان ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ، ص

(٢) انظر : حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ص ١٩

(٣) انظر : المرجع نفسه والصفحة .
وانظر : د. محمد عمر بشير ، جنوب السودان ، دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ص ٨٨ .

(٤) انظر : المرجعين أعلاه وصفحاتهما .

(٥) انظر : حسن مكي ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦) انظر : د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ١٤٤ ، استنادا إلى : حكومة السودان ، تقرير عن مؤتمر اللغات بالرجاف ١٩٢٨م لندن.

تشجيعها [١] وعلى حدّ زعمهم إذا كان تدريس اللغة العربية ضروريا فيجب أن تدرس مكتوبة بالحروف اللاتينية ·

وتدريس اللغة العربية بالحروف اللاتينية إنّما قُصِد به في المقام الأول عزل الدارسين للغة العربية بهذا النظام عن مصادر الثقافة العربية المكتوبة باللغة العربية ، والحرف العربي ·

وتنفيذا لهذا القرار ،فقد استعانت الإدارة البريطانية بالبروفسير وسترمان " Westerman " مدير معهد اللغات الدولي ، والحضارات الإفريقية وايفانز بريتشارد " Evans Britcherd " لاختيار لغات رئيسية محلية لاستخدامها في مجال التدريس والإدارة ،وبالفعل،كما يذكر الدكتور فيصل محمد موسى فقد تم اختيار لغات الدينكا والشلك ، والنوير والباريا واللاتوكا ، والزاندى لاستخدامها في التدريس [٢] ، وصدرت كتب قواعد لهذه اللهجات في عام ١٣٥٣ - ١٩٣٤م ، كما صدرت كتب أخرى للمصطلحات بلهجات الشلك ، والأنواك ، والنوير والزاندى [٣] ، وتقرر أن تحتوى كتب القراءة على فقرات من الإنجيل · ومن ثم بدأت الاستعدادات لطبع هذه الكتب وعلى نفقة الحكومة ·

والكتب التي طبعت لهذه المرحلة هي : [٤]

---

(١) انظر : د · فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الافريقية ، مرجع سابق ، ص ٨١

(٢) انظر : د · فيصل محمد موسى ، المرجع نفسه والصفحة ·
وكذلك انظر : د · محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ، ص ٨٨ ·

(٣) انظر : د · محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ·

(٤) انظر : د · فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الإفريقية ، مرجع سابق ، ص ٨١
نقلا عن : ديونان لبيب ، مقال بمجلة معهد الدراسات العربية بالقاهرة ، ١٩٧٧ م (سياسة اللاتعريب بجنوب السودان ، ص ٣٠١ -٣٠٢).

* كتاب المطالعة الأول : The First Reader Book
* كتاب المطالعة الثاني : The Second Reader Book
* كتاب الحساب الأول : The first Arithmatic Book
* كتاب التربية الرياضية : The Manual of Physical Trainning
* مذكرات في الجغرافيا والتاريخ : Notes on the Geography and Histroy of the Southern Sudan .

ورغم أنّنا لم نطلع على هذه الكتب التي سعينا في الحصول عليها دون جدوى ، إلاّ أنّها كما يذكر الدكتور فيصل محمد موسى عن كتب التاريخ أنّها : "قد حَوت ... على وجه الخصوص معلومات مبالغًا فيها عن التجار العرب الشماليين. والدور الذى لعبوه في تجارة الرقيق ، ولم يتعرضوا للدور الخطير الذى قام به الأوربيون في هذه التجارة ". (١)

ذلك كله لتنفير الناس وحملهم على بُغْضِ اللغة العربية والدين الإسلامي في أشخاص هؤلاء التجار، الذين كان لهم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في جنوب السودان . (٢)

---

(١) د . فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الافريقية ، مرجع سابق ، ص ٨١ ، استنادًا إلى : Oliver Albino , the Sudan , A. Southern View . Point . London 1970 . P. 176 .

وانظر الموضوع بالتفصيل ، حسن مكي محمد أحمد ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ١١-١٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه والصفحة .

ثانيا : مؤتمر جوبا التعليمي : عقد هذا المؤتمر عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م[١] بناء على مذكرة " ماكمايكل " التي تدعو ضمن ماتدعو إلى تعميق القبلية والتركيز على النواحي الثقافية باعتبارها الركيزة الأساسية لتحقيق ماجاء في المذكرة.

من مقررات هذا المؤتمر :[٢]

(١) اهتمام المناهج التعليمية بالنواحي الزراعية ، والقبلية ، والرعوية ، والابتعاد ما أمكن عن المواد الأدبية .

(٢) أن تكون سن الدخول للمدرسة الأولية مبكرة حتى لايجد الطلاب صعوبة في العودة إلى حياة القبلية ، وقبل أن يتشربوا تقاليد الأوربيين أو أبناء الشمال .

بيد أنه يجب ألاّ يغيب عن الأذهان أنّ النظر شيء والتطبيق شيء آخر ، فقد كان لابدّ لإنجاح تلك السياسة الحكومية من إيمان الإرساليات بأهدافها مع التعاون المستمر بينها وبين الحكومة .

علاوة على أنّ تعلم اللهجات القبلية والعادات والتقاليد أمر غاية في الصعوبة بل قد يستغرق ذلك وقتًا طويلاً لمن يرغب في ذلك .

ولايخفى ماتحمل مقررات هذا المؤتمر من غزو فكرى ، فالمناداة بالابتعاد عن الأدب العربي الذى يستخدم لتأكيد الفكرة الإسلامية ونشرها، إنمّا يراد به صرف الأنظار عن مواطن التأسِّي في الأدب الإسلامي العربي وطمس العقيدة في النفوس.

وأمّا عن استعجالهم دخول الطفل للمدرسة في سن مبكرة ، ففيه محاربة لنظام الحفظ المبكر للقرآن في الخلاوى - كما سبق وأن قدمنا - [٣] وقبل أن يتشربوا

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .
وكذلك : د . فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ص ٨٩ .

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠- ٢٣١.

(٣) انظر ص (١١١) من البحث .

العقائد الإسلامية ، حتى لايجد الطالب صعوبة في العودة إلى الحياة القبلية .
وفي تعليمهم للهجات ، وادخال الموسيقى والرقص ، والتقاليد والعادات المختلفة
ترويج " لأفكار ومذاهب مختلفة .... تتسلل إلى نفوس الأجيال وعقولهم ،
فتتمكن منها حتى تكون بمثابة عقائد راسخة ، أو أمور مسلّم بصحتها
وسلامتها ، أو التسليم بأنّ ضرورة التّطوّر الاجتماعي تقتضيها ". (١)

والأمر يكون في غاية الوضوح إذا علمنا أنّ السير " ونجت " باشا قد وجه بتدعيم بعض المدارس الصناعية بورش للتعليم الحرفي المتصلة بالبيئة ، للتلاميذ غير المسلمين ، تحت إشراف مدرس غير مسلم ، مع مراعاة استعمال اللغة الإنجليزية كلغة للتدريس أثناء العمل في الورش . (٢)

ثالثا : مؤتمر لندن بشأن التعليم في جنوب السودان :

عقد هذا المؤتمر في أكتوبر عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م (٣) بشأن التعليم في جنوب السودان وقد حضره المستر " سايمز " حاكم عام السودان عندما ساءت العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا ، وذلك لبحث مسألة طرد المبشرين الإيطاليين من جنوب السودان ، وتولي الحكومة مسئولية التعليم ، إشرافاً وتطويراً ، وكان من قراراته . (٤)

(١) أنّ تعليم الجنوبيين يجب أن يراعى المعتقدات الوثنية التي تلمس حياة الجنوبيين اليومية ، وأنّ التعليم العام لا يملأ فراغ تلك المعتقدات .

(٢) أنّ المبشرين الإيطاليين وأغلبهم من طبقة الفلاحين انسب الرجال للتعامل مع الوثنيين السود ، وأكثرهم من طبقة الفلاحين الذين يستطيعون تحمل الحياة القاسية .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص ١١٨

(٢) انظر : د . فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ص ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٨٤

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥.

وما يلاحظ على هذين القرارين أنَّ الحكومة بدأت في الظاهر وكأنَّها تتراجع عن بعض خططها الخاصة بالتعليم ، لمَّا رأت أنَّ الواقع خلاف ذلك ، والحقيقة أنَّه رغم الجهد المشترك بين الإدارة البريطانية والمبشرين ، لإزالة اللغة العربية ، فإن التقارير تسجِّل أنَّه حتى عام ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م لم يحدث تقدم يذكر في هذا المضمار ، إذ أنَّه بدا من المستحيل منع اللغة العربية ، واستخدام اللغة الإنجليزية ، واللهجات المحلية في آنٍ واحدٍ ، رغم رصد ميزانية مفتوحة لفصول اللغة الإنجليزية ٠ (١)

فإذا كانت المرحلة الأولى التي عملت مدارس الإرساليات على تحقيقها من هذا الغزو ، وهي تنصير المسلمين ، فإنَّ قرارات هذا المؤتمر جاءت متمشية مع مؤتمر القدس التبشيرى الذى انعقد عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ، أى قبل سنة من عقد هذا المؤتمر الذى نحن بصدده ، حيث حدد زويمر رئيس مؤتمر القدس مهمة التبشير في البلاد المحمدية" على حد قوله حيث قال :" مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية ، فإنَّ في هذا هداية لهم ، وتكريمًا ، وإنَّما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله ... " (٢)

لذلك رأت الحكومة تأصيل المعتقدات الوثنية السائدة في الجنوب ، وترويجها لتقف سدًا منيعًا ضد العقيدة الإسلامية التي أخذت في الانتشار ، وهذا المنحى الأخير ماهو إلاَّ مرحلة من مراحل الغزو قصد منه ذبذبة المسلمين عن عقيدتهم حتى ولو لم يدخلوا في المسيحية ٠

---

(١) انظر : د ٠ فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ، ص ٨١

(٢) د ٠ علي جريشة : الإتجاهات الفكرية المعاصرة ، مرجع سابق ص ٣١ ٠

هذه هي بعض المؤتمرات العامة التي عقدت خلال فترة الحكم الثنائي ، على سبيل المثال ، أمّا عن البرامج والمذكرات التي تقدم بها بعض الإداريين البريطانيين ، فنمثّل لها ببرنامج سايمز التعليمي لجنوب السودان والذى من أهم سماته [١]:

(١) تطوير مدارس الأحراش لتصبح أداة فعّالة لرفع مستوى التعليم في القرى النائية ، وامدادها بمدرسين مؤهّلين ، وتَقرَّر مد فترة الدراسة فيها إلى ثلاث سنوات.[٢]

(٢) أمّا المدارس الأولية ، فتقرر مد فترة الدراسة فيها إلى ست سنوات بدلاً من أربع سنوات ، وأنشئت فصول إضافية فيها للرّاغبين أن يصبحوا مدرسين بمدارس الأحراش .

(٣) اهتم بتعليم الفتاة ، ولأول مرة تتبنى الحكومة مسئولية تعليم الفتاة .

(٤) رصد ميزانية ضخمة لهذا البرنامج تشمل إلى جانب الإعانات رفع مرتبات المدرسين والمدرسات وصيانة المدارس في مراكز التبشير .

ولكن هذا البرنامج الذى اعتمد على تطوير التعليم على حساب دافع الضرائب السوداني المسلم في شمال السودان قد ووجه بعدة عقبات أهمها : [٣]

(١) موقف الحكومة المصرية من هذه السياسة ، وتبرّمها من ترك أمر التعليم في الجنوب للإرساليات ، بل ودعمه من خزينة الحكومة التي تساهم فيها الحكومة المصرية . وقد تمثل هذا السخط ، في موقف علماء الأزهر الشريف ، وعلى رأسهم الشيخ المراغي شيخ الأزهر الذى طالب بإلغاء الدعم الحكومي للإرساليات ، وارسال

---

(١) بتصرف انظر د . فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ص ٨٥ .
(٢) كانت مدة الدراسة في مدارس الأحراش قبل هذا البرنامج سنتين فقط .
انظر ص (١٢٢) من هذا البحث .
(٣) د . فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، المرجع السابق ، ص ٨٥ - ٨٧ .

بعثات إسلامية للجنوب أسوة بالبعثات المسيحية حسب مانصت عليه اتفاقية سنة ١٩٣٦م ، وقد استطاع سايمز بدهائه اقناع شيخ الأزهر حين قام بزيارته في منزله بحلوان ، ويبدو أن ضغطا ما قد مورس معه فَعَدَل عن رأيه ، فاضطرت الحكومة هي الأخرى إلى تبديل رأيها ، وعرضت الإدارة البريطانية على الأزهر مقابل التَّخَلِّي عن المطالبة السابقة بعض المشروعات الهامشية الانصرافية والتي سَمَّتْها بالخيرية ، والتي انحصرت في ترميم جامع جوبا ، وإنشاء معهد ديني في الشمال في أم درمان بعيدًا عن الجنوب ، ليساهم الأزهر في هذه المشروعات .(١)

(٢) كذلك فقد وجدت سياسة " سايمز " أيضًا معارضة شديدة من الحركة الوطنية في السودان، إذ دعت مذكرة الخريجين إلى رفع الدعم عن الإرساليات طالما أنَّه غير مسموح للإرساليات الإسلامية، بممارسة أيِّ نشاط في جنوب السودان مع محاربة الإسلام واللغة العربية هناك . وحذرت المذكرة من مغبة تجاهل مطالبهم مما حدا بالحكومة البريطانية إلى دراسة مواقفها في السودان خوفًا من قيام حركة مهدية ثانية كرد فعل لهذه السياسة .

(٣) وقفت الحرب العالمية الثانية كذلك، عقبةً في وجه تنفيذ سياسة " سايمز " فقد أدَّى اغلاق مراكز التبشير المسيحية الإيطالية إلى تعطيل معظم الدراسة في المديريات الجنوبية ، واستمرت المدارس معطلة إلى مابعد الحرب العالمية الثانية، رغم محاولات السُّلطات البريطانية معالجة الأمر بتعيين مدرسين محليين ، واستعارة عدد من المدرسين المؤهلين من أوغندا . ولكن هذه المساعي فشلت لاعتذار أوغندا عن إعارة بعض المعلمين المسيحيين .(٢)

---

(١) بتصرف انظر : د. فيصل محمد موسى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، مرجع سابق ص ٨٦

(٢) انظر : المرجع نفسه ص ٨٧

هذا عن دور المؤتمرات التي عقدت،والبرامج والمذكرات التي رفعت في هذه الفترة،بشأن التّعليم في الجنوب ، صبت برامجها في قوالب المؤتمرات التبشيرية العالمية التى عقدت في القاهرة وأدنبرج ، وبيروت ، والهند والقدس وتونس [(١)] حذت حذوها في برامج مراحلها الثلاث : [(٢)]

مرحلة تنصير المسلمين ، ومرحلة الخروج من الإسلام ، أو التذبذب فيه ، ومرحلة الابعاد عن الإسلام (التغيير الاجتماعي والتغريب والتحديث) .

واتخذت نفس أسلوبها في التنصير بالتعلبم والتطبيب والخدمات المجانية الأخرى .
وهكذا أخذ التعليم في الجنوب،ينمو على أساس كنسي تبشيرى ، وعلى أساس هجر واقصاء اللّغة العربية واحلال اللغة الإنجليزية واللهجات المحلية محلها ، ويظهر لنا الأثر واضحًا بجلاء من خلال نتائج الاستبانة التي أجريت على ٨٧٧ر٢ من طلاب المدارس بجوبا كما هو مبين في الجدول أدناه : [(٣)]

اللغة	استعمال كلغة أولى	استعمال كلغة ثانية	استعمال كلغة ثالثة
اللهجات المحلية	٦٨ ٪	٢٩ ٪	٥٠ ٪
العربية	٣١ ٪	٦١ ٪	٧ ٪
الإنجليزية	٥٥ ٪	٨ر٠ ٪	٣٧ ٪

حيث يلاحظ أن الطلاب يستخدمون الإنجليزية،لتلقي العلوم الدراسية بجانب أنّها لغة الحكومة والمكاتبات الرّسمية ، أمّا في الاستخدام اليومي ، فإنّ استخدام

(١) انظر : أنور الجندى الإسلام في وجه التغريب ، مرجع سابق ، ص ٦٣-٦٩
(٢) انظر : د . علي جريشة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٨ - ٣٤ .
(٣) انظر : عشارى ، العربية في جنوب السودان ، ص ٦٨
وكذلك : حسن مكي ، السياسة التعليمية ، مرجع سابق ص ٥٣ .

الإنجليزية، يتضاءل أمام العربية واللهجات المحلية. حيث نجد أنّ استخدام اللغة العربية أوسع انتشارا كلغة تخاطب مشتركة ، وهذا يدلنا على أنّ اللغة العربية رغم مافرض عليها من حجر قد فرضت نفسها ، ولكن سيظل أثر تَعَمُّد استعمال اللغة العربية الدارجة ، وحصر تعلمها بطرق خاصة منفّرة داخل المدارس الإرسالية المسيحية ، وكتابة اللغة العربية بالأحرف اللّاتينية ، وهجرها في المعاملات الرسمية والدواوين الحكومية ، سيظل هذا الأثر لوقت ليس بالقصير

* * *

* المبحث الثامن : الغزو الفكرى في التعليم في جبال النوبـا :

تقع جبال النوبا في إقليم كردفان بغرب السودان بين خطي الطول ٢٩- ٣١ ١/٢ ، وخطي العرض ١٠ - ١٢ ١/٢ ، ويقطنها مجموعة من القبائل تتجاوز عددها الأربعة والستين قبيلة [١] تسكن جنبًا إلى جنب مع القبائل العربية المنتشرة على سفوح الجبال ، والمناطق السهلية ، وهي ذات عادات وتقاليد محلية وثنية متميزة عن باقي الإقليم ، شبيهة في خطها العام بعادات وتقاليد قبائل جنوب السودان .

من هذا المنطلق فقد انتهجت الإدارة البريطانية في منطقة جبال النوبا نهجًا تعليميًا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالنشاط التعليمي الكنسي ، على غرار السياسة التعليمية في الجنوب ، عرفت "بسياسة النوبا " [٢]، خضعت لأغراض سياسية موجهة،تقوم أصلاً على عزل هذه القبائل عن المؤثرات العربية الإسلامية ، وتطويرهم على نهج يرتكز على معتقداتهم وثقافتهم .

وتنفيذًا لتلك السياسة اتخذت الإدارة البريطانية عدة طرق في المحاربة تمثلت في [٣] : التعليم ولغته ، والتمكين للمسيحية ، وتعضيد العادات والعرف النوبي. والذى يهمنا في المقام الأول في هذا البحث ، الأساليب التي كانت تتخذ بواسطة التعليم ولغة التعليم .

أمَّا فيما يختص بالتعليم فقد أبرمت اتفاقية عام١٣٣٨هـ-١٩١٩م [٤] بين الإدارة

---

(١) انظر : أحمد علي سبيل ، الهجرة من جبال النوبا ، بحث غير مطبوع ، المركز الإسلامي الأفريقي ، شعبة البحوث والنشر ص ٣ .

(٢) انظر:د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في مناطق جبال النوبا مجلة الدراسات الأفريقية ، المركز الإسلامي الأفريقي ص ١١٧.

(٣) انظر. أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير المسيحي في السودان ، المطبعة الحكومية بالخرطوم ، وزارة التربية والتوجيه ، الشئون الدينية ١٣٩٩هـ١٩٧٩م ص٠٣

(٤) انظر : د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية ، المرجع السابق ص ١١٨.

البريطانية وارسالية السودان المتحدة (الفرع الأسترالي النيوزيلندى) • تم فيها اسناد مهمة التعليم لهذه الإرسالية ، وقد جاءت بنود تلك الاتفاقية دعمًا وعنايةً بالنشاطات المسيحية ، وابعادًا وحصرًا للأثر الثقافي العربي الإسلامي في جبال النوبا •

وقد تمثّلت هذه البنود في الآتي : [(١)]

(١) أنّ تقوم الإرسالية بفتح مدارس في هذه المناطق الوثنية ، وأن يتم تدريس التلاميذ النوبيين باللغة المحلية •

(٢) أن توفر الإرسالية المعلمين ، وأن تدفع لهم أجورهم ، وأن تكون لها الحرية في تدريس الديانة المسيحية •

(٣) أن تتخذ الحكومة من الاجراءات مايكفل حضور التلاميذ ، وأن تقوم بتفتيش المدارس ، وتقديم النصح فيما يختص بإدارتها •

(٤) أن تقدم الإرسالية المساعدات المالية على هيئة المنح المتساوية على كلّ تلميذ •

ورغم الدّعم الذى تلقته هذه الإرسالية لم تقم ألاّ بفتح مدرستين [(٢)] فقط" بهيبان" عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣م ، وأردفتها بأخرى في منطقة " عبرى " عام ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ، فقد اضطرت الإدارة البريطانية لمّا تباطأت الكنيسة ، بفتح أربع مدارس أولية " كُتّاب " في كل من الدلنج ، وكاد قلي ، وتلودى ورشاد • [(٣)]

---

(١) انظر : د • كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في مناطق جبال النوبة ، (١٩١٩ -١٩٥٦م) ص ١١٨ استنادًا إلى : Kardfan 1/14/71 : Letter from Governor , Nuba Mountains Province to Director of Education , dated 23.9.1919 .

(٢) انظر :المرجع نفسه والصفحة استنادًا إلى : Kardfan 1/14/71 : Letter from Director of Education to Governor Nuba Mountains Province, Dated 19.3.1924 .

(٣) انظر : د • أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، مرجع سابق ص ٣٠
وكذلك : د • كمال عثمان صالح ، دراسات أفريقية مرجع سابق ، ص ١١٨ •

وحرصا من الإدارة البريطانية على غلق هذه المنطقة في وجه التعريب وانتشار العقيدة الإسلامية بين النوبا ، وضعت سياسة خاصة تجاه هذه المدارس الحكومية الأربع فقررت ألّا يتلقّى التلاميذ النوبيون تعليمًا دينيًا إلّا بموافقة ذويهم(١).

وحرّمت كذلك استخدام أي لغة خلاف اللغات واللهجات المحلية بجميع المدارس الحكومية والإرسالية هناك(٢) ، فهذا التحريم لا ينسحب إلّا على اللغة العربية وحدها .

ولكن الذي حدث كان عكس المخطط له تمامًا ، إذ لمّا لم تقيّد الإدارة البريطانية ، أنّ المعنيين بالتعليم الديني هم التلاميذ المسلمون فقط ، بحسبان أنّ أغلبية التلاميذ في هذه المدارس الجديدة سيكونون من أبناء النوبا من غير المسلمين فيغطونها فتكون لهم الغلبة ، فتقصى اللغة العربية والدين الإسلامي . (٣)

لما لم يكن ذلك محددًا ، وتحت ضغط أولياء أمور التلاميذ ، وخوفًا من إثارة الوضع في شمال البلاد المسلم ، خاصة بعد ظهور مؤتمر الخريجين ومطالبته بكثير من الاصلاحات في شأن التعليم . (٤) اكتشفت الحكومة عام ١٣٤٩ هـ-١٩٣٠م (٥)

أن هذه المدارس تدرس الدين الإسلامي للتلاميذ العرب والنوبا المسلمين منهم والوثنيين ، وأنّها أصبحت مراكز اشعاع للحضارة الإسلامية في أوساط الشباب

---

(١) انظر : د. أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣ . وكذلك : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، المرجع السابق ، ص ١٤٨

(٣) انظر : د. أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية ، مرجع سابق ص ٣ ، استنادًا إلى:
I bid Letter from Director of Education to General Manager, S.U.M. Dated 3.12.1919 .

(٤) انظر : د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في مناطق جبال النوبا مرجع سابق ص ١١٩ .

(٥) انظر : د . أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، مرجع سابق ، ص٣ .

من النوبا . فقررت قفلها في عام ١٩٣١م [١] وركزّت جهودها لتقوية التعليـــــم الإرسالي في منطقة الجبال ، لذلك قامت بإبرام عقد جديد مع إرسالية جمعيــــة الكنيسة التبشيرية، التي تلقت بموجبه دعمًا ماليًا سخيًا من الحكومة للخدمات التعليمية بلغت في مجملها سبعمائة وألف جنيه [٢] إلاّ أنّها لم تقم بفتـــح مدرسة تعليمية واحدة ، حتى ولا مدرسة أحراش ، مما اضطر " نيوبولد " مديـــر عام مديرية كردفان إلى التفكير في فتح مدرسة حكومية في " سَلَارا " ، وكتـــب بذلك إلى المسئول عن التعليم في المنطقة فأيّد الفكرة ، ولكن لمّا كان أمـــر التعليم بيد الإرسالية (C.M.S.) ، كان لابد له من استشارتها قبل أن يعلن القرار الذى وافقت الإرسالية عليه بشروط تنم عن كيد دفين ، ونيّـــة مبيّتة لمسخ الهوية الإسلامية والعربية ، والشروط هي :

(١) أن تكون المدرسة الحكومية وثيقة الصلة بالإرساليـــة .

(٢) أن يكون الاتصال بالإدارة الحكومية عن طريق الإرساليـــة .

(٣) أن يكون سكن الطلاب داخليًا وتحت إشراف الإرساليـــة .

(٤) أن تكون هيئة التدريس تحت رقابة الإرساليـــــــة .

(٥) أن يترك للإرسالية تدريس الدين والأخـــــــلاق .

واحكامًا للعملية التعليمية حتى لا تخرج عن قبضتهم أسّست الإرسالية مدارس أولية ووسطى وتدريب معلمين [٤] حتى تكون وعاء جامعًا، تصب فيه كافة المدارس الدنيـــا وتعتبر مدرسة " كَاشَا " الوسطى المدرسة الأولى التي كان لها أكبر دور في عملية التنصير، لأنّها استقطبت التلاميذ من أماكن متعددة بما في ذلك منطقة الجبـــال

---

(١) انظر : د. كمال عثمان صالح ، مرجع سابق ، ص ١١٩ استنادا الى :
File JD.K/17-B.123 Province Education Officer Hand-book, Annual Report 1931 (Kadugli Archives) .

(٢) انظر : د . الخضر عبد الرحيم ، النشاط الكنسي ، مرجع سابق ص ٢٠٣ ، استنادًا الى:
A short Outline of Protistant Missionary work in the Southern Sudan .

(٣) انظر : المرجع السابق والصفحة.

(٤) انظر : المرجع نفسه والصفحة . وانظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم فـــي السودان ، ص ٢٤٤ ـ٢٤٥.

الشرقية التي تعمل فيها الإرسالية (S.U.M.) لعدم وجود مدرسة وسطى بالمنطقة كلها سواها ، فكان حتى أبناء المسلمين يفدون إليها .[١]

هذا عن المؤسسات التعليمية في منطقة جبال النوبا في هذه الفترة ، ترى أنّ الإرساليات المسيحية قد أحكمت قبضتها وشروطها عليها من ناحية إدارتها وأنظمتها ولوائحها .

أمّا عن لغة التعليم في هذه المدارس ، فرغم العراقيل التي وضعت، فقد فرضت اللغة العربية وجودها في جبال النوبا كلغة تخاطب بين النوبا والعرب ، فمن خلال دراسة قام بها "نيوبولد" اتضح أنّه من المؤكد اطراد نفوذ الثقافة العربية وانتشارها، لارتباطها بمستويات أرفع من القيم الثقافية والمادية .[٢]

وقد اعترف سكرتير وزارة المعارف والصحة آنذاك بأنّ :" اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الممكنة كوسيلة للتخاطب بين الأفراد "[٣] ذلك في الوقت الذى انحسرت فيه اللغة الإنجليزية واللغات النوبية .

ووقفاً لهذا الزحف ، ووصولاً لأهداف الإدارة البريطانية التعليمية في جبال النوبا اتخذت عدة تدابير للحيلولة دون انتشار اللغة العربية والعقيدة الإسلامية في الجبال منها : أنّ "جيلان" الذى قدّم تقريراً عام ١٩٢٧م بشأن التعليم ، قد اقترح أن تتبنى إرسالية السودان المتحدة تدريس اللغة العربية في مدارسها ولكن شريطة أن يكون بالأحرف اللاتينية إذ هي أكثر فائدة لأنّها :

(١) تمكّن التلاميذ الصغار من تعلّم الحروف اللاتينية عندما يدرسون كيفية قراءة وكتابة لغاتهم الخاصة .

---

(١) انظر: د . الخضر عبد الرحيم أحمد ، النشاط الكنسي في السودان ، مرجع سابق، ص ٢٠٤ .

(٢) انظر: د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ٢٤٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٨.

(٢) استخدام الحروف اللاّتينية٠سيحول دون اطلاع التلاميذ على الأدب العربي الذى ينطوى على أثرٍ يمكن أن يهدد حياتهم الاجتماعية ٠ [١]

(٣) ستؤدى هذه الطريقة بسهولة للغة الإنجليزية المرادة في النهاية ٠

(٤) سيصبح من السهل على المبشرين الذين تقتصر معرفتهم للعربية على الحديث فقط ، تدريسها ٠

(٥) كذلك يمكن للحكومة والإرسالية أن يجعلاها لغة حية ٠ [٢]

هذا الترغيب يعتبر خلاصة التجارب والمؤتمرات والمذكرات التي عقدت وقدمت في الجنوب [٣] ويؤكد لنا ذلك أنّ الهدف في جميع المناطق داخل السودان وخارجه واحد ،هو غزو هذه الجهات التي لا تدين بالولاء الثقافي والسياسي والاجتماعي والديني للغرب ، وحملهم على الانسلاخ عن عقيدتهم الإسلامية والاستسلام والخضوع لسلطانهم ٠

ورغم أنّ هذه الاقتراحات قد وجدت معارضة - قد تكون مصطنعة لجس النبض ، وامتصاص غضب جماهير الشّعب المسلم في الشمال - من قبل "جوين" مدير التعليم و" نورث كوت" حاكم مديرية جبال النوبا ، اللّذين اقترحا تبني سياسة تعليمية في الجبال على النهج الشمالي ، ومعنى ذلك أن يتولى مدرسون مسلمون يتحدثون اللغة العربية نفسها وينتمون إلى المجموعة الشمالية

---

(١) انظر :د ٠ كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في مناطق جبال النوبا مرجع سابق ، ص ١٢٢٠
وانظر كذلك د ٠ محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص : ١٤٨ - ١٤٩ ٠

(٢) انظر: د ٠ أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، المطبعة الحكومية بالخرطوم ، وزارة التربية والتوجيه ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ص ٥ ٠

(٣) للمزيد من التفصيل انظر ص / ١٢٧ من البحث ٠

لإدارة التعليم بتدريس اللغة العربية في المدارس بجبال النوبا ،[(١)] ورغم أنّ هذه الاقتراحات من الناحية الواقعية والعملية أقرب لتلبية الحاجات التعليمية في المنطقة ، خاصة بعد أن منيت التجارب الأخرى بالفشل - رغم ذلك - ، فقد تبنّت الإدارة البريطانية اقتراحات "جيلان" السابقة امعانًا منها في قفل الطريق أمام اللغة العربية والعقيدة الإسلامية ، وتأكيدًا على أنّ منطقة جبال النوبا صارت منطقة مقفولة ، وقد قدمت الإدارة البريطانية الأسباب التي جعلتها تتبنى مقترحات "جيلان" نجملها في الآتى :[(٢)]

(١) تلاؤم هذه المقترحات مع السياسة العامة الرامية إلى ملاءمة السياسة التعليمية مع الحدود الفاصلة العنصرية والدينية ، وليس مع الجوانب السياسية لحدود المديرية.

(٢) ليس من المتوقع أن تقوم المدارس الحكومية العادية بنشاط أكثر من النشاط الإرسالي لأنّ المدارس الحكومية لايمكن أن تحصل على اتصال قريب مع عامة السكان.

(٣) بالرغم من أنّ وجود اللغة العربية في جبال النوبا كان وجودا حتميًا ، إلاّ أنّ الاعتقاد بأن تدريسها من قبل الإرسالية التي أنيط بها تدريس العقيدة المسيحية سوف يجعل الطريق شاقًا أمام الإسلام .

يبدو جليًا كما هو واضح في سَوْق الإدارة البريطانية لهذه الأسباب، أنّ همها الرئيسي هو إعاقة تقدم اللغة العربية ، والعقيدة الإسلامية في منطقة جبال النوبا ، وأنها لا تَأْبَه كثيرًا بتدنّي مستوى التعليم الإرسالي الذى - على مايبدو - يشكل أمرًا ثانويًا كما جاء على لسان " ماثيو " سكرتير التعليم حيث قال :" بالرغم

(١) انظر : د. أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي مرجع سابق ص ٥ .
وكذلك د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياية التعليمية في مناطق جبال النوبا مرجع سابق ص ١٢٠ .

(٢) انظر : د . كمال عثمان صالح ، المرجع السابق ، ص ١٢١ ، استنادًا إلى :
Soe Idid, (a) Note in Education in the Nuba Mountain Province
Written by Education Secretary . Dated 5.2.1928 .

من أنّ التعليم الذى تقدّمه الإرسالية من المرجّح ألّا يكون بالمستوى المنشود فإنّه في الوقت الحاضر ذو أهمية ثانوية ". (١)

وأيّاً كان الأمر فقد أثبتت سياسة تعليم اللغة العربية بالحروف اللاتينية فشلها إذ واجهتها عدة صعاب فنية وعملية. (٢) :

أمّا الفنية فتتمثل في كتابة الأصوات غير الموجودة في اللغة الانجليزية مثل العين، والحاء، والخاء، وعلى سبيل المثال استعمل الرمز (@) ليُعبِّر عن الصوت " ع ". (٣)

وأما الصّعاب العملية فتتمثل في ندرة المعلمين المحليين المناسبين، وقلة الكتب الدراسية. (٤)

ونتيجة لهذه الصعاب قررت الحكومة بناء على اقتراح من " نيو بولد " مدير كردفان (١٣٥١ ـ ١٣٥٧هـ) (١٩٣٢ـ١٩٣٨م) في اجتماع لها، في الأسبوع الأول من ديسمبر عام ١٩٣٥ م حضره ممثلون للسكرتير الإداري ومدير مصلحة المعارف. (٥) قررت تدريس لغة عربية أدبية فصيحة مبسطة، ومكتوبة بحروف عربية، وعبارة " أدبية فصيحة مبسطة " تعني كما يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم نصر : " نوعاً من العربية ذات مفردات أقرب منها إلى العامية من الفصحى، ذات الحركات القصيرة والتي كانت تدرس في مدارس الشمال ". (٦)

---

(١) د. كمال عثمان صالح، التبشير والسياسة التعليمية، مرجع سابق، ص ١٢١ نقلا عن :
Idid , Education in N.M.P Copy Note Submitted by Education Secretary to Governor-General, at 28 meeting on 2.2.1928 .

(٢) انظر : د. أحمد عبد الرحيم نصر، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان، مرجع سابق ص ٦.

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٢٠

(٤) انظر : المرجع نفسه ص ٧
وكذلك انظر : د. محمد عمر بشير تطور التعليم في السودان، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٥) انظر : المرجع نفسه والصفحة.

(٦) د. أحمد عبد الرحيم نصر، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان، مرجع سابق، ص ٧، وكمثال لذلك انظر، المستر " سكوت " كتاب الأطفال، مرجع سابق.

ورغم ذلك وخوفاً من أن يؤدى هذا القرار إلى انتشار العربية والإسلام في جبال النوبا ، رأت الحكومة تدريس العربية المكتوبة بحروف عربية في مدارس الإرساليات، حيث سيجعل التأثير المسيحي على الطلاب وعلى الجو المدرسي الميل للإسلام غير وارد . (١)

هذا التخبط في شأن التعليم في جبال النوبا، من قبل الإدارة البريطانية إنّما هو لهث وراء الطريقة المثلى لمحاربة الوجود العربي والإسلامي ، وهو جزء من مخطط عام استهدف محاربة العقيدة الإسلامية ، إذ نجد أنّ هذا النظام الذى سعت الإدارة البريطانية إلى تطبيقه في جبال النوبا ، قد سبق تطبيقه في تركيا كما أشار " هيليلسون " الخبير اللغوى الذى أرسلته الإدارة البريطانية إلى جبال النوبا لتقييم التجربة هناك ، فقد أشار إلى محاولة الأتراك في التخلص من الحروف العربية وإحلال المنهج الروماني محلها موضّحا أنّ هذه التجربة لايمكن الاستفادة منها ، إذ أنّ الألفاظ التركية تختلف تماماً عن نظيرتها العربية . (٢) الأمر الذى أدّى إلى التقليل من خطورة هذه التجربة .

وهكذا نرى أنّ السياسة التعليمية في جبال النوبا قد خضعت لأغراض سياسية موجهة ، وهي : حماية النوبا من خطر التعريب والإسلام ، وتطويرهم على منهج يعتمد على عاداتهم ، وثقافتهم ، ومساعدتهم لتكوين وحدات عرقية وقبلية مكثفة ، بحيث ييسر الاتصال فيما بينهم وبين جيرانهم من المجموعات النوبية

---

(١) انظر : د . أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي ، في السودان ، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢) انظر : د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في مناطق جبال النوبا ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

التي تتحدث عدة لهجات أو لغات محلية .

وهذا ما أكده " هيليلسون "[1] الذى اعترف في تقريره بالصعوبات العملية في تدريس اللغة العربية بالمخطوط الروماني حيث جاء فيه : أنهّ " لايهم فشل تدريس اللغة العربية بالطريقة الرومانية ، في مدى عشرين عامًا سنتمكّن من بناء أمة نوبية ، وبالتالي يمكن للنوبة تحمّل وَطْأَة الكتابة بالمخطوط العربي إذًا أرادوا ذلك دون أن يكونوا نوبة مستعربة "[2]

* * *

---

(١) هيليلسون : Hillelson
كان مديرا لفرقة إنجليزية تعمل في الشرق الأوسط ، وقد درس العلوم المالية في اكسفورد ، ثم أخذ في تعلّم اللغة العربية على " مرجيلوت " ، وقصد إلى السودان عام ١٩١١ م وانتدب محاضرًا للتاريخ بكلية غردون ، وككثير غيره من الموظفين الإنجليز عنى بدراسة البلاد التي كان موظفًا فيها .
من آثاره : صنّف كتابين في العربية في السودان ، وفي المفردات العربية السودانية .
انظر : نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م ج ٢ ، ص ٥١٧ .

(٢) د . كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة التعليمية في جبال النوبا ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ . استنادًا إلى : Ibid, letter from Gillan to Secretary of Education 24.3.1932 .

* **المبحث التاسع : دور الإرساليات في الغزو الفكرى في التعليم في شمال السودان :**

لقد مارست الكنيسة - كما سبق وأن قدمنا - ضغوطًا مع حكومة العهد الثنائي . فوافقت الحكومة للإرساليات بمباشرة نشاطها بالجنوب وجبال النوبا ، وتركت لها الحبل على الغارب . وكان الهدف من ذلك ، واضحًا ، وهو استئصال شأفة الإسلام ، ونفوذه في الجنوب ، وقد رأينا كيف فعلت الكنيسة فعلتها في هذا الجانب .

أمّا في السّودان الشمالي ، فقد كان النشاط التبشيرى بمعناه الواسع محظورًا . خوفًا من إثارة المسلمين ، ولكن الحكومة ، قد سمحت بادىء الأمر للإرساليات بإنشاء مدارس التنصير ، بحجة ظاهرها ضمان توفير التعليم المسيحي لأبناء النصارى المستخدمين (١) ، الذين كانوا في بادىء الأمر من غير السودانيين ، وباطنها نشر ثقافة الدّول النصرانية التي تتبع لها هذه الإرساليات ، وإحلال لها محل الثقافة الإسلامية .

لذلك فإنّه لم يمض وقت طويل على إنشاء هذه المدارس ، كما سيأتي تفصيلها . حتى ولع بها المسلمون ، فاجتذبت أبناء هم اجتذابًا ومازالت .

وبالنظر إلى هذه المؤسسات التعليمية الإرسالية ودورها في الغزو الفكرى يمكن تقسيمها إلى قسمين :

(١) رياض الأطفال .

(٢) التعليم الأول والأوسط والثانوى .

---

(١) انظر : الخضر عبد الرحيم ، النشاط الكنسي في السودان ، مرجع سابق ، ص .
استنادًا إلى : The Christain Approach to Islam in the Sudan.
P. 16 .

* أَوَّلاً : رياض الأطفـــال :

لقد حثَّنا ديننـا الحنيف بتعهُّد الصِّغار بجميع جوانب التَّربية،وبخاصة التربيـــة الإيمانيـة ، لربطهـم منذ نعومة أظفارهم بأصول الإيمان باللـه ، وبجميع الأمـــور الغيبيـة ، وتعليمهـم مبادىء الشَّريعة،من عقيدة صافيـة خالصـة ، وأخلاق كريمـة ومعاملة فاضلـة ، وتنشئة الطفل منذ البدايـة علىهذه الأسس أمر هام للغايـــة ، إذ المولود يولد على الفطرة ، وينشأ في البيئة التيجد فيها نفسه ، قـــال صلى اللـه عليـه وسلم - " كلّ مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانـــــه ، و ينصِّرانـه ، و يمجِّسانـه .." (١)

واتفق علماء النفس والتربيـة على :

(١) أنّ نصف البناء العقلي للفرد يتم في السنوات الأولى من حياته وهي قبل دخـول المدرسـة ، وأنّ النمو الجسدى والعقلي ، والاجتماعيو العادات التي تتكون فـــي هذه الفترة ، يصعب تغييرها في فترات النَّمو التَّاليـة .

(٢) أنّ السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل،تترك بصماتها في حياته إلىحيـــن مماتـه ، سواء أكانت واضحة ، أم باهتـة ، ولكنَّها تظلّ موجودة إلى انتهـــاء الحياة .

(٣) أنّ الأطفال الذين تلقّوا تربيـة سابقـة للمدرسة الإبتدائيـة ، أصابوا نجاحًا فـــي الحياة ، لأنّ قدرتهـم على التكيّف في المجتمع والبيئـة ، أوفر وأخصب " (٢)

والخلوة هي الرّوضة الأولى التي عرفها السودان فقد كانت بجانب تعبُّدهـــا

---

(١) صحيح مسلم : كتاب القدر ، باب في معني كلّ مولود يولد على الفطرة : ٢٦٥٨/٤ عـــن أبي هريرة - رضي اللـه عنه - مرفوعـًا .

(٢) محمد كامل آدم ، خلوة القرآن النّموذجية للأطفال ، مجلة التوثيق التربوى ، العدد ٦٤ - ٦٧ ، السنة السادسة عشرة ، ص٧٠

للقرآن الكريم ، كانت بمثابة روضة للأطفال ، تغرس فيهم العقيدة في سن مبكرة ، وتحميهم من الانحرافات في السلوك العام ، وتقوّى فيهم روح التّديّن العملي ، وتغرس فيهم شعورًا بالانتماء للحضارة ، والثقافة الإسلامية.... الخ (١)

وقد أدرك الاستعمار ، وأدواته هذه الحقائق الهامة ، وأدركوا كذلك أنّ الأطفال في هذه السن ، يمكنهم أن يستوعبوا ، مايقوّت عليهم مخططهم في المراحل التالية ، لذلك فقد نشطت الإرساليات المسيحية في فتح رياض الأطفال لأول مرة ، وضمها إلى مدارسها الأولية، كأوّل نوع من أنواع الرياض ـ الحديثة ـ التي عرفت في السودان . (٢) وكان ذلك في العشر سنوات الأولى من هذا القرن ، حيث قامت الإرسالية الكاثوليكية بتأسيس المدارس في الخرطوم وأم درمان ـ كما سيأتي ـ وقد ضمّت إليها رياض الأطفال .

وكانت المحاولة الثانية في تعليم الأطفال، تم تنفيذها بواسطة كلية الأقباط في الخرطوم ، وهي مدرسة أنشئت أساسًا لخدمة الجالية المصرية . (٣)

وتتابعت المحاولات فأنشأت الإرسالية الإنجلية ، والكنيسة الأسقفية بالعاصمة، رياضًا للأطفال تابعة لمدارسها الأولية . (٤)

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : محمد كامل آدم ، خلوة القرآن النموذجية للأطفال ـ مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢) هناك ثلاثة أنواع من تعليم رياض الأطفال بالسودان :
١ : رياض الأطفال المنتمية للمدارس الأولية .
٢ : الرياض ودور الحضانة الخاصة والتي لا تتبع للمدارس الأولية .
٣ : رياض الأطفال التابعة لمصلحة الشئون الاجتماعية .

(٣) انظر : د . قاسم بدرى ، الإسلام والتعليم المبكر ، المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالسودان ، الخرطوم ١١ـ١٤ صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٧ـ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢ م ص ٠٣

(٤) انظر : د . الخضر عبد الرحيم أحمد ، التبشير الكنسي في السودان ، رسالة دكتوراة مرجع سابق ص ١٧٣ ، ص ١٧٥ .

ورغم تبعيّة هذه الرياض للإرساليات التبشيرية، إلاَّ أنّ الباحث يجد أن نسبة أبناء المسلمين فيها أكثر بكثير من أبناء المسيحيين الذين أنشئت هذه المدارس والرياض من أجلهم ·

وكمثال على ماذكرنا انظر الجدول التالي : (١)

الرقم	الروضة	عدد الفصول	مجموع التلاميذ	السودانيون	الوافدون	المسلمون	المسيحيون
١	روضة الكنيسة الأسقفية بأم درمان	١	١١٦	١١٦	—	١٠٨	٨
٢	رياض أطفال الإنجيلية السودانية بالخرطوم بحرى بنين وبنات	٤	١٨٢	١٧٨	٤	١٥١	٣١
	المجموع	٥	٢٩٨	٢٩٤	٤	٢٥٩	٣٩

كما هو واضح من الجدول فإنّ نسبة المسلمين في هذه الرياض الكنسية قد تجاوزت الـ ٨٦ ٪ ، ومن هنا ينبع الخطر في دفع أبناء الإسلام والمسلمين إلى هذه الرياض والمدارس الأجنبية والتبشيرية ، وما قد يتشربه هؤلاء الأطفال من مفاهيم غريبة على مجتمعهم، مخالفة لعقيدتهم الإسلامية ، بل قد يصل الأمر بهم إلى كراهية الإسلام وعداوته ·

ويزيد الأمر خطورة إذا علمنا أنّ لهذه الرياض مناهج نابعة من صميم الخطة العامة ومناهج الدراسة في الإرسالية المعينة ، حيث نجدهم يركزون أكثر على النظام، والموسيقى والغناء مع شيء قليل من مبادىء القراءة والكتابة والحساب ·

---

(١) أنظر د· حسن مكي التبشير المسيحي في العاصمة نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة ص ١٥ ·

وقد زاد الطين بله، احجام السودانيين المسلمين عن إنشاء مثل هذه الرياض بسبب التضييق عليهم في الترخيص لهم بذلك .

وقد أظهرت الإحصائيات أنّ أول روضة أطفال سودانية تفتح من سوداني، لم تؤسس إلاّ في سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م . (١)

وحتى هذه الرياض الوطنية التي أسّسها السّودانيون فيما بعد ، قد نشأت فكرتها ، وأسلوب العمل فيها بنفس الفكرة الغربية ، من حيث المستوى والوسائل (٢) تحقيقا لمقاصد أصحاب الفكرة في الغرب - علموا ذلك ، أو لم يعلموا - ، حيث سارت هناك - أي في الغرب - وفق خطط مدروسة ، وأهداف محدّدة .

ورغم أنّ بعض الغيورين على الإسلام ، وعلى النّشء قد أخذ يحاربهم ، في إقامة رياض الأطفال ، لكنّهم لم يحدّدوا الأهداف والمقاصد ، أو اعداد وسائل العمل ، ومناهج التعليم التي تصلهم في النهاية بأهدافهم ومقاصدهم . (٣)

* **ثانيا : التعليم الأوّلي والأوسط والثّانوى :**

كانت لهيئة التبشير الإيطالية الكاثولوكية قدم سبق في هذا المضمار ، حيث أنشأت هذه الهيئة مدرستين للبنات في نوفمبر سنة ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م . (٤)

---

(١) انظر : د. قاسم بدرى ، الإسلام والتعليم المبكر ، مرجع سابق ص ٣

(٢) انظر : محمد كامل آدم ، خلوة القرآن النموذجية للأطفال ، مرجع سابق ، ص ٥ .

(٣) لقد أنشأت منظمة الدعوة الإسلامية في الخرطوم رياضًا نموذجية للأطفال بالعاصمة المثلثة تتبع لمدارسها الأولية ، ذات أهداف ومقاصد إسلامية ، ومناهج تعليمية مخططة ومدروسة تستحق تعميم فكرتها ومنهجها وأساليبها على جميع الرياض التي تتبع للمسلمين .

(٤) انظر : د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
وكذلك : محمود عبد الله برات ، تعليم الفتاة في السودان ، المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم ١١-١٤ صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٧-٣٠ نوفمبر ١٩٨٢ م ص ١٦.

أحداهما : مدرسة الراهبات بالخرطوم " سانت آن "

والأخرى : مدرسة الراهبات بأم درمان " سانت جوزيف " .

كما وأسست الأسقفية الإنجليزية ، أولى مدارسها ، للبنات عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م ، بالخرطوم . (١)

وتحولت هذه المدارس الثلاث إلى ادارة " قوريين " . قائد جميع حركات التبشير في السودان (٢) ، وقد كان نشطاً ذكيًا ، ذا مقدرة على تعميق علاقاته بمن حوله ، فتمكن بعد عام من توليه مسئولية تلك المدارس ، تمديد خدماتها إلى العديد من البيئآت الإسلامية .

وأنشأت الإرسالية الأمريكية في عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥م ، مدرسة الصبيان بأم درمان (٣) ، ومدرسة أخرى بالخرطوم . (٤)

ولم تكتف هذه الإرساليات بفتح هذه المدارس في العاصمة وحدها ، بل عندما قويت شوكتها ، ورأت ثمار حرثها في العاصمة ، قامت بنقل هذه التجربة إلى الأقاليم ، والأرياف ، فقامت الهيئة التبشيرية الإيطالية الكاثولهكية بفتح مدرسة ببورتسودان سنة ١٩٠٦ م (٥) وأنشأت الأسقفية الإنجليزية ، مدرسة للبنات بمدني ، وأخرى بعطبرة عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م (٦) وأخرى للبنات بحلفا

---

(١) انظر : الخضر عبد الرحيم أحمد ، النشاط الكنسي في السودان ، مرجع سابق ، ص . استناداً إلى :
The Christain Approach to Islam in the Sudan . P. 15 .

(٢) انظر محمود عبد الله برات ، تعليم الفتاة في السودان ، مؤتمر جماعة الفكر والثقافة بالخرطوم ١٤٠٣هـ ص ١٧.

(٣) انظر: د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٠٨

(٤) انظر المرجع نفسه ، ص ١٠٧ ، ١٠٨

(٥) انظر : د. محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ١٠٧ .

(٦) انظر : أ . ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ترجمة محب الدين الخطيب وآخر، ط ٢ المطبعة السلفية القاهرة ، ١٩٨٢م ص ٤٤ .

عام ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م . [(١)]

وقد استمرت هذه المدارس التنصيرية في الشمال في نموِّها ، تعمل على إفساد عقائد المسلمين ، لتنمو نموًا واسعًا في ظل ما يسمى بالحكم الوطني ، أكثر من نموها في عهد الحكم الثنائي الاستعماري .

ورغم أنَّه كان بكل مدرسة إرسالية، مقررات وطرق وأساليب تخالف الأخرى، إلاَّ أنَّها جميعًا كانت تهدف إلى تعليم يقوم على أساس وتفكير غربي مسيحي ، لذلك فإنَّ مناهجها تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية منذ البداية ، وفي أولى مراحل المدارس الأولية . [(٢)] ولما كانت الغلبة للطابع الديني المسيحي على هذه المدارس ، كان من الطبيعي أن يتولى رجال الدين المسيحي الهيمنة والتدريس والتوجيه ، على مثل هذه المدارس بأنفسهم ، ثم من بعد ذلك وجد العلمانيون المنتمون إلى هذه الإرساليات، طريقهم إلى هذه المدارس ، فدخلوا ضمن هيئات تدريسها ، نتيجة للاحتياجات التعليمية الخاصة أو الظروف المحلية لكل مدرسة .

ولكنها برغم الظروف التي تهيأت لها لم تنس أَنَّ أَعمالها موجَّهة بين جماعة مسلمة ، ذات حساسية مفرطة بالنسبة للدين ، لذلك لم تتخذ لتنفيذ أغراضها في بادىء الأمر سبلاً معادية للمسلمين ، ولكن عندما بدأت هذه الإرساليات تتكالب على إنشاء المدارس التنصيرية ، وأصبحت هذه المدارس بمالديها من أساليب جذب ، قِبْلَةً لأبناء كثير من البيوتات السودانية - كما سيتضح ذلك فيما بعد - ، رأت الحكومة بناء على ما تحصل لديها من معلومات ، ذر الرماد على عيون المسلمين ، تحسبًا منها لانتفاضة المسلمين التي باتت وشيكة

---

(١) انظر : الخضر عبد الرحيم ، النشاط الكنسي في السودان ، مرجع سابق ، ص .
استنادًا إلى : The Christain Approach to Islam in the Sudan.P.15 .

(٢) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص : ١٠٨ - ١٠٩ .

الظهور خاصة بعد أن بدأت الصحف المصرية تفتح صفحاتها للمثقفين السودانيين، الذين بدأوا ينتقدون صراحة حكومة العهد الثنائي خاصة فيما يختص بالتعليم. فرأت الحكومة من جانبها من باب ابداء حسن النوايا لامتصاص غضب الجماهير -رأت- اخضاع مدارس الإرساليات للتفتيش، ولكنها في الوقت نفسه وفي المقام الأول لم تفتها من أنّ ذلك سيجر عليها غضب الكنائس وإثارتها بالتدخل في شئونها الداخلية، لذلك كان من رأى " ونجت " الحاكم العام أن يطبق التفتيش بحذر مع اقناع هذه الكنائس، أنّ الغرض من التفتيش النصح لا النقد، وأنّه سيتولاه إنجليزى ولن يسمح لأىّ من أبناء البلاد بالقيام بذلك، وأنّ الهدف منه هو إسكات المسلمين الذين بدأوا يطالبون بإغلاق جميع مدارس الإرساليات. [1]

وقد وضعت الحكومة لهذا التفتيش المفتعل قواعد نجملها في الآتي: [2]

(١) قبل أن يتلقّى الطالب أىّ دروس دينية يجب أن يحصل مدير أو ناظر المدرسة على موافقة الأب أو ولى الأمر كتابة، أنّ ابنه سيتلقى تعليمًا مسيحيًا.

(٢) وأنّ يخطر ولي أمر الطالب قبل قبول ابنه بالمدرسة بأنّها مدرسة مسيحية.

(٣) إذا لم يوافق ولي أمر التلميذ على تعليم ابنه الدين المسيحي لا يكره على ذلك.

(٤) عند الشروع في تدريس العلوم الدينية يجب أن لا يبقى في الفصل ساعة الدرس تلاميذ غير أولئك الذين سجل آباؤهم إقرارا بالموافقة المطلوبة.

(٥) تظل المدرسة مفتوحة في كل الأوقات للتفتيش عليها بواسطة الحاكم العام أو من ينوب عنه.

(٦) أن يكون رئيس المدرسة مسئولا عن تنفيذ هذه الشروط.

---

(١) انظر التعليم في السودان، ص ٨٤

(٢) انظر: د. محمد عمر بشير، تطور التعليم في السودان، ص ٧٨-٧٩.
وكذلك التعليم في السودان، ص ٦٦/ ٦٨.

ورغم أنَّ هذه الإرساليات قد استجابت لهذه الشروط عند بدء القرار إلاّ أنها فيما بعد لم تلتزم بتطبيقها .

ففي عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥م على سبيل المثال ، فرضت الإرسالية الأمريكية على الطلبة والطالبات المسلمين حضور دروس الديانة المسيحية [١] رغم أنه غير مفروض عليهم دراسة الدين المسيحي ، ولكن يجب أن يكونوا داخل الفصول تنفيذاً للنظام وقد سجلت الإحصائيات [٢] دليلاً واضحاً على سوء القصد المبيت، من إنشاء هذه المدارس كما هو واضح من الجداول التالية، حيث نرى النِّسب العالية والمتزايدة من البنين والبنات من السودانيين في هذه المدارس التنصيرية .

(١) مدارس الروم الكاثوليك :

السنة	عدد مدارس الروم الكاثوليك	عدد البنين والبنات من السودانيين
١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م	٥	٦٥
١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م	٥	٧٧
١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م	٥	١٣٤

(١) انظر : الخضر عبد الرحيم أحمد ، النشاط الكنسي في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ نقلا عن : حكومة السودان ، تقارير المديرية ، الخرطوم ١٩٢٥م ، ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ٢٨٠ ـ ، ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) **مدارس الإنجيليـة في هذه الفـترة :**

السنـــة	عدد مدارس الإرساليـــة الإنجيليـــة	عـــدد البنيـن والبنـــات من السـودانييـــن
١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م	٣	٣٠٤
١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م	٣	٣٦٤
١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م	٣	٤٠٠

(٣) **مدارس الأسقفيـــة :**

السنـــة	عدد مدارس الأسقفيـــة	عدد التلاميذ من الجنسيـــن
١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م	١٣	٤٢٤
١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م	١٣	٦٠٣
١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م	١٣	٦٣٤

والأمر الملفت للنظر حقًا ، أنّ أول ما اهتمت بـه مدارس الإرساليات وأولته كثيـــر اهتمامها، تعليم الفتاة ، إذ كان جل مدارس الإرساليات التي أُنشئت في تلك الفـــترة إلاّ النّذر اليسير منها مدارس للبنات ، وقد جمعت تلك المدارس في عـــــام ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ثمانين فتاة بينهـن ثلاثـة وستين فتاة مسلمة [1]. وفي عـــــام

---

(١) انظر: محمود عبد اللـه برات ، تعليـم الفتاة في السـودان، مرجع سابق ص ١٧.

١٣٢٩هـ - ١٩٠٠م بلغت نسبة البنات المسلمات بهذه المدارس التنصيرية ١٢٪[1]، ومن فرط اهتمام هذه المدارس بتعليم البنات ، أن أصبح دور المبشرين النصارى الطليعي أنموذجا سارت عليه الحكومة ، ورائد التعليم الغربي الشيخ بابكر بدرى من بعد .

ونحن بهذا لا نعيب تعليم الفتيات ، وإنّما نؤيده ، ولكن الذى ننقده ، النية السيئة التي صاحبت فتح تلك المدارس ، والعناية بالفتيات خاصة بهدف التأثير على البنات عندما يصبحن أمهات .

ويدلنا التباطؤ المفتعل من قبل حكومة العهد الثنائي في تبني تعليم الفتاة ، على سوء قصد الحكومة ، وعلى أنّ هناك أمرًا ماقد أبرم بليل بين الحكومة وهذه الإرساليات ، خاصة إذا علمنا أنّ حكومة العهد الثنائي لم تفتح مدرسة حكومية ثانوية للبنات إلاّ بعد مايقارب العشرين عامًا ، مقارنًا بأول مدرسة ، ثانوية تفتحها هذه الإرساليات ، وهي مدرسة أم درمان الثانوية للبنات .[2]

ويتضح لنا ذلك أيضا بمطالعتنا لما كان يدور بين " جووين " القسيس الرسمي للبلاط الحكومي ، و " ونجت " ، فقد أبان " جووين ، لو نجت أنّ أمر تعليم البنات في الخرطوم خاصة ، قد اتفق عليه بأن لا تقدم الحكومة على إنشاء أيّ مدرسة للبنات في الخرطوم خاصة ، في مقابل رضوخ مدارس الإرساليات للتفتيش الحكومي الذى سبق ذكره ، على أن يترك تعليم البنات للقطاع الخاص دون مساعدة من الحكومة[3] ولم يكتف " جووين " بذلك بل أوحي للحكومة فرض رسوم على التعليم

---

(١) د . الخضر عبد الرحيم ، التبشير الكنسي في السودان ص ١٦٧ ، نقلا عن :
Fr. Giovanni Vantine, Dwrham Sudan Historcal Records Conference the Roman Catholic Contribution to Evangelzation in the Sudan P.9 .

(٢) انظر : محمود عبد الله برات ، تعليم الفتاة في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٦ - ١٠

(٣) انظر : رسالة جووين إلى ونجت ١٣/ ٣/ ١٩٠٧ م رقم ١٠٣/ ٧/ ١ أ . ج . د .
وانظر كذلك التعليم في السودان ، ص ٨٤.

الحكومي ، حتى لا يهجر المسلمون مدارس الإرساليات .(١)

ولايخفى على أحد أنَّ التركيز على تعليم البنات من جانب الكنيسة في السودان، ماهو إلاّ جزء من مخطط عالمي كنسي لهدم العقيدة الإسلامية ، من الداخل، عن طريق المرأة ، من ذلك ما أثاره " مسيو أتيين لا مي " منذ عام ١٣١٩ هـ - ١٩٠١م في مجلة العالمين الفرنسية حيث قال :" إنَّ تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا الى نفس الغاية التي من ورائها نسعى ، بل أقول انّ تربية البنات بهذه الكيفية ، هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الاسلام بين أهله " .(٢)

ومن ضمن توصياتهم في شأن تعليم الفتاة أنّ :" تربية الراهبات لبنات المسلمين تُوجِد للإسلام في داخل حصنه المنيع عدوةً لدودًا لايمكن للرجل قهرها ، لأنَّه سهل على المرأة ، والحالة هذه أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الإسلام ، وتربى أولادها على غير دين أبيهم " (٣)

وقد أدرك أحد هؤلاء المبشرين أثر المرأةِ إذا استغلت في هذا الجانب فقال :" إنَّنا كنا مخطئين في هجومنا على جدار الإسلام ... أمّا الآن فسوف نقترب من جدار الإسلام الصخرى العنيد ، ونضع البارود في ثقوبه ، وبعد ذلك ننسحب ، ثم يحين الوقت ، ويتفجر البارود ، فيدسر جدار الإسلام الصخرى العنيد ، أتدرون ماتلك الثقوب التي نريد أن نضع فيها البارود ؟ هي قلوب نساء الإسلام ، وهل تدرون ماهو البارود ؟ هو التعليم الغربي العلماني " اللاّديني " ، فاذا ماملكنا

---

(١) انظر المرجع نفسه ، ص ١٠٢

(٢) أنور الجندى ، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، المجلد الخامس ، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ، دار الانصار ، ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

قلوبهم بالتعليم الغربي ملكنا قلوب المسلمين ، فهن أمهاتهم ، وزوجات مفكريهم وزوجات قادتهم ، ولن يجد المسلمون اختلافاً بيننا وبينهم " . (١)

فمن هذا الباب كان اهتمام المبشرين الشديد بتعليم الفتاة السودانية، على أسس التبشير المسيحي، شأنها في ذلك شأن مثيلاتها في الدول الإسلامية الأخرى ، وقد سارت حكومة العهد الثنائي من بعد في هذا الطريق . كما لم يفت هذه المدارس التبشيرية التنصيرية إلقاء بذور الشك في نفوس النشء المسلم من البنين ، وإفساد عقيدته ، وتقويض بنيانه منذ عهد النشأة الأولى، وقد وجدت العلمانية طريقها إلى السودان، وغيرها من الدول الإسلامية عن طريق هذه المدارس الكنسية ، وفي ذلك تأكيد للعلاقة الوطيدة بين التبشير والاستعمار .

* * *

(١) محمود عبد الله برات ، تعليم الفتاة في السودان . ص ١٤.

* **المبحث العاشر : معهد بخت الرضا وإعداد المعلم :**

لقد سبقت فكرة إعداد وتدريب المعلمين في عهد حكومة العهد الثنائي فكرة إنشاء معهد لتدريب المعلمين ببخت الرضا ، فقد كان للمعلمين قسم بكلية غردون ، مدة الدراسة فيه أربع سنوات خصصت السنتان الأولى والثانية لتدريس اللغات ، والعلوم العامة ، وخصصت السنتان الثالثة والرابعة لطرق تدريس اللغة الإنجليزية والعربية والرياضة والتاريخ والجغرافيا .[١] وذلك لاعداد معلمين للعمل في التدريس بالمدارس الإبتدائية (الوسطى سابقا).

ونظرًا لانتفاضة الخريجين التي حدثت في العشرينات من القرن العشرين ، وما أعقب ذلك من تشريعات خاصة بتطبيق نظام الحكم غير المباشر في السودان بهدف فصل الجنوب عن الشمال ، رؤى توجيه التعليم وجهة جديدة لخدمة السياسة الإدارية الجديدة ، فكونت على إثر ذلك لجنة " ونتر " في نوفمبر ١٩٣٢ [٢] ـ الموافق ١٣٥١ هـ ، بهدف وضع اللبنات الأساسية لكيفية وضع تلك السياسة موضع التنفيذ .

فكانت النتيجة قيام معهد تدريب المعلمين ببخت الرضا في عام ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م[٣] وتشكلت النواة الأولى لهذا المعهد من طلاب قسم إعداد المعلمين بكلية غردون ، التذكارية ، وكان عددهم يومذاك ثمانية وثلاثين طالبًا . [٤]

وحتى نقف على أبعاد وخطورة التركيز على معاهد تدريب المعلمين في هذه الفترة بصفة عامة ، ومعهد بخت الرضا بصفة خاصة علينا أن نبيّن النّقاط التّالية :

---

(١) انظر : موسى قسم السيد ، وعبد الغني إبراهيم ، ندوة حول بخت الرضا وقضايا التعليم الملحة ، مرجع سابق ص ٤.

(٢) انظر : شريف أحمد خاطر ، بخت الرضا بين الماضي والحاضر ، التوثيق التربوى العدد (٢١) السنة الخامسة يونيو ١٩٧٢م ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٢٦

(٤) انظر : عبد الحميد التجاني أبو قصيصة ، ذكريات نصف قرن / مجلة بخت الرضا ، العدد ٣٤ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ص ٥٥.

* مؤسس المعهد .
* الأهداف التي من أجلها فتح هذا المعهد .
* العلوم التي كانت تدرس .

أولا: مؤسس معهد التربية ببخت الرضا :

هو المستر ف . ل قريفث [(١)]، وهو بريطاني من دعاة الإصلاح المتأثرين بالأفكار التربوية الحديثة ، ويتميز بثقافة واسعة اكتسبها من ممارساته ، ودراساته لفلسفة غاندى [(٢)] التربوية ابان وجوده بالهند [(٣)] ، وتأثر المستر قريفث كذلك بآراء فرويد [(٤)] وتلا مذته في دراساته الأكاديمية ، خاصة نظرية الدوافع، والميول الفطرية، واستطاع أن يضع بعض آراء " مكدوجال " [(٥)] في السلوك ونمو

---

(١) ظل المستر قريفث (Grifith . J.G.) عميدا لمعهد التربية ببخت الرضا مدة ستة عشر عاما منذ تأسيسه في أكتوبر عام ١٩٣٤م إلى فبراير عام ١٩٥٠م ، وكان من قبل قد عمل بقسم إعداد المعلمين بكلية غردون التذكارية مع المستر "لين" . انظر : عز الدين الحافظ ، عمداء معهد التربية ببخت الرضا ، مجلة الرضا العدد ٣٤ ، ص ٤٧ .

(٢) غاندى " موها نداس كرمشند غاندى " ١٨٦٩ - ١٩٤٨م" .
زعيم سياسي هندى، تعلم بالهند ولندن عمل بالمحاماة عام ١٨٨٩م نادى بوحدة الجنس البشرى تحت نواميس الله ، نشط في معاونة الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى ، اغتاله هندى في ٣٠ يناير ١٩٤٨م .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٢٥١ .

(٣) انظر : شريف خاطر ، بخت الرضا بين الماضي والحاضر ، مقال متقدم، ص ٢٦ ، وانظر كذلك : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان، مرجع سابق ص ٢٠٠ .

(٤) فرويد : سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب نمساوى ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، صاحب تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة الأولى ، وصاحب نظرية عقدة أوديب ، وله مؤلفات كثيرة في هذا الشأن ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩٧ .

(٥) وليم مكدوجل (١٨٧١ - ١٩٣٨م) سيكولوجي امريكي ، ولد في لانكشير بإنجلترا ، وتعلم في جامعات كمبردج واكسفورد ، وجوتنجن ، كان أستاذ علم النفس بجامعة هارفرد (١٩٢٠م - ١٩٢٧م) وبعدها بجامعة ديوك ، قام بعدة أبحاث في علم النفس الاجتماعي والفسيولوجي من مؤلفاته : مقدمة إلى علم النفس الاجتماعي عام ١٩٠٨م .
انظر الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٧٣٥ .

الصفات الخلقية المكتسبة موضع التنفيذ [١] ، وقد ذكر فريفث في كتابه " تجربة في التعليم " [٢] : أن الفضل في هذه الأفكار التي أخذ يبثها يرجع للكشافة (العالمية) [٣] ولكلية التربية بلندن على عهدها الزاهر أيام " تين " [٤] و " فيرجريف "

وتدعيمًا لمجهودات فريفث ، فقد دعم المعهد بعدد من الأساتذة البريطانيين في مجال التربية نذكر منهم : [٥]

---

(١) انظر : شريف خاطر ، بخت الرضا بين الماضي والحاضر ، مقال متقدم ، ص ٢٩

(٢) لم أعثر على هذا الكتاب ، ولكني عثرت عليه منشورًا في شكل حلقات في كل من مجلة بخت الرضا ، ورسالة المعلم ، والتوثيق التربوى ٠
انظر مثلا رسالة المعلم العدد ٥ رجب ١٣٩٦هـ ، والعدد ٤ عام ١٣٩٥هـ ، ومجلة التوثيق التربوى ، العدد ٣٤ ، والعدد ٤٢ ، والعدد ٣٥ ، والعددان ٣٨ ، ٣٩ ديسمبر ١٩٧٦م السنة التاسعة ٠٠٠٠ الخ ٠

(٣) الكشافة العالمية : حركة رياضية اجتماعية تربوية ، ليس لها أى طابع ديني أو مذهبي أو عنصري ولايجوز لها أن تشتغل بالمسائل السياسية ، وترجع فكرتها إلى الضابط الانجليزى " لورد بادن باول " (١٨٥٧-١٩٤١م) ودخلت البلاد العربية منذ عام ١٩١٢م ، ولكنها لم تنتظم فيها إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى ٠
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ج ٢ ص ١٤٦٤ ٠

(٤) هيوليت تين (١٨٢٨ - ١٨٩٣م) مؤرخ وناقد فرنسي ، أستاذ التاريخ والفن وعلم الجمال ، بكلية الفنون الجميلة ٠ شهر بآرائه التي أثرت في مدرسة الفن الطبيعية ومؤداها أنّ الإنسان صنع الوراثة والبيئة والزمان ، وبذلك يكون الفن صورة للجنس والزمان والمكان أكثر منه صورة للفرد ٠
انظر الموسوعة العربية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٥٧٥

(٥) انظر : عز الدين الحافظ . مقال عن السيد عبد الرحمن على طه ، مجلة بخت الرضا . العدد ٣٤ . ربيع الأول ١٤٠٥هـ .

(١) المستر " قرنيلو " الذي أوكل إليه ادخال الفنون الجميلة ، والأشغال اليدوية في بخت الرضا .

(٢) المستر " بيكون " ، وكان خبيرًا في الزراعة .

(٣) المستر " د . أ . هدجكن " عميدًا لمعهد بخت الرضا خلفا للمستر فريفث .[١]

وكان هؤلاء يحملون أفكارًا يخشى أن تصطدم مع الواقع فتثير الرأى العام السوداني المتوجس ريبة من تلك الأفكار في ذلك العهد ، وذلك من الأسباب التي دفعت الاستعمار لنقل قسم معلمي المدارس الأولية (العرفاء) من الخرطوم الى بقعة نائية على النيل الأبيض على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريبا شمال مدينة الدويم ، امعانًا في الابتعاد عن رقابة المثقفين وفضول الناس ، وسوف نتبين هذه الأفكار عند عرضنا لأفكار قريفث .

ثانيا : الأهداف التي من أجلها فتح معهد التربية ببخت الرضا :

بحلول عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م تبلورت الآراء والأفكار لدى قريفث حول اخضاع الحياة والدراسة اليومية بالمعهد نحو الوجهة الجديدة، فشرع في وضع اللبنات الأولى في بناء شخصية المعلم الجديد ، وحدد أهدافه بـ " تكوين[٢] مدرس ريفي كفء ، لديه القدرة على التكيّف مع حياة الريف "[٣] علاوة على إعداد الكتب الدراسية ، ومراشد المعلمين للمراحل الأولية .[٤]

---

(١) خلف المستر " هدجكن " المستر قريفث على عمادة المعهد مابين فبراير ١٩٥٠م إلى مارس ١٩٥٥م . انظر : عز الدين الحافظ - عمداء معهد بخت الرضا ، مرجع سابق ص ٤٧

(٢) الكلمة في الأصل " خلق " .

(٣) انظر : شريف أحمد خاطر ، قريفث والتدريب الخلقي ، التوثيق التربوى ، العدد ٧١ السنة السابعة عشرة ، ص ٢٧.

(٤) انظر : د . محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ ، وكذلك انظر : سليمان محمد سليمان آراء ومقترحات حول مستقبل بخت الرضا ، مجلة التوثيق التربوى العدد ٧١ ، مرجع سابق ، ص ٤٩.

على أنّنا بتتبعنا لكتابات قريفث مؤسس المعهد تتبّين لنا الأهداف الحقيقية وراء انشاء هذا الصرح الهام ، مما يدل على أنّ هناك نيّة مبيّتة لأمرٍ ما .

ولمّا كان كثيرٌ من المثقفين، ورجالات التعليم قد انبهروا بأعمال قريفث في التعليم في هذا العهد ، فكتبوا عنه ودافعوا ، ولمّا كانت كتابات قريفث التي تحمل آراءه وأهدافه الحقيقية غير متداولة بين السودانيين إلاّ في نطاق ضيّق جدًّا جدًا ، في شكل مقالات متفرقة على مجلات محلية محدودة . ـ لمّا كان الأمر كذلك ـ ، لزم علينا أن نورد جملة من عباراته التي تظهر الحقيقة من إنشاء هذا المعهد في السودان ، إذ نجد أنّ غالبية عبارات كتابه تدور حول معاني التغريب ، ومحاربة استظهار القرآن الكريم ، ومسخ الهوية الإسلامية ، والازدراء بحملة الثقافة الإسلامية والعربية من ذلك :

(١) ماجاء في وصف المستر قريفث لتجربته (تجربة في التعليم) حيث قال : " هو قصة تجربة معينة لها مايكتنفها من ظروف ، فقد كانت محاولة بين عامي (١٣٤٩ هـ ـ ١٣٧٠هـ) (١٩٣٠م-١٩٥٠م) لإعادة ترشيد النّمَط الغربي في التعليم الإبتدائي في السودان المسلم، ونفخ الروح فيه ، فتمخض من هذه التجربة مركزٌ تربوى ـ معهد تربية ـ تكاتف بين جدرانه أجانب ووطنيون على إجراء التجارب " (١)

(٢) ما أورده المستر قريفث في مقدمة كتابه المذكور، من اعتراف بضرورة ادخال المناهج الغربية على المناهج التعليمية ، حيث يقول : " في كثير من الأقطار غير الغربية ،التي أخذت في نمو سريع لابد من ادخال مناهج تربوية غربية وفاء بحاجات العصر الحديث ، ولا غبار مع هذا الاتجاه إلاّ أنّه يثير مشكلات خاصة "(٢).

---

(١) انظر : المستر قريفث تجربة في التعليم ـ ترجمة عمر الصديق ، رسالة المعلم ، العدد الرابع ، رمضان ١٣٩٥ هـ ، ص ٢٢.

(٢) قريفث ، تجربة في التعليم ، رسالة المعلم العدد الرابع، مرجع سابق، ص ٢١ .

ويحدد فريفث تلك المشكلات بقوله :

" فأولا : المبادرة بتخطيط المقررات واختيار الطرق إنّما تكون من الأجانب وفي المراحل الدنيا من التعليم قد يكون هؤلاء الأجانب في مواقع الإشراف العام لا الممارسة العملية ، وبذلك قد لاتجد آراء المدرسين من الوطنيين مكانها في عمل هؤلاء ، وظاهرة أخرى في بداية العمل : يبدو كل مايحيط بالمدرسة أجنبيًا : كتب الدراسة ، والصور ، والأجهزة ... الخ .

فهذا التعليم الأجنبي المكثف بالطرائق الأجنبية يعد في حقيقة الأمر مدخلا لمجتمع جديد ، ولايكون وسيلة لحفظ نظام المجتمع وتنميته كما هو الحال في البلدان الغربية .

ولكن لا مناص من التّسليم بأنّ التعليم الغربي الحديث ضرورة لكل بلدان العالم وينبغي ربطه بأحوال كلّ بلد ، ونفخ الروح فيه ليكون مثمرًا فعالًا ... فكيف الوصول إلى هذه الأهداف مع وعورة الطريق وضرورة البلوغ ؟ " (١)

وعن فكرة المعهد والتدريب ومن أين اقتبسها يقول فريفث بعد أن عهد إليه مدير التعليم الإنجليزى أن يكون أول مؤسس ومدير لمعهد إعداد المعلمين الريفي يقول - : " وقد وجدتني يومذاك متجاوبا مع الرأى العام البريطاني في استحسان ربط التعليم - خاصة التعليم الإبتدائي - بالأنشطة الريفية ، ولقد كان لى سابق عهد بتدريس المواد الأكاديمية لطلاب كلية هندسية في قرية لثلاث سنوات ونصف سنة ، وكان الطلاب متحفزين ، وكانت التجربة مما ينفض النوم عن

---

(١) فريفث - تجربة في التعليم - رسالة المعلم ، العدد الرابع ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

الجفون، ولكن تخلّلتها زيارة إلى " شنتينيكتان " (قرية طاغور)[١] ، وزيارة أخرى لمدرسة " أوشاجرام " الأمريكية المخطّطة على نظام قرية بنغالية ، فأوحت لى الزيارتان ما أوحتا ووجدتني حفيًا بالإفادة مما قد رأيت كما وجدتني أيضا مقتنعًا بضرر الحفظ بغير فهم مصمما على الخلاص منه "[٢]

وعن غايات الإنجليز في التعليم الإبتدائي في السودان يقول قريفث بعد أن ذكر انطباعاته: " هذه انطباعاتي الأولى ، وفي ظنّي أنّها تتسق مع انطباعات طائفة من رجال التعليم - من الإنجليز - ممن كانوا أرفع مني درجة وأكثر خبرة ، وقد كان لعملهم في التعليم الإبتدائي غايات ثلاث : أولّها : أن يرأبوا الصدع بين التعليم والسياسة البريطانية، التي كانت تواكب في نموها تطور المعاهد الوطنية ... وثاني الغايات : أن تكون التربية الريفية هي الغالبة في مدارس

---

(١) هي قرية منسوبة إلي : طاغور رابندر انات (١٨٦١ م - ١٩٤٢م) شاعر هندى ولد بكلكتا سليل أُسرة بنغالية ثرية عرفت بالجمع بين النزعة الغربية العملية ومثالية الهند وزهدها ، درس القانون بإنجلترا - اهتم بالتعليم ، ولكن كان إعجابه بالتعليم الغربي الحديث - أنشأ مدرسة خاصة في البنغال سماها " شنتينيكتان " أى دار السلام عام ١٩٠١م ليطبق فكرته في التعليم التي تقوم على مزج مزايا التعليم الحديث بالأصالة القومية العريقة ، والاتصال الدائم بالله وبالطبيعة ، واطلاق سراح الغرائز قليلا حتى لا يعرقل كبتها التمام النمو الروحي السليم .

وأهم ماكان يعلّم فيها : الفنون والصناعات الريفية لإيمانه بأنّ الإصلاح الاجتماعي يجب أن يسبق الإصلاح السياسي .

لمزيد من التفصيل انظر : لجنة من العلماء والباحثين العرب التابعة لجامعة الدول العربية ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت ، لبنان ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م ص ١١٤٧ .

(٢) المستر قريفث - تجربة في التعليم - ترجمة عمر الصديق - رسالة المعلم ، العدد الخامس ، رجب ١٣٩٦ هـ ص ١٩.

القرية ، وثالثها : أن يلغوا الحفظ عن ظهر قلب " (١)

وكانت النتيجة كما خطط زويمر كبير المبشرين من قبل ، وهي أن تقطع الشجرة أحد أغصانها ، وفي ذلك يقول فريفث : " فهل كانت هذه الأفكار مناسبة للتقاليد السودانية، خاصة الجانب السياسي، منها الذى كان يومئذ موضع الرعاية ؟ لا أجد برد اليقين في هذا ، إذ كان الأمر كله منوطا بسرعة التغيير في السودان ...

ولكن لم يند عن اعتقادى أنّ السودانيين رغم ما تنم به المظاهر، لابد أن يتولى مثقفوهم أمورهم ، فيؤثر ون نظامنا التعليمي على غيره ، وقد حدث هذا أسرع مما كنت أ توقع " (٢)

ثالثا : الكتب التي كانت تدرس :

نذكر من هذه الكتب :

(١) أهداف الأخلاق . (٣)

(٢) تدريب الاخلاق .

(٣) فلاحة البساتين .

(٤) الجمعيات المدرسية .

(٥) مرشد طريق الموضوعات .

(٦) الأخلاق وعلم النفس .

جميع هذه الكتب قد ألفت لتخدم فكرة معينة ومرحلة معينة بالنسبة لوضع السودان ، وأخذت بتجارب الدول المتقدمة كالولايات المتحدة ، كما تأثرت

---

(١) المستر فريفث تجربة في التعليم - رسالة المعلم ، العدد الرابع، مرجع سابق ص ٢٩ .

(٢) المستر فريفث ، تجربة في التعليم ، ترجمة عمر الصديق ، رسالة المعلم العدد (٥) ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٣) انظر عرض الكتاب ونقده ص ٢٠٧ من البحث .

ببعض مدارس علم النفس ، فدروس الموضوعات مثلاً لها ارتباط بتجارب "كلباترك" الذى عمل في الهند ، وطبق أفكاره جون ديوى [١] ... ، وأفكار " وليم جيمس " [٢]، قد ألقت بظلا لها في بعض المؤلفات المذكورة ، ونظام البرلمان البريطاني له بصماته في كتاب الجمعيات المدرسية . [٣]

يقول المستر "فريفث :" فمن بين أول اثنين بعثناهما للدولة في بريطانيا ؛ درس أحدهما نظم الحكم المحلي ، والمجهود التطوعي ، وعند عودته الى بخت الرضا ، أسهم في تعميق التجارب " [٤] وجميع هذه التجارب التي طبقت في بخت الرضا تتضمن جانبا من المعرفة ، هي المعرفة الحسية التجريبية، الناتجة عن بحوث علم النفس ، ولامجال فيها للمعرفة الغيبية .

---

(١) جون ديوى :(١٨٥٩م - ١٩٥٢م) فيلسوف ، ومرب أمريكي تأثر بآراء وليم جيمس ، ومذهب دارون الطبيعي ، وفلسفته منبثقة عن الاتجاه التجريبي البراجماتي الذى يفضل تسميته بمذهب الذرائع ، أو الوسائل ، فالتفكير الذى تثيره مشاكل الواقع ، إنما هو وسيلة يهتدى بها الإنسان إلى الوجود ، ويشعر بالطمأنينة عن طريق المعرفة العلمية التي تعكس العالم الخارجي وتطابق القوالب المنطقية .
أنشأ عام (١٨٩٦م) تحت رعاية جامعة شيكاغو مدرسة إبتدائية ليقوم فيها بالتجارب وبتطبيق نظرياته .
انظر : الموسوعة العربية المبسرة ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٨٤١ـ ٨٤٢ .

(٢) وليم جيمس :(١٨٤٢م - ١٩١٠م) فيلسوف وطبيب أمريكي ومشتغل بعلم الحياة وبالبلا هوت ، وكان مدرسًا بارعًا ـ أحدث بمذهبه العملي " البراجماتية " ودراساته النفسية ، ولاسيما كتابه " أحاديث إلى المعلمين عن علم النفس " الذى ترجم إلى العربية ، تأثرًا عميقًا في اتجاهات التربية في العالم ، أهم مؤلفاته :" مبادى علم النفس " ، " إرادة الاعتقاد " ، " صنوف من الخبرة الدينية ... " الخ .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ج١ ، مرجع سابق ، ص ٦٨٢.

(٣) محمد كامل آدم ـ العيد الخمسين لبخت الرضا ... التوثيق التربوى العدد ٧١، المرجع السابق ص ٢٥.

(٤) ف . ل . فريفث ، تجربة في التعليم ، ترجمة عبد الله محمد سليمان ، مجلة التوثيق التربوى السنة العاشرة ، العدد ٤٢ سبتمبر ١٩٧٧ م ، ص ٣١.

وبجانب هذه الكتب كانت الوسائل التعليمية شاهدة على توجيه التعليم الوجهة الغربية ، من ذلك وصف المستر فريفث لحجرة من حجات الدراسة بقوله :

" ... وترى الحيطان عطلاً إلاّ من ملصقات مصوَّرة تعبث بها الريح تحدث عن واقعة في إنجلترا ، أو في جزء آخر من البسيطة ، ولاتتحدث عن السودان ... " (١)

وتظهر كذلك على هذه المناهج بصمات حركة السيد أحمد خان، التي ظهرت في " عليكره " بالهند سنة ١٨٧٥م (٢) والذى أنشأ مجلة دورية سماها " تهذيب الأخلاق " ، وأخذ يفسر فيها القرآن ويعمل على تشويه الإسلام وطمس معالمه في أذهان المسلمين .

وبعد :

فتلك أبرز العناصر لفلسفة التربية في معهد بخت الرضا ، منهج خال من الإيمان بالله واليوم الآخر ، منهج يربط المعلم الناشيء بالبيئة فحسب ، وهي " محاولات علمية ترمي إلى تعميم " علمانية " الثقافة والفكر ، وتفصل التربية عن العقيدة ، وتجعلها نظريات عقلية ، ثم سلوكًا للحياة وحدها لاعلاقة لها بالدين ، ليفصلوا بذلك بين الدين وكل ما يتعلق بشئون الدنيا ، ويضعوا حائلاً بين الروحانيات والماديات .." (٣)

مثل هذه الأفكار يدرسونها لطلاب معاهد وكليات التربية فيتأثرون بها ويكونون بذلك قد فوتوا عليهم ما في الإسلام من توجيه لتحقيق الإصلاح الخلقي والاجتماعي المنشود . (٤)

فلابد لنا إذا أردنا أن ننشيء أجيالا صالحة أن يكون تدريب المعلم الناشيء الذى سيتولى تربيتهم مستقبلاً نابعًا من منطلقات التربية الإسلامية التي تنطلق

---

(١) فريفث ، تجربة في التعليم ، رسالة المعلم ، العدد الرابع ، مرجع سابق ، ص ٢٦.

(٢) انظر : د . محمد سلامه مدكور ، التعليم في الإسلام ماضيه وحاضره ، مرجع سابق ، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : د . بشير حاج التوم ، تأصيل تربية المعلم ، ص ٣٠.

من مبدأ التوحيد الذى هو أساس عقيدة المسلمين ، وأساس حياتهم وهي التي ينبغي أن تربط بين الأسرة والمدرسة والمؤسسات الإسلامية الأخرى .

فهل التربية التي قدمها قريفث، قد لبت رغبات المجتمع السوداني المسلم ؟

نقول في الجواب : لا . لأنها تربية قائمة على أصول غير اسلامية ، وتحمل افكارا دخيلة على المجتمع السوداني تدل على التبعية الفكرية .

أمّا كونها قائمة على أصول غير إسلامية ، فلأنّ بعض مناهجها ، كمنهج علم النفس والاجتماع ، مقتبسة من نظرية المنهج العلمي الغربي في النفس الإنسانية التي تختلف كل الاختلاف عن مفهوم الإسلام ، وتتعارض مع طبيعة النفس البشرية [1] التي قدمتها لنا الأديان ، وأضاء مفهومها الإسلام .

من ذلك أنّ المستر قريفث مؤسس هذا المعهد ، قد تأثر - كما صرح بنفسه - [2] بآراء فرويد ، وتلامذته في دراساته الأكاديمية ، خاصة نظرية الدوافع والميول واستطاع أ ن يضع بعض آراء " مكدوجل " في السلوك ، ونمو الصفات الخلقية ، موضع التنفيذ في هذا المعهد ، واستخلص من تلك النظريات الغربية التي تشربها ما يسمى " بالنشاط الحر " [3] واستخدم الدوافع الأخرى خلاف الخوف والعقاب في بناء مسلك الطفل وتربيته . ومحصل ذلك أنّ الطفل لابد أن يترك حرًا يتبع ميوله واستعداده ، ويسير بالطريقة التي تروق له ، وتناسبه ، ومعنى ذلك ، أن لا يتدخل الآباء في تربية الأبناء ، وأن يرخوا لهم العنان في تكوين الشخصية .

وفكرة العقاب ، والجزاء في التربية ، فكرة نادى بها فرويد، وقصد منها تجريد الحرية من القيود الأخلاقية والدينية ، واعتبرها أهم أسباب التوترات العصبية والعقد النفسية ، نسب إليها كلّ خلل ، أو انهيار نزل بالأفراد والجماعات. [4]

---

(١) انظر : د . عبد العزيز القوصى ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، مكتبة النهضة المصرية ط ١ ، ١٩٧٠م ص ١٦٢ .

وإني إذ استشهد ببعض الفقرات من مثل هذه المصادر لا يفوتني أن أنبّه القارئ الكريم إلى أنّ مثل هذه المصادر التي لم توضح النظرة الإسلامية للنفس والتربية ، ولم تأخذ الصيغة الاسلامية ، ينبغي تناولها بحذر شديد ، لأنها تحمل في الغالب أفكارًا ومناهج تغريبية .

(٢) انظر ص ١٧٥ وما بعدها من البحث .

(٣) انظر : ف . ل قريفث ، تجربة في التعليم ، تعريب عبد الله محمد سليمان ، مجلة التوثيق التربوى العدد ٣٤ ، سبتمبر ١٩٧٥م ص ٥.

(٤) انظر : الدكتور محمد السيد الوكيل ، قواعد البناء في المجتمع ، دار الوفاء للطباعة ==

وقد شهد على فساد هذه الفكرة علماء الغرب انفسهم من الأطباء النفسيين، فأثبتوا بالتجربة بعد دراسات طويلة، ضرورة استخدام العقاب المادى كوسيلة لتقويم الطفل في بعض المراحل، وأثبتوا كذلك أنّ اقبال رجال التربية على لوم الآباء هو المسلك المدمر في تربية الأبناء. (١)

والثواب والعقاب أيّا كان نوعهما، أسلوب يلجأ إليه المربون عندما لا تفيد النصيحة عن القيام بوظيفتها، أو عندما يكون التوجيه صرخة في واد، أو نفخة في رماد. (٢)

فالضرب له ظروف استثنائية، وليس أمرًا عامًّا كما هو وارد في السنة كقوله صلى الله عليه وسلم " مرو أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر"(٣) وأمر بها في بعض الأحيان التي لايجدى فيها غير العقوبة. فمثلا نجد القرآن الكريم، قد عرض لنا العلاج في حالة نشوز الزوجة. قال تعالى: ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع، واضربوهن ﴾ (٤)

فالتربية في الإسلام إنّما تعتمد في المقام الأول أسلوب التوجيه والنصح، مع الرفق واللين " فعظوهن" ثمّ: " واهجروهن في المضاجع"، ثم إذا لم تنفع تلك الوسائل، يلجأ إلى العقوبة المادية، على أن لاتكون عقوبة منفرة.

== والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص ٦١

(١) انظر أنور الجندى، أخطاء المنهج الغربي الوافد، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

(٢) انظر: د. محمد السيد الوكيل، قواعد البناء في المجتمع، مرجع سابق، ص: ٥٥، ٧٧.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ج ١، حديث رقم ٤٩٥، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا.

(٤) سورة النساء، الآية ٣٤.

فالإِسلام عندما يقرر العقاب ، ويجعله وسيلة من وسائل التربية ، إنّما يسعى للوصول إلى غايته بواقعية لم تراعها النظريات التربوية الحديثة .

أمّا كون التربية التي قدمها المستر فريفث ، تحمل أفكارًا دخيلة ، ومادة تدّل على تبعية فكرية خطيرة ، فإنّ كلّ ماقدمنا من تصريحات وكتابات فريفث تدل على ذلك ، فعلى سبيل المثال :

نجد تطبيق التجارب ذاتها التي أجريت في المجتمعات الأخرى الغربية منها وذات الولاء للغرب ، على السودان ، كتجربة طاغور الهندي ١٢٧٨ هـ - ١٣٦٠ هـ (١٨٦١م - ١٩٤١ م) الذى درس القانون في انجلترا ، والذى أنشأ مدرسة خاصة في البنغال عام ١٣١٩هـ - ١٩٠١م ، على هذا المنوال ، ودعا الى الجمع بين النزعة الغربية ، ومثالية الهند .[١] وكان المستر فريفث الذى زار تلك المدرسة ، ووقف على منهجها ، كان يرى أنّ التعليم الغربي الحديث ضرورة لكل بلدان العالم ، وينبغي ربطه بكل بلد ، ونفخ الروح فيه ليكون مثمرا فعالا [٢] ، وبناء على ذلك سعى إلى ربط التعليم بالأنشطة و التجارب وادخال مناهج تربوية غربية ، تجاوبا مع الرأى العام البريطاني ، ووفاء بحاجات العصر - كما صرح بذلك - .

* * *

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر ص ١٧٩ من البحث .

(٢) انظر ص ١٧٦ من البحث .

* المبحث الحادى عشر : لغة التعليم في المدارس الحكومية :

يعرف العلامة ابن خلدون اللغة بأنّها : " عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أ مّة بحسب اصطلاحاتهم" (١)

وقد سبقه ابن جني بالإشارة إلى هذا المعنى بتعريفه اللغة : " أنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " (٢)

فهي إذًا - أيّ اللّغة - أداة اتصال وتخاطب بين الشعوب ،

وقد قسّم المحدثون وظائف اللغة إلى خمس وظائف أساسية (٣) : -

(١) اللغة أداة للاتصال والتفاهم .

(٢) اللغة أداة للتعبير عن النفس .

(٣) اللغة أداة للتفكير .

(٤) اللغة أداة لتحصيل العلم وتوسيع الخبرة .

(٥) اللغة أداة لتوثيق الروابط القومية .

بهذه الوظائف الأساسية للغة ، تكون لغة القوم هي مستودع تراثهم الثقافي ، وبواسطتها يذاع هذا التراث وينشر ، وينقل من جيل إلى جيل ، ولذلك كانت اللغة من أهم الوسائل لتعليم الثقافة المشتركة ، وصهر عناصر الأمة في بوتقة واحدة ، وتوحيد مشاعرها ، وعواطفها ، وآمالها وآلامها .

كانت تلك مقدّمة لابد منها عن اللغة ومكانتها وأهميتها ، ونحن بصدد الحديث عن لغة التعليم ، وقد أدرك الاستعمار ذلك متجاوزاً المعنى الضيّق لمفهوم اللغة الذى لم يتجاوز الشكل الى المضمون ، وهو أنّ "اللغة أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها " . (٤)

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون - مقدمة تاريخ ابن خلدون ج ١ ، ضبط ومراجعة خليل شحاده ، وسهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ، ص ٧٥٣ .

(٢) أبي الفتح عثمان بن جنّي - الخصائص ج ١ ، تحقيق محمد على النجار ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة ٣ ص ٣٣ .

(٣) انظر عبد القادر شيخ ادريس ، وقفات مع اللغة والتربية ، التوثيق التربوى العدد (٥٠) سبتمبر ١٩٧٩م ص ١٥

(٤) المرجع نفسه ص ١٥ .

لذلك فإنّ المستعمر أوّل ما يسدّد طعنته، يستهدف اللغة ، يفرض لغته ويربطها بالمكانة الاجتماعية المرموقة ، ويوظّفها من أجل رفاهية العيش وبلهنية الحياة ، ويركل اللغة القومية فيضعف من شأنها [1] . وكانت تلك هي السياسة التي اتبعها الاستعمار في لغة التعليم في السودان ، حيث لاقت اللغة العربية - اللغة القومية المشتركة - اغفالاً متعمدًا، ومحاربةً في غير هوادة من قبل الإدارة البريطانية بغية إقامة الحواجز الفكرية والثقافية ، بغرض فصل جنوب السودان عن شماله، من جهة ، وطمس هويته الإسلامية ، وتوجيهه وجهة لا سودانية ولا قومية من جهة أخرى .

وليس أدل على ذلك، مما هو وارد لإبعاد اللغة العربية كلغة تعليم ودراسة ، والعمل على التمكين للغة الإنجليزية في شمال السودان وجنوبه، إبان جثو الاستعمار على صدر الأمة السودانية ، من المحاولات الجادة للإستعمار لفرض لغته الإنجليزية كلغة تعليم، كما سيتبين ذلك في الفقرات التالية :

في شمال السودان فرض الاستعمار اللغة الإنجليزية كلغة تعليم ابتداء من المدارس الوسطى والأقسام الأعلى منها - وكانت العربية هي لغة التعليم في المدارس الأولية . [2]

وفي مجال التعليم الثانوى تقرر في سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م ربط مناهج المرحلة الثانوية بجامعة كمبردج [3] بحجة تمكين تلاميذ هذه المرحلة من الحصول على شهادات معترف بها عالميـًا .

وتمكينًا للغة الإنجليزية ، التي هي لغة الحكومة ، ورفعًا لمستواها وتحفيزًا

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: عبد القادر شيخ ادريس ، وقفات مع اللغة والتربية ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) انظر: محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(٣) انظر: علي محمد علي ، مناهج التعليم العام في السودان خلفياتها وتطورها ، التوثيق التربوى العدد ٧٤ ذو الحجة ١٤٠٥ هـ ص ١٤.

للطلاب لارتياد مثل هذا النوع من التعليم ، وهجر ما سواه ، أتاح الاستعمار لحاملي هذه الشهادات الفُرَص للالتحاق بالجامعات الخارجية لنيل درجات عليا ، بالإضافة إلى تهيئة فرص أفضل للعمل بالدوائر الحكومية ٠

أمّا عن سياسة الحكومة تجاه التعليم ولغته في الجنوب، فلم تكن مغايرة لتلك السياسة التي اتبعت في الشمال ، بل التركيز كان على الجنوب أكثر ، حيث نجد أنّ الحكومة قد استعانت بالإرساليات المسيحية، لمحاربة اللغة العربية ولا أدلّ على ذلك من الخطابات، والمكاتبات المتبادلة بين مسئولي التعليم في الجنوب ، ومكتب السكرتير الإدارى في الخرطوم حيث تُرْسَم السياسات العليا ٠

وكمثال لذلك ماجاء في خطابٍ لمدير المعارف لإحدى الإرساليات، أنّه يجب بذل قصارى مايمكن من الإرسالية لإخراس اللغة العربية، والعمل على تشجيع اللغة الإنجليزية لتصير لغة التفاهم المتداولة ٠[1]

وتمهيداً لجعل اللغة الإنجليزية، لغة للتعليم في الجنوب ، كما هي لغة الحكومة في دواوينها ، اتخذت الإدارة البريطانية ثلاث وسائل ممرحلة جاءت كالآتي :

* في المرحلة الأولى : فرض الاستعمار اللغة الدارجة ، كلغة تعليم ، وكان الجانب الأكبر من هذه المدارس يعتمد على المبشرين الزائرين ٠ فإنّها إذاً لم تكن أكثر من مراكز لتعليم القراءة في الكتاب المقدس ونقل فقرات منه مترجمة إلى اللغة الدارجة ٠[2]

* وكانت وسيلة التعليم في المرحلة الثّانية هي اللهجات المحلية ، وقد تم « استجلاب خبراء اللغات لتطويرها إلى لغات مكتوبة ، وجعلها وسيلة للتدريس

---

(١) انظر : الصادق عبد الله حامد ، ماضي اللغة العربية وتدريب معلميها في الإقليم الجنوبي إبان الحكم الأجنبي للسودان ، مجلة بخت الرضا العدد ٣٣ ، ١٩٨١م ص ٥٨٠

(٢) انظر : محمد عمر بشير ، جنوب السودان دراسة لأسباب النزاع ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ٠

في بيئآتها قبل الانتقال إلى اللغة الإنجليزية ، وحتى في مؤتمر الرّجاف الذى انعقد عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م بغية دراسة اللغات التي يمكن أن تتخذ وسيلة للتدريس في مدارس الجنوب ، كان ابعاد اللغة العربية متعمدًا ، ومقصودًا ، وكانت تتجاهل حقيقة انتشارها كلغة مشتركة وقومية بين قبائل الجنوب على اختلاف لهجاتها " . (١)

ولعل الجهد الكبير الذى بذل من قبل الإدارة البريطانية في تطوير اللهجات المحلية ، لكي تكتب بالأحرف اللاتينية في جنوب البلاد ، كان الغرض منه أيضًا ، التمهيد للغة الإنجليزية التي تكتب هي الأخرى بهذه الحروف .

ثمّ في المرحلة الثالثة ، اتجهت سياسة التعليم في الجنوب اتجاهًا خطيرًا ، ففي سنة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م، قضت بأن تكون لغة التعليم هي الإنجليزية بالنسبة لكل الدروس (٢). فاستبعدت اللغة العربية عن المدارس ، وجعلت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للتعليم، حتى على مستوى المدارس الأولية ، حيث يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس الجنوب ، بوجه عام في السنة الثالثة بالمدارس الأولية ، وهي تدّرس كمادة أساسية ولا تستعمل كوسيلة للتدريس إلاّ في بعض المدارس التي يكون بها تلاميذ من قبائل مختلفة ، يتحدثون لغات محلية مختلفة . أمّا في المدرسة الوسطى ، وما فوقها فتدرس اللغة الإنجليزية كمادة أساسية ، كما أنّها تستعمل أداة في تدريس المواد الأخرى . (٣)

وهذا الوضع الذى قدمناه هو نتيجة للسياسة التي كانت تهدف إلى تشجيع اللغة الإنجليزية ، والعمل على نشرها لكي تصبح لغة التفاهم ، واللغة المستعملة في التعليم .

---

(١) الصادق عبد الله حامد ، ماضي اللغة العربية وتدريب معلميها في الإقليم الجنوبي مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(٢) انظر : أحمد خير المحامي ، مآسي الانجليز في السودان ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) انظر: التعليم في المديريات الجنوبية ، دار الوثائق المركزية .
Dept. R. 6/14/153 بتصرف .

أمّا في المدارس الإرسالية المسيحية ، فبرغم أنّ المقررات ، وطرق التدريس تختلف فيما بين المدرسة والأخرى ، إلاّ أنّ كلاً منها كانت تضع تعليم الدين المسيحي ، واستخدام اللغة الإنجليزية في التعليم في الاعتبار الأول .[١] اتبعت هذه القرارات بقرارات مساعدة ، من شأنها المساعدة في ايجاد مجتمع لا يعرف من اللغات إلاّ الإنجليزية . من ذلك على سبيل المثال : موافقة مجلس الحاكم العام في عام ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢م على دفع علاوة مقدمًا ، لمن يتعلم القراءة والكتابة باللغة الإنجليزيّة من أفراد الجيش أو البوليس ، بهدف تشجيع الكبار على تعلمها .[٢]

ورغم أنّ قرارًا قد اتخذ في عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨م[٣] ، من قبل الأُستاذ عبد الرحمن على طه ، الذى أصبح أول وزير معارف سودانى ، تبنى فيه سياسة توحيد السياسة التعليمية في الشمال والجنوب ، وادخال اللغة العربية متدرجة كمادة دراسية في كلّ مدارس الجنوب في خلال عامين أولاً ، ثمّ من بعد ذلك لغة للتدريس . - رغم ذلك - لم تتمكن الوزارة الجديدة من التحول إلى اللغة العربية كلغة تدريس في المدارس الحكومية بصفة عامة ، إلاّ بحلول عام ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م[٤] ، أمّا في المدارس التبشيرية المسيحية ، فقد تم ادخال اللغة العربية على درجات متفاوتة ، بحيث حدث تأثيرٌ في بعضها ، بينما كان التأثير شكلياً في البقية الباقية خاصة مدارس القرى .

وكان السبب في هذا التأخير ، يرجع إلى أنّ القرار لم يصادف في حينه المعلّم الجاهز ، الذى يتبع لوزارة المعارف لتنفيذه ، حيث كان لاختيار المعلمين

---

(١) انظر : د . محمد عمر بشير . تطور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص : ٩٧ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٧٤ .

(٣) انظر : الصادق عبد الله حامد ، ماضي اللغة العربية وتدريب معلميها ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٤) انظر : حسن مكي ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، ص ٢٣ .

من فئآت محددة ، وتضييق فرص التعليم وضآلة ميزانيته دور مقصود في نقص المعلم الكفء الذى يقع على عاتقه هذا التغيير ، ويصلح لسد النقص فى مادة اللغة العربية ٠

وسبب آخر لهذا التأخير ، يعود لقرار اتخذه الوزير ، حيث أنّه بجانب ذلك القرار الجرئ ، واصلت الوزارة سياسة دعم المدارس التبشيرية المسيحية بل قامت الوزارة بزيادة دعم هذه المدارس الإرسالية المسيحية في عام ١٣٦٨هـ ـ ١٣٦٩هـ (١٩٤٨ـ ١٩٤٩م) ، من تسع وثمانين ألف جنيه ، إلى تسع ومائة ألف جنيه سوداني ٠ (١)

وبعد :

فنحن إذ نوضّح هذه الحقائق لا تفوتنا مكانة ، وأهمية اللغة الأجنبية كلغة ثقافة ، فهي وسيلة بلا شك من وسائل الانفتاح على العالم والاطلاع على تطور العلم والثقافة ، وهي فوق كلّ ذلك ، وسيلة من وسائل الانطلاق بالدعوة الإسلامية إلى أرجاء المعمورة لتحقيق شمولية الإسلام ، ـ لايفوتنا ذلك ـ ولكنّنا لا نرضى أن تكون لغة تعليم، ولا أن تطغى على اللغة العربية الأم ، ولا أن تكون لها الصدارة أو المكانة الرفيعة في المجتمع، واللغة العربية دون ذلك مما يؤدى إلى طغيان هذه اللغات على لغة القرآن ، بفضل العوامل الاقتصادية ، والسياسية ، إذ كما هو معلوم في " علم اللغة الاجتماعي " (٢) أن انتشار لغة ، يعني بالضرورة انحسار لغة أخرى ، فانتشار اللغة الأجنبية ، في أي بلد ، يعني انحسار اللغة القومية إلى حد ما ، وانتشار اللغة القومية يعني انحسار

---

(١) انظر : حسن مكي ، السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٢١ ٠

(٢) انظر : الأستاذ بشير النوراني ، ضعف مستوى الطلاب في اللغة العربية ، الأسباب والعلاج ـ ، رسالة المعلم ، العدد ١٣ يوليو ١٩٨٦ م ، دار النشر التربوى ، الخرطوم ، ص ٧١ ـ ٧٢ ٠

اللغة العامية في المقابل إلى حد ما ، لذا فإنّ انتشار اللغة الأجنبية واللغات العامية في الوطن العربي عامة ، يحدّ من انتشار اللغة العربية بالصورة المطلوبة ، ويطلق عنان اللغات الأجنبية التي انتشرت في السودان والعالم العربي بفضل العوامل السياسية والاقتصادية ، إذ أنّ المستعمر ، هو الذى فرضها ، وهو الذى ربط تعلمها بالوظيفة ، فأصبح تعليم اللغة الإنجليزية خصوصاً ، والأجنبية عموماً ، فرض عين على كلّ طالب وظيفةٍ أو ترقية ، وبالتالي ينظر إلى من تعلمها نظرة تختلف تماماً عن صاحب اللغة العربية ومازال أثر ذلك حتى الآن .

* * *

الفصل الثالث

نماذج من الغزو الفكرى فى المادة المقـررة

الفصل الثالـــث

نماذج من الغزو الفكرى في المادة المقـررة

لقد فطن الاستعمار وأعوانهـم في غزوهم الفكرى ، لجانـب مهـم وأصيل ، فطنـوا الى التغيير الذى تحدثه المادة الدراسية المقررة في نقض عرى الإسلام ، ومحاربــة العقيدة ، فأصبحت الكتب تكتب وتؤلـف على أساس علماني ، والروايات ، والقصـص التــي تترجم كلها تنطلق من منطلقات فكرية غربية علمانية ، تستخف بكـل القيــم الدينية ، الأخلاقية منها والاجتماعية ، وأصبح ينظر إلى التراث الاسلامـي على أنه من ثقافة القرون الوسطى المظلمة ، ينبغي أن ينحّى جانبا ، إن أرادت الأمـة الإسلامية أن تتقدّم كما فعل الغرب .

والأمثلة على ما ذكرنا كثيرة ، نقتطف منها النماذج التالية من المقـررات المدرسية في عهد حكومة العهد الثنائي .

* أولاً : كتاب الأطفال - الجزآن الأول والثاني - تأليف : شعبة اللغة العربيـة ببخت الرضا ، مكتب النشر التربوى ، الطبعة السادسة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م.(١)

هـذا الكتاب الذى قام بتأليفه المستر " سكوت " (٢) ومعاونوه ، ليكون أساسـاً للقراءة ، والهجاء للصف الأول في المدرسة الأوليـة ، في ذلك الوقت ومابعده ، يعتبر من البدايات الأولى لعملية الغزو الفكرى عن طريق المقررات الدراسـية في السودان ، فقد دلت الاحصائيات التي أجراها مؤلفا كتاب "كتب المطالعة في المدارس الأولية في السودان : أنّ الأساس الذى وضعت عليه الجملة هو تقديـم

---

(١) الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٠م .
انظر : د. موفق الحمداني ، ود. عون الشريف قاسم ، كتب المطالعة في المدارس الأولية في السودان ، نقد وتحليل - ، شعبة ابحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ص٢٤.
وكذلك : د . عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مجلـة التوثيق التربوى العدد ٣١ ديسمبر ١٩٧٤م ص ٢٧.

(٢) كان " المستر سكوت " رئيسا لكلية غردون فيما بلين ١٩٣٧م - ١٩٤٤ حينما كانـت مدرسة ثانوية ، ثم تولى ادارتها في أوائل سنى صيرورتها نواة لكلية غردون الجامعة انظر : المرجع السابق والصفحة .

الفاعل على الفعل ، ولايتغير ذلك إلاّ نادراً . (١)

ولا يوجد لهذا الوضع ما يبرره ، والواضح أن المؤلّف - وهو انجليزى - أراد أن يمكن لأساليب لغته ، حيث إنّ الفعل يأتي في المرتبة الثانية في الانجليزية ، وعامل آخر مهمّ جداً استغلّه المؤلف في غزوه الفكرى هو استغلال اللغة العامية ، مسايرة منه لما ألفه الطفل في بيئته الأولى ، وكان الواجب أن يتعلم الطفل الوضع الطبيعي في العربية لأن الأمر أمر تعليم وارشاد وتوجيه ، وما يتعلّمه الطفل يرسخ في ذهنه ، علماً بأن المؤلّف قد استغل هذا الأسلوب الدارج العامي استغلالا لا يكاد يشمل كل مقرر السنة الأولى . (٢)

وقد جمع المستر (سكوت) في هذا الكتاب كما يقول الدكتور عبد الله الطيب بين " التعويل على الطريقة التحليلية التي تجعل القراءة تابعة لتعلم التهجي والكتابة ، وبين طابع عمد إليه عمداً ، بإيثار الوقف على السكون في كلّ كلمة وادارة أكثر التراكيب على الجملة الاسمية القصيرة التي يكون المبتدأ فيها بأل ، والخبر تكراراً له مضافا ، أو جملة فعل ماضي نحو :" الجمل جمل الولد " و " الولد خرج " . (٣)

---

(١) من خلال الاحصائية التي أجريت على الجزء الأول من هذا الكتاب ، على تقديم الاسم على الفعل في كل الجمل التي بلغت ١٤٠ جملة ، تبين الآتي :
(٨٥) جملة اسمية تأخر فيها الفعل عن الفاعل .
(١٧) جملة اسمية ليس فيها فعل ، (٨) منها استفهامية .
(٢٥) جملة فعلية معطوفة بالواو الا في حالة واحدة (ص ٩ ، نمرة / ٦ - حيث يمكن أن تعتبر الجملة تتمة لماقبلها).
(٧) جمل تقدم فيها الفعل على الفاعل منها (٢) اجابة لأسئلة (ص ٣٠).
(٦) جمل فعلية ، قدم الفعل فيها لأن الفاعل أكثر من واحد .
انظر : د . موفق الحمداني ، ود . عون الشريف ، كتب المطالعة في المدارس الأولية في السودان . مرجع سابق ، ص ٣٨.

(٢) انظر المرجع نفسه والصفحة .

(٣) د . عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مجلة التوثيق التربوى ، مرجع سابق ، ص ٢٧.

وفي هذه الطريقة خطورة لا تخفى ، ومكيدة مدبّرة من الاستعمار لاستئصال شأفة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والدليل على ذلك أنّ مؤلف هذا الكتاب قد جعل أمر القراءة والكتابة كلّه مترتبا على تعلم التهجي من طريق جمل مُسْتَكْرَه ·

وان كان القصد منها في الظاهر هو إيثار البساطة واليسر ·[١] ولكن الحقيقة المرادة ، هي عزل الطلاب عن اللغة العربية التي هي الرابط الذى يصلهم بأصول عقيدتهم من خلال هذا الدّس في مناهج التعليم ·

وليس من شك أن الطريقة القديمة التي كانت متبعة في التهجّي والقراءة ، وتعلم القرآن ، كان أسلم منهجا ، ذلك أنها تزاوج بين مذهب التحليل القائم على استذكار الجزئيات كالحروف وحركاتها ، ومذهب التركيب المستمد من روح إدراك الجمل ، والكليات قبل انصراف التفكير الى تبيّن جزئياتها ، فالتلميذ في خلوة القرآن أول ما يلقّن الحروف ثم حركاتها الطويلة والقصيرة ·[٢]

وقد فطن الدكتور عبد الله الطيب لهذا النوع من التأليف " فحاول جاهدا إبان عمله بالمناهج في بخت الرضا بين سنة ١٣٧١هـ - ١٣٧٤هـ (١٩٥١م - ١٩٥٤م) ، التخلص من هذا الكتاب ، والتنبيه على مافيه من أخطاء ، وقد وضع مذكرة في ذلك[٣] ، ولكن تنبيهاته تلك قد ذهبت أدراج الرياح إذ تم نقله للعمل في اصلاح برنامج المدرسة الوسطى ، وفي ظننا أن أمر نقله كان قد قصد منه المباعدة بينه وبين الاستمرار فيما بدأه من إصلاحات ، ولفت النظر إلى ضرورة الاستغناء عنه ·

---

(١) د · عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مجلة التوثيق التربوى ، مرجع سابق ، ص ٢٨ ·

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٩·

(٣) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢٨·

والذى يؤسف له حقا أن هذا الكتاب رغم نفور المعلمين بالسودان عنه بادىء الأمر ، لما أحسوا فيه من الركاكة ، إلاّ أنّهم بمرور الزمن قد ألفوه. ومما يزيد الأمر خطورة - كما يذكر الدكتور عبد الله الطيب - أنّ هذه الطريقة قد أصابت معجبين خارج السودان من المشرفين على تدريب المعلمين ، فقد وجدت في البلاد الاسلامية والعربية أصناف شديدة الشبه بطريقة هذا الكتاب .[1]

ووجد كذلك أصحاب الدعوات الهدامة ، من هذه الطريقة مادة ثرّة تخدم أغراضهم من هؤلاء سلامة موسى ، وقاسم أمين الذى حمل حملة شعواء على اللغة العربية ودعا إلى إلغاء الإعراب ، والإبقاء على أواخر الكلمات ساكنة لا يحركها عامل من العوامل ، وفي ذلك يقول " لم أر بين من عرفتهم شخصا يقرأ كل مايقع تحت نظره من غير لحن ، أليس هذا برهاناً على وجوب إصلاح اللغة العربية ؟ ولى رأى في الاعراب أذكره هنا بوجه الاجمال . وهو أن تبقى أواخر الكلمات ، ساكنة لا تتحرك بأى عامل من العوامل ، بهذه الطريقة ، وهي طريقة جميع اللغات الأفرنكية[2] واللغة التركية ، يمكن حذف قواعد النواصب، والجوازم ، والحال ... الخ . بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة ، إذ تبقى مفرداتها كما هي ... وفي اللغات الأخرى ، يقرأ الانسان ليفهم ، أما في اللغة العربية ، فانه يفهم ليقرأ ، فإذا أراد أن يقرأ الكلمة المركبة من هذه الأحرف الثلاثة : " ع - ل - م " يمكن أن يقرأها : عَلَمَ ، أو علِمَ ، أو عَلّمَ ، أو عَلِمَ . ولا يستطيع أن يختار واحدة من هذه الطرق ، إلا بعد أن يفهم معنى الجملة ، فهي التي تعيق النطق الصحيح ، لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون "[3]

---

(١) انظر : د . عبد الله الطيب ، مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث ، مرجع سابق ص ٤٧ .

(٢) الأفرنكية : ربما الأفريقانو : وهي لغة متحدرة للهولنديين في جنوب أفريقيا ، وهي لغة جرمانية من الفصيلة الهندية الأوربية . انظر الموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص ١٧٧ .

(٣) أحمد خاكي ، قاسم أمين ، تاريخ حياته الفكرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ص ١٢٦ .

* **ثانيا : كتاب اقرأ لتلاميذك :**

قصص للسنة الثالثة والرابعة الآولية ، تأليف شعبة اللغة العربية ببخت الرضا المطبعة الحكومية بالخرطوم ، الناشر : مكتب النشر التربوى بوزارة التربية والتعليم ، الخرطوم ، الطبعة الآولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩م .

* **ما يلاحظ على هذا الكتاب :**

(١) يحتوى الكتاب على مجموعة قصصية بعضها مستخلص من المجلات العربية [١]، وبعضها مترجمة عن الانجليزية ، تمثل الأدب الانجليزى [٢] والأدب الأمريكي [٣]، أى أنّ هذه المجموعة القصصية قد ألفت في بيئات ومجتمعات مغايرة تماماً للمجتمعات التي انتشرت فيها ، والتي ألفت من أجلها ، علما بأنّ من أهداف القصة معالجة المشكلات الاجتماعية للبيئة نفسها ، وغرس القيم والمثل التي يؤمن بها ذلك المجتمع في تلك البيئة المعينة .

(٢) يلاحظ كذلك أنّ غالبية الأسماء التي ورد ذكرها في الكتاب ، حتى المترجم منها من الانجليزية لم تأت على سبيل المصادفة ، بل جاءت - كما تبدو - بعد خطة مدروسة ، وموجهة ، إذ لم يقتصر الأمر على هذا الكتاب الذى نتحدث عنه ، بل كان اختيار أسماء بعينها ، قد عمّ غالبية كتب المطالعة الابتدائية ، فالذى يتأمّل الأسماء التي وردت في هذا الكتاب - اقرأ لتلاميذك - يجدها تدور حول : محمود ، والأمين ، والباقر . وهي في حقيقتها تنطبق على أسماء وصفات اشتهر بها النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يجد هؤلاء الغزاة دورا وعناوينا تناسب هذه الأسماء إلاّ تلك التي تضادها .

---

(١) انظر : القصة الثالثة عشرة من كتاب - اقرأ لتلاميذك - ص ٤١ ، وهي ملخصة من مجلة دار العلوم ، بقلم الاستاذ عبد الرزاق حميدة .

(٢) انظر : القصة الحادية والعشرين - بعنوان العاصفة - المرجع السابق - ص ٦٥ ، وهي مترجمة عن الانجليزية .

(٣) انظر : القصة الخامسة والثلاثين - العم " رفان وسّكل " مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، وهي مشهورة في الأدب الامريكي ، كما جاء في التعليق بنفس الصفحة .

فمثلاً في القصة الثالثة عشرة . وصف محمود بالجبن [1] ، وفي القصة الحادية والعشرين ، تحت عنوان العاصفة ، وصف الباقر بالخيانة ، والغلظة والقسوة ووصف الأمين بالسحر ، وحبس الروح في بطون الأشجار ، وكيف أنه كان يستخدم الأرواح في خدمته وقضاء حوائجه ، خصوصا روح حلو اسمه (آريل) وهي قصة مترجمة عن الانجليزية . [2]

وللمناسبة فانه في غير هذا الكتاب من كتب المطالعة للمدارس الأولية بالسودان ، يقرأ التلاميذ مواضيع كهذه ، ذات عناوين متشابهة ، مثل : قصة " محمد الطماع " ذلك الخياط الذى كان يسرق أقمشة الناس . و " محمود الكذاب " الذى اشتهر بالكذب حتى تخلّى عنه الناس وتركوه للنمر ليفترسه ليريه عاقبة كذبه . و " طه القرشي مريض " ، وغيرها من الأسماء .

وعندما تذكر هذه المقررات قصة مثل " قصة جون في استراليا " و " آفو في الصين " فانها تذكرهم لنا باعتبارهم أقوياء ومتقدمين .

فهذه مواد ظاهرها تربوى ، ترى الناس مضار السرقة ، والكذب ، والخيانة ، ولكنها في الوقت ذاته تربي في النشء ، حواجز نفسية بينها وبين الأسماء ذات الصلة بالعقيدة والتراث ، حيث تترك في أذهان الناشئة آثارا منها : أنّ طه القرشي " مريض " وأنّ محموداً "كذابٌ" ، " وجبانٌ" ، ومحمداً " طماعٌ " والأمين " ساحرٌ " ، وأنّ جون في استراليا " مخترعٌ " وأنّ آفو في الصّين " عالمٌ " ... الخ .

---

(١) انظر : القصة الثالثة عشرة من كتاب اقرأ لتلاميذك . ص / [illegible]

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص / [illegible]

(٣) يلاحظ على الكتاب ايضا : ورود عبارات فاضحة تتنافي والأخلاق الاسلامية ، وتنادى بماديّة الحياة وتفشّي الرذيلة ، من ذلك مثلا :

أ - اقتتال الملك وابنيه ، وعمهما ، وتنافسهم على الفتاة الصغيرة الجميلة ، ومحاولة كلّ منهم الاستئثار بها . (١)

ب - قالت البنت الصغرى لنور الدين "إنّني أحبك ، حبّاً شديدًا ولن أتزوج غيرك "(٢)

جـ - معانقة البنات الثلاث لنور الدين ، وقد قبضت كل واحدة منهن الأمير وقبلته في يديه ورجليه وعينيه . (٣)

و - قالت الفتاة لخطيبها عندما رأت حبيبها القديم ، وهما يتنزهان ، وأرادت أن تفسخ خطوبتها منه :" اسمع أيها الأمير ، إذا ضاع مني مفتاح بيتي القديم ، واشتريت مفتاحا جديدا ، وبعد أيام وجدت المفتاح القديم ، فما أفعل ؟ .

فقال الأمير : طبعاً المفتاح القديم ، هو المفتاح الأصلي للباب ، فاستعمليه ، واتركي الجديد .

فقالت له : لقد قلت الحق ، وهذا حبيبي ، عباس البطل ... وقد وجدته الآن ، واخترته زوجا لي ، أمّا أنت أيها الأمير ، فاذهب مع السلامة وابحث عن زوجة "(٤)

(٤) ويلاحظ كذلك أنّ بعض القصص التي ترد فيها عفواً بعض العظات والعبر ، كالقصة العاشرة ، تحت عنوان "إبليس " (٥) ، حيث قال إبليس :" لقد عجزت عن غشّ هذا

---

(١) انظر : كتاب اقرأ لتلاميذك ، القصة الثالثة عشرة ص ٤١
(٢) انظر : المرجع نفسه والصفحة .
(٣) انظر : المرجع نفسه ، القصة الثامنة عشرة بعنوان " المفتاح القديم " ، ص ٥٥-٥٦.
(٤) انظر المرجع نفسه ، ص ٣١ .
(٥) انظر : كتاب اقرأ لتلاميذك ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

المزارع ، وفشلت جميع حيلي التي قمت بها ، لأنه يقرأ القرآن بالليل والنهار" في مثل هذه القصص التي توجد فيها العظات والعبر ، نجد في المقابل، تعليقا في نهاية القصة نصه :" في هذه القصة عظة يجب أن لا يبالغ المدرس في تذكير التلاميذ بها ، خشية أن ينقلب الدرس إلى درس في الوعظ والارشاد • وليلاحظ المدرس اجتماع الشياطين ، ففيه بعض الفكاهة ، ثم ليقارن بين الخبيث والطيب مقارنة سريعة " [١]

(٥) أمّا في القصة الخامسة والثلاثين ، والتي بعنوان " العم رفان ونكل " [٢] القصة المنقولة من الأدب الامريكي ، فقد جاءت في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وقد سبقها في الجزء الأول منه ، المقرر على طلاب الصف الثالث " قصة أصحاب الكهف ".

جاءت قصة العم " رفان ونكل " شبيهة بقصة أصحاب الكهف الواردة في القرآن الكريم ، تحكي فصولها تماما ، حيث نجد أن " رفان ونكل " كما تحكي القصة قد نام ثلاثين سنة في الجبال ، وكان معه كلبه ، نام بعد أن احتسى كأسا من الخمر ، وعندما قام من نومه يجرّ نفسه جرّا من شدة الوجع، وقد طالت لحيته ... وذهب إلى بلدته ، فوجد تغييرا كما وجده رسول أهل الكهف تماما ... الخ •

ذكرت هذه القصة عقب ، قصة أصحاب الكهف ، لمحو فكرة المعجزة والأمور الخارقة للعادات ، وأن استعمال الانسان لعقاقير معينة يمكن أن يمكث طويلا شأنه في ذلك شأن التحنيط • وأنّ قصة أصحاب الكهف ماهي الاّ مسألة عادية •

---

(١) انظر : كتاب اقرأ لتلاميذك ، المرجع السابق ، ص ٣١

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ١٠٠ •

فنلاحظ ، ترك المغزى التربوى من القصة ، وكما يبدو في معظم كتب المطالعة السودانية ، خاصة في هذه الفترة ، أنّ هناك توجيها خلقيا يبتغيه مؤلفو هذه الكتب [(١)] ، يهدف الى هدم العقيدة والأخلاق في نفوس الناشئة .

ثالثا : كتاب قصص من الماضي ، للسنة الرابعة الأولية .

تأليف :" ج . أ . هيوود " وآخر ، الطبعة الثالثة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م .

مادة التاريخ كانت ولازالت من أخطر المواد التي تؤتى الأمة الاسلامية من قبلها . فقد كانت مقرراته في هذه الفترة بالأخص ، ترتكز على تاريخ أوربا ، وعظمائها . وتتجاهل تاريخ الاسلام الذى يقدم للتلاميذ بصورة شائهة .

وهذا الكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه ، يمثل صورة من تلك الصور ، فقد جاء فيه تحت عنوان :" فتح الأندلس " الآتي : "لقد رويت قصص كثيرة عن سقوط ملك الآندلس ، لكراهية الناس له ، وكان يحكم شمال أفريقيا ، في الساحل المقابل لبلاد الأندلس رجل عربي اسمه موسى ، وفي ذات يوم ذهب أحد رجال حاشية الملك ممن كانوا يكرهون الملك ، وطلب مقابلة موسى عارضاً عليه المساعدة إن هو - أعنى موسى - أرسل جيشا لبلاد الأندلس لمحاربة ملكها البغيض وكان لموسى أمير اسمه طارق .. أرسل موسى طارقا بجيش صغير سجل على صغره نصراً مبيناً على الأعداء حتى أنّ موسى أمدّه بفصائل أخرى ، فاستمرّ في تقدّمه

---

(١) لقد نفي المستر " سكوت " أن يكون قد نحا هذا المنحى ، وأنه ماكان يهمه مطلقا أى توجيه خلقي أو قيمي في تأليفه لكتاب الأطفال وأنّ كلّ مايهمه هو تعليم القراءة فحسب .

انظر : د . موفق الحمداني ود . عون الشريف ، كتب المطالعة في المدارس الأولية في السودان ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

ولكن الذى يظهر من خلال عرضنا لكتابه - سالف الذكر - خلاف ذلك ناهيك عن أن كتابه ملىء بالقسوة ، والعنف - صورا وكلمات - صورا للذبح والسلخ والجروح. لمزيد من التفصيل : انظر : المرجع السابق الصفحات ١٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، وتكاد هذه المظاهر تغطي الجزءين بأكملهما متجاهلا القيم الاخلاقية والتربوية الاسلامية التي يحتاجها التلاميذ وتتطلبها المرحلة .

تذين له القلعة تلو الأخرى ، وسرعان ما التحم جيشا ملك الأندلس وطارق في معركة حامية الوطيس انهزم فيها الأندلسيون هزيمة شديدة نسبة لأن أكثرهم فرّ والتحق بجيش العرب ، وتمكن ملكهم من الهروب من الميدان حيا ... سار طارق من نصر إلى نصر ، وكان جيشه يستولي على الغنائم الكثيرة من أهل الأندلس .

أما موسى فعندما سمع بنصر قائده تملّكه الحقد والحسد بدلا من السرور ، لخوفه من أن يعظّم الناس طارقاً عليه ، ولذلك فقد سارع وعبر البحر إلى الأندلس لكي يتولى قيادة الجيش بنفسه ، ولما قابل طارقا لم يكافئه كما كان يجب أن يفعل ، بل أخذ يوبّخه ويلومه على توغّله في داخل البلاد ، دون إذن من سيده ، ولقد بلغ به الأمر فوق هذا أن أمر بجلده على ملأ من الناس وتصفيده بالقيود ثم تولى قيادة الجيش بنفسه " (١)

نستنتج من هذا المقطع من قصة موسى وطارق الآتي :

أولا : أن المسلمين لم يفكروا في فتح الأندلس إلا بعد أن عرض عليهم المساعدة من رجال حاشية ملك الأندلس الذى يكرهه الناس هناك . فالهدف من الفتح لم يكن جهاداً لنصرة الاسلام ونشر الدعوة الاسلامية ، ورد كيد اعدائه وإنما الهدف مناصرة أعداء ملك الأندلس الذين لا تربطهم بالمسلمين رابطة دين ولا عهد ولا مناصرة وما ذهب إليه المؤلف ليس بصحيح البتة ، لأن فتح بلاد الأندلس والانطلاق بالدعوة الاسلامية إلى أرجاء أوربا كان هدفا من أهداف الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، فقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية أنه :" لما افتتحت افريقية بعث عثمان رضي الله عنه - إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله ابن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : " إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل

---

(١) انظر : د . أ . هيوود ، قصص من الماضي ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح القسطنطينية في الأجر آخر الزمان ... "[1]

وكان ذلك هو هدف القائد المجاهد موسى بن نصير قبل أن يشار إليه بالفتح فقد أورد بن كثير في البداية والنهاية أن موسى بن نصير قال : " لو انقاد الناس لي لقدتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يديّ إن شاء الله تعالى" .[2]

فيعلم من ذلك أن ما كتب مجرد افتراء وقلب للحقائق ، وأنّ القصد من ذلك هو محاولة من الأعداء لتفريغ معنى الجهاد من معناه الحقيقي .

ثانيا : انه لولا كراهة الشعب الأندلسي لملكهم وانضمامهم الى جيش طارق الصغير ، لما تمكن المسلمون من هزيمة ملك الأندلس ، وفي ذلك تجريد للمسلمين من مزية فتح الأندلس وطمس الروح الجهادية التي أبدوها في سبيل الله .

ثالثا : اظهار مواضع الخلاف والتركيز عليها ، والمبالغة فيها ، ووصف موسى بن نصير بالحقد والحسد والبغي .

والعجيب أننا نجد في المقابل وفي الكتاب نفسه قصة الفارس " رولاند " ذلك القائد الفرنسي الذى استطاع بعدد قليل من الجنود من أن يوقف انتصارات المسلمين بالأندلس ، ويلحق بهم خسارة فادحة ، رغم الكمين الذى نصب له من قبل جيوش المسلمين . وأنّه كان قائدا لا يخشى الموت ، وللتنبيه على خطورة ما ورد في قصة الفارس رولاند نورد هذا النص بطوله :" عاش رولاند في عهد ملك عظيم من أشهر ملوك فرنسا . وكان ذلك الملك شجاعا مولعا بالحرب ويعتقد أنّ واجبه نحو وطنه يحتم عليه أن يهزم العرب حتى تسلم بلاده من

---

(١) الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية ، جـ ٩ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨م ، مكتبة المعارف بيروت ، ص ١٥٢.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٧٤.

خطرهم ، فجمع حوله ثلة من الفرسان المختارين يعهد اليهم بأداء المهمات الحربية الخطيرة ، التي تستوجب الشجاعة والإقدام ، وكان رولاند بطل قصتنا أشجع تلك الجماعة من الفرسان وقد ذاع صيته بين الناس ، ولكن كان بين رجال الملك فارس يحسد رولاند على شجاعته ، وشهرته ، ومحبة الملك ورجاله إياه ، فدفعه حسده إلى أن يذهب إلى أمير العرب ليطلعه على الخطة المرسومة ليكيد الى غريمه رولاند ، فامتطى جواده وأسرع مختفيا الى معسكر العرب ، فأطلع أمير العرب على الطريق الذى سيسلكه رولاند ورفاقه ، وكان الطريق المقصود يسير في واد ضيق بين الجبال ، فسلك رولاند ورفاقه ذلك الطريق ، وبادروا أن العرب قد اختبأوا على جانبيه للفتك بهم ، وعندما دخلوه انهالت عليهم الصخور فأصيب بعض الرجال وعدد من الخيل بأذى بليغ فاضطر الفرسان إلى الترجل ، وإذ ذاك أمطرهم العرب بوابل من سهامهم فكانت تتساقط عليهم من كل صوب ، فدهشوا رغم شجاعتهم ، وأمعنوا النظر في الصخور المحيطة بهم فاذا بجنود العرب يحيطون بهم من كل جانب ، وكأنهم مردة نزلوا عليهم تنزيلا ، فنشبت معركة حامية الوطيس تطايرت فيها الرؤوس والاشلاء ، فقتل الأمير العربي وكثيرون من جنوده ، وهلك الكثير من فرسان رولاند ، وبالطبع كانوا قلة !! بالنسبة للعرب المهاجمين فلم يكن لديهم أمل في النصر ، وبعد برهة من الزمان تراجع العرب عن القتال ٠٠ لأنهم قد أجهدوا أنفسهم كثيرا ٠ وكان "رولاند" اثناء المعركة ينفخ في بوقه نفخا شديدا يستثير حماس رفاقه ، ويطلب النجدة من الملك وبعد انسحاب العرب ، ووقف القتال نظر حوله مليا فلم يبصر سوى جثث فرسانه وأعدائه على السواء ، فتحسر شديدا وقبض على بوقه ، فنفخ فيه نفخة قوية ، أحدثت منه صوتا له دوى شديد ، ثم التفت فرأى فارسين أو ثلاثة من رفاقه يعدون نحوه تلبية لندائه ، وعند ذلك

هاجمهم العرب من جديد واستؤنفت المعركة بنفس الحماس السابق ، فدافع الفرسان عن أنفسهم بشجاعة وإقدام ولكنهم كانوا قليلي العدد بالنسبة إلى أعدائهم العرب الكثيرين الذين أطبقوا عليهم من كل جانب فذبحوهم كلهم واحداً بعد الآخر ·

وما هي إلاّ برهة حتى التفت رولاند فوجد نفسه وحيدا في ساحة القتال وقد جرح جرحا بليغاً لا يستطيع معه الدفاع عن نفسه ، فانتأى مكانا قصيا ، ثم نزل من حصانه ، وجلس تحت شجرة مسنداً ظهره إلى صخرة كبيرة ، تخيلوه وهو جالس تلك الجلسة الحزينة وقد اشتد به الألم وتملكه اليأس وأيقن أنه هالك ، انّه لن يخشى الموت ، ولكنه يخشى انّ يخلف الى اعدائه من ممتلكاته مايستفيدون منه ، ففكر أولا في التخلص من سيفه ذاك الرفيق الحبيب الذى خاض به المعارك ، وجندل به الاعداء أيتركه لأعدائه ؟ كلا ، فحاول كسره بضربه على صخرة كانت بجواره بكل ما أوتي من قوة ، فلم يفلح لأن السيف كان قويا وهو جريح فهوى ، وعندما أعوزته الحيلة في كسره القى به على سفح الجبل متمنيا ألا يعثر عليه أحد من اعدائه العرب ، وبذا تخلص منه ·

وأكثر ماكان يخشاه ألا يكون الملك وجيشه قد شعروا بما يداهمهم من الخطر ، لأنّ اعداء هم العرب ربما يتعقّبونهم فبقى عليه أن ينذر الملك بالخطر ، فقبض على بوقه وجمع كل ما تبقى له من قوة ونفخ فيه نفخة أحدثت منه صوتا عاليا ارتجّت له الجبال ، ورجعت صداه ··· فسمعه الملك وجنوده فأسرعوا نحوه فوجدوه قد فارق الحياة ، فتحسروا عليه " [(١)]

* أهم ما يلاحظ على هذه القطعة الآتي :

(١) لم يذكر في طول القصة وعرضها أنّ هؤلاء الفاتحين هم مسلمون في القصتين (قصة

---

(١) ج · أ · هيوود ، قصص من الماضي ، ص ٦٣ / ٦٤ ·

موسى وطارق ، وقصة الفارس رولاند) لهم قضية يجاهدون من أجلها ، ودعوة يريدون أن يدفعوا بها الى أوربا والعالم أجمع ، وأنّ دينهم يأمرهم بذلك . بل كان التركيز على انهم عرب فحسب [١] اثارة للقومية ، وتفريغا للقضية من المفهوم الاسلامي .

والحقيقة أننا نجد أن غالبية الجيوش التي كانت تحت إمرة طارق بن زياد لم يكونوا عربا بل هم من البربر المسلمين كما أورده ابن الأثير في الكامل " ثم إنّ موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له : طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم من البربر ، والموالي وأقلهم العرب ، فساروا في البحر ، وقصد إلى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمّي الجبل جبل طارق الى اليوم " [٢]

(٢) تظهر القصة أن المسلمين قوم قساة القلوب يمثلون بأعدائهم اذا تمكنوا منهم في الحروب " .

(٣) يلاحظ في كلتا القصتين أنه لولا المساعدات التي قدمها الأندلسيون المعادون للملك للمسلمين والخطط التي رسموها لهم لما تمكنوا من الفوز على تلك الكوكبة الصغيرة من الفرسان .

رابعا : <u>كتاب التاريخ الاسلامي للصف الثالث المتوسط</u> ، رغم أننا لم نحصل على نسخة من هذا الكتاب في مظانه إلا أننا بمتابعتنا لبعض المقالات التي كتبها بعض المعلمين الذين قاموا بتدريس مادة التاريخ من هذا الكتاب ، وأوضحوا رأيهم في

---

(١) في هذه القطعة التي أوردناها كمثال وردت كلمة عرب وعربي أكثر من أربعة عشرة مرة دون ربط الكلمة بالاسلام .

(٢) أبي الحسن علي بن أبي الكرم ، " ابن الأثير " الكامل في التاريخ مراجعة وتصحيح د . محمد يوسف الدقاق المجلد الرابع ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٦٧ .

مادتها المقررة يتبين لنا مدى خطورة هذه المقالات وتأثيرها على عقول الناشئة من ذلك ما قدمه الاستاذ / محمد عثمان أحمد اسماعيل المعلم بالمركز الإسلامي الافريقي بالخرطوم في ندوة مادة التربية الإسلامية بالمركز حيث قال :

" واني لأذكر أنّ كتاب التأريخ الاسلامي ، والذى طلب مني تدريسه عام ١٩٥٦م لتلاميذ الصف الثالث المتوسّط ،كان يحوى رسوما للخلفاء الراشدين وهم يعاملون الناس في تعال وقسوة ، ورسما لسيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - على فرسه والناس على الأرض ساجدين تعظيما له . فلما فحصت الكتاب وجدته قد كتب للتلاميذ في فلسطين المحتلة . ولا أدرى كيف تسرب الى مقرراتنا ... " (١)

وهكذا نجد كيف أنّ مثل هذه المقررات قد عكست صورة مشوهة للتاريخ الاسلامي فنشأوا الصغار على كره الخلفاء الراشدين . والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم بتشويه سيرهم ، وعلى حب " وليم تيل " الفارس الذى لا يخطيء سهامه الهدف ، وحب " " رولاند " الفارس الشجاع ورفاقة الذين ظلوا يقاتلون أعداء هم ، رغم قلّتهم وكثرة أعدائهم لأنهم جبناء لا قضية لهم سوى مناصرة وموالاة الأعداء متى ما وجدوا فرصة لذلك ، فشب الصغار على حب " وليم تيل " و " رولاند " وكره العرب والمسلمين ، فشوهوا بذلك المفاهيم الإسلامية ، وحجبوها عن الأذهان الغضّة المتفتحة وغرس المفاهيم الفكرية الغربية ، وربطهم فكريا وثقافيا ، وحضاريا بالغرب ، وقد كان لذلك أثره في العقيدة ، والأخلاق كما سيأتي :

---

(١) الاستاذ محمد عثمان أحمد اسماعيل ، دور المواد الأخرى في تحقيق أهداف العملية التربوية الاسلامية ، ندوة مادة التربية الاسلامية بالمركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم من ١٧ - ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٥هـ ، ٣ - ٦ ، اغسطس ١٩٨٥م ، ص ٤ -٥ .

خامسا : كتاب أهداف الاخلاق (آراء عن المستوى الخلقي في أمة ناشئة) لطـــلاب السنة الخامسة لاعداد المعلمين ، تأليف المستر ف ٠ ل فريفث ، المطبعة الحكومية بالخرطوم ، نشر وزارة التربية والتعليم ، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٥م٠

لقد حمل المنهج العلمي الوافد مفهوما مغايرًا للأخلاق في الإسلام ، مستمـدًا من المجتمع الغربي وعقائده وقيمه ، وتقوم هذه النظرية الغربية في الأخلاق على القول :" بأنّ مبادىء الاخلاق إن هي إلاّ ظواهر اجتماعية تملى على الأفراد ، دون أن يكون لهم دخل في بنائها ، أو الفضل في الإيمان بها ، وتقول إنّ الاخلاق تختلف عن الدين ، إذ ليس من الضروري أن كل من يعتقد دينا معينا أن يصبح أخلاقيا ، كما أنه ليس من الضروري أن يكون كل ملحد لا أخلاق له ، وأن الاخلاق هي استجابة النفس إلى الوسط ، فإذا تغيّر الوسط تغيرت الاخلاق ، وهذا الوسط يتّسع وينحصر باختلاف الزمان والمكان ، وأنّ الأمم ليست بحاجة إلى الدين ولكنّها بحاجة إلى الأخلاق فالأخلاق هي التي ترفع الأمم الى مستوى الرقى ، وليس الدين ، وأنّ أوربا لم تنهض إلاّ بالأخلاق ، وأنه يمكن الاستغناء عن الأديان اكتفاء بالضمير الإنساني الدافع إلى فعل الخير "(١)

هذه الأفكار الوافدة نجدها قد وجدت طريقها إلى المقررات الدراسية بالسودان وبخاصة في طيات هذا الكتاب الأول " أهداف الاخلاق " والكتاب الثاني " تدريب الأخلاق " للمؤلف نفسه ، فالمؤلف تارة يدعو إلى فصل الأخلاق عن الدين ويعالج الأخلاق بعيدا عن الدين ، ويطعن تارة أخرى في عدم كفاية الدين في النهوض بالأمم ، وأنه سبب تأخر الشعوب ، وفي ذلك يقول :" وإنّي عندما استعمل كلمة " أخلاق " إنّما أفكر في معنى أوسع من الذى كان يرمي إليه الناس هنا حين يصفون من كملت أخلاقه بأنه الشخص الذى لا يتعاطى الخمر ، ولايجلس الى مناضد الميسر ، ولايختلف إلى بيوت المومسات ، ولكنّي أفكر في تلك الصفات التي لايمكن

---

(١) أنور الجندى ـ خطاء المنهج الغربي الوافد (في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص ٣٧٩٠

بدونها أن تقوم أى قائمة للقطر الذى يصبو لحياة طامحة حديثه ، إذا تأملنا ما في الحياة الحديثة من تعقيد ، وما تتطلبه من تكيف لابد منه لمسايرة بقية الشعوب المتحضرة " (١)

ويدعو تريفث في مؤلّفه إلى هدم القيم الإسلامية كالتقليل من قيمة الوفاء بالعهود، ويوضح أن الوفاء بالعهود من مستلزمات المدنيات الحديثة لا المدنيات التقليدية القديمة ، وفي ذلك يقول : " ان التعود على إنجاز الاشياء التي تعد بها ، مهما كان الشيء صغيرا ، لمن أهم مستلزمات المدنية الحديثة ، وعدم الوفاء بالوعود قولا يؤثر كثيرا في قرية تعيش على سذاجتها الفطرية (حين يعد مثلا نفر من القرويين بالحضور ليعينوا شخصا يريد أن يبني كوخاً ، ثم يتأخرون عن الميعاد ساعات قليلة ، أولا يحضرون إلاّ في صباح اليوم الثاني) • أما في المنشآت الحديثة كالإدارة الحكومية والسكّة الحديد والشركات الكبيرة ، فإنّ الكاتب مثلاً إذا أخر إرسال خطاب في الوقت المعيّن له ، أو ارتكب خطأ يسيرا في بيان الأرقام التي يطبعها ، إن ذلك ربما يسبب اتعاباً لأناس كثيرين ، ممن تتعامل معهم ، ومن تفصلنا عنهم مسافات طويلة .. " (٢)

صحيح إنّ أثر عدم الوفاء بالعهد الذى يترتب على المنشآت الكبيرة ذات الصلة بالجماهير الغفيرة كما مثل الكاتب يكون أكثر بلا شك مقارنة بالذى قبله ، ولكن لافرق بين الوفاء بالوعد بينهما ، فالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عندما قال : " أربع من كن فيه كان منافقاً ، وان كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها • من إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ،

---

(١) ف • ل • تريفث . أهداف الاخلاق ، ص ١ -٢ •

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠

وإذا عاهد غـــدر " . (١)

عندما ذكر ذلك لم يحدد القدر الذى إذا أتى به المرء يكون منافقا ، هـــذا وان كان النفاق من هذا الضرب في الشرع نفاقا أصغر ، وهو مايسمى بالنفـــاق العملـي ، لكن أصوله ترجع إلى الخصال المذكورة في الحديث ، والذى من أتـــى به يكون قد أخل بعقيدته . والله اعلم.

ويدعو المؤلف في هذا الكتاب في حديثه عن الصحة الى تعاطي المسكـــر حيث يرى أنّ فيه فائدة للجسم ، إذا لم يفرط الانسان في تعاطيه ، وفي ذلـــك يقول : " ليس معنى الصحة الجيدة أن نكتفي باتخاذ الحيطة اللازمة لاجتنـــاب الأمراض ، بل لابد من الاحتفاظ بحيوية الجسم العامة ، ومن هنا نـــدرك حرص الناس في هذه الأيام على تناول الأطعمـــة التي تتناسب في تركيبهـــا مع حاجة الجسم ، وعلى أخذ قسط وافر من الرياضة البدنية ، تبقى معه الجسم متماسكا قويا ، وعلى اجتناب الإفراط في الشرب والتدخين .." (٢)

فالكاتب هنا قد تحدث عن أخلاقيات أمته التي تعاقر الخمر ولا ترى فيـــه حرمة ، مع أنّ ذلك لا يتناسب وأخلاقيات المجتمعات الإسلامية التي يكتب لها . فالكتب المقررة في المدارس السودانية والتي تتخذ من الاخلاق ، مادة لها مليئة بهذا الغثاء ، تحاول أن تجرد الاخلاق من فكرة الالتزام والواجب والضميـــر الخلقي ، علما بأن الاخلاق في الاسلام تقوم على أساس " الالتزام ، وفي نطـــاق المسئولية الفردية ، والدين والاخلاق حقيقتان لا تنفصلان في الاسلام ، كما تتلازمان في جميع الاديان . والقرآن أصل الاخلاق الاسلامية ، وليس هناك انفصال بيـــن النظرية والسلوك العملي " (٣) وقد حدّد القرآن قواعد العمل الصالح . قـــال

---

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ج ١ حديث رقم ٣٤ . صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب خصال المنافق ج ١ ، حديث رقم ٥٨ ، كلاهمـا عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا .

(٢) ف . ل . فريفث - أهداف الاخلاق ، ص ١٩ .

(٣) أنور الجندى ، اخطاء المنهج الغربي الوافد ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ .

تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض انّ الله لا يحب المفسدين ﴾ (١)

فقد ربط الاسلام بين الدين والاخلاق ، وجعل الايمان بالله وعاء الاخلاق ، وفرق بين الاخلاق والتقاليد ، فالأخلاق ثابتة ومتصلة بالقيم العليا لأنها من صنع الله .

أمّا التقاليد كما يقول الاستاذ أنور الجندى :" فهي وسائل عارضة تختلف وتتغير مع تغير الزمان لأنها من صنع الناس " (٢) .

فما ذهب اليه فريفث في مؤلفه لتقرير مذهبه الأخلاقي فيه خلط بين الأخلاق والتقاليد خاصة عندما دعا الى الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء ، لذلك فقد جاء عمله نظرياً محضاً لا يؤدى الى تحقيق الغاية من الاخلاق ، وإنّما يؤدي إلى الانحراف وسوء الاخلاق .

فيبدو من مجمل ما قدمناه عن نظرية فريفث في الأخلاق من خلال كتابه المقرر لمدارس إعداد المعلمين في السودان ، أنّ هذه النظرية منطلقها مادّي ، لا يجد فيها الفكر الاسلامي نفسه ولا حاجته ولا قيمته الأساسية ، لأنه كما يقول الدكتور " دراز " : " لا مكان للاخلاق بدون عقيدة ، والعقيدة هنا تتصل بالاخلاق ذاتها ومعناها الايمان بالحقيقة الأخلاقية كحقيقة قائمة بذاتها " تسمو " على الفرد و " تفرض " نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ومما لحد رغباته " (٣)

---

(١) سورة القصص الآية (٧٧).

(٢) أنور الجندى ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، المرجع المتقدم ، ص ٣٨٢ .

(٣) د . محمد عبد الله دراز ، دستور الاخلاق في القرآن ، تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين ، المؤسسة التجارية للطباعة ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ، المقدمة ، ص ى د .

الباب الثاني

الغزو الفكرى فى التخطيط للتعليم ومناهجه بعد الاستقلال

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول

مناهج التعليم فى الفترة من الاستقلال ، والى ثورة مايو (١٣٧٦-١٣٨٩هـ) (١٩٥٦-١٩٦٩م)

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث **الأول** : أهداف المنهج فى هذه الفترة

المبحث **الثانى** : موقف بعض الوزارات من التعليم الدينى

المبحث **الثالث** : العلاقات الثقافية ، والبعثات الدراسية

المبحث **الرابع** : وضع معلم التربية الاسلامية واللغة العربية الوظيفى

* **المبحث الأول : أهداف المنهج في هذه الفتـــرة :**

لقد ظل المنهج التعليمي المتبع في السودان في فترة مابعد الاستقلال هـــو ذات المنهج الذى سارت عليه الحكومة الاستعمارية منذ إنشاء معهد التربية ببخـت الرضــــا سنـــة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م بالرغم من أنّ الاتجاهات التي اشتقت منها أهـداف التربيه في ذلك العهد - عهد الاستعمار - هي اتجاهات الديمقراطية اللبراليـــــة ، والبراجماتيـــة (١) التي تنادى بأفكار مناهضة للإسلام كالنسبية، والنظريات الماديـة ، متسقًا في ذلك مع استراتيجية الغرب الصليبي في القضاء على كل رابط يربط المسلمين بعقيدتهـم وأصالتهـم . (٢)

وقد ظلت هذه الأهداف - لحاجة في نفس يعقوب - ولسنوات عدّة بعد الاستقلال غير مسجلة ، ولكنها كانت متعارفة بين المعنيين بأمر التربية والتعليم ، يمارسونها من خلال التخطيط للمناهج ، ومن خلال ترجمة تلك الخطط التي أحكموا حبكها ، الـى

---

(١) **البراجماتية :** مذهب فلسفي ، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية ، فليس هنـاك معرفة أولية في العقل تستنبط منها نتائج صحيحة ، بغض النظر عن جانبهـا التطبيقي ، بل الأمر كله مرهون بنتائج التجربة الفعلية العملية التي تحـل للإنسان مشكلاته ، ولما كان تقدم العلم - على حد زعمهم - يغيِّر من صـدق القضايا ، فالصالح في ظروف سابقة ، يصبح غير صالح في الظروف الراهنـــة ، كان " الحق " - عندهم - أمرا نسبيًا ، يقاس إلى زمن معين ، ومكان معيّـــن ومرحلة من التقدم العلمي معينة .
وأعلام " البراجماتية " هم : " بيرس " و " جيمس " و " ديوى".
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ج ١ ، ٣٣٥.

(٢) انظر : أحمد التجاني عمر ، دور مادة التربية الاسلامية في تحقيق الاهداف التربوية الإسلامية ، الورقة الخامسة ، من ندوة مادة التربية الاسلامية بالمركز الاســلامي الافريقي بالخرطوم من ١٧ - ٢٠ ذو القعـدة ١٤٠٥ هـ الموافق ٣ - ٦ أغسطـــس ١٩٨٥م. ص ٥ .

دروس من مجموعها تلك الكتب الدراسية التي تلاحظ الأهداف المرسومة من خلال تجريبها في المدارس ، أو من خلال تدريب المعلمين في حقول العمل التطبيقي في المدارس .

وإذا كان هذا الاتجاه في عهد الاستعمار له ما يُبَرِّره بحكم وجهة الاستعمار التغريبية الا أننا لا نجد لذلك مبررا بعد الاستقلال ، إلاّ أن يكون تحقيقا لارادة الحكومة الاستعمارية التي رحلت مخلِّفة وراءها أفكارها ورجالها ، ولعل لعدم الاستقرار السياسي ، والتغيير الوزارى المستمر أثراً في غياب فلسفة التربية المحددة ، وانعدام الأهداف التربوية الروحية المحدودة المعبرة عن وجدان الشعب ومثله العليا وتطلّعاته.(١)

وحتى إذا نظرنا إلى الاهداف التربوية المكتوبة ، فإنّنا نجدها خليطاً متنافراً من العلمانية والليبرالية واللا أدرية واللادينية والاشتراكية (٢)، وغيرها من الأفكار الدخيلة على المجتمع السوداني وقيمه ومعتقداته .

وقد اتسمت هذه المرحلة - مرحلة مابعد الاستقلال - بعدة أمور ينبغي الوقوف عندها ، بعضها محليه ، وبعضها الآخر ذات الأثر الأكبر على قطاع التربية عالمية .

فمن الأمور المحلية التي أثّرت في قطاع التربية : انصراف الحكام الوطنيين الذين خلّفوا المستعمر (٣) والذين تعاقبوا على البلاد عن قضايا التربية والتعليم ، والصراع من أجل الوصول الى كراسي الحكم كما أراد لهم الاستعمار ذلك ، فحدث فراغ تربوى نفذت الافكار التغريبية من خلاله ، متمثلا في اللِّجان العالمية التي وفدت الى السودان للتصدّى لقضايا التربية والتعليم ، وصياغة أهداف التربية السودانية .

---

(١) انظر : توفيق السنوسي ، أهداف العملية التربوية من وجهة النظر الاسلامية ، الورقة الثالثة ، من ندوة مادة التربية الاسلامية بالمركز الاسلامي بالخرطوم ص ٢٠ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٣٠

(٣) انظر المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

ولا ينتظر من مثل هذه اللجان العالمية التي تحمل أفكارا مغايرة متنافـــرة عن معتقدات الأمة السودانية ، وأهداف التربية الاسلامية ، أن تضع أهدافا مناهضة لفكرها خاصة إذا علمنا أنّ هذه اللجان التي كانت تتألف من الخبراء المختصين ، وبعـــض الكوادر الفنية والادارية ، في رئاسة وزارة التربية والتعليم . قد استأثرت بقضايـــا التربية والتعليم ، ولم تترك المجال للقوى الاسلامية والاجتماعية المنتجة التي تعوّل عليها في التغيير ولا للأطراف الأخرى المعنية مباشرة بالعملية التربوية كالمعلمين والمتعلمين وآباء المتعلمين لابداء آرائهم[1] في أهداف هذه المناهج .

نذكر من هذه اللجان العالمية :

* **لجنة عكراوى التي بدأت أعمالها عام ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م :**[2]

لقد صاغت هذه اللجنة في تقريرها ثلاثة عشر هدفا عريضا للتربية السودانية لم توضح اللجنة الأساس الفكرى العقدى الذى ينبغي أن تقوم عليه التربية في السودان ذات الجذور الاسلامية ، نلحظ ذلك من خلال عرضنا للديباجة التي استهلّت بها هذه اللجنة تقريرها ، حيث نجد العموم قد شاب محتويات هـــذه الديباجة ، فلا تدلّ بأى صورة من الصور أنها تخص السودان بالذات ، بل يمكن أن تكتب عن أى بلد آخر ، وهذا هو الشأن في المناهج التي توضع بمعزل عـــن معتقدات الأمة ، وتوجهاتها .

وقد نبه الدكتور كاظم[3] فيما بعد عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م الى هذه الدرجة العالية

---

(١) انظر : توفيق السنوسي ، أهداف العملية التربوية ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ، ٢٠ .

(٣) هو محمد ابراهيم كاظم ، عمل استاذا لأصول التربية بكلية المعلمين بجامعة عين شمس ، ثم عمل عميدا لكلية التربية بجامعة الأزهر ، ثم أختير لتأسيس جامعة قطر ، وعمل مديرا بها لمدة عشر سنوات تقريبا ، وهو الآن يشغل منصبا كبيرا في هيئة اليونسكو ، وله نشاط علمي .

من التعميم المقصود الذى شملته هذه الأهداف ، وصعوبة تفكيكها إلى أغـراض محددة ، وسلوكية خاصة بكل فرع من فروع المنهج على حده .[١]

ويبدو من خلال استعراضنا لمراسلات وزارة التربية والتعليم في هذه الفترة أيضاً، أنّ التربية والتعليم في السودان قد هان أمرها حتى أنّ المنظمات العالمية ذات الأفكار التغريبية ، كالمنظمة التي تطلق على نفسها [٢] : منظمة البحث والتقويم التاريخي : " Historical Evaluation And Research Organization " .

قد أرسلت خطاباً إلى وزير التربية والتعليم [٣] في ذلك الحين - ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٨م الموافق ١٣٨٠هـ تعرض فيه خدماتها إلى وزارة التربية والتعليم والمتمثلة في ارسال فريق من الأمريكان التابعين لهذه المنظمة لدراسة أوضاع التربية والتعليم ، وتقديم الاستشارات اللازمة في ذلك .

ولنا أن نسأل :

* ما الفائدة التي تجنيها هذه المنظمة من تقويمها لهذه الخدمات التي ستكلفها كثيرًا من الدولارات الأمريكية . ؟

* ما العلاقة التي تربط هذه المنظمة بوزارة التربية في السودان ؟ .

* هل سبق وأن استغاثت وزارة التربية والتعليم في السودان بالمنظمات الدولية لأعانتها في مجال التربية والتعليم ؟.

في الإجابة على هذه الأسئلة تكمن الأهداف الحقيقية وراء طلب هذه المنظمة عرض خدماتها على وزارة التربية والتعليم في السودان .

---

(١) انظر : توفيق السنوسي ، أهداف العملية التربوية ، مرجع سابق ، ص ٢٠

(٢) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ، ١٧/ ب / ١٥ / ٧٢ عمومي .

(٣) وزير التربية في ذلك الوقت هو د . سيد أحمد عبد الهادى ، انظر المرجع نفسه .

وقد ردّ هذا الطلب لا بحجة أنّ واضع المنهج ينبغي أن يكون ملما بقيم ومعتقدات الأمة السودانية ، واحتياجاتها ، ومتطلباتها ، وأنّ هذه الأهداف ينبغي أن تكون مستوعبة لتلك القيم والمعتقدات ، بل ردّ الطلب بحجة أنّ السودان يجد من خبراء منظمة اليونسكو الدولية كل النصح والتوجيه اللازم في مجالات التعليم .

وللعلم فإنّ هذه المنظمات التي تعمل في ميادين المعونة الدولية والتعاون مثل برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، والبنك الدولي ، واليونسيف لم تجد بتلك الأموال الطائلة لمراكز اليونسكو والمنظمات التي تعمل في مجال التربية في العالم الثالث حباً وحرصاً منها في الرقيّ بهذه الدول تربوياً وثقافيا بالطريقة التي تحلو لها ، ولكن يتم ذلك ضمن ضوابط محددة لا ينبغي لهذه البلاد أن تتعدى خطها ، ومنهجها ، بل في بعض الأحيان تستعجل خطاها ففي مقال تحت عنوان:" مساعدة على التفكير في تطورات لازمة " بقلم"ريني ماهيو " مدير عام منظمة اليونسكو [1]، أوضح أنّ هذه المنظمات التي تعمل في ميادين المعونة الدولية قد بدأت تثير بصورة متزايدة أسئلة أساسية عن أهداف وطرق واتجاهات السياسة المتعلقة بالمعونات التعليمية للبلدان، النامية ، وكان من جراء ذلك أن كونت لجنة دولية لتطوير التعليم مهمّتها التأمل العريض في موقف وأهداف التعليم وصياغة استراتيجيات قومية جديدة ، لتطوير التعليم [2] وقد زارت هذه اللجنة لهذا الغرض أربعة وعشرين قطرا والسودان منها .

---

(١) انظر : السنوسي ، أهداف العملية التربوية ، المرجع السابق ، ص ٣١ ـ٣٢.

(٢) انظر : المرجع نفسه ص ١٩ وما بعدها .

وبالرغم من أنّ وزارة التربية في السودان تأخذ النصح والإرشاد ، و الدعم من هيئة " ا ليونسكو " التي من مهام تأسيسها مساعدة الدول النامية في مجال نشر التعليم من الناحية المادية وتقديم النصح والمشورة ، إلا أنّ هذه الهيئة تحاول كلما لاحت لها الفرصة ، التدخل في محتوى المنهج النابع من المعتقدات والذى يختصّ به القائمون على أمر التعليم في الدولة المعنية وحدهم .

وهكذا نجد أنّ أمر التعليم في السودان ، والاسترشاد بآراء المنظمات الدولية في مجال التربية والتعليم ، مازال قائما حتى الآن (١٤٠٨هـ).

وقد قام الباحث بزيارة لبعض مكاتب هذه المنظمات بالخرطوم وحصل على مطبوعات منها(١) . وهي في مجموعها ، تحمل أهدافا عامة تصلح لأى دولة ، مسلمة كانت أم مسيحية ، شيوعية أو اشتراكية ، أو غيرها ، بغض النظر عما تحمل تلك الدولة من معتقدات وقيم .

من هذه المطبوعات على سبيل المثال " كتاب استراتيجية تطوير التربية العربية " الذى وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية ، تحت إشراف مديرها الحالى (١٤١٢م) الدكتور محى الدين صابر الوزير السابق للتعليم فى السودان فى عهد حكومة مايو ، الذى ساهم بقدر وافر فى تثبيت دعائم الغز الفكرى فى السودان ، فترقى لإدارة تلك المنظمة العربية ، ليخرِّب التعليم في العالم العربى كلّه كما فعل فى السودان .

---

(١) من هذه المطبوعات على سبيل المثال : ١ - توجيه البحوث التربوية حسب الاسبقيات في التعليم الابتدائي . مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية ، العدد ٢٢ أبريل ١٩٨٧م.

٢ - استراتيجية تطوير التربية العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، نوفمبر ١٩٧٦م. .. الخ.

لو استعرضنا طبيعة ومبادئ تلك الاستراتيجية ، نجدها مبادئ علمانية ، وضعية متناقضة ، قومية وإشتراكية وإنسانية ، أمّا العنصر الإسلامى فقد جاء منزويًا خفيفًا ، ذرًا للرَّماد فى العيون ، وإرضاءً للذين يتوقّعون أن تأتى مثل هذه الأنظمة بالنظام الإسلامى المنشود .

ففى الفصل السادس (طبيعة الاستراتيجية ومبادؤها) ، وتحت عنوان : (المبدأ القومى فى التربية) يظهر أثر القومية العربية بينا في غالبية الفقرات . من ذلك على سبيل المثال الفقرة التالية : (كون الأمة العربية حقيقة تاريخية حضارية ، اتصل كيانها بالحضارة الإنسانية منذ نشأتها ، وكان لها تأثير واسع وعميق فى مسيرتها ، وهى تملك فى حاضرها من مقومات القومية ، ودواعى الوحدة ، ما يندر أن تملكه أمة أخرى ، فهى تتميز بوحدة اللغة والثقافة ، ووحدة الوطن والتاريخ ، ووحدة المصالح والمصير)(١) .

فلا إشارة هنا من قريب أو بعيد للإسلام كأساس أول للوحدة والتآخى والتراحم والتعاضد بين الشعوب .

وفى الفصل السابع: (عناصر الاستراتيجية وبدائلها) وتحت عنوان : (نحو فلسفة اجتماعية عربية للتربية) ، نقرأ هذه العبارة (وقد ألمحنا إلى أنّ المبادئ الرئيسية التى استعرضناها فى هذا الفصل السابق يمكن أن تؤلف مادة أولية لمثل تلك الفلسفة الاجتماعية التربوية ، بعد أن تخضع إلى مزيد من التحليل والتعمق ، وتحقيق التنسيق والتكامل بين بعضها وبعض ، والتماس السند الفكرى لها من مصادرها الرئيسية وبخاصة من أصول العقيدة الدينية ، وأصول الثقافة العربية ، ومن التراث الحضارى

---

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م ص ٢٨٢ .

العربى الإسلامي عامة من ناحية ، ومن أحوال مجتمع الأمة العربية وحاجاتها وأمكاناتها وحركة القومية العربية فيها ، وتطلعاتها نحو المستقبل ، ومن العلم والفكر الحديث والحضارة الإنسانية فى تخير صورها من ناحية أخرى . (١).

كما نجد التعميم قد شاب الكتاب فى استعراضه لدلالات التربية الإيمانية. إذ لم يرد فيه ما يشير إلى أنّ الإسلام هو الدين الذى ينبغى أن يهيمن على كلّ الأديان . ولم يتعرض كذلك لعقيدة التوحيد ، ومقتضياتها فى الحياة، وأن الحياة ، إنّما تقوم على أساس العبودية الحقة لله ، وعدم الاستنكاف عن عبادة الله على هذا المنوال . ﴿ قل إنّ صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى للّه رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ . (٢) .

بجانب ذلك نجد إشارات إلى الاعتماد على العقل (٣) الذى لولا تهذيب وهداية الدين له ما اهتدى إلى الحق أبداً. لأنّ هناك مسائل لو بحث فيها العقل مستقلاً بنفسه ، فإنّه لا يصل فيها إلى نتيجة يتفق عليها الجميع ، كمسائل وما وراء الطبيعة ، ومسائل الأخلاق ، ومسائل التشريع الذى ينظم به المجتمع ، وتسعد به الإنسانية (٤) .

هذا المزيج المتنافر فى مبادئ هذه الاستراتيجية ، هو النقطة الخطرة التى بدأ عندها الانفصام الحالى والتمزق والحيرة والاضطراب . ولن تصلح هذه المبادئ المتنافرة الوطن العربى والإسلامى فى شئ ، ولن تزيد الناس إلاّ تمزقاً واضطراباً وحيرةً فى مواجهة الحياة .

---

(١) استراتيجية تطوير التربية العربية - مرجع سابق - ص ٢٤٧ .

(٢) سورة الأنعام الآيات ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) على سبيل المثال انظر المرجع السابق ص ٢٢٧ ، ٢٤٩ .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : د . عبدالرحمن عميره ، الطريق إلى الله، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، ص ١٥ وما بعدها .

* المبحث الثاني : موقف بعض الوزارات من التعليم الديني :

لقد خلّف المستعمر بعد رحيله ـ كما قدّمنا ـ نمطًا مزدوجًا من التعليم : تعليم مدني علماني ، وتعليم ديني .

وكان التعليم المدني وعلى رأسه كلية غردون التذكارية ، والمدارس الوطنية الأخرى كالمدرسة الأهلية بأم درمان التي أسّسها مؤتمر الخريجين جميعها وان خرجت في أهدافها عن الهيئة الشكلية للاستعمار إلاّ أنّها كانت بلا استثناء تعتبر امتدادًا لنظامه الثقافي والتربوى .

أمّا التعليم الديني وعلى رأسه معهد أم درمان العلمي فرغم أصالته وارتباطه بقيم ومعتقدات الأمة ، إلاّ أنّه غير مواكب لتطور الحياة القائمة ، لما ينقص منهجه من مواد أصبحت دراستها مهمة للنهوض بالمجتمع ، وقد أجريت على منهجه عام ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٣م ، بعض الاصلاحات الهادفة لتطوير المواد العلمية بالمعهد . (١)

هذا النمط التعليمي الذى خلّفه المستعمر ، مادور وزارات التربية الوطنية المتعاقبة في هذه الفترة في إرساء القواعد الأصيلة ، والمنهج المتوازن لهذين النمطين من التعليم ، من حيث التحرر الحقيقي بعد التحرر الظاهرى من مخلفات المستعمر الذى قصد بمنهجه التربوى ، والثقافي ، أن يوسّع الشقة بيننا وبين عقيدتنا ، وثقافتنا الإسلامية التي لا غنى عنها لحياتنا العلمية والعملية ، ومن حيث تطعيم مناهج المعاهد العلمية بالثقافات الحديثة التي تتطلبها الحياة المعاصرة ؟ .

باستعراض سريع لهذه الفترة يتبين لنا مدى بعد الوزارات المتعاقبة ، وقربها من المخطط التغريبي الاستعمارى ، وموقف بعضها من التعليم الديني .

ففي مذكرة للسيد وزير العدل فيما يختص بسياسة وزارته أزاء المعاهد الدينية تلك المذكرة التي هدفت الى التقريب بين التعليم الديني ، والتعليم المدني ، عن طريق

---

(١) انظر : محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

تعديل في المنهج ، وتغيير في المدارس في كلا النظامين حسب الخطة المرسومة ، حتى لاتكون هناك ثنائية في التعليم ، وافق مجلس الوزراء في اجتماعه بتاريخ ١٩٦٠/١٠/١١م(١) الموافق : ١٣٨٠ هـ على تلك المذكرة ، التي استوعبت المشكلة من كلا الجانبين - الديني والمدني - عن طريق التعديل في المنهج لسد النقص الحاصل في المنهجين .

وبالرغم من أنّ المذكرة - سالفة الذكر - كانت قد وضعت منهجا موائما بين المنهجين (الديني والمدني) ، بحيث يقترب التعليم الديني من المدني تماما ، ولا يزيد عليه الا بالتعميق في بعض المواد الدينية ، وبالرغم من أنّ قرارا قد صدر بشأن المذكرة بالموافقة من مجلس الوزراء - رغم هذا وذلك - الا أننا نجد أن المجلس قد أقر سياسة تغريبية ، متوازية للقرار الأول ، متحيزة ، حمل فيها على التعليم الديني حملة شعواء كبلت القرار المُجَاز بقيود ، وضوابط تجعله عديم الجدوى ، اذ لم يعترف المجلس كما جاء في منطوق قراره السابق رقم ١١٩٩ بالشهادة الثانوية للمعاهد الدينية ، ولا الشهادة العالمية من معهد أم درمان العلمي ، ولم يقر المجلس ميزانية ثابتة للمعهد ، بل جعل ميزانيته ترد في شكل اعانات من الحكومة .(٢)

من ذلك ماجاء في الفقرة الثالثة والرابعة من هذا القرار :

* **الفقرة الثالثة :** " ان تظل ميزانية معهد أم درمان في شكل اعانة من الحكومة حتى تنتهي الاتصالات الجارية الآن بين سلطات المالية ، وسلطات وزارة العدل .

* **الفقرة الرابعة :** الامتحانات :

أ) الشهادة الثانوية للمعاهد الدينية تتضمن الاعتراف لحاملها بأنه قضى وقتا معينا في الدراسة ، وحصل على المعلومات اللازمة لطبيعة الدراسة ، وإلى أن يكتمل النظام للمعاهد ، قرّر المجلس أن يجلس خريجو معهد أم درمان الثانوى إمّا لامتحان الخدمة المدنية وإمّا لامتحان الشهادة المدرسية السودانية .

---

(١) انظر : قرار مجلس الوزراء رقم م و / ١/ أ - ٥/ ١١٩٩/٤ م بتاريخ ١٩٦٠/٦/١١ ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

(٢) انظر : مقترحات ومطالب لاصلاح المعاهد الدنيية ومشاكل الخريجين ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم تعليم ٠٢٧/٧/٧.

(ب) أمّا حاملو الشهادة العالمية من معهد أم درمان ، وحاملو الشهادة العالية من الأزهر الشريف ، فيمكن أن يجلسوا للإمتحان للخدمة يُوضع خصّيصًا لهم على أن يُعَيَّن الذين يقع عليهم الاختيار حسب اللوائح المالية لحملة الشهادة العالية من كليات الأزهر " (١)

وهذه السياسة التي اتبعت في عهد الحكم الوطني هي بعينها : السياسة القديمة إبان الاستعمار .

ثم تعاقب على وزارة التربية والتعليم وزراء جادون (٢) ، أعطوا التعليم الديني قدرًا من الاهتمام ، وقدموا توجيهات مهمة لتطوير منهج التربية الإسلامية في المدارس الأولية والوسطى ، والثانوية ، وأشاعوا الروح الإسلامية في الحياة المدرسية والمناهج الدراسية عامة .

ولكيما يتحقق الغرض المنشود من التوسع في منهج التربية الإسلامية ، وزيادة حصصه ، فقد قرر وزير التربية آنذاك (٣) ، أن يكون تقييم مادة التربية الإسلامية في الامتحانات النهائية في المراحل المختلفة على الوجه التالي :

١ - زيادة الدرجات من ٦٠ الى ١٠٠ في الأولية والوسطى .

٢ - أن توضع درجات الدين في الشهادتين الأولية والوسطى في مقدمة قائمة العلوم ، وفي ذلك اغراء ودافع للطالب على العناية بدراسة الدين ، وتفهم واعتراف بما نكن لدراسة الدين من مكانة في المنهج الدراسي .

٣ - أمّا في المدرسة الثانوية فينبغي أن يكون الامتحان في مادة الدين اجباريا حتى نهاية المرحلة الثانوية لكل تلميذ ، وألّا تقل درجاته/عن درجة أيّ من العلوم الرئيسية الأخرى .

---

(١) قرار مجلس الوزراء رقم ٢ و/١/أ - ١١٩٩/٤/٥ - مرجع سابق .

(٢) كان على رأس هؤلاء الوزراء الأستاذ / بدوى مصطفى .
انظر : انجازاته : دار الوثائق المركزية بالخرطوم تعليم ٢٧/٧/٧ .
وكذلك : دار الوثائق المركزية بالخرطوم Dept. R. 6/8/ 61 .

(٣) هو الأستاذ بدوى مصطفى وكان ذلك في ١٩٦٥/٥/١٩م .
انظر : دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ٢٧/٧/٧ .

٤ ـ أن تخصص جوائز للمتفوقين في الدين علما وعملا في كل مدرسة وسطى وثانوية" (١)

وقد تبع ذلك مقترح لجدول حصص التربية الاسلامية في المراحل الثلاث جاء على النحو التالي : (٢)

المرحلة	الفرقة	عدد الحصص الحالي	عدد الحصص المقترحة	ملاحظات
المرحلة الأولية	أولى	٤	٦	تزاد في الجدول
	ثانية	٥	٦	تزاد في الجدول
	ثالثة	٤	٦	تؤخذ من حصص الجغرافيا والاعمال
	رابعة	٤	٦	تؤخذ من حصص الجغرافيا والاعمال
المرحلة الوسطى	أولى	٣	٥	تؤخذ من حصص اللغة الانجليزية
	ثانية	٣	٥	تؤخذ من حصص اللغة الانجليزية
	ثالثة	٣	٦	تؤخذ من حصص اللغة الانجليزية والفنون .
	رابعة	٣	٦	تؤخذ من حصص اللغة الانجليزية والفنون .
المرحلة الثانوية	أولى	٣	٥	توفر الحصص المطلوبة من التاريخ والجغرافيا .
	ثانية	٣	٥	
	ثالثة	٣	٥	
	رابعة	٣	٥	

---

(١) توجيهات لتطوير منهج الدين واشاعة الروح الاسلامية في الحياة المدرسية والمناهج دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ، ٧/ ٧/ ٢٧ .

(٢) المرجع نفسه .

بجانب هذا القرار والخطة الجريئة التي واجهتها عقبات كثيرة تمت الموافقة على اقرار قانون مشروع المحافظة على القرآن الكريم "[١] بما عرف بمؤسسة " إحياء نار القرآن الكريم "[٢] فيما بعد .

ثم جاء من بعد ذلك في عام ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ من نادى بتصفية هذه المعاهد الدينية وتحويلها إلى مدارس مدنية ، مما دعا بعض الأساتذة[٣] إلى استخراج بيان وبلاغ للناس أوضحوا فيه الظروف العصيبة التي واجهت المعهد العلمي. والتعليم الديني إبان الاستعمار الذى حارب القائمين عليه ، وأوصد أمامهم المسالك ، واضطهدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .[٤] ، وأوضحوا أنّ الذين يحملون الدعوة إلى تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس علمانية ، ماهم إلا تُبَّعٌ للاستعمار الذى نَشَّأهم هذه النشأة الغربية .

ومما جاء في المذكرة الآتي : " إنّ الدعوة إلى تحويل المعاهد بدع في الرأى بل مناهضة لرأى الأكثرية الساحقة في البلاد ، فاللغة الرسمية للدولة هي العربية ، والناس يكادون يجمعون على قيام حكم إسلامي ، الأمر الذى يتطلب مزيدًا من العناية باللغة والدين حتى يكون من بيننا من يضطلعون بالتشريع الإسلامي ، ويتصدى لحل مشكلات الحضارة الحديثة ويرسونها على أساس إسلامي سليم ، وحتى يكون عندنا من يعملون لرفع العربية حتى تكون لسان العلم ، ولغة الحضارة .

---

(١) انظر : قرار مجلس الوزراء رقم ٣٨٦ بتاريخ ١٩٦٥/٦/٧م - دار الوثائق المركزية بالخرطوم . Dept . R. 6/8/67 .

(٢) انظر : المراحل التي مرت بها هذه المؤسسة - المرجع السابق .

(٣) الأساتذة الذين رفعوا المذكرة هم : الشيخ مجذوب مدثر ، والشيخ الأمين داود ، والشيخ محمد العبيد ، والشيخ يوسف الترابي ، وذلك بتاريخ ٥ جمادى الأولى من عام ١٩٦٦ م.
انظر : دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١١/ ١٢/٢.

(٤) انظر كذلك : مقترحات ومطالب لإصلاح وتطوير المعاهد الدينية ومشاكل الخريجين ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ٢٧/٧/٧.

إنّ العصر عصر تخصص في العلوم والفنون ، قد استلزم أن يعد طلاب الهندسة إعداداً خاصاً غير ذلك الإعداد الذى يعده طلاب الطب مثلا ، وطلاب الدراسات الدينية والعربية ليسوا بدعاً من الناس ، فلا مناص لهم من الإعداد الخاص منذ الدراسة الوسطى ، فتتّجه عناية الطالب أول ما تتجه الى القرآن الكريم ويتلقى من علوم التوحيد والفقه والنحو وغيرها ما يهيئه للدراسة المعهدية الثانوية ، والفرق واضح بين طالب تلقي دراسة واسعة في اللغة ، وأصولها ، وفي التفسير و الحديث والمنطق والكلام ، وأخذ بنصيب وافر من النحو والصرف والبلاغة إلى جانب المامه بألوان من الثقافات الحديثة ، وبين طالب تطغى مناهج اللغة الأجنبية في دراساته ، على مناهج العلوم الدينية ، ومناهج الرياضيات ، على مناهج العلوم العربية ، فلاريب أنّ الأول قد أعدّ إعداداً كاملا لتلقي الدراسات العربية والدينية ، وأنه متأهّل لحمل رسالة الجامعة الإسلامية ... " (١)

وكان نتيجة لهذه الضغوط المتعددة على الذين ينادون بتصفية المعاهد الدينية وإلحاقها بالمدارس المدنية ، دونما إجراء تغيير في مناهج هذه المدارس العلمانية التي خلفها الاستعمار - نتيجة لهذه الضغوط - فقد احتفظت تلك المعاهد بمناهجها القديمة مع إضافة بعض المواد الحديثة التي بلغت نسبتها في العام الدراسي ١٣٨٩ هـ - ١٣٩٠هـ (٦٩/١٩٧٠م) (٢) قبل قيام ثورة مايو ٢١٪ من مجموع الحصص ، للصف الأول بمعهد أم درمان الثانوى القديم ، ٢٦ ٪ من مجموع الحصص للصف الثاني من نفس المعهد ، مع زيادة لا بأس بها في حصص التربية الإسلامية في المدارس المدنية ، وبقاء المنهج القديم على ماهو عليه قبل التعريب وبعده ، بما تحمل مواده الدراسية من غزو فكرى موجه لهدم العقيدة الإسلامية .

(١) انظر : دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١١/ ٢/ ١٢.
(٢) انظر : البيانات الخاصة بمعهد أم درمان الثانوى القديم ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٥/ ٣/ ١٣.

* المبحث الثالث : العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية :

عند تناولنا لموضوع العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية مع الدول الأخرى في هذا المبحث ، لا نعني بذلك الحجر على العقول ، ومنعها من الاستفادة من الخبرات العالمية ، خاصة في المجالات والتخصصات التي لا تتوفر للدولة المعنية بالأمر ، ولكن نعني بذلك ، التنبيه على بعض العلاقات الثقافية المشبوهة ، خاصة مع الدول الشيوعية والاشتراكية و الغربية ، ذات الأيدلوجيات التي تتنافى وعقيدتنا الاسلامية ، والتنبيه كذلك على البعثات الدراسية التي غالباً مايكون المبعوث اليها ذا حظ ضئيل من الثقافة الاسلامية ، أو لا حظ له مطلقا ، فينبهر بتلك الثقافات ، فينغمس فيها ، فتتزعزع إرادته وعقيدته ، فيسهل على دوائر الاستعمار والتبشير والاستشراق استخدامه ليكون لهم عميلاً في تنفيذ عملية التغريب ، ورسولا يحمل ثقافة تلك البلاد التي لا تؤمن إلاّ بالشيوعية والاشتراكية أو المادية ، واللادينية إلى بني جلدته ٠

من هذا المنطلق نجد أنّ العلاقات الثقافية ، والبعثات الدراسية التي تمت في هذه الفترة بين السودان والدول الأخرى في غالبيتها اتجهت نحو الدول الشرقية ذات المنهج الشيوعي الاشتراكي وبعض الدول الغربية ٠

وللاستدلال على ما تنطوي عليه هذه الاتفاقيات الثقافية من غزو فكري نكتفي باستعراض ثلاث منها :

أولا: علاقة السودان الثقافية مع جمهورية المجر :

بدأت هذه العلاقة بمبادرة من جمهورية المجر سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م وذلك بتقديم منحتين للسودان للدراسات الجامعية ٠

وفي أكتوبر سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م تمّ توقيع أول اتفاقية " ببودابست " بين البلدين

وتبعه في نفس الحيين برنامج عمل مكثف ، حصل السودان بمقتضى ذلك على خمس عشرة منحة دراسية للدراسات الجامعية .

وفي عام ١٣٨٨هـ يناير ١٩٦٨م زار وفد مجرى السودان للتباحث في أمر تقييم معادلة الشهادات .

كل هذه الحالات تمت وبمبادرة من جانب واحد فقط ، وقد أشار السيد مساعد الوكيل للعلاقات الثقافية في ذلك الوقت [(١)] في تقريره الى أنّ الجانب المجرى يرغب وبشدة في أن ترد الزيارة للتعرف على نظم التعليم في المجر ، ولاتمام المناقشات الخاصة بمعادلة الشهادات ، ولم تتم هذه الزيارة .

وفي مارس من عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م زار وفد ثقافي مجرى السودان حيث تم التوقيع على برنامج العمل الجديد ، وبمقتضاه حصل السودان على تسع عشرة منحة دراسية .

بلغ عدد الطلبة السودانيين الذين يتلقون دراساتهم في المجر في ذلك الوقت مائة وأربعة وستين طالبا (١٦٤) طالبا ، جميعهم يدرس على نظام المنح الدراسية المجانية . [(٢)]

ثانيا : علاقات السودان الثقافية مع الجمهوريات السوفيتية :

وقع السودان مع الاتحاد السوفيتي في أكتوبر عام ١٣٨٧ه - ١٩٦٧م [(٣)] اتفاقية ثقافية تقضي بالاعتراف بالدرجات العلمية ، والشهادات والدبلومات ، وقد سبقت هذه الاتفاقية ، اتفاقيات ثقافية في أوائل الستينات على ضوئها قدّم الاتحاد السوفيتي للسودان منحا دراسية ، وتمّ تكوين اتحاد للطلبة السودانيين ، عرف

(١) هو الاستاذ أحمد محمد سعد ، انظر : الاتفاقيات الثقافية بين السودان والدول الأخرى دار الوثائق المركزية بالخرطوم تعليم ، ٢٠/٤/١٦.

(٢) انظر نصّ الاتفاقية في المرجع السابق .

(٣) وقع هذه الاتفاقية عن الجانب السوداني السيد يحيى الفضلي ، وزير التربية والتعليم ، انظر : المرجع السابق .

باسم " اتحاد البعثات للطلاب السودانيين بالاتحاد السوفيتي " (١)

ثالثا : علاقات السودان الثقافية مع بريطانيا :

علاقات السودان الثقافية ببريطانيا علاقة قديمة منذ عهد الاستعمار الانجليزى للسودان ، حيث وضع " سايمز " خطته لكسب ود الخريجين السودانيين ، حتى يصرفهم عن التوجه ناحية مصر ، لذلك كان دائم الحوار مع موظفيه ، ومعاونيه حول الوسائل التي يمكن بها " نجلزة الخريجين " ، وتحسين علاقات الزمالة بين صفوة العاملين في الخدمة المدنية (٢) ، فشجع الخريجين على زيارة بريطانيا ، وعمل على ارسال البعثات للدراسة في الجامعات الانجليزية.(٣)

وقد استمرت هذه العلاقة الثقافية المتميزة في فترة الحكم الذاتي ، حيث بلغت هذه المنح قبل اكتوبر ١٩٦٤م أكثر من أربعين بعثة شملت ثلاثة عشر تخصصا ٣٨ ٪ منها خصصت للتربية . (٤)

وبالجملة فقد زاد عدد البعثات الحكومية في الخارج للدراسات الجامعية والتخصصية ، حيث بلغ عدد المبعوثين حتى عام ١٣٨٣هـ ـ ١٣٨٤هـ (١٩٦٤/٦٣ م : ثمانمائة مبعوث ، وبلغ عدد المبعوثين للمنح الدراسية التي تكرمت بها الدول الصديقة ، ثلاثمائة وثلاث وأربعين منحة ، وبذلك بلغ عدد المبعوثين على المنح غير الحكومية فقط ، ألفا وثلاثمائة وأربعة وسبعين منحة ، غير أولئك الذين يتلقون الدراسة في الجمهورية العربية المتحدة حيث بلغ عددهم ١٣٨٣هـ ـ ١٣٨٤هـ (٦٣/ ١٩٦٤م) ألفا وثلاثمائة وعشرين طالبا . (٥)

---

(١) انظر : الطلبة السودانيون بالخارج دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم: ٢/ ٦/ ٢٤.

(٢) انظر : جعفر محمد علي بخيت ، الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ، دار الثقافة بيروت ، مكتبة خليفه عطيه الخرطوم ص ٢٩٦.

(٣) انظر : نوال عبد العزيز مهدى ، رياح الشمال ، دراسة العلاقات المصرية السودانية في التاريخ الحديث المعاصر ، مرجع سابق ص ٥٣.

(٤) انظر : مطبوع التوصية الخاصة بالبعثات الدراسية .

(٥) انظر : وزارة التربية والتعليم ، ثورة التعليم ، تقرير عن توسع التعليم في عام ٦٣/١٩٦٤م ، ص ١٢.

* **ما نلاحظه على هذه الاتفاقيات الثقافيــة :**

(١) ان هذه المبادرات الثقافيـة لم تأت من السودان الدولة المستفيدة بل غالبـــا ما تكون المبادرة من الدول التي لا ترتجي مقابلا ماديًا من السودان، وذلـــك ليس حبا في السودان ورقيه وتقدمه ، بل سعيا حثيثا من هذه الدول لنشـــر ثقافاتها المادية ، ومذاهبها الإلحادية .

(٢) يفهم من العلاقات الثقافية بين دولة وأخرى ، لا تربطهما رباط عقيدى ، أن تستفيد كل منهما من الأخرى في المجالات التي لا تتوفر لديها ، وأخذ الخبرات ، التي تعينها على النهوض والاكتفاء بنفسها في هذا الجانب ، إمّا إذا كانـــت الفائدة الظاهرة تعود لأحدهما دون الآخر ، فالمنطق يقضي بأن تتكفل الدولـــة المستفيدة بتكاليف مبتعثيها ، إلاّ أن يكون بين الدولتين رباط عقيدى يدفعهما لهذا الترابط والتعاضد ، والتكاتف متجاوزين الفوارق بينهما . " مثـــل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكـــى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (١)

فإذا نظرنا إلى هذه العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية ، التي تمت في هـذه الفترة ، نجدها غير ذلك ، المستفيد الوحيد منها في الظاهر ، كما هو مدوّن في الأوراق هو السودان بينما لا نجد أى رباط من قريب أو بعيد يربط السودان بهذه الدول لا من الناحية العقيدية ، ولا من الناحية الجغرافية ، ولا نجد مبرّرًا لهذا العطف إلاّ أن يكون المقابل غزواً فكرياً ثقافياً ، كما حدث بالفعـــل . فنظام التعليم في هذه الدول كما يقول الدكتور وهيب سمعان :" رغم الاختلافات

---

(١) متفق عليه : صحيح البخارى (مع الفتح) كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ٦٠١١/١٠ .
صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ٢٥٨٦ كلاهما عن النعمان بن بشير مرفوعا واللفظ لمسلم .

التي قد نجدها بين النظم التعليمية في الدول الأوربية الاشتراكية إلا أن هناك سمات عامة مشتركة بينها ، من أهمها : توجيهها للتكيّف مع الايدلوجية الماركسية اللينينية ، وارتباطها بنمط معيّن من النظام ، والتربية الخلقية واهتمامها بالعلم والتكنولوجيا ، وتشيعها لمنظمات الشباب ، وعدم تفرقتها بين تعليم البنات والأولاد ، واتجاهها لمركزة ادارتها " (١)

فالتعليم في الاتحاد السوفيتي مثلاً يهتم اهتماماً خاصا ببناء المجتمع على أسس مادية علمية ، وذلك عن طريق نشر وجهات النظر المادية لكل الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، وتحقيقا لتلك الاهداف تساهم كل مادة دراسية في تنمية المفهوم المادى في أذهان وقلوب الطلاب . (٢)

فإذا كان التعليم في هذه الدول يدور فلكه حول أيدولوجيات تلك الدول والتي من غاياتها تربية الشباب على روح التقاليد التقدمية وعلى روح الاخلاقيات الاشتراكية ، ودراسة الماركسية اللينينية التي تعد في معظم الدول الأوربية الاشتراكية جزءاً أساسيا من المقرر في المنشآت التعليمية العالية (٣) . - اذا كان أمر التعليم كذلك - فماذا تجني الدولة وراء مبعوثيها غير المحصنين ضد تلك التيارات الجارفة .

(٣) الطلاب المبتعثون إلى هذه الدول يفترض فيهم أن يكونوا رسلاً لبلادهم تدفعهم عقيدتهم الاسلامية في تبليغ دعوة الإسلام لهذه الدول التي ترفع شعاراً إلحادياً

---

(١) د . وهيب سمعان ، التعليم في الدول الاشتراكية ، المطبعة الفنية الحديثة ، نشر مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٣٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣ ومابعدها .

(٣) المرجع نفسه ، ٣٧ .

" لا إلــه والحياة مادة " و " الدين أفيون الشعوب " ، ولكن يبدو أنّ الاختيـار لهذه البعثات كلّها يتم دون مراعاة لتلك الجوانب والدليل على ذلك أنّ اتحاد الطلاب السودانيين بتشيكوسلوفاكيا قد أرسل رسالة مطولة لوزير التربيـة والتعليم بالسودان متضمنة بعض الطلبات التي منها :

" أنّ تضع الوزارة اعتمادا سنويا لإرسال فنانين سودانيين للترفيه عن الطلبـة هناك ". (١)

فهؤلاء الشباب الذين لم يتعدّوا سنّ الفتنة ، وغير محصنين بالعقيدة ، ضـد التيارات الفكرية الالحادية ، أرسلوا لينهلوا من العلم إن شاءوا ، ومن الفساد ان شاءوا أو من العلم والفساد معا في غالب الاحيان - كما يذكر الأستاذ محمـد قطب - (٢) ، ثم يعودوا ، ليكونوا رأس الحربة المتجه الى الغرب الأوربـي أو الشرق الاشتراكي اللينيني ، الذى يجرّ بلاده كلها إلى هناك .

* * *

---

(١) إنظر : الطلبة السودانيون بالخارج ، والخطاب بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٦٥م ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ٢/٦/ ٢٤.

(٢) انظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصـر ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

* **المبحث الرابع : وضع معلم التربية الاسلامية واللغة العربية الوظيفي :**

أشرت من قبل إلى أنّ خريج الجامعة " المعهد العالي، الأزهر ، دار العلوم " كان يعين لا بشهادته الجامعية ، وإنّما بالشهادة الثانوية الأهلية - هذا إذا كان محظوظًا - وأحيانًا يعيّن بالمتوسطة ، وأحيانًا أخرى يعيّن في القطاعات العمالية ، وإذا سافر على القطار فيُعْطَى تذكرة من الدرجة الثالثة ، بينما كان زميله من الجامعات الأُخرى المدنية يعيّن في الدرجة" Q كيو "(١)

هذه النظرة - نظرة التفرقة بين معلمي التربية الإسلامية واللغة العربية وبين معلمي المواد الأخرى ، والتي أحكم تطبيقها في عهد الاستعمار ، قد أثر على وضع معلم التربية الإسلامية واللغة العربية مهنيًا ووظيفيًا واجتماعيًا ، وأثر بجانب ذلك أيضًا على منهج مادة التربية الإسلامية واللغة العربية بالمعاهد والمدارس من حيث اقبال النشء عليه .

وقد ظلت هذه النظرة راسخة في نفوس المسئولين في وزارة التربية والتعليم ، إلى فترة مابعد الاستقلال ، وقد كان لذلك أثره السلبي على معلم التربية الإسلامية واللغة العربية ، بدءًا بتعيينه وترقيته وتأهيله ، فقد كان معلم التربية الإسلامية ، واللغة العربية يعيّن أولاً في المدرسة الوسطى ، ثم يتم ترفيعه إلى المدرسة الثانوية حسب الحاجة إليه ، وكان يجد العديد من الصّعاب ، والمعاناة تتمثل في الآتي :

أولا : أنّه متخرج في الجامعة ، وكل زملائه ، وإداريي المدرسة متخرجين في المدرسة الثانوية .

فيعيّن معلم التربية الإسلامية واللغة العربية في كادر الجامعيين(٢) بينما

---

(١) مقابلة مع الأُستاذين إبراهيم محمد أحمد سوار بتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٤ هـ ، ومحمد أحمد آدم كنيسن بتاريخ ٢/٧/ ١٤٠٨هـ .

(٢) وكان هذا في فترة متأخرة بعد الاستقلال حين تم الاعتراف بها كشهادة جامعية .

رؤساؤه يتدرجون في كادر المتخرجين في المدارس الثانوية ، وفي بعض الحالات نجد أنّ معلم التربية الاسلامية ، واللغة العربية في المدرسة المتوسطة أعلى درجة من مدير المدرسة .

ثانيا : معلم التربية الاسلامية واللغة العربية الذى يعمل بالمدرسة المتوسطة يفقد العديد من الامتيازات التي يجدها زملاؤه في المدارس الثانوية ، مثل التدريب والبعثات ، والاعارة ، خاصة وأن الدول المستعيرة قد تطلب خبرات المدرسة الثانوية ، اذا كانت الاعارة للتدريس في المدرسة الثانوية .

ثالثا : لا يتولى معلم التربية الاسلامية واللّغة العربية الذى يعمل بالمدرسة المتوسطة منصبا اداريا بالمدرسة ، لأنه يعتبر منتدبا من كادر المدارس الثانوية إلى المدارس الوسطى من جهة ، ومن جهة أخرى يعد - على رأى المستغربين - غير مؤهل وغير كفء . (١)

رابعا : ظل بعض الذين يعملون من هؤلاء الخريجين في المدارس الأهلية يحرمون من رواتبهم طيلة العطلة الصيفية ، وهناك عدد آخر ممن هم في التعيين المؤقت بمصلحة الشئون الدينية على حساب الاعانات ببند الارشاد ، يعانون من هذا الوضع غير المستقر .(٢)

ويزيد الغبن وضوحا اذا استعرضنا الاحصائيات (٣) والمقارنات التي قدّمها الاستاذ محمد الحسن أبو شنب لندوة مادة التربية الاسلامية بالخرطوم (٤) والتي

---

(١) انظر : محمد الحسن أبوشنب ، معلم التربية الاسلامية وظيفيا واجتماعيا - بحث - ضمن ندوة مادة التربية الاسلامية بالمركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم في الفترة من ١٧ - ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٥هـ ص ١١-١٢ .

(٢) انظر : مقترحات ومطالب لاصلاح وتطوير المعاهد الدينية ومشاكل الخريجين ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ٢٧/٧/٧ .

(٣) قد يعجب القارىء أنيّ أتيت باحصائيات تربوية خالصة ، ولكن ذلك بيان ودليل أن المراد من ذلك هو صرف الناس من هذا النوع من التعليم ، وفي ذلك انتقاص من الثقافة الاسلامية التي تؤثر في العقيدة .

(٤) انعقد هذا المؤتمر في الفترة مابين ١٧ - ٢٠ ذو القعدة عام ١٤٠٥هـ .

كانت عبارة عن حصيلة اللجنة التي كونتها وزارة التربية والتعليم عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م بعد رفع العديد من المذكرات من معلمي التربية الإسلامية واللغة العربية (١) . من ممثلين لوزارة التربية والتعليم، ووزارة الخدمة والإصلاح الإداري ، ومعلمي التربية الاسلامية واللغة العربية، ونقابة المعلمين حيث توصلت هذه اللجنة إلى معلومات عديدة تشير إلى الظلم الواضح على معلمي اللغة العربية والتربية الاسلامية ، من تلك المعلومات ،

" انظر الجدولين التاليين " : (٢)

السنة	الذين لم يترقوا من معلمي التربية الاسلامية	الذين لم يترقوا من معلمي المواد الأخرى
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م	٢٥	١
١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م	٥٠	٢

كذلك توصّلت اللجنة للاحصائيات المقارنة التالية لمعلمي التربية الاسلامية ومعلمي المواد الأخرى للدرجة السادسة :

(١) نذكر من ذلك : المذكرة التي رفعها اتحادات المدرسين والطلاب العاملة على حل قضية المعاهد الدينية ،
انظر : دار الوثائق المركزية بالخرطوم، تعليم ٢٧/٧/٧.
وكذلك : خطاب اتحاد طلاب جامعة أم درمان الاسلامية الى رئيس الوزراء بتاريخ ١٤/١١/ ١٩٦٦م ،
انظر : دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١١/٢/ ١٢ .

(٢) انظر: محمد الحسن أبو شنب ، معلم التربية الاسلامية وظيفيا واجتماعيا ، مرجع سابق ، ص ١٣ - ١٤.

السنة	عدد معلمي التربية الإسلامية	الذين ترقّوا	المتبقي	معلمي المواد الأخرى	الذين ترقّوا	المتبقي
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م	١٣٨	١٠٦	٣٢	٥٠	٤٦	٤
١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م	٦٠	١٣	٤٧	٥١	٤١	١٠
١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م	٢١	٨	١٣	٥٧	—	—

كذلك تفيد المذكرة التي رفعها اتحادات المدرسين والطلاب العاملة على حلّ قضية المعاهد الدينية ، أنّه دخل لمسابقة مدرسي اللغة العربية للوزارة ممن يحملون مؤهلات جامعية في اللغة العربية مع شهادات تخصص في التربية وعلم النفس ، وطرق التدريس ، أو في الشريعة الإسلامية (الأحوال الشخصية) دخل منهم حوالي ٣٩٩ مدرسًا ، لم يعيّن منهم بالوزارة ومصلحة الشئون الدينية إلاّ خمسة وعشرين مدرسًا .(١)

كما ترى فإنّ هذه الإحصائيات قد كشفت أمرًا بالغًا في الأهمية ، ينبغي الوقوف عنده ، وهو أنّ تناقصًا واضحًا قد حدث في معلمي التربية الإسلامية واللغة العربية ، ففي عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م كان عددهم (١٣٨ معلمًا) مائة وثمانية وثلاثين معلما في الدرجة الخامسة (D.S.) ، تناقص عددهم إلى ستين معلمًا (٦٠ معلمًا) عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ووصل العدد إلى واحد وعشرين معلمًا (٢١ معلمًا) عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م . وهذا يعني بجلاء أنّ معلمي هاتين المادتين قد زهدوا في الالتحاق بهذه المهنة للغبن والظلم الذى يلاقونه فيها .(٢)

كما يتضح من تقرير اللجنة أيضًا أنّ تقويم الأداء الذى يرقّى على أساسه

(١) انظر : مقترحات ومطالب لإصلاح وتطوير المعاهد الدينية ومشاكل الخريجين ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ٢٧/٧/٧.

(٢) انظر : محمد الحسن أبو شنب ، معلم التربية الإسلامية وظيفيًا واجتماعيًا ، المرجع السابق ، ص ١٤.

المعلّمون له كبير الأثر على تراكمات معلمي هاتين المادتين في درجات معينة دون زملائهم من معلمي المواد الأخرى .

فأرانيك التقارير السرية التي أعدّتها وزارة الخدمة والاصلاح الاداري تتضمن عشر درجات (١٠ درجات) للّغات الأجنبية ، خصصت منها خمس درجات لمعرفة اللغة الأجنبية كتابة ، وخمس درجات لمعرفة اللغة الأجنبية شفاهة ، وأن هذه الدرجات العشر يفقدها معلمو هاتين المادتين ، حتى ولو كان بعضهم يعرف لغة أجنبية لمجرد أنهم معلمو تربية اسلامية أو لغة عربية [١] ، رغم أن المذكرة قد كشفت أن معظم هؤلاء الخريجين ، وخاصة الذين تخرجوا من شعبة التاريخ الاسلامي ، والآداب ، لهم المام بلغة شرقية (فارسية أو عبرية) ولغة غربية (انجليزية أو فرنسية ، أو المانية) ، بمستوى محدود ، وذلك بحكم المناهج المطبقة في تلك الجامعات . [٢]

كما لاحظت اللجنة كذلك أنّ الخبرة السابقة التي قضاها معلمو هاتين المادتين في المدارس والمعاهد الأهلية والشعبية لم تحسب لهم ، و مثالاً لذلك ظل مدرسو اللغة العربية والتربية الاسلامية من حملة الشهادات الجامعية يعملون بمعهد أم درمان مدة تقرب من العشر سنوات ، رغم ذلك لم يتم تثبيتهم في الخدمة المدنية بحجة أنّ معهد أم درمان العلمي لم يتبع لوزارة التربية والتعليم [٣] ، بينما احتسبت لمعلمي المواد الأخرى . [٤]

ونتيجة لهذا الغبن ، رفع اتحاد طلاب جامعة أم درمان الاسلامية خطابا الى مجلس الوزراء أوضحوا فيه أن التشريد لحملة الثقافة الاسلامية والعربية كان في عهد

---

(١) انظر : محمد الحسن أبو شنب ، معلم التربية الاسلامية وظيفيا واجتماعيا ، ص ١٥ ، وكذلك مقابلة الاستاذ ابراهيم محمد أحمد سوار بتاريخ :

(٢) انظر : مقترحات ومطالب لاصلاح وتطوير المعاهد الدينية ، دار الوثائق تعليم ٢٧/٧/٧ .

(٣) انظر المرجع نفسه .

(٤) انظر : معلم التربية الاسلامية وظيفيا واجتماعيا ، المرجع السابق ص ١٥ .

الاستعمار الغربي ولازال هو المنهج السائد، ويعتبر هذا الخطاب تلخيصًا موجزاً وصادقــاً لوضع معلمي التربية الاسلامية واللّغة العربية الوظيفي .

نتقل منه الآتـــي :

" لقد درجنا نرفع اليكم المذكرات المتوالية بشأن مشكلة اخواننا خريجي الجامعات الاسلامية الذين ظلوا يتجرعون كؤوس العطالة ، والتشريد منذ أن تخرجــوا في ابريل الماضي حتى الآن ، وأخذوا يتردّدون على مجلس الوزراء ، ومختلــف الوزارات ، والمصالح بحثــاً عن العمل ، ولكن دون جدوى ، وكأنما هم دخــلاء على هذا البلد ، ليس لهم على الدولة حقوق ينبغي أن تؤخذ ، وكأنما هــم يستجدون منحة وليس حقّاً ، الأمر الذى يحزّ في النفس ، ويشعر بمرارة الحرمان والغربة في داخل الوطن .

وقد كان تشريد حملة الثقافة الإسلامية العربية واضطهادهم في عهد الاستعمــار كان منطقيا ، ومفهوما ، ولكن الآن وبعد الاستقلال .. قد أصبح غير منطقـــي ، ولا مفهوم ولا مطاق في الوقت الذى نجد فيه أنّ الأمة أحوج ماتكون إليهـــم من أى وقت مضى لأنها مقدمة إلى معركة تقرير مصيرها الحضارى ، والذى يتمثل في دستورها الدائم ، ولأنهم يحطون من قدر الثقافة الأصلية التي تنبع من عقيدة هذا الشعب وتراثه وتاريخه ، ولأنهم يمثلون قطاعا لا يستهان به من الطبقـة المستنيرة التي تحتاج إليها البلاد في دعم نهضتنا وانطلاقها في مضمــار التقدم ... " . (١)

---

(١) انظر : خطاب اتحاد طلاب جامعة أم درمان الاسلامية الى رئيس مجلس الوزراء ، بتاريخ ١٤/١١/ ١٩٦٦م ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١١/٢/ ١٢.

الفصل الثاني

مناهج التعليم فى عهد ثورة مايو (١٣٨٩-١٤٠٢هـ الموافق (١٩٦٩-١٩٨٢م)

ويشتمل على ثمانية مباحث :

المبحث **الأول**	:	دور النظام فى تغريب المناهج
المبحث **الثانى**	:	تعديلات المنـــاهج
المبحث **الثالث**	:	حل جامعة أم درمان الاسلامية وتطويرها
المبحث **الرابع**	:	وضع معلم التربية الاسلامية واللغة العربية الوظيفى
المبحث **الخامس**	:	دور بعض المؤتمرات التعليمية فى الغزو الفكرى
المبحث **السادس**	:	ممارسات الغزو الفكرى من خلال العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية
المبحث **السابع**	:	دور المدارس الأجنبية فى الغزو الفكرى
المبحث **الثامن**	:	وضع اللغة العربية والتربية الاسلامية فى الجنوب

* **المبحث الأول : دور النظـام في تغريب المناهـج :**

لقد شهدت هذه الفترة هزّة كبيرة في التعليم ،تسببت في ارباكه ،وتعثّره وانتكست تلك الجهود الخيّرة التي قام بها بعض وزراء التربية والتعليم في فترة مابعد الاستقلال وقبل مايو .

فبينما كان الغزو الفكرى في السابق في المناهج ، غربيًا في معظمه ،إنجليزيًا في منهجه ، نجده في هذه الفترة،إشتراكيا في معظمه ،سوفيتيًا في منهجه وخطّه .

نلحظ ذلك بوضوح ،فيما طرأ على مناهج التعليم من تغيير ، وتبديل في هذه الفترة ـ كما سيأتي تفصيله ـ، ونلحظه أيضا في خطابات الحكومة في الاحتفالات المتعددة بالثورة التعليمية .

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ ماجاء في الفقرة (٣) عند عرض الأهداف الخاصة لتدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية " ولا ننسى مايحققه المنهج هنا من توسيع في دراسة اللغة كهدف أساسي لفظًا وعبارةً ، وأسلوبًا ،وتاريخًا ، ولا ننسى هدفًا أساسيًا من الأهداف التي نوظف اللُّغة لتحقيقها ،وهو إبراز الدور الكبير لمحتوى ثورة مايو الإشتراكية ،بكل ابعادها في خلق المواطن العربي الأفريقي الإشتراكي الصالح ،الواعي فكريًا ، الناضج عاطفيًا " . (١)

وجاء في خطاب جعفر النميرى في مهرجان عيد العلم الثاني، :" إننا نتعاون مع الدول الصديقة ، وعلى رأسها المعسكر الإشتراكي ،ونتلقى منهم العون والمساندة في المجالات السياسية والاقتصادية ،ولاسيما الاتحاد السوفيتي العظيم ، الذى

---

(١) مناهج التعليم العام ، للمرحلة الثانوية العامة ، إعداد قسم المناهج ،ص ١٢ .
دار الوثائق المركزية : Dept. R. 6/42/667 .

يقف مغنـــا في صلابـة ... " (١)

ويقول في خطاب آخر : " ... فالاتحاد السوفيتي غني بالتجارب والمعجـــزات ، وفي الصين انجازات ، ونجاحات تشبه الاساطير ... وفي كل الدول الاشتراكيــــة الأخرى نجاحات ، وانتصارات ، لانملك الا أن ننحني أمامها في ارادة شعـــوب مؤمنة ... " (٢)

لقد اعتمدت الثورة الاشتراكية العلمية منهجا عاما ، وحاولت تطبيقهــــا على الواقع السوداني في ظروفه القومية والمختلفة ، تطبيقا يصنع به تجربـــة اشتراكية جديدة ، تكون من كسب الشعب السوداني ، في مقابل تجارب الاشتراكيين في العالم . (٣) وسعت لإعادة صياغة المجتمع السوداني على هذا الأساس صياغـــة جديدة بإعادة النظر في التربية والتعليم ، في القيم والاتجاهات والسلوك والأداء وصولا - كما يدعون - إلى المجتمع الاشتراكي ، العظيم ، مجتمع الكفاية بالإنتـــاج الاقتصادى ومجتمع الرخاء بالعدل الاجتماعي ، ومجتمع السلام بالكفاح السياسي . (٤)

يقول جعفر نميرى : " والاشتراكية وعي سياسي ، وسلوك خلقي ، وموقف فكـــرى ولم يغلق بابها أحد لأنها ليست ملكا لأحد ، ولم يورثها من أحد ، وإنمـــا وصلت إليها الانسانية بكفاح طويل ، في مجال الفكر والانتاج ... وباب الاشتراكية مفتوح يدخله المؤمنون بها ، والعاملون لها ، وإنّما قامت الثورة تبشّر بهــــا ، وتدعو لها ، وتعمل لتحقيقها ، لا لتصدّ الناس عنها ، وتنفّرهم منهــــا ،

---

(١) من خطاب الرئيس جعفر النميرى في مهرجان عيد العلم الثاني بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧١م وزارة التربية والتعليم ، الثورة التعليمية في خطابات الرئيس . الاعلام التربوى ، ص ٣٠ .

(٢) من خطاب الرئيس جعفر النميرى بمدرسة الهجرة الابتدائية بأم درمان ، بتاريـــخ ١٩ سبتمبر ١٩٧٠م ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٣) انظر : خطاب جعفر النميرى في مهرجان عيد العلم الثاني ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٤) انظر : المرجع نفســـه ، ص ٢٠ .

وتستأثـر بها دونهـم " (١)

بمجيء هذا النظام ، وبهذه الآراء والمعتقدات ، وتطبيقها على شتى مناحـي الحياة ، والتربية والتعليم في مقدمتها انتكست تلك الجهود المضيئـة ، والخيرة السابقة ، التي كافحت طويلاً من أجل إرساء الرّيادة للإسلام ، وخاصة في عهد أول وزير للتربية والتعليم (٢) في عهد مايو الذى جاء بنظرة مغايرة تماما ، وربما معادية للتوجّه الاسلامي ، برغم تعليمه الديني ابتداء ، ولكن يبدو أنّه تأثر بتعليمه الفرنسي انتهاء ، فبدأ علمانيا مندفعا في تنفيـذ سياسات عنيفة متطرفة ، تمثلت في :

(١) إحداث هزّة كبيرة في التعليم تسببت في إرباكه ، وتعثّره بإعلان السّلّم التعليمي الجديد دون أن يتيح فرصة لدراسته دراسة متأنية ، كما كان مفاجئا فـي إعلا نـه لهذا التغيير .

(٢) إعادة النظر في جميع مناهج التعليم ، ووضع مناهج جديدة بدلها ... تمّ ذلك كله في فترة قصيرة جداً ، حيث ألّف المعلّمون المناهج الجديدة وألّفوا فيها ، وطبعت الوزارة أكثر من ست ملايين نسخة من الكتب المدرسية ، منها خمسة ملايين ونصف تمّ طبعها في ٤٥ يوما ... ودرّبت الوزارة وأعادت تدريب مايقرب مـن أحد عشر ألف معلّم ومعلّمة وإدارى ، ووضع النظام الجديد للامتحانات العامة وأُعِدّ المدرّسون للمواد الجديدة التي أدخلت على المناهج . (٣)

---

(١) انظر : خطاب الرئيس نميرى في مهرجان عيد العلم الثاني ، مرجع سابق ، ص ٣١.

(٢) أول وزير للتربية والتعليم في عهد حكومة مايو هو الدكتور محي الدين صابر الذى ولد عام ١٩١٩م ، وأتمّ تعليمه العالي بدار العلوم عام ١٩٤٥م ، وأرسل في بعثـة الى فرنسا عام ١٩٤٦م حيث ظفر بدكتوراة في الأدب ، وكان من الطلبة الاجانـب القلائل الذين قبلوا في المعهد الوطني للابحاث العلمية في باريس لدراسة علـم الاجناس ، وينزع محيي الدين صابر ، كما يقول مؤلف كتاب شخصيات من السودان - نحو الاشتراكية . انظر : شخصيات من السودان جـ ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) انظر : خطاب جعفر نميرى في عيد العلم الثاني ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

تم كل ذلك خلال سبعة أشهر .[1]

(٣) تحطيم الأسس التي كانت تسير عليها الوزارة في وضع المناهج وإعداد المعلمين والتوجيه التربوى .

(٤) إرباك العلاقات بين معاهد التربية ، والوزارة ، وسلب كثير من الاختصاصات التي كانت تمارسها المعاهد وخاصة بخت الرضا .

(٥) انتقل بعد ذلك إلى قمة التعليم الديني ممثلا في الجامعة الإسلامية ، فأحالها إلى مجرد كلية للدراسات العربية والاسلامية تحجيما لدورها الاجتماعي، ومحاربة لرسالتها التربوية - كما سيأتي بيان ذلك -

(٦) إخراج مادة التربية الاسلامية من المنافسة في الدخول للجامعات مرة أخرى .

(٧) تخفيض حصص ودرجات التربية الاسلامية بالنسبة لحصص ودرجات غيرها من المواد مما يقتل في نفوس التلاميذ الحماسة لها .[2]

(٨) ازدياد نشاط الإرساليات بتشجيع وزارة التربية لها .[3]

هذه بصفة عامة المؤشرات والمنافذ التي نفذ من خلالها الغزو الفكرى لتحطيم العقيدة والأخلاق الاسلامية ، وصهر المجتمع في بوتقة الاشتراكية اللينينية ، والامبريالية الغربية كما سيتضح ذلك في المباحث التالية .

---

(١) انظر : خطاب جعفر النميرى في عيد العلم الثاني ، المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٢) انظر : خطاب وكيل وزارة الداخلية بالإنابة للسيد وكيل وزارة التربية والتعليم بالنمرة /د ش / سرى / ٤٦/ب / ٢/٦ بتاريخ ١٩٧٠/٤/٨م ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ٢/١٩/ ١٢.

(٣) انظر : المكاتبات الخاصة بالمدارس الأجنبية - خطاب محي الدين صابر ، وزير التربية والتعليم الى الرائد زين العابدين محمد أحمد عبد القادر عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الثروة الحيوانية ، والرقيب العام برقم ١٩/ب بتاريخ ١٩٧٠/١١/١٧م، ملحق رقم (٢٨) ، دار الوثائق المركزية ، تربية وتعليم ٢/١٩/ ١٢.

* **المبحث الثاني : تعديلات المناهج :**

لقد صحبت تطبيق الثورة التعليمية الجديدة تغيّرات جذرية في مناهج التعليم خدمة لفكر الثورة الاشتراكي، وقد أجريت أربع محاولات جذرية كبيرة في مدّة تقل عن أربع سنوات (١)، لتعديل وتغيير المناهج، على مستويات اللجان العامة والمؤتمرات، ونسبة لتضارب توصيات كل لجنة، فإنّ المناهج التعليمية ظلت تتأرجح بين الفوضى الضاربة من قبل مؤيدى فكر الثورة الإشتراكي، وبين الشك والريبة من قبل الحادبين على أمر الإسلام.

لقد شملت هذه السياسة الجديدة إعادة النظر في توزيع المواد الدراسية، فأبقت القليل منها بعد التعديل، وألغت أغلبها لتحل محلها مناهج خطط لها على عجل، وطبعت الكتب التي تحتويها، والتي قام بتأليفها عدد من المؤلفين من كبار العقائدين من المعلمين (٢)، من قبائل اليسار - كل ذلك تمّ على عجل.(٣) برجوعنا للخطابات الصادرة من وزارة التربية والتعليم للمدارس ورؤساء الشعب بمعهد بخت الرضا، فيما يختص بتعديلات مناهج التعليم العام مع بدء حكومة الثورة عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م (٤) ورجوعنا كذلك للجداول الدراسية، والمادة المقررة

---

(١) انظر : وزارة التربية والتعليم ندوة حول مشاكل التعليم في السودان، ومقترحات للتغلب عليها ٢ جمادى الأولى ١٣٩٥ هـ الموافق ١٤ مايو ١٩٧٥م ص ١١

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) انظر: خطاب جعفر نميرى في مهرجان عيد العلم الثاني بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧١م، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٤) انظر: مثلا وزارة التربية والتعليم - تعديلات مناهج التعليم العام ١٩٦٩م، مكتب النشر التربوى، وكذلك : خطاب محمد التوم التجاني وكيل وزارة التربية والتعليم بالإنابة - دار الوثائق المركزية بالخرطوم - تعليم ١٢/٢/١٩.
وكذلك انظر: خطاب وكيل وزارة الداخلية بالإنابة للسيد وكيل وزارة التربية برقم / دش/ سرى / ٤٦/ ب/ ٢/٦، دار لاوثائق المركزية تعليم ٢/١٩/ ١٢.

في هذه الفترة ، نجد أنّ المادة الوحيدة التي تضرّرت بصورة واضحة ومؤثّرة ، هي مادة التربية الإسلامية ، وأنّ الأنشطة التي جمّدت ، واختصرت هي الأنشطة ذات الصلة بالثقافة الإسلامية .

من ذلك على سبيل المثال ماجاء في الخطاب الموجه إلى نظار المدارس الثانوية بتاريخ ٩/٧/ ١٩٦٩م الموافق ١٣٨٩هـ ، بعد أقل من شهرين لقيام الثورة :" لقد أجريت دراسات أولية في مناهج المرحلة الثانوية تمخّضت عن تعديلات أساسية في هيكل المنهج بشكل عام ، نتج عنها تخفيض بعض الحصص في موا د مختلفة - بزعمهم - وإضافتها إلى مواد أخرى - وقد خفضت حصص التربية الإسلامية ، فأصبحت حصتين في جميع الفصول ، ولذلك يلزم مراعاة الآتي وتنفيذه فوراً بالنسبة إلى منهج التربية الإسلامية في جميع الفصول .." (١)

وقد كان لوكيل الوزارة آنذاك البروفسير مندور المهدى - عليه رحمة الله ، موقفٌ إسلاميّ مشهود" تجاه هذه التصفية' حين رفض التوقيع على هذا القرار الآثم ووقع بدلا عنه الأستاذ إبراهيم نور وكيل الوزارة بالنّيابة. فكان ذلك من أسباب إقالته من الوزارة .

وقد تم تنفيذ هذا القرار على الفور بالنسبة إلى منهج التربية الإسلامية فى جميع الفصول على مستوى السودان .

ومن ذلك أيضا ما جاء فى الخطاب رقم و ت ت / ١١ بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٩م - الموافق / ١٣٨٩هـ (٢)، من أن هذه الدراسات التى أجريت قد كشفت عن أن بعض الكتب المدرسية القديمة أصبحت متخلفة فى بعض جوانب المادة

---

(١) وزارة التربية والتعليم ، تعديلات مناهج التعليم العام ١٩٦٩م مكتب النشر التربوى ، ص ١١ .

وأنظر كذلك الخطابات التى صدرت فى هذه الفترة من العام الدراسى ٦٩ - ٧٠ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ص ٩ .

الدراسية وقد تقرر استبدالها بكتب أحدث عهداً وأغزر مادةً ، وبناء على ذلك تم إلغاء كتاب (شبهات حول الإسلام) المقرر للسنة الرابعة الثانوية القديمة لمؤلفة الأستاذ محمد قطب . وقد أرسلت الوزارة عدداً من المفتشين لكثير من المدارس بالعاصمة وخارجها للتأكد من تنفيذ ذلك ، وسحب ما تبقى من الكتب الإسلامية في تلك المدارس ككتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام لمؤلفه الشهيد سيد قطب ، وكرسالة أبي زيد القيرواني . (١)

ويسجل التاريخ للأستاذ عمران العاقب أمين مكتبة بخت الرضا آنذاك مواقفه الشجاعة الأبيّة تجاه هذا الغزو الفكرى الجارف ، وذلك عندما جاءته اللجنة التي كونها وزير التربية الدكتور محي الدين صابر لابعاد الكتب الإسلامية الموجودة في المكتبة آنذاك.قام بقفل المكتبة ، وذهب إلى بيته ، وقال قولته الشهيرة : (أنا صاحب المكتبة وأمينها ولن أفعل ذلك)كما كان للأستاذ محمد أمين العتباني أستاذ اللغة العربية والمشرف على مكتبة إعداد المعلمين بمبروكة التابعة لمعهد التربية بخت الرضا آنذاك موقف شجاع يحمد له في وجه أولئك الذين يسعون في الأرض فساداً .

---

(١) لقد شاهد الباحث بنفسه أحد هذه الأتيام بمدرسة ثانوى المعلمين بمبروكة التابعة لمعهد التربية بخت الرضا وقد كانت هذه الأتيام تسحب هذه الكتب من على الأرفف وتلقى بها على الأرض بازدراء وصلف تامين ،وقد غنم الباحث وكثير من زملائه كتباً قيّمة من جراء ذلك . .

وبناء على تلك القرارات التي واجهتها صعوبات عدة في بادىء الأمر جاء تعديل جداول الحصص الأسبوعية في المدارس ، ففي المدرسة الوسطى كان كالآتي :(١)

جدول الحصص الأسبوعي في المدرسة الوسطى بعد التعديل

عدد	المادة	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	الأسبوع
١	الدراسات الإسلامية	٣	٣	٣	٣	١٢
٢	اللغة العربية	٨	٨	٨	٨	٣٢
٣	الرياضيات	٧	٧	٧	٧	٢٨
٤	اللغة الإنجليزية	٨	٨	٨	٨	٣٢
٥	الجغرافيا	٤	٤	٣	٣	١٤
٦	التاريخ	٢	٢	٣	٣	١٠
٧	العلوم	٤	٤	٤	٤	١٦
٨	التربية البدنية	٢	٢	٢	٢	٨
٩	التربية الفنية	٣	٣	٢	٣	١٠
١٠	المكتبة	١	١	٢	٢	٦
	المجموع الكلي	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	١٦٨

---

(١) وزارة التربية والتعليم ، تعديلات المناهج مرجع سابق ، ص ٦ .

باستعراض سريع لهذا الجدول يتضح لنا النقص الكبير الذى لحق بحصص التربية الاسلامية ، اذ نجد أنّ ترتيب حصص هذه المادة في هذا الجدول الدراسي الأسبوعي يجيء في المرتبة السادسة ، بعد اللغة العربية ، واللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم والجغرافيا •

كذلك نلحظ مساواة حصص اللغة الانجليزية لحصص اللغة العربية (٣٢) حصة لكل منهما •

وجاء جدول الحصص الأسبوعي في المرحلة الثانوية كالآتي : (١)

عدد	المـادة	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	الأسبوع
١	لغة عربيـة	٧	٧	٧	٧	٢٨
٢	لغة انجليزيـة	٦	٦	٦	٦	٢٤
٣	رياضيـات	٧	٧	٧	٧	٢٨
٤	علـوم	٦	٦	٦	٦	٢٤
٥	جغرافيـا	٣	٤	٤	٤	١٤
٦	تاريـخ	٣	٣	٤	٤	١٤
٧	تربية اسلاميـة	٢	٢	٢	٢	٨
٨	مكتبة عامـة	٢	٢	١	١	٦
٩	فنـون	٣	٣	٢	٢	١٠
١٠	تربية رياضيـة	١	١	١	١	٤
	المجمـوع	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	١٦٠

(١) وزارة التربية والتعليم ، تعديلات مناهج التعليم العام ١٩٦٩م ، المرجع السابق ، ص ٢٦ •

وباستعراضنا لهذا الجدول نجد أيضا أنّ مادة التربية الاسلامية قد تقهقرت أكثر الى الوراء ، فاحتلت المركز الثامن من جملة عشر مواد ، بمعدل حصتين في الأسبوع لكل فصل ، متأخرة عن حصص : اللغة العربية ، والرياضيات ، واللغة الانجليزية ، والعلوم ، والجغرافيا والتاريخ ، وحتى الفنون .

وقد كشفت لجنة تركيز التعليم [1] التي قامت بدراسة مقارنة للخطط والمناهج التي استعملت بالسودان ، قبل أكتوبر ، وبعده ، وبعد السلم التعليمي - كشفت النقص الذى أصاب مادة التربية الاسلامية من حيث عدد الحصص بعد السّلم التعليمي ، بالمقارنة الى ماكان قبل السلم .

واتضح من تقريرها أنّ النقص كان بنسبة ٥٠ ٪ في المرحلة الابتدائية (الأولية سابقا) والثانوى العام (الوسطى سابقا) ، وبنسبة ٣٣ ٪ في الثانوى العالي ، فيما عدا الصف الثالث (ثانوى عام) حيث لم يحدث نقص ، والصف الثالث ثانوى عالى حيث نقص بنسبة ٥٠ ٪ (انظر الجدول التالي) :

---

(١) هذه اللجنة كونها الدكتور محمد خير عثمان وزير التربية عام ١٩٧٥م وأوكل اليها النظر في المناهج التعليمية بشكل عام ، وفي منهج كل مادة بشكل خاص .
انظر : وزارة التربية والتعليم ، مشاكل التعليم في السودان ومقترحات التغلب عليها - مرجع سابق ص ١١ .

المقارنـة بين مناهج التربية الاسلامية في أطوارها المتنوعة [(١)]

الصف	المرحلة الابتدائية			الوسطى (ثانوية عامة)			الثانوية العليا		
	قبل أكتوبر	بعد أكتوبر	بعد السلم	قبل أكتوبر	بعد أكتوبر	بعد السلم	قبل أكتوبر	بعد أكتوبر	بعد السلم
الصف الأول	٤	٦	٣	٣	٦	٣	٣	٣	٢
الصف الثاني	٥	٦	٣	٣	٦	٣	٣	٣	٢
الصف الثالث	٤	٦	٣	٢	٣	٣	٤	٤	٢
الصف الرابع	٤	٦	٣						
الصف الخامس	٣	٦	٣						
الصف السادس	٣	٦	٣						

ونتيجة لخفض عدد الحصص بعد السلم التعليمي ، خفض محتوى المادة ، ومقرراتها في جميع المراحل ، فنجد مثلا في كتاب " المنهج الديني للمدارس الثانوية " الجزء الأول ، للسنة الأولى الثانوية ، أنّ تخفيض المادة قد بلغ النّصف في كثير من أقسام الكتاب ، كما جاء في مذكرة الوزارة لنظار المدارس . [(٢)]

---

(١) انظر : وزارة التربية والتعليم ، إعداد المناهج والخطة الدراسية ، مقارنة بالخطة القديمة ، ١٨ .

(٢) انظر : وزارة التربية والتعليم - تعديلات مناهج التعليم العام يوليو ١٩٦٩م ، مرجع سابق ص ١١ ، مقارنة بكتاب المنهج الديني للمدارس الثانوية ، الجزء الأول ، السنة الأولى الثانوية ، مكتب النشر الخرطوم ،
وانظر كذلك بقية كتب التربية الاسلامية المقررة في هذه الفترة .

وقد أجمع معلّمو ومعلّمات ، ومديرو ومديرات المدارس الابتدائية الذين شاركوا في الدورة التدريبية التي عقدت في مايو وسبتمبر ١٩٧٢م الموافق ١٣٩٢هـ على أن مادة التربية الاسلامية للمرحلة الابتدائية ، قليلة للغاية وغير وافية بالغرض ، وألحّوا بضرورة إعادة النظر فيها .

كما اتفقت هذه اللجنة - لجنة تركيز التعليم - على أنّ المادة المستخدمة في ذلك الوقت كمّاً وكيفاً لا تحقّق الأهداف المنشودة في تدريس التربية الإسلامية لأن المادّة المقرّرة قد بنيت على عدد الحصص المخفّضة الى النّسب المذكورة آنفا . (١)

ويتأكد لنا التحامل الواضح لإقصاء التربية الإسلامية حين النظر إلى الجدول رقم (٥) من الدراسة التقويمية لبرنامج التدريب أثناء الخدمة لمعلمي المرحلة الابتدائية في السودان خلال مراكز التأهيل التربوى (٢) حيث يلاحظ أنّ موضوعات التربية الإسلامية والموضوعات الإسلامية الأخرى ، قد همّشت ، رغم أنها قد أحرزت أعلى النسب من حيث أهميتها في نظر الدارسين . إذ تراوحت نسبتها بين (٧ر٩١٪ و ٥ر٨٢٪) (٣). إلا أنّ درجة التركيز عليها في المنهج أثناء التدريب ، متوسطة ، وهي درجة لا ترقى الى ما ينبغي وإذا نظرنا إلى موضوع الجهاد في سبيل الله في الجدول المذكور ، فهو أقل درجة في مواد التربية الإسلامية من حيث تركيز المنهج عليه ، إذ بلغت نسبة التركيز عليه أثناء التدريب (٦٦٪) تقريبا ، وهي نسبة تعكس عدم الاهتمام بباب الجهاد ولو نظرياً في برنامج التدريب المقدّم للمعلم . (٤)

---

(١) انظر : وزارة التربية ، اعداد المناهج والخطة الدراسية الجديدة ، مقارنة بالخطة القديمة ، المرجع السابق ، ص ١٩.

(٢) انظر : الزين أحمد خير ، دراسة تقويمية لبرنامج التدريب اثناء الخدمة المقدم لمعلمي المرحلة الابتدائية في السودان دراسة مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في المناهج وطرق التدريس في العام الدراسي ١٤٠٧/ ١٤٠٨هـ مخطوطة ص ١٠٦.

(٣) انظر : الموضوعات تحت الأرقام (١،٢،٣،٤،٥،٦،٨،١٢،١٧) من الجدول رقم (٥) السابق ص : ١٠٠، ١٠١

(٤) انظر : المرجع نفسه والصفحة .

ويلاحظ أيضاً من خلال عرضنا للجدول أنّ نسبة التركيز على تاريخ الممالك المسيحية (٣ر٣٣٪) أي أكثر من التركيز على تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الذي بلغت نسبته (٥ر٣٢٪) [1].

وفي هذا وذاك دلالة أخرى على أن منهج التربية الإسلامية والثقافة الاسلامية بصفة عامة ، قد قصد حصره وتحجيمه .

ونجد بجانب هذه التعديلات والتجاوزات في المادة المقررة تعديلات قد أجريت على نظم ولوائح امتحانات الشهادة السودانية في العام الدراسي ١٣٩٠هـ - ١٣٩١هـ ، الموافق (١٩٧٠ - ١٩٧١م) ، حيث تمّ إقصاء مادة التربية الاسلامية وحذفها من الشهادة السودانية وأعطى الطالب الخيار في الامتحان فيها أو عدمه . [2]

* * *

---

(١) انظر : الرقم (٤٤) من موضوعات التدريب التخصصية من الجدول رقم (٥) السابق ، ص / ٦٨١ .

(٢) انظر الملحق رقم / ٢٥ ص ٦٨٢ .

* المبحث الثالث : حل جامعة أم درمان الاسلامية [1] وتطويرهـــا :

نالت جامعة أم درمان الاسلامية منذ أن كانت كلية للدراسات الاسلاميـــة ، اهتمام المستشرقين فأولوهـا كثير عنايتهم لمعرفة أهدافها ومايدور فيها ، لاحتوائها وحصر نشاطها ، من ذلك أن كبير المستشرقين البروفسور " مونتقومرى واط "[2] مديـــر معهد الدراسات العربية بجامعة أدنبرة في ذلك الوقت ، قد حضر بنفسه إلى الســـودان في زيادة خاصة للكلية الإسلامية بأم درمان ، وحضر اجتماعات اللجنة التي أوصـــت برفع الكلّية الإسلاميّة الى جامعة إسلاميّة .[3] ولولا المواقف الحازمة المشهودة للسيد

---

(١) انشئت عام ١٩١٢م باسم المعهد العلمي بأم درمان على غرار الأزهر الشريـــف من حيث المناهج واللوائح ، واحتوى المعهد على قسم أوسط (٤ سنوات) ، وقســم ثانوى (٤ سنوات) ، وقسم عالي (٤ سنوات) في عام ١٩٢٤م تخرجت أول دفعة تحمل الشهادة العالية ، وتطور القسم العالي فيما بين ١٩٦٢م و ١٩٦٤م الى كليـــة اسلامية ، وتطورت الكلية الاسلامية عام ١٩٦٥م الى جامعة اسلامية .
تخصص الجامعة عددا من المنح للطلاب المسلمين الافريقيين والآسيويين للدراســة بها سنويا .
انظر : المكاتبات الخاصة بكلية الدراسات الاسلامية ، برقم و ت ت / هو / سرى / ١٠، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١١/ ٢/ ١٢ .

(٢) **مونتجومرى واط :**
عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة .
من آثاره : عوامل انتشار الاسلام " الفصول الاسلامية ١٩٥٥م " ، ومحمد في مكـــة " لندن ١٩٥٨م) ، والاسلام والجماعة الموحدة ، وهو دراسة فلسفية اجتماعيـــة لرد أصل الوحدة العربية الى الاسلام ١٩٦١م .
انظر : نجيب عفيفي ، المستشرقون ، درا لامعارف بمصر ١٩٦٥م جـ ٢ ، ص ٥٥٤.

(٣) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١١/ ٢/ ١٢ .

وزير التربية والتعليم آنذاك [1]، لما تمّ ترفيع هذه الكلية إلى جامعة إسلاميّة .

وعندما جاءت ثورة مايو الى سدّة الحكم ، جاءت بأفكار مناهضة للعقيدة الإسلامية ، فكان للعناصر الشيوعية والعلمانية المشتركة في مجلس الوزراء ، ومجلس قيادة الثورة ، قبل إنهاء ازدواجية الحكم وبعده ، دور واضح في اتخاذ كثير من القرارات المهمة التي تمس الإسلام وعقيدة المسلمين وتوجُّههم ، وتلك نتيجة طبيعية لشعارات التغيير المرفوعة يومئذ ، والتي يستلزم تحقيقها بالضرورة إعادة النظر في كلّ المؤسّسات والهياكل القائمة ، تمهيداً لإخضاعها للتخطيط وفق فلسفة الحكومة وتوجهها الاشتراكي .

من هذه القرارات التي اتخذت قرار حلّ جامعة أم درمان الإسلامية ، قمة التعليم الديني الإسلامي في السودان ، حيث أصدر مجلس الوزراء في جلسته بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م [2] بيانا بشأن جامعة أم درمان الاسلامية ، اشتمل على اتهامات كثيرة ، متناقضة مع الواقع ، كما سيأتي بيان ذلك في الرد عليها .

* <u>وتتلخص هذه الاتهامات في الآتي :</u> [3]

أولا: أنّ اعضاء هيئة التدريس في الجامعة الاسلامية في الغالب الأعمّ هم من غير السودانيين إذ يبلغ عددهم (٥١) بين أستاذ محاضر ، ومساعد محاضر ، وهم يتقاضون مرتبات وعلاوات وبدلات باهظة تبلغ في جملتها من (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ جنيه

---

(١) كان وزير التربية والتعليم آنذاك هو الاستاذ بدوى مصطفى وقد قدمت له اللجنة التي كونها لدراسة وضع الكلية الاسلامية ، التقارير والتوصيات النهائية في يوم ٣٠/٥/ ١٩٦٥م ، وقد درسها ووافق عليها بعد مناقشة اللجنة ، وبدوره قدمها لمجلس الوزراء الذى أصدر قراره بشأنها بالموافقة في السابع من شهر صفر ١٣٨٥ هـ الموافق ٧ يونيو ١٩٦٥ برقم (٣٩٠) بتطوير كلية أم درمان الاسلامية الى جامعة اسلامية تلبية لحاجة المسلمين بأفريقيا من ناحية ، وتعمل على تدعيم مركز السودان القيادى في هذه القارة من ناحية أخرى .
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٢/٢/١١ ، وكذلك ، تعليم ٢٧/٧/٧ .

(٢) انظر : الأمانة العامة لمجلس الوزراء بالخرطوم ، النمرة م و/١٧جـ٤ بتاريخ ٢/٧/١٩٦٩م ، مذكرة حول الجامعة الاسلامية ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٢/٢/١١ .

(٣) المرجع نفسه .

سوداني) للأستاذ في العام ... مما أدّى إلى تضخم ميزانية الفصل الأول للجامعة والتي تبلغ تقديراتها لعام ١٣٨٩هـ - ١٣٩٠هـ (٦٩/١٩٧٠م) (٣٠٥ر٧٨٢ جنيه سوداني) بزيادة (٥٦٨ر١٩٢) عن ميزانية ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩هـ (٦٨/١٩٦٩م) .

ثانيا : أنّ اختيار الطلبة للجامعة يتم دون مستوى أكاديمي محدد يماثل أو يقارب جامعة الخرطوم ، أو غيرها من الجامعات ، وهذا يضعف المستوى الأكاديمي العام للتعليم .

ثالثا : أنّ كليات الجامعة الإسلامية ، وهي كليات الشريعة ، والقانون ، وكلية الآداب ، وكلية البنات ، ومعهد الدعوة الإسلامية ، ومعهد الدراسات الافريقية تستوعب طلابا في العلوم النظرية في كليات قائمة بالفعل في جامعة الخرطوم مما يؤدى الى ازدواج لا مبرر له ، بينما احتياجات البلاد الأساسية ، والرئيسية هي لخريجي الكليات العلمية النظرية منها والتطبيقية ، كالطب والهندسة ، والزراعة ، والعلوم والبيطرة ... أو تلك الكليات ، والمعاهد التي تخرج الأجيال القائدة لثورة العلم والتكنولوجيا في البلاد ، أمّا كليات جامعة أم درمان الإسلامية فهي لافتات عن حقائق لم تقم بعد ، وليس موجودًا إلا في الميزانية ، وفي إعلانات الصحف المحلية .

وعلى هذا فإنّ جامعة أم درمان الاسلامية ، قد قامت دون اى تخطيط أو تنسيق مع احتياجات البلاد مما نشأ عنه ازدواجية في البرامج والكليات ، وكان من الممكن استيعابها جميعا في جامعة الخرطوم ، وجامعة القاهرة الفرع .

ويبدو - كما يدّعي البيان - أنّ انشاء جامعة أم درمان الاسلامية بتكاليفها الباهظة وهدفها التضافرى لم يؤدّ إلّا إلى القاء المزيد من التبعات المالية على الدولة ودون أن تجني منها البلاد ثمرة كبيرة ، ودون تخطيط لمستقبل خريجيها الذين يعانون الأمرين في الحصول على وظائف تناسب تأهيلهم مما يجعلهم لقمة سائغة لخطر العطالة .

رابعا : ورد في البيان مقارنة بين جامعة الخرطوم ، والجامعة الاسلامية في ميادين المصروفات جاءت كالآتي :

يبلغ عدد الطلبة فيجامعة الخرطوم حوالي (٤٠٠٠ طالبا وطالبة) [1]، وتبلغ ميزانيتها لعام ١٣٨٩هـ - ١٣٩٠هـ (٦٩/١٩٧٠م) (٠٠٠ر٢٥٠ر٤ جنيها) أي أن الطالب يكلف الجامعة حوالي (١٠٧٤ جنيها) سودانيا في العام ، بينما يبلغ عدد الطلبة في الجامعة الاسلامية حوالي (٧٠٠ طالبا وطالبة) وتبلغ ميزانيتها الاجمالية (٦٦٢ر٣١٠ر١ جنيها) أي أنّ الطالب يكلف الجامعة حوالى (١٨٧٥ جنيها سودانيا) في العام ، ويقول البيان : ولو قارنا نفقات التعليم في الكليات المماثلة ، أي كلية القانون والآداب ، لوجدنا الطالب في جامعة الخرطوم يكلف الجامعة في كلية الاقتصاد مثلا حوالي (٥٩٠ جنيها سودانيا) بينما يكلف رصيفه في الجامعة الاسلامية (١٨٧٥ جنيها سودانيا)٠

ولذلك يتضح جليا - كما يذكر البيان - أنّ موضوع تحويل كلية أم درمان الاسلامية الى جامعة ، لم يخدم قضية التعليم ٠٠٠ ولم يقدم للبلاد فوائد علمية ممثلة في الرصيد العلمي المثقف المتخصص ، ولم يتمشّ مع سياسة البلاد التعليمية ، ولم يسهم في خطة التنمية ٠

وفي نفس الوقت ، كلفت الجامعة الاسلامية ميزانية الدولة مبالغ طائلة ٠٠٠ إذ إنّ ميزانيتها تبلغ حوالي نصف ميزانية جامعة الخرطوم علاوة على اعتماد مبلغ (٨٠٠ر٠٨٦ر٢ جنيها سودانيا) لتشييد مباني لهذه الجامعة الإسلامية في الخطة الخمسية ٠

---

(١) الرقم الصحيح حسب ماجاء في منشور الإحصاء التربوى (٤٠٢٧ طالبا) ٣٦٢٠ من الذكور ، ٤٠٧ من الاناث ، وذلك في العام الدراسي المذكور ٦٩/١٩٧٠م ٠
انظر : وزارة التربية والتعليم - قسم الاحصاء التربوى - الاحصاء التربوى لعام ٧١/١٩٧٢م وكالة التخطيط التربوى ص ٤٠

هذه بعض الاتهامات التس سدّدها النظام الشيوعي الاشتراكي القائم في ذلك الوقت ، لقمة التعليم الديني في السودان ، إذا تأملنا ها ، وفحصنا ماورد فيها ندرك أن تلك السهام لم تكن موجهة إلى الجامعة الإسلامية كمؤسسة تعليمية في حدّ ذاتها ، وإنّما كانت موجهة إلى الإسلام ، وإلى عقيدة الأمة السودانية ، وهذه الاتهامات تدحضها الوثائق المالية الرسمية للدولة نفسها ، وبعض المكاتبات التي دارت في هذا الشأن ، وكشفت بعض الحقائق الهامة ، وقد تولى مدير الجامعة الاسلامية في ذلك الوقت [١] ،

وبعض الأساتذة الحادبين على أمر الاسلام ، الرد على بعض تلك القرارات ، وفندوا بعض النقاط التي شملتها ، وللموضوعية نناقشها نقطة ، نقطة مع التركيز على الجوانب التي نراها مهمة في خدمة ما نرمي إليه في هذا البحث ٠

* **الرد على الشبهة الأولى : والتي ملخصها : أن غالبية هيئة التدريس في الجامعة من غير السودانيين :**

إنّ مشكلة الأساتذة الأجانب لهي مشكلة بالنسبة لكلّ جامعة حديثة ، لأنها في حاجة إلى الكفاءات العلمية ، ذات الخبرة الطويلة والدليل على ذلك أن جامعة الخرطوم مثلا كانت في ذلك الوقت نفسه تعتمد في كثير من كلياتها حتى النظرية منها على الأساتذة الأجانب ، بنفس التكاليف ، والامتيازات المادية التي تطبقها جامعة أم درمان الإسلامية [٢] حتى أنّ عدد الأساتذة في جامعة الخرطوم من غير السودانيين في العام الدراسي ١٣٩١هـ-١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٧١م) قد بلغ عددهم تسعا وتسعين معلّما [٣] ، أكثر من عددهم في جامعة أم درمان الإسلامية٠

---

(١) كان مدير الجامعة الاسلامية آنذاك هو الدكتور كامل الباقر ٠

(٢) انظر : مذكرة مبعوثي جامعة أم درمان الإسلامية للتحضير للماجستير والدكتوراة ، بمصر ، للسادة رئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة ، ومجلس الوزراء ، ردّاً على قرار تقليص الجامعة الإسلامية ٠ دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٢/٢/١١٠

(٣) انظر : الإحصاء التربوى لعام ١٩٧٢/٧١م ، المرجع السابق ص ٤١ ٠

وقد أغفل البيان ، أو تغافل عن أن يذكر أنّ هؤلاء الأساتذة من غير السودانيين الذين كانوا يعملون بالجامعة الاسلامية ، هم في جملتهم خبراء عالميون في التخطيط الأكاديمي ، قلّ أنّ تضمّ جامعة واحدة أمثالهم .(١)

* **الرد على الشبهة الثانية : التي ملخصها : أن اختيار الطلبة للجامعة يتم دون مستوى أكاديمي محدد ، وهذا يضعف المستوى الأكاديمي العام للتعليم :**

والحقيقة التي اغفلها قرار مجلس الوزراء هي أنّ الذين يخططون للمناهج والقبول - قبل قرار القبول الموحد - هم الأساتذة ذوو الاختصاص ممثلين في مجالس الأقسام ، ومجالس الكليات ، وفي قمتها " مجلس الأساتذة " كما يحدث في بقية الجامعات تماما ، وقد وضعت الشروط التي تحقق الأهداف التي من أجلها أنشئت الجامعة والتي منها الحصول على الشهادة الثانوية السودانية ، أو شهادة التعليم العامة بتقدير جيد في خمس مواد من بينها الدين الاسلامي واللغة العربية ، أو مايعادل ذلك من الشهادات الأخرى .(٢)

ولو افترضنا جدلا أنّ ذلك كان واقعا ، فالمنطق يقضي بأن يصحح الخطأ بوضع ضوابط وشروط للقبول ، لا أن يلغي قانون الجامعة بأجمعه ، وتقلص كلياتها .

* **الرد على الشبهة الثالثة : والتي ملخصها : أنّ الجامعة قامت دون تخطيط ، أو تنسيق مع احتياجات البلاد ، مما نشأ عنه ازدواجية في البرامج والكليات وكان من الممكن استيعاب كلياتها في جامعة الخرطوم ، وجامعة القاهرة الفرع .. الخ :**

الادّعاء بأنّ قانون الجامعة صدر على عجل ، ودون تخطيط أو تنسيق مما نشأ عنه ازدواجية في البرامج والكليات ، ادّعاء مردود لا أساس له من الصحة .

---

(١) انظر : المذكرة المرفوعة من الدكتور كامل الباقر مدير الجامعة الإسلامية للسيد رئيس مجلس الوزراء حول البيان الذى أذاعه السيد وزير التربية والتعليم (د . محي الدين صابر) بشأن جامعة أم درمان الإسلامية " حقائق وأرقام " دار الوثائق المركزية تعليم ١١/ ٢/ ١٢ .

(٢) انظر : مذكرة الدكتوركامل الباقر مدير الجامعة الإسلامية المرجع السابق ، دار الوثائق المركزية ١١/٢/ ١٢ .

والحقيقة أنّ قانون الجامعة الاسلامية ظلّ تحت الدراسة مدّة ثلاث سنوات ١٣٨٦هـ - ١٣٨٧هـ - ١٣٨٨هـ (٦٦-٦٧-١٩٦٨م) والذين قاموا بمهمة التخطيط هم المؤهلون له حقيقة ، بحكم مؤهلاتهم العلمية ، والفنية ، وبحكم تجاربهم العلمية ، وأن من بين الذين اشتركوا في التخطيط لها عدد من كبار المشتغلين بشئون التعليم الجامعي في البلاد ، وعدد من كبار رجال التربية المشهود لهم بالكفاءة والأمانة .(١)

أمّا فيما يختص بازدواجية التعليم فإن أريد به التعليم النظرى والتعليم العملي فان ذلك يضع التعليم العملي في مقابلة التعليم النظرى ، الذى يشمل الدراسات ، الإنسانية عامة ، ولا خلاف فيما نرى من أهمية النوعين في كل بلد من البلاد النامية أو المتقدمة .

وإن أريد بازدواجية التعليم ، ما استقر في أذهان الناس من تقسيمه الى تعليم مدني ، وتعليم ديني ، فإن هذا يعني فصل الثقافة العربية والإسلامية ووضعها في مقابلة التعليم العملي ، والدراسات الاجتماعية ، ويكشف هذا عن مفهوم قصده الاستعمار لابعاد مقوّم هام من مقومات الشعوب الإسلامية والعربية ومنها السودان .(٢)

والذى ينبغي أن ينظر إليه فوق هذا وذاك ، هو الاحتياجات التعليمية لكل أمّة في تكوين عناصر نهضتنا المادية والانسانية . وبالنسبة للسودان فإنّ احتياجاته إلى العلوم النظرية لتكوين المواطن الصالح الذى يعتمد عليه في تحمل المسئولية ، بإخلاص وأمانة لا تقل أهمية عن التعليم العملي ، أما في جانب

---

(١) انظر : مذكرة كامل الباقر ، المرجع السابق .
(٢) انظر : مذكرة مبعوثي جامعة أم درمان الاسلامية بمصر ، المرجع السابق .

الثقافة العربية والإسلامية فلا ينكر أهميتها إلاّ مكابر ، باعتبارها من أهم المقومات للشخصية السودانية ، والتي تحتاج إليها على وجه الخصوص في مرحلة تربية الناشئة .

وبقدر احتياج السودان لمصادر المعرفة الأخرى ، فاننا نجد أن المصادر التي تمده بحملة الثقافة العربية والاسلامية ، كانت من القلة بحيث اضطر الكثير من أبناء السودان الى الهجرة للشقيقة مصر في عهد الظلام والظلم الاستعماري. ولعل واقع وزارة التربية والتعليم في ذلك الوقت يؤكد ذلك ، ويفهم منه أنه لولا معهد أم درمان العلمي الذى تطور الى الجامعة الاسلامية أخيرا ، ولولا ما قدمته كليات جامعة الأزهر ، وكلية دار العلوم ، لما وجد السودان من يقوم بتربية ناشئته بالمقوم الأساسي " اللغة العربية ، والدين الاسلامي ".

والحق الذى لا مرية فيه أنّ جامعة الخرطوم لم تستطع أن تمد البلاد بمن يقوم بتدريس الثقافة العربية والاسلامية . ولها الحق في ذلك ، إذ إنّ هذه الثقافة كانت محتقرة من الاستعمار ، وظلت آثار الظلم على حملتها إلى الآن ، مما زهّد طلاب جامعة الخرطوم في أن يحملوها .

وبإلقاء نظرة على شعب الجامعة الاسلامية ، يبدو لنا مدى إسهامها في المجالات الحيوية الأخرى في البلاد كشعبة الصحافة والإعلام والوثائق والمكتبات التي لا توجد في مؤسسة أخرى بالسودان لا في جامعة الخرطوم ، ولا في جامعة القاهرة الفرع . (١)

---

(١) انظر : مذكرة مبعوثي جامعة أم درمان الاسلامية بمصر ، المرجع السابق ، بتصرف.

* **الرد على الشبهة الرابعة : والتي ملخصها : أن مصروفات جامعة أم درمان الإسلامية بالمقارنة مع جامعة الخرطوم في ميادين المصروفات العامة تعتبر مصروفات باهظة ، رغم أنها لم تقدم للبلاد فوائد علمية ممثلة في الرصيد العلمي المثقف المتخصص ... الخ :**

البيانات الرقمية التي وردت بالقرار ليست دقيقة ، بل هي مجافية تماما للواقع مما يدل دلالة واضحة على تحامل ، وسوء نية مبيّتة ضد التعليم الاسلامي بصفة عامة ، والعقيدة الاسلامية بصفة خاصة .

والحقيقة أنّ كلّ ميزانية الجامعة (٥٠٠ر٠٠٠ جنيها) ، وعدد الطلاب (٧٠٠ طالبا) ، وعليه فإنّ الطالب يكلّف (٧١٤ جنيها) ، هذا إن صحّ تقسيم ميزانية الجامعة على عدد الطلاب ، علما بأنّ الجامعة لا تمتلك داخليات للطلبة ، ولا منازل للأساتذة ولا مكاتب للادارة . بل تستأجر ذلك من بنود الميزانية ، بينما نجد في المقابل أنّ جامعة الخرطوم موضوع المقارنة لا تصرف من ميزانيتها شيئا لهذا الغرض . ومن جهة أخرى فانّ للجامعة الاسلامية أجهزة للنشاط العلمي والثقافي ، والبحوث ليس بها طلاب ، وانما هي أجهزة موجهة لخدمة العلم والمجتمع .(١)

أما الادعاء بأنّ ميزانية جامعة أم درمان الاسلامية تبلغ نصف ميزانية جامعة الخرطوم فغير صحيح أيضا .(٢) ذلك أن ميزانية جامعة الخرطوم لعام ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩هـ (٦٨/١٩٦٩م)

---

(١) انظر : مذكرة الدكتور كامل الباقر ، المرجع السابق .

(٢) انظر جمهورية السودان ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، كتاب الميزانية العامة للعام المالي ٦٨/ ١٩٦٩م ، الخرطوم ، المطبعة الحكومية ص ٢٠٥ .
وانظر : المكاتبات الخاصة بجامعة الخرطوم ، دار الوثائق المركزية ، تعليم : ١١/ ٣/ ١٧ .

هي (٣٦٠٠٠٠٠ جنيها) بينما ميزانية جامعة أم درمان الإسلامية لنفس العام (٥٠٠٠٠٠ جنيها) ولا يدّعي عاقل أنّ نصف المليون يساوى نصف (٣٦٠٠٠٠٠) جنيها .

ومن الحقائق الهامة التي تثبت، أنّ هذه الاتهامات إنّما قصد منها النيل من هذه المؤسسة ، ما قدمته الباحثة سعاد إبراهيم أحمد في مؤتمر التربية القومي فقد أوردت الحقائق الهامة التالية : (١)

أنّ التعليم في جامعة الخرطوم يكلّف أموالًا طائلة لا تتناسب معدخل السودان ، القومي ، ولا مع موارده المحدودة ... ويمكننا هنا أن نشير إلى أبرز المعالم التي تميز أسلوب الصرف في الجامعة ، فالملاحظ أنّ بند المرتبات (الفصل الأول) ، يستحوذ على أكثر من ثلثي الميزانية ، وحتى إذا كان ذلك من أجل إغراء أفضل الأساتذة لكان موضوع نقد ، ولكن جزءًا لا يستهان به ، يذهب إلى بند المرتبات في إدارة الجامعة عمومًا ، وهي تعكس عدم كفاية الجهاز ككل، فالجامعة يعمل بها قرابة الألفي عامل وموظف في إدارتها ، ومعنى هذا أنّ كلّ ثلاثة طلاب ، يقابل اثنين من العمال والموظفين ، وهذه نسبة خيالية بكل المقاييس ، وهي مدعاة للمراجعة وإعادة النظر، أكثر من إعادة النظر في وضع جامعة أم درمان الإسلامية .

ومهما يكن من أمر فإنّ جزافية تلك الاتهامات ، ووهنها لم تغير من المخطط المرسوم شيئًا ، فقد استمرت الأمور باتجاه تقليص جامعة أم درمان الإسلامية .

---

(١) انظر : ملاحظات حول جامعة الخرطوم ، الجدول رقم ٣ ، وانظر كذلك الجدول رقم ٤ ص ٤ ص ٢٠ منصرفات الجامعة الجارية والمرتبات (٦٥/٦٦ ـ٦٦/٦٧) .
دار الوثائق المركزية بالخرطوم : Dept. R. 6/15/164

فكونت لجنة بقرار من مجلس الوزراء [١]، ضمت تسعة عشر عضوا ، أغلبهم في ذلك العهد كانوا من الشيوعيين والعلمانيين [٢] ، مهمتها مراجعة موقف الجامعة الاسلامية والبحث في كل الأوضاع الأكاديمية بها ، وأساليب تطويرها وتقصي الحقائق فيها ،

وبعد اطلاع مجلس الوزراء على تقرير هذه اللجنة التي أوصت ضمن ما أوصت بتقليص الجامعة الإسلامية إلى معهد عال للدراسات الاسلامية والعربية ، قرر الآتي [٣]:

(١) الغاء قانون جامعة أم درمان الاسلامية (قانون رقم ٢٥/ ١٩٦٨م) وعلى وزارة التربية والتعليم الاتصال بوزارة العدل لوضع التشريع اللازم وعرضه على مجلس الوزراء .

---

(١) قرار مجلس الوزراء رقم ١٠٨ بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢م
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٢/٢/١١ .

(٢) اعضاء هذه اللجنة هم : ١ - السيد صلاح حسن - مجلس الجامعة رئيسا . ٢ - السيد عمر محمد عثمان - ٣ - السيد محمد عمر بشير - ٤ - الدكتور أحمد خوجلي - جامعة الخرطوم - ٥ - د . فاروق محمد ابراهيم - ٦ - السيد عبد المنعم عبد اللطيف ٧ - السيد ابراهيم نور ، وزارة المعارف ، ٨ - فضيلة الشيخ مختار عبد الله ، مفتي الديار السودانية - ٩ - فضيلة الشيخ يوسف ابراهيم النور - محاضر بالجامعة الاسلامية . ١٠ - فضيلة الشيخ حسن با بكر ، قاضي شرعي - ١١ - السيد محمد علي المحسي . مراجع - ١٢ - السيد يوسف الفاضل " مراجع" ١٣ - السيد الرشيد نايل المحامي - ١٤ - عبد الله الحسن المحامي - ١٥ - السيد د . الطاهر عبد الرحمن - مجلس الجامعة - ١٦ - السيد صالح عتيق - الهيئة القضائية - ١٧ السيد حسن محمود بابكر ، الهيئة القضائية - ١٨ - السيد محجوب محمد صالح شخصيات عامة - ١٩ - فضيلة الشيخ حسن اليمني .
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم : ١١/ ٢/ ١٢.

(٣) انظر : الاجتماع الثالث والأربعون للجنة التي كونها مجلس الوزراء لمراجعة وضع الجامعة الاسلامية بتاريخ ٣٠/٨/ ١٩٦٩م.
دار الوثائق المركزية ، الخرطوم ، تعليم ١١/٢/ ١٢.

(٢) إنشاء معهد عال للدراسات الإسلامية والعربية ، تحت إشراف السيد وزير التربية والتعليم .

(٣) تكوين لجنة أخرى [1] ، تكون مهمتها استلام الجامعة الاسلامية ، والإشراف على إدارتها ، ثم العمل على تحويلها إلى معهد عال للدراسات الإسلامية والعربية واتخاذ كلّ الاجراءات التي تحقق ذلك حسب توصيات مجلس الوزراء .

وقد قامت هذه اللجنة الأخيرة بإدخال كلّ التعديلات المقترحة حسب توجيهات اللجنة الأولى ، وقرار مجلس الوزراء في حذف الأقسام الفرعية ، وتخفيض عدد الأساتذة والتكلفة ، وتعديل البرامج الدراسية ، وتعديل قانون المؤسسة الجديدة ، بما يتمشّى مع النظام الجديد .

وتطبيقا للإجراءات الجديدة ، بدأ تخفيض ميزانية الجامعة عامًا بعد آخر . ففي العام الدراسي التالي ١٣٨٩هـ - ١٣٩٠هـ (٦٩-١٩٧٠م) ، خفضت الى (٤٧٦ ألف جنيه) ثمّ خفضت في العام الدراسي الذى يليه ١٣٩٠هـ - ١٣٩١هـ (١٩٧١/٧٠م) إلى (٣٨٧ ألف جنيه) [2]

ورغم أنّ قرار مجلس الوزراء في حل الجامعة الاسلامية استند ضمن ما استند إلى أثر غلبة أعضاء هيئة التدريس من غير السودانيين في تضخم ميزانية الجامعة - رغم ذلك - قامت وزارة التربية والتعليم باستدعاء مبعوثي الجامعة من

---

(١) أعضاء اللجنة الثانية هم :
١ - إبراهيم نور : وزارة التربية والتعليم رئيسًا .
٢ - يوسف ابراهيم نور ٣ - محمد عمر بشير ، جامعة الخرطوم .
٤ - عبد الله علي عبد الله رئيس اتحاد المعلمين . ٥ - د . محمد إبراهيم الشّوش . جامعة الخرطوم . ٦ - عبد الرحمن النصرى ، أمين مكتبة جامعة الخرطوم .
٧ - محمد يس ، مدير الحسابات .
انظر دار الوثائق المركزية تعليم : ١٢/٢/١١

(٢) انظر : محمد المبارك عبد الله ، مع التعليم الديني في السودان ، الجزء الثاني ، المجلس الأعلى للشئون الدينية رجب ١٤٠٠ هـ ص ٤٣ .

السودانيين الموفدين للدراسة في الخارج للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة ، نكاية لموقفهم المشهود ضد قرار تقليص الجامعة [(١)] ، فمنهم من رفض الانصياع والعودة ، وأكمل دراسته على حسابه الخاص ، بعد أن حرم من مخصصاته الحكومية ، ومنهم من عاد لضيق ذات اليد . [(٢)]

وبعد :

فممّا لاشك فيه أن قرار مجلس الوزراء ، وماتبعه من قرارات اللّجان الخاصة بتقليص جامعة أم درمان الإسلامية ، كان قد قصد به حسر الثقافة العربية الإسلامية ، ومحاربة العقيدة الاسلامية ، تلك الثقافة التي وجدت حرباً شعواء من قبل السلطات الاستعمارية التي كانت تضمر العداء الشديد لدين هذه الأمة ، ولغتها باعتبارها من أهم مقومات الانسانية ، وتكوين الشخصية السودانية ، وتلك المبررات كما أوضحنا ، مبررات واهية ، لاتعتبر أدلة مقنعة لتصفية الجامعة الإسلامية ، بل هي جزء من مؤامرات عدّة دولية ومحلية ، استهدفت كيان الأمة الإسلامية وعقيدتها ، نلحظ ذلك في جوانب كثيرة من القرار منها :

---

(١) مبعوثو جامعة أم درمان الاسلامية بالقاهرة وهم :
١ ـ يوسف حامد العالم ، يعد للدكتوراة .
٢ ـ زين العابدين العبد ، يعد للدكتوراة .
٣ ـ بشير محمد البشير ، يعد للدكتوراة .
٤ ـ سليمان محمد أحمد ، يعد للدكتوراة .
٥ ـ ادريس جمعه درار ، يعد للدكتوراة .
٦ ـ أحمد علي الازرق ، يعد للدكتوراة .
٧ ـ عبد العزيز محمد عثمان ، يعد للماجستير .
٨ ـ بابكر الأمين الدرديرى ، يعد للماجستير .
٩ ـ سليمان محمد كرم ، يعد للماجستير .
١٠ ـ بابكر الجزولي ، يعد للماجستير .
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٢/٢/١١ (ملحق رقم /) .

(٢) الباحث على معرفة وصلة تامة بهؤلاء الأساتذة وقضيتهم .

أولا: أن قرار إلغاء العمل بقانون جامعة أم درمان الاسلامية يتضمن توجيهات بـأن تكون الدراسة في الكلية الجديدة مختلطة بين البنين والبنات ، حيث إنّ القرار بتقلص الجامعة الاسلامية إلى كلية للدراسات الاسلامية والعربية ، كان يعني تذويب كلية البنات الاسلامية في أقسام المؤسسة الجديدة . تلك التي أنشئت على شاكلة كلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر ، جريا على مقتضى الشريعة الإسلامية السمحة في إتاحة الفرصة للفتاة المسلمة التفقه في الديـن ، وفتح الباب أمامها لتتخصص في الدراسات الاسلامية إذا شاءت في حمىً رعاية الآداب الاسلامية ، وحماية البعد عن الاختلاط بالرجال سدّاً للذرائع، ورفعـا للحرج عن الآباء الذين يدركون سوء عاقبة الاختلاط ، ويخشونه على بناتهم .[1]

وكنتيجة منطقية لتلك التوجيهات التي تضمنها قرار الغاء قانون جامعة أم درمان الاسلامية ، انتهزت مجموعة من الطلاب تلك السانحة فأثاروا موضوع الاختـلاط بطريقة موسّعة ، وجعلوا منه موضوع الساعة في تلك الفترة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) حتى أنّه غطى على القضية الرئيسية ، وهي قضية الجامعة الإسلامية نفسها ، لبعض الوقت ، فقد تصدّى الطلاب الشيوعيون بمساندة بعض المسئولين[2] لإثارة هـذا الموضوع ، وقد بلغت بهم الجرأة الى أن دعوا إلى ندوة حوله حشدوا لها أنصارهم ومؤيديهم ، وخرجوا للناس في الصحف اليومية ، بأن المشتركين في النـدوة ، انتهوا إلى رأى موحد ، فحواه أنّه ليس في القرآن آية واحدة تمنع اختلاط البنين والبنات في الدّراسة ، وعلى ذلك فلا مانع شرعاً من الاختلاط ، وهو ضرورة تقتضيها النّهضة بالتّعليم الدّيني .[3]

---

(١) انظر : الشيخ محمد المبارك عبد الله ، مع التعليم الديني في السودان - مرجع سابق - ص ٥٠

(٢) انظر : المرجع نفسه ص ٣٩

(٣) انظر : جريدة الايام ، الجمعة ١٦ أكتوبر ١٩٧٠م ، ولمزيد من التفصيل انظـر : أحمد سعد مسعود ، السياسة التعليمية في السودان وأثرها على التعليم الديني الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ ومابعدها .

ثانيا : إنّ هذا القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء ، قرار مرتجل غير مدروس ، وفيه تحامل واضح ومفضوح على الإسلام ، ممثلاً في جامعة أم درمان الإسلامية والدليل على ذلك أنّ القرار قد اتخذ في أقل من أربعين يوماً من قيام الثورة .[1]

ثالثا : اللجان التي كونت غالبية اعضائها المؤثرين هم من ذوى الاتجاه اليسارى ، العلماني .

رابعا : رئيس اللجنة الثانية ، هو الذى سبق وأن أصدر قراراً بتوقيعه لنظار المدارس فيما يختص بتخفيض حصص التربية الإسلامية وإلغاء بعض الكتب الإسلامية ككتاب شبهات حول الاسلام لمؤلِّفه محمد قطب [2] - كما قدمنا - وكتاب " العدالة الاجتماعية في الاسلام " لمؤلفه سيد قطب .

خامسا : القرارات التي من أجلها كُوِّنت اللجان قد اتخذت سلفا [3]، وإنما كان دور اللجان دوراً تأمينياً تنفيذياً لتأخذ قرارات المجلس الصيغة الجماهيرية التنفيذية ليس إلاّ .

* * *

(١) قامت ثورة مايو في الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٩م ، وقرار الغاء العمل بقانون الجامعة الاسلامية بتاريخ الثاني من يوليو من نفس السنة .

(٢) انظر الملحق رقم / ٤٧ ، ص ٦٧٥ .

(٣) انظر : قرار مجلس الوزراء رقم ١٠٨ بتاريخ ١٩٦٩/٧/٢م ، دار الوثائق المركزية تعليم ١١/ ٢/ ١٢.

* **المبحث الرابع: وضع معلّم التربية الاسلامية واللغة العربية الوظيفي:**

لقد حرص الاستعمار - كما سبق وأن قدمنا - على الاستخفاف بمعلمي التربية الإسلامية واللغة العربية، واظهارهم في المجتمع في أوضاع متدنّية، والعمل على خلق شعور بالدّونية بين طلاب هذا النوع من التعليم، مقارنة برصفائهم في المدارس العلمانية.

ورغم رحيل المستعمر، فإنّ تلك الأساليب التي قصد منها محاربة الإسلام في أشخاص هؤلاء الأساتذة (١)، الذين لا ذنب لهم إلاَّ أنّهم حملوا راية الإسلام، ولغة القرآن - رغم رحيلهم - مازالت تلك الأساليب قائمة، بل زادت شدّة وضراوة، خاصة في فترة مايو، حيث كانت عرقلة التدرج الوظيفي لهؤلاء واضحا، فقد ابتدعت أساليب، وقوانين جديدة في المحاربة، لتنفير الطّلاب من سلوك ذلك المنهج.

ولكي نقف على أنماط المعاناة التس يلقاها معلّم اللغة العربية، والتربية الإسلامية في تدرجه الوظيفي، وتأهيله وتدريبه؛ نحصر المقارنة بينه وبين معلمي المواد الأخرى في مرحلة معينه، كمثال نقيس عليه بقية المراحل.

ولتكن المرحلة الثانوية العليا التي رُفِّع إليها معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية، بعد أن أصبحت الحاجة ماسة إليهم لتعيينهم مباشرة في المدارس الثانوية.

نحصر المقارنة في تلك المرحلة في النقاط التالية: (٢)

أولا: إنّ معلم التربية الإسلامية كان يمضي بين ٩ - ١٢ سنة في درجة التعليم الأَوّلي " الدرجة Q " " كيو " أي الدرجة التاسعة، حسب منطوق الهياكل الراتبية

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: مقترحات ومطالب لإصلاح، وتطوير المعاهد الدينية ومشاكل الخريجين، دار الوثائق المركزية، تعليم ١١/ ٢/ ١٢.

(٢) انظر: **محمد الحسن أبو شنب - معلم التربية الإسلامية وظيفيًا واجتماعيًا - مرجع** سابق - ص ١٢ ومابعدها.

المستحدثة - بينما يمكث زملاؤهم من معلمي المواد الأخرى ، ثلاث أو أربع سنوات فقط في قطاع التعيين الأولى " الدرجة Q كيو " يرقى بعده إلى الدرجة " دى . أس D.S "[(١)]، وهكذا بنفس النسبة في كل الدرجات الوظيفية الأخرى امعاناً في اضطهاد حاملي هذا النوع من الثقافة .

ثانيًا : لما ظهر كادر المعلمين في أوائل السبعينات ، لم يلتفت مطبقو الكادر إلى معالجة الظلم الواقع على معلمي التربية الإسلامية ، واللغة العربية ، وكان ذلك ممكنا ، بل جعلوا دائرة هذا الظلم تتسع بما ابتدعوه من نظام " الكوتة "[(٢)] في ترقية المعلمين ، والذى لم تنّص عليه شروط الكادر .

ونظام " الكوتة " هو أن تحدّد عدد الوظائف التي يترقى عليها المعلمون حسب أهمية المواد ، والتي لم تكن التربية الإسلامية منها ، وندرة المعلمين بها .

ثالثًا : ابتدع القائمون على وزارة التربية والتعليم آنذاك ، مايسمى بمواد الندرة ، وهي مواد : اللغة الإنجليزية ، والعلوم والرياضيات ، وجعلوا أفضلية الترقي للمعلمين المختصين في هذه المواد ، وحدّدوا لها درجات معينة حكرًا لهم ، وقد أضّر هذا النظام بمعلمي التربية الإسلامية كثيرًا ، مما جعلهم يتكدّسون في درجات وظيفية معينة تشكل حصارًا ، أو اختناقا يصعب الانعتاق منه .

رابعًا : ابتدعت وزارة التربية والتعليم أسلوب الترقي عن طريق التشعيب ، وهذا أيضا أضرّ بمعلمي التربية الإسلامية خاصة لكثرة عددهم ، وقلة معلمي المواد الأخرى .

---

(١) مقابلة سابقة مع الأستاذ إبراهيم محمد أحمد سوار ، والأستاذ محمد أحمد آدم .

(٢) تمّ الغاء الترقي على نظام الكوتات والتشعيب في فترة الحكومة الانتقالية " ثورة رجب ١٤٠٥هـ " إبان تولي الدكتور بشير حاج التوم أعباء وزارة التربية والتعليم. انظر : محمد الحسن أبو شنب ، معلّم التربية الإسلامية وظيفيًا واجتماعيًا ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

خامسا : انّ القائمين على التعيين ، لا يحتسبون الخبرات السابقة لمعلّمي التربية الإسلامية واللّغة العربية في التدرج الوظيفي أسوة بمعلّمي المواد الأخرى وقد كتب مدير مصلحة الشئون الدينية في ذلك الوقت للمسئولين بالوزارة كثيراً عن هذه المشكلة ، ولكن دون جدوى . (١)

سادسا وأخيرا : كان معلّمو التربية الإسلامية خاصة ولا زالوا لا يجدون فرص التدريب والبعثات التي يلقاها معلّمو المواد الأخرى .

* * *

---

(١) انظر : مقترحات ومطالب لاصلاح وتطوير المعاهد الدينية ، ومشاكل الخريجين ، دار الوثائق المركزية ، مرجع سابق .

* **المبحث الخامس : دور بعض المؤتمرات التعليمية في الغزو الفكرى في فترة مايو:**

لقد انعقدت في هذه الفترة عدة مؤتمرات للتربية والتعليم هدفت الى صياغة الأهداف التربوية ، وإرساء المناهج التعليمية في السودان .(1)

من خلال عرضنا لمقررات هذه المؤتمرات ، نجد أنّ بعضها قد اتسمت بوضوح الرؤية ، وأبرزت توجهاً واضحاً نحو الإسلام في تحديد مرامي وغايات التربية السودانية في اطار التوجّه الإسلامي ، من حيث تنشئة المواطن السوداني الصالح لأمته ووطنه ، الذى يدين بالعبودية لله سبحانه وتعالى في كل مناحي حياته ، عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً ، ويؤمن أنّ الدين الإسلامي هو منهج حياة متكامل ودعوة للبشر كافة . ويؤمن أنّ العلم هو وسيلة الإنسان للسمو فوق الكائنات والمخلوقات ، وأنّ المعرفة وحدة كاملة ، لا انفصام فيها بين العلم والإيمان .(2) بينما نجد في المقابل أنّ غالبية

---

(1) انعقدت في هذه الفترة عدة مؤتمرات هي :
١ ـ مؤتمر التربية والتعليم القومي الأول ١٩٦٩م .
٢ ـ المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم لدول ميثاق طرابلس ديسمبر ١٩٧٠م بالخرطوم.
٣ ـ مؤتمر لجنة تركيز التعليم عام ١٩٧٢م .
٤ ـ المؤتمر الثاني للمناهج ببخت الرضا في نوفمبر ١٩٧٣م.
٥ ـ لجنة مراجعة المناهج عام ١٩٧٥م .
٦ ـ المؤتمر القومي للتعليم عام ١٩٨٢م.
٧ ـ مؤتمر المناهج التعليمية في نوفمبر ١٩٨٤م.
انظر : وزارة التربية والتعليم ، الاهداف العامة للتربية ، توصيات مؤتمر المناهج ببخت الرضا ، نوفمبر ١٩٧٣م (مجموعة الوثائق الخاصة باستراتيجية التعليم).
وكذلك انظر : وزارة التربية والتعليم ، المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم لدول ميثاق طرابلس المنعقد في الخرطوم في ديسمبر ١٩٧٠م مكتبة بخت الرضا تحت الرقم ٥٦ ، ٣٧٠ ت ت .
وانظر : البيان الختامي لمؤتمر المناهج التعليمية نوفمبر ١٩٨٤م.

(2) انظر : وزارة التربية والتعليم ، الأهداف العامة للتربية ص ١٩ ـ ٢٠ من توصيات مؤتمر المناهج ، ببخت الرضا ١٩٧٣م ، مجموعة الوثائق الخاصة باستراتيجية التعليم مرجع سابق .
وانظر : وزارة التربية والتعليم ، مؤتمر المناهج التعليمية ـ تحت شعار تطوير التربية وتحديثها ، ومواكبة التوجه الاسلامي ١ ـ ٤ ربيع الأول ١٤٠٥هـ.

مقررات هذه المؤتمرات قد اتسمت بالعمومية والتذبذب ، والتأرجح، وعدم الاستقرار لغياب العنصر الفكرى المرتبط بالعقيدة الاسلامية .

يتضح لنا عند عرضنا لمقررات هذه المؤتمرات ، أن كثيرا من بنودها مستوحاة من النماذج المستوردة المليئة بالشعوبية وبالإلحاد الماركسي .

نلحظ ذلك بوضوح في عدة مؤتمرات منها :

أولا: مؤتمر التربية القومي الآول [١]، الذى انعقد في جوّ سياسي تسوده الحماسة المفرطة ، للقومية العربية ، وخاصة الناصرية منها . [٢] فالمؤتمر يتحدث عن اللّغة العربية ، ليس بوصفها اللّغة الأم مثلا ، أو " وعاء " القرآ ن، وإنّما باعتبارها لغة قومية ، وليس المقصود بالقومية هنا الأمة السودانية بحال، وإنّما العالم العربي بأسره بغض النظر عن ديانته ، وقد عبّر عن ذلك وزير التربية والتعليم السوداني .[٣] حين عرّف الهدف الرئيسي للتربية السودانية بأنه : خلق المواطن القادر فنيا ، الموحد قوميا .

لقد كان واضحاً من توجيهات المؤتمر ، أنّ المؤتمرين يسعون إلى صياغة تصورهم لمستقبل التعليم في السودان في إطار مجتمع اشتراكي متطور يعمّ فيه الرخاء، وتسوده العدالة لخلق جيل مزود بالمعرفة والمهارة والخلق ، وذلك يكتمل ـ على حد تعبيرهم ـ بديمقراطية تجعل التعليم في متناول الجميع ، وعدالة تضمن لكل مواطن فيه نصيبه المستحق . [٤]

---

(١) انعقد هذا المؤتمر في عهد د . محي الدين صابر وزير التربية والتعليم في الفترة من ٨ ـ ١١ أكتوبر ١٩٦٩م ، أى بعد أربعة أشهر فقط من قيام ثورة مايو .

(٢) انظر : كلمة جعفر نميرى في افتتاح مؤتمر وزراء التربية لدول ميثاق طرابلس بالخرطوم في ١٢ ديسمبر ١٩٧٠م ، مرجع سابق ، ص ٨.

(٣) وزير التربية آنذاك هو د . محي الدين صابر .

(٤) انظر: د . أحمد التجاني عمر ، دور مادة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦ .

وانطلاقا من تلك الحماسة القومية المفرطة ، قدّم المؤتمر القومي الأول ما أسماه " أهداف التربية في اطارها الثوري " ، ولانجد في هذه الأهداف إشارة من قريب أو بعيد لدور التربية الإسلامية في المناهج ، بل نجد أن المفاهيم الروحية والدينية فيه ليست مرادفة للمفاهيم الإسلامية .[(١)]

والخلاصة : أنّ تلك الأهداف التي خطها المؤتمر كما تبدو أهدافاً عامة ، تصلح لأى جماعة من الناس ، إذ لم تحدد هوية هذه الجماعة ، ولا منهجها الذى تسير عليه إلاّ من خلال الإشارة إلى " إطار مجتمع اشتراكي متطور " لم تحدد اشتراكيته[(٢)] وهي في جملتها تعكس إفلاساً فكرياً وخلقياً .

ثانيا : المؤتمر الثاني لوزراء التربية والتعليم لدول ميثاق طرابلس[(٣)] .

ما نلخظه على هذا المؤتمر من خلال تقريره الختامي :

(١) نجد إغفالاً واضحاً للمنبع الإسلامي ، والثقافة الإسلامية في العالم العربي حيث لم يتعرض المؤتمرون لوضع المسلمين ولا ذكر للإسلام ، ولا للتربية الإسلامية لا تصريحاً ولا تلميحاً .

(٢) كل قراراته ترتكز ، وتنادى بالقومية العربية ، والاشتراكية والتقدمية والوحدة.[(٤)]

---

(١) انظر : توفيق السنوسي ، أهداف العملية التربوية ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .
انظر كذلك : توصيات مؤتمر التربية القومي ، المرجع السابق ، الفصل الأول ، أهداف التربية في الاطار الثورى من ص ١ ـ ٤ مجموعة الوثائق الخاصة باستراتيجية المتعلمين.

(٢) انظر : د . أحمد التجاني عمر ، دور مادة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ص ٦٠

(٣) انعقد هذا المؤتمر بالخرطوم في ديسمبر ١٩٧٠م.
انظر : مكتبة بخت الرضا تحت الرقم ٥٦، ٣٧٠ ت ، ت .

(٤) انظر مثلا : خطاب د . محمد حافظ غانم ، وزير التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة من المرجع السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٢ ، وكذلك كلمة وزير التربية السورى من المرجع نفسه ص ١٥ ، وخطابات كل من جعفر نميرى ومحي الدين صابر في المرجع السابق نفسه .

(٣) كذلك نجد أن المؤتمر قد ركز في صياغة أهداف التعليم على ترسيخ بعض المفاهيم الخاطئة ، المخالفة للعقيدة الإسلامية كفكرة الإيمان بالأمة العربية ، وغرس الاتجاهات التربوية التي تؤدى إلى بناء المواطن العربي الذى يؤمن بالعلم ويحتكم إليه في حل مشكلاته الفردية والجماعية بمعزل عن الدين الاسلامي .

ونجد كذلك من المفاهيم المخالفة للعقيدة الإسلامية ، محاولة تعميق فكرة أنّ الغيب خرافة ، وهي فكرة مادية ، تهدف الى إنكار الأديان جميعها ، وهي من الأفكار الدخيلة على المجتمعات الاسلامية ، وجدت حيزا في مناهجنا التعليمية من ذلك على سبيل المثال ماجاء في خطاب الافتتاح لمؤتمر وزراء التربية في هذا المؤتمر حيث ذكر الرئيس[١] في خطابه عند الحديث عن السلم التعليمي الجديد من أنّ قاعدة التعليم اتسعت به ، وأفسح المجال فيه للتعليم الفني والصناعي ليتخذ مكانه الطبيعي في مجتمع تقدمي يعتمد على العلم بالمعرفة بدل الغيبيات والخرافة .[٢]

والخلاصة : ان هذا المؤتمر كما هو واضح من مقرراته ، عبارة عن محفل جمع أصنافا شتى من الأفكار الغربية والشرقية الوافدة التي تحمل في المقام الأول أهداف الفكر الشيوعي ، الذى يشكك في الأمور الغيبية ، والذى يحارب الأديان ، وعلى رأسها الاسلام ، بالإضافة إلى بعض الأفكار الغربية .

وينطبق على هذا المؤتمر قول الاستاذ منير بشور عند نقده لأهداف التربية في البلدان العربية حيث يقول : " الفجوة بين صياغة الاهداف وتنفيذها ، للخلط بين

---

(١) الرئيس : هو جعفر نميرى ، رئيس جمهورية السودان في ذلك الوقت .

(٢) انظر: كلمة جعفر نميرى في افتتاح مؤتمر وزراء التربية لدول ميثاق طرابلس بالخرطوم ، المرجع السابق ص ٧ .
ولمزيد من التفصيل عن تغلغل هذه الفكرة في مناهج الدول العربية .
انظر : منير بشور ، الاهداف التربوية في البلدان العربية ، مؤتمر تطوير التعليم ماقبل الجامعي في سوريا ، اغسطس ١٩٧٤م ، عن توفيق السنوسي ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

الرغبة " الحكم " ، والحقيقة " الواقع " ، التناقض الداخلي ، فقدان الترابط العضوى للأهداف فيما بينها ، الإسراف في التعميم ، وعدم تفكيك الأهداف العريضة إلى أهداف سلوكية محدّدة ، سهلة القياس والتقويم ٠٠ ، النقل والمحاكاة ، وأخيرا الخطابية ، أى محاولة " ربح المعركة الكلامية " .(١)

ثالثا : لجنة مراجعة المناهج(٢) .

لقد احتوى عمل هذه اللجنة على مراجعة الأهداف العامة للتربية في السودان فجمعت بين أهداف المؤتمر القومي الأول للتعليم(٣) ، الأهداف العامة للتربية التي أقرها مؤتمر المناهج ببخت الرضا(٤) ، وقد جاء تقرير لجنة المراجعة بالزجّ بين تلك الأهداف ، بحيث أخذ بالأهداف العامة للتربية الواردة في توصيات المؤتمر الأول للتعليم ، وأخذ بالأهداف المرحلية ، وأهداف المواد الدراسية من توصيات مؤتمر المناهج ببخت الرضا .

ويلاحظ أنّ ذلك الترقيع في أهداف التربية العامة أدّى إلى الجمع بين اتجاهين مضادين ، هما حرص توصيات المؤتمر الأول على إبراز دور الإطار الاشتراكي ، وحرص توصيات المناهج على إبراز جانب الإيمان بالله ، والتمسك بالإسلام ، والعناية بالناحية الروحية ، مع تكامل جوانب التربية الأخرى .(٥)

---

(١) انظر : منير بشور ، الأهداف التربوية في البلدان العربية ، مرجع سابق ص ٣١

(٢) هذه اللجنة كونها د . منصور خالد وزير التربية في ذلك الوقت ، واستمر عملها من مارس حتى مايو ١٩٧٥م ، وقدمت تقريرها للوزير في سبتمبر ١٩٧٥م .
انظر : مجموعة الوثائق الخاصة باستراتيجية التعليم ، المرجع السابق ص ٣ ومابعدها .

(٣) انعقد هذا المؤتمر في الفترة من ٨-١١ أكتوبر عام ١٩٦٩م .
انظر : مجموعة الوثائق الخاصة باستراتيجية التعليم ، مرجع سابق .

(٤) انعقد هذا المؤتمر ببخت الرضا في نوفمبر ١٩٧٣م .
انظر : المرجع السابق .

(٥) انظر : د . أحمد التجاني عمر ، دور مادة التربية الاسلامية - مرجع سابق ص /

وفي ذلك ذر للرماد في العيون لأنَّ الأهداف المرحلية ، وأهداف المواد الدراسية ، ينبغي أن تكون شارحة للأهداف العامة للتربية ، لذلك نجد أنّ هذا الترقيع لم يحدث أيّ تغيير في أسلمة المناهج ، بل ازداد الأمر سوءًا على ماكان ، كما ظهر ذلك بوضوح في التقرير النهائي للجان المسح التربوى عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م ، والذى كشف عن النقص الذى أصاب مادة التربية الاسلامية - كما سبق أن بيّنّا . (١)

* * *

(١) انظر ص (٢٤٤) من البحث .

* المبحث السادس : ممارسات الغزو من خلال العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية :

إذا كانت العلاقات الثقافية ، والبعثات الدراسية في الفترة السابقة لثورة مايو " الإشتراكية " قد جنحت نحو الدول الإشتراكية والشيوعية ففي فترة حكومة مايو ١٣٨٩هـ - ١٤٠٣هـ (١٩٦٩م - ١٩٨٣م) ، نجدها أكثر جنوحًا نحو هذه الدول ذاتها التي لا تؤمن إلاّ بالمادّة ، بجانب احتفاظها ببعض الخيوط الموصلة بالدول الغربية العلمانية في مجال العلاقات الثقافية . ففي أقل من خمسة أشهر من قيام ثورة مايو ، وقع مجلس الوزراء على ثمان اتفاقيات ثقافية دفعة واحدة بين جمهورية السودان ودول إشتراكية وشيوعية ، وعلمانية ، كانت لها كبير الأثر في صبغ بعض جوانب الحياة في المجتمع السوداني بصبغة المجتمعات الإشتراكية والعلمانية التي وقعت معها - كما سيأتي -

وهذه الاتفاقيات الثقافية بحسب ترتيبها كما جاء في خطاب المدير الفني لمكتب وزير التربية كالآتي : (١)

	الدولة	تاريخ عقد الاتفاقية
١ -	حكومة الجمهورية اللبنانية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٢ -	حكومة جمهورية بولندا الشعبية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٣ -	حكومة اتحاد الجمهوريات الإشتراكية الشيوعية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٤ -	حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٥ -	حكومة جمهورية رومانيا الاشتراكية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٦ -	حكومة جمهورية المجر الشعبية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٧ -	حكومة جمهورية تشيكوسلوفاكيا	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
٨ -	حكومة الجمهورية العربية السورية	١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

(١) انظر : خطاب المدير الفني لمكتب وزير التربية للسيد مساعد الوكيل للعلاقات الثقافية برقم : و ت ت / م و /٥٢/ سري . بتاريخ ١٩٦٩/٩/٤م ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٦/٤/ ٢٠.

ونظراً لعلاقة هذه الاتفاقيات بموضوعنا ، وتأثيرها الفعال في الغزو الفكري ، والعقائدى ، نعرض نموذجاً واحداً كمثال لهذه الإتفاقيات .

فعلى سبيل المثال تنص الإتفاقية الثقافية الموقعة بين السودان واتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية لعامي ١٣٩٠هـ - ١٣٩١هـ (١٩٧١/٧٠م) على التعاون في عدة ميادين منها : ميدان التربية والعلوم ،وذلك بأن يلتزم الجانب الروسي بالآتي[١] :

(١) خمسون منحة دراسية من جانب الاتحاد السوفيتي للسودان في ١٣٩٠هـ - ١٣٩١هـ - (١٩٧١/٧٠م) ؛ وخمسون منحة دراسية من جانب الاتحاد السوفيتي للسودان في ١٣٩١هـ - ١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٧١م) .

(٢) يدعو السودان سنويا وعلى حساب الجانب الروسي ، ولمدة ثمانية أيام ممثل وزارة التربية العالي والتعليم الثانوى والفني في الاتحاد السوفيتي للاستشارة في اختيار طلبة وطالبات للجامعات والدراسات العليا ، يوجهون للتدريب بالاتحاد السوفيتي .

(٣) على أساس التبادل يدعو السودان أحد العاملين في البحث العلمي من معهد أفريقيا لأكاديمية العلوم الروسية ، ليقوم بالبحث ببرنامج متفق عليه في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م لمدة أربعة شهور .

(٤) عدد قد يصل الى ستة أساتذة جامعيين في مواد مختلفة للعمل في جامعة الخرطوم سنويا .

(٥) معلمون للغة الروسية ، اثنان لجامعة الخرطوم ، واثنان للمدارس الثانوية سنويا ولمدة سنتين على نفقة الحكومة الروسية . [٢]

---

(١) انظر : الاتفاقيات الثقافية بين جمهورية السودان والبلدان الأخرى ، دار الوثائق المركزية بالخطوم ، تعليم ١٦/ ٤/ ٢٠ .

(٢) علما بأن اللغة الروسية لم تكن ضمن اللغات المقررة في المدارس الثانوية.

(٦) محاضران للجامعة ،وثلاثة خبراء للتدريب الفني ، والمهنى لمدة أسبوعين أو ثلاثة وفد من ثلاثة خبراء لدراسة نظم التعليم في السودان لمدة أسبوعين ٠

(٧) معرض عن التعليم العالي والعام في الاتحاد السوفيتي بالسودان، وكتب مختلفة تقدم كهدية للجامعة "جامعة الخرطوم" بعد العرض ٠

(٨) مائة ألف كراس هدية من الاتحاد السوفيتي لوزارة التربية والتعليم العالي ٠

ويلتزم الجانب السوداني مقابل ذلك بالآتي : (١)

(١) من ١ ـ ٥ منح دراسية سنويا للبحوث العلمية ، أو لجميع المعلومات العلمية بالجامعة ، والمؤسسات التعليمية العليا لمدة تتراوح بين سنة وسنتين ٠

(٢) واحد من العاملين بالبحث يقوم بالبحث في المؤسسات الروسية لاكاديمية العلوم لمدة أربعة شهور على نظام التبادل ٠

(٣) وفد سوداني من أربعة أشخاص للتعرف على نظام التعليم العالي في الاتحاد السوفيتي لمدة أسبوعين ٠

(٤) ثلاثة خبراء سودانيين في التدريب الفني والمهني لمناقشة مسائل التعاون في هذا المجال لمدة أسبوعين ٠

(٥) وفد من ثلاثة من رجال التربية والتعليم في السودان للتعرف على نظام التعليم العام في الاتحاد السوفيتي لمدة أسبوعين ٠

(٦) معرض للابداع الفني للاطفال ٠

(٧) يعمل الطرفان على مواصلة التعاون بين جامعة الدولة في مدينة ليننجراد ، وجامعة الخرطوم ، وتبادل الطلبة والمعلمين والمعلومات الفنية والتربوية والبيتلوجية ٠ وكذلك الصور الفوتوغرافية للمخطوطات العربية القديمة الموجودة لديهما ٠

---

(١) انظر: الاتفاقيات الثقافية بين جمهورية السودان والبلدان الأخرى المرجع السابق ٠

(٨) إقامة اتّصالات بين معاهد المعلمين والمؤسسات المختصة بمسائل التعليم في البلدين بغرض تنظيم التعاون ، وتبادل الخبرات .

(٩) تبادل النشرات الدورية ، ونماذج الكتب التربوية والبيتلوجية وأدب الاطفال .

من قراءتنا لبنود هذه الاتفاقية يتضح لنا بجلاء ، أنّ غزواً ثقافيا شيوعيّاً مركّزاً ، له تأثيره العقائدى الخطير ، قد وقع على السودان في هذه الفترت يتمثل في الآتي :

أولا: لاتوجد مقارنة بين الاتفاقيتين ، لا من حيث عدد المنح ، أو ما يعادلها ، ولا من حيث تبادل الخبراء والمحاضرين ، بل نجد أنّ عمل الوفود السودانية ينحصر في التعرف على نظريات في التعليم مبنية في الأساس على الإلحاد .

ولبثّ هذه الأفكار الالحادية ، نصت الاتفاقية على إرسال وفود تشمل أساتذة جامعيين ، ومعلمين للغة الروسية ، وخبراء سوفييت لدراسة نظم التعليم في السودان ، وإقامة معارض بالسودان عن أيدلوجية التعليم في الاتحاد السوفيتي وكيف أنها تقدمت وارتقت بتطبيقها للنظريات الاقتصادية المتمثلة في نظرية فائض القيمة .

ثانيا : يتم اختيار الطلبة والطالبات لشغل المنح الدراسية بالجامعات والدّراسات العليا والذين يوجّهون للتدريب بالاتحاد السوفيتي بمواصفات خاصة، وشروط محددة وترشيحات من جهات معينة ، هي الحزب الشيوعي السوداني ، ولايتمّ ذلك إلاّ بحضور ممثّل من وزارة التّعليم العالي ، والتعليم الثانوى والفني للاتّحاد السوفيتي الذى يُدعى سنوياً ولمدة ثمانية أيام للاستشارة وإجراء المعاينات لاختيار طلاب وطالبات من ذوى الاتجاهات اليسارية ـ في الغالب ـ لشغل هذه المنح .

ثالثا : أكثر طلاب البعثات للغرب العلماني أو للشرق الاشتراكي يتخصصون في مواد غير ذات فائدة لبلاد المسلمين ، بل تحمل من الغزو الثقافي ماتحمل كدراسة

الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، مع تضييق فرص التخصص في المواد التي تحتاج إليها البلاد في ذلك الحين ، كالعلوم المحضة والعلوم التطبيقية ، التي يترتب على التفوق فيها الرقي الصناعي ، والنمو العمراني ، والتقدم العسكري. وقُلْ ذلك في المجالات الثقافية الأخرى ، فنقرأ مثلاً في اتفاقية التعاون العلمي والثقافي بين جمهورية السودان ، وجمهورية بلغاريا الشعبية في الفقرتين : (ب ، د) الآتي :[1]

ب ـ تنظيم حفلات المغنيين والفرق الموسيقية ، ومجموعات الأداء الفني .

د ـ تبادل اسطوانات الجرامفون[2] ، وأشرطة التسجيل وجميع أنواع المطبوعات التي تتعلق بالحياة الثقافية في كل من البلدين .

رابعا : توجيه الطلاب المبتعثين لهذه الدول للتكيّف مع الأيدلوجية الماركسية اللينينية وربطهم بنمط معين من النظم ، والتربية الخلقية التي تسعى المؤسسات التعليمية في جميع الدول الإشتراكية إلى غرسها في طلابها ، وطلاب البعثات الدراسية للدول الأخرى التي تربطها بها علاقات ثقافية كالسودان .

ونتيجة لتلك العلاقات الثقافية المشبوهة تمكّن اتحاد الجمهوريات السوفيتية بإمكانياته ، خدمة لأيدلوجيّة من تنفيذ كلّ بنود البرنامج المتفق عليه ، فزارت وفودها السودان واختارت الطلاب والطالبات المرغوب فيهم ، وأقامت معارضها.[3]

---

(١) انظر : اتفاقية التعاون العلمي والثقافي بين جمهورية السودان الديمقراطية ، وجمهورية بلغاريا الشعبية ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٦/ ٤/ ٢٠ .

(٢) الجراموفون " Gramphone " هو الحاكي أو فونغراف .
أنظر : منير البعلبكي ـ المورد . قاموس إنجليزى عربي ط ٢٠ بيروت ١٩٨٦م ص ٣٩٧ ، وأول من أدخل هذا الجهاز في السودان هو ديمترى البازار الإغريقي .

(٣) انظر : تعليق وزارة التربية السودانية على هذه الاتفاقية ـ المرجع السابق نفسه.

ونتج عن ذلك إرسال طوفان من الكتب والمجلات ، ذات الألوان الجذابة ، والطباعة الفاخرة ، والاهداف المرسومة التي تدعو صراحة إلى الإلحاد، إلى بعض المكتبات وبعض دور النشر والمعارض ، وأصبحت في متناول الجميع وبأسعار بخسة ، قد لاتصل إلى سعر الغلاف .

ولأول مرة في تاريخ السودان ، ترسل الحكومة أطفالاً أحداثاً للدول الشيوعية تتراوح أعمارهم بين الثامنة والخامسة عشر ، لتدريبهم على " الاكروبات " - سيرك الألعاب - لمهرجانات أعياد التعليم في السودان .

ذاك فيما يختص بمحاولات الغزو من خلال العلاقات الثقافية المقننة ، وإذا بحثنا في الملفات الخاصة [1] لوزارة التربية والتعليم في السودان الخاصة بابتعاث الطلاب للدراسة خارج السودان على نفقة الحكومة فنجدها منصبة في نفس ذلك الاتجاه القاضي باختيار الطلاب لا بحسب كفاءاتهم العلمية ، ونضوجهم وتحصينهم ضد تيارات الغزو الفكرى ، بل بحسب اتجاهاتهم الفكرية ذات الطابع الشيوعي الاشتراكي أو العلماني من ذلك :

ماجاء في خطاب لوزارة التربية والتعليم ، رداً على خطاب مدير جامعة القاهرة فرع الخرطوم بشأن تسهيل أمر خمسة من الطلاب [2] أكملوا دراستهم في السنة المنهجية في كلية الآداب قسم اللغة العربية ، ويودون السفر الى القاهرة لاستيفاء المراجع ، ومساعدتهم في أجور سفرهم . جاء رد وزير التربية [3]

---

(١) نعني بالملفات الخاصة ، الملفات التي تحمل ضمن أرقامها كلمة سرى ، أوسرى للغاية .

(٢) الطلاب الذين نجحوا في امتحان الماجستير بقسم الدراسات العليا هم :
١ - عبد الرؤوف بابكر السيد   ٢ - عبد الحي عبد الحق عبد الغني
٣ - محمد الحسن فضل المولي   ٤ - اينعوف عباس اينعوف
٥ - عبد الغفار الصديق ابراهيم.
انظر : دار الوثائق المركزية ، بالخرطوم ، تعليم ١١/٣/ ١٦.

(٣) وزير التربية والتعليم الذى كان يبحث عن الاتجاهات هو الدكتور محي الدين صابر .

آنذاك بالآتي : [١]

(١) التأكد من اتجاهاتهم ٠

(٢) في حالة صحة اتجاهاتهم يمنحون تسهيلات معقولة في أجر التذاكر كموظفين لهم خصم ٣٠ ٪ ، ويمكن أن تتحمل الوزارة ٢٠ ٪ أيضا ٠

وجاء في خطاب (للوزير نفسه) موجها للسادة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة متحرّشاً بمبعوثي جامعة أم درمان الإسلامية بالقاهرة [٢] اثر احتجاجهم على قرار مجلس الثورة والوزراء بحل جامعة أم درمان الاسلامية ـ جاء فيه :

" أرى أن يجرى فحص لأسماء هؤلاء المبعوثين ، ولا تجاهاتهم ... " [٣] ومعرفة مواهب الطلاب ، واتجاهاتهم نجدها منطبقة تماما مع شروط القبول للبعثات بالمنشآت التعليمية العليا وغيرها في كثير من الدول الاشتراكية والشيوعية التي تعاملت مع السودان في هذه الفترة ٠

أمّا عن أساليب الغزو الفكرى التي كانت تحاك ضد المبعوثين في الدّول الغربية العلمانية فكثيرة نستخلص بعضها من ذكريات إحدى المبعوثات [٤] في بريطانيا حيث قالت : " قبل أنّ أكتسب الخبرة في التمييز بين لحم الخنزير ، واللحوم الأخرى ، كنت حريصة على السؤال قبل تناول طعامي مما جعل بعض العاملات بالمطبخ يضقن بسؤالي المتكرر ... وفي ذات مرة قالت لي إحداهن : إن" اللحم ـ لحم ـ ضأن

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ملف رقم و ت ت / م و / ٣٥ / أ " سرى للغاية" ٠
(٢) انظر الملحق رقم ١٦ ص٦١٢ من هذا البحث ٠
(٣) الخطاب رقم و ت ت / م و / سرى / ١٠ بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٦٩م ٠
دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١١/ ٢/ ١٢ ٠
(٤) اسم الطالبة / زهراء الطاهر علي ، وكان ذلك في عام ١٩٧٤م ٠
انظر : رسالة المعلم ، العدد الرابع ، رمضان ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م٠

وعندما شرعت في تناوله التفتت إليّ احدى الطالبات الانجليزيات لتنبهني بقولها قد رأيتك كثيرا لا تفضلين أكل لحم الخنزير ، وأراك اليوم تفعلين، فكيف وجدته ؟ وسرّتني جدا هذه الاشارة الخفية للتنبيه وشكرتها ، وذهبت لحجرتي دون تناول الغذاء ، ولم أكن أدرى أنّ هناك من يراقبني ، حيث لم تمض دقائق حتى سمعت طرقاً على الباب ، ووجدت الفتاة التي أعطتني لحم الخنزير ، تحمل صينية بها بيض وبعض الفواكه ، وهي تعتذر بشدة وقالت : وددت لو أنك تذوّقت لحم الخنزير ، ولا أعتقد أنه يضرّ معدتك ... ، وقبل أن تنصرف جاءت " د ٠كولارد " المسئولة عن رعاية الطالبات في الداخلية لتقول لي إنّه لن يحدث ذلك بعد اليوم والتفتت إلى الفتاة قائلة : أليس كذلك ؟ " (١)

وتقول المبعوثة أيضاً : " قسمنا الى مجموعات غير ثابتة ، وبالرغم من أنّ الغرض الأساسي منها - في الظاهر - أن يتعرّف الطلبة والطالبات على بعضهم في جو دراسي إلاّ أنني شعرت أنني كالطفل تماما لا أحس بالطمأنينة إلاّ حينما تضم المجموعة أحد السودانيين ٠ وقد زاد احساسي بالوحدة عندما علمت أنني عضو دائم في مجموعة تضم ثلاثة معلمين ، وثلاث معلمات جميعهم من الانجليز ... الخ " (٢)

فنلحظ من خلال النصّين السابقين الآتي :

(١) دسّ المحرمات في الأطعمة ٠

(٢) المراقبة اللصيقة للمبعوث ٠

(٣) تقسيم المبعوثين الى مجموعات غير ثابتة ذات أفكار وأدوار محددة ٠

(٤) تقنين عملية الاختلاط ٠

---

(١) زهراء الطاهر علي ، ذكرياتي في بريطانيا ، رسالة المعلم ، العدد الرابع ، المرجع السابق ، ص ٩٤٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٩٣٠

ذاك باختصار شديد بعض مجالات الغزو الفكرى من الشرق الإشتراكي الشيوعي والغرب العلماني ، عن طريق العلاقات الثقافية والبعثات الدراسية في هذه الفترة وتبدو هذه المحاولات أكثر وضوحًا وانكشافا في أساليبها التغريبية في الدول الإشتراكية، منه في الغرب العلماني الذى يرفع شعار المكر والخديعة والمداهنة " بطيء لكنه أكيد Slow but sure " .

فيعود المبغوث - إلاّ من عصم الله - بقيم وأفكار ماديه علمانية ، ونظرة معادية للدين الذى فُطِر عليه ، مغايرة للنظم والشرائع والآداب الإسلامية ، والتقاليد الفاضلة ، يبدو ذلك واضحًا في سلوكهم وأخلاقهم ، وعلاقاتهم ، ونظرتهم إلى الحياة وإلى الناس ، وفيما يكتبون وينتجون في ميدان الفكر والثقافة والتوجيه، فظهرت مؤلفات لمؤلفين سودانيين بلغات تلك الدول التي بعثوا إليها ، لايؤلفون بالعربية ازدراء بلغة القرآن أو تشبثًا بتلك اللغات .

* * *

* **المبحث السابع: دور المدارس الأجنبية في الغزو الفكرى :**

لقد تعددت أساليب الغزو في مناهج التعليم غير الحكومي بشتى مسمّياته من تعليم شعبي ، ومدارس خاصة ، ومدارس جاليات (١) ، ومدارس إرساليات (٢)، ومعظم هذه المدارس أجنبية الفكر والمنشأ والإدارة رغم أنّ غالبية طلابها وطالباتها من السودانيين المسلمين ، مما يؤكّد لنا أنّ الأسباب الظاهرة التي سيقت لفتحها ، والخاصة بربط أبناء سفراء الدول الأجنبية ، والمخدّمين منهم ببلادهم باعتبار أنّ هذه المدارس تأخذ في الاعتبار الأول اللغتين الانجليزية والفرنسية باعتبارهما اللغتين العالميتين المشهورتين - على حد زعمهم - ليست مرادة في ذاتها ، بل إنّ الهدف الحقيقي الذى يكمن الغزو الفكرى من ورائه ، هو أنّ هذه المدارس كانت ومازالت ترمي إلى نشر ثقافاتها الخاصة ، بدليل أنها فتحت أبوابها ، بل ورغّبت أعداداً كبيرة ، وأجناسا مختلفة للتزود من هذه الثقافات الفارغة من المحتوى الايماني ، بحيث إنّ بعض هذه المدارس يمكن اعتبارها مدارس دولية إذا اتخذنا كثرة الأجناس والمذاهب مقياساً لهذا المعنى . (٣)

---

(١) تستمد هذه المدارس برامجها من طبيعة برامج بلادها ، على أساس أن يكمل تلاميذها تعليمهم في بلادهم ، والوزارة لا تتدخل في شئون هذه المدارس ، ولا تعينها ماديا ، انما تسهل لها فقط السماح للمدرسين الأجانب الذين تعينهم بالبقاء في السودان وليس هناك ضرر يعود على البلاد من هذه المدارس لأن ، السودانيين لايدخلونها ويوجد منها في الوقت الحاضر ٧ مدارس يونانية ، و٧ مدارس هندية ، ومدرسة أرمنية ، وأخرى ايطالية ، وبعض المدارس الصغيرة لجاليات أخرى . انظر وزارة التربية والتعليم الأهلى فى عام ، مكتبة بخت الرضا تحت الرقم ٢و ٣٧٩ت ت .
لقد طالبت وزارة التربية فى الفترة الانتقالية ١٤٠٦هـ هذه المدارس تدريس اللغة العربية وتاريخ وجغرافية السودان .

(٢) مدارس الارساليات التبشيرية هي : مدارس تتلقى خدماتها التعليمية من الجمعيات الكنسية ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع : أ - المدارس الكاثوليكية - ب - المدارس الانجيلية السودانية - جـ - جمعيات صغيرة أخرى - المرجع السابق .

(٣) انظر مثلا الأجناس والاديان بمدرسة الاتحاد العليا التي تتبع للكنيسة الانجليزية بالخرطوم .

ومن خلال استقرائنا للوثائق الخاصة بالتعليم في هذه المدارس الأجنبية في السودان ، في هذه الفترة ، نلحظ طرقا شتى ، وأساليب مختلفة استخدمتها هذه المدارس الدخيلة في غزو عقيدة الأمة الاسلامية ، وزعزعتها من النفوس ، وسلب سيادة الدولة الكاملة في توجيه النشء الوجهة الإسلامية الصحيحة .

وسوف نسوق الأدلّة على ماذكرنا من خلال ملاحظاتنا العامة والتفصيلية بالمدارس الأجنبية التي كانت موجودة ، مما يؤكّد قيام تلك المدارس ، بغزو فكريّ واضح ضد المسلمين ، وعقيدتهم .

فمن الملاحظات العامة : أنّه بعد أن أثبتت التقارير الرسمية أنّ نسبة السودانيين المسلمين الدارسين في هذه المدارس الأجنبية ، أعلى نسبة من الجنسيات التي فتحت هذه المدارس أساسا من أجلها .[1] اتخذت وزارة التربية والتعليم قرارات وضوابط للهيمنة عليها ، بتفتيشها ، وإدخال مادة الدين الاسلامي فيها .

ولكن نتيجة لتسلط إدارات هذه المدارس ، وسفراء دولها [2] على كثير من مناحي الحياة وتغلغلهم في أوساط عدد غير قليل من كبار رجالات الدولة الذين تعجّ هذه المدارس الأجنبية بأبنائهم - نتيجة لذلك - فإنّ هذه الإدارات لم تأبه بتلك القرارات والضوابط التي اتخذت ، ولم تضعها موضع التنفيذ ، نذكر منها :

---

(١) على سبيل المثال بلغت نسبة الطالبات المسلمات بالمدرسة الأمريكية الإرسالية للبنات بالخرطوم بحرى ٩٠٪ في القسم الثانوى ، أمّا في القسم الأوسط فبلغت نسبتهن ٧٠ ٪ عام ١٩٦٥م .
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١/ ١٣ / ١٠٥ ، ملحق رقم ٢، ٤، ص / ٦٢١ ٦٢٤ .

(٢) انظر مثلا : محادثة سفير بريطانيا مع الدكتور محي الدين صابر وزير التربية والتعليم وكذلك خطاب " البشب ألسن " راعي الكنيسة الانجليزية ، للوزير نفسه بشأن تحويل المدرسة التابعة لهم الى المنزل السابق للمستر كونتوميخالوس " مربع ٣ ب شرق ، في ركن شارع أبو سن ، وشارع البرلمان ، دار الوثائق المركزية المكاتبات الخاصة بالمدارس الأجنبية والخاصة :

(١) قرار اتخذ في العام الدراسي ١٣٧٩هـ - ١٣٨٠هـ (١٩٦٠/٥٩م) يقضي بادخال مادة الدّين الاسلامي في هذه المدارس ، وتفتيشها من قبل مفتش العلوم بالوزارة [1] ، أسوة بالمدارس الحكومية ، لم يجد هذا القرار حظّه من التنفيذ .

(٢) المذكرة التي قدمها وزير التربية والتعليم [2] إلى مجلس الوزراء في سبتمبر عام ١٩٦٨م (١٣٨٨هـ) والخاصة بالمطالبة بحق الوزارة في الإشراف الكامل على جميع الدارس الأجنبية التي يدرس فيها طلبة سودانيون ، وتوحيد مناهج هذه المدارس الأجنبية مع مناهج وزارة التربية والتعليم ، واخضاع تلك المدارس للتفتيش الفني ، والتقويم من قبل كبار مفتشي وزارة التربية والتعليم ، وسلطات تعليم المديريات . [3]

(٣) الخطابات التي أرسلتها الوزارة إلى المسئولين عن هذه المدارس الأجنبية ، تحثهم فيها وتذكرهم بقرار الوزارة الخاص بوجوب ادخال مادة الدين الإسلامي ، وتفتيشها من قبل مفتشي الوزارة من ذلك :

أ - خطاب الوزارة للقس " الراضي الياس " رئيس الطائفة الإنجيلية ، بتاريخ (١٣٨٩هـ) السابع من نوفمبر ١٩٦٩م . [4]

---

(١) انظر : وزارة المعارف السودانية - التعليم في العهد الوطني ، دار الوثائق المركزية . Dept.R.6/18/198 .

(٢) وزير التربية والتعليم الذى تقدّم بهذه المذكرة هو د . سيد أحمد عبد الهادى . أنظر : خطاب مندور المهدى وكيل وزارة التربية للمستشار العام بديوان النائب العام ، ملحق رقم ٢٧ ، ص ٦٤٧ من البحث .

(٣) انظر دار الوثائق المركزية تعليم ٥٧ / ٢٠ .

(٤) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ٢/١/١٩ . خطاب رقم و ت ت / ٨١٩ / خ ج/ ٠٣٢ وهذا دليل على أنّ القرار المماثل لهذا القرار في الفقرة الأولى - أعلاه - الذى اتخذ قبل عشر سنوات ٥٩/ ١٩٦٠م لم يجد التنفيذ .

ب - خطاب الوزارة للمطران " باروف " الرجل الأول المسئول عن الطائفة الكاثوليكية بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٦٩م ، الخاص بتدريس الدين الإسلامي في مدارسهم الأجنبية . (١)

وبالرغم من هذه القرارات الوزارية بإدخال مادة الدين الإسلامي في تلك المدارس، وتفتيشها من قبل الوزارة ، نلاحظ أنّ تلك القرارات لم تنفذ بدليل أنّ جميعها تحمل مضمونا واحدا ، هو ادخال مادة الدين الإسلامي في تلك المدارس وإخضاعها للتفتيش ، فلو أنّ القرار الأول قد نفذ لكان صدور القرارات اللاّحقة - ذات المضمون الواحد - عبثا لا يتصور صدورها من عاقل مسئول . هذا أولاً .

---

(١) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ٢/١/١٩ ، الخطاب رقم و ت ت /٩/٨/خ ج / ٢٣ /أ " سرى للغاية " .

أهم سمات هذا المشروع :

١ - يجب على مالك كل مدرسة يحصل على تمويل خارجى أن يوضح الجهه أو الجهات الممولة ومقدار التمويل وأوجه الصرف ، وأى معلومات أخرى تطلبها الوزارة فى هذا الصدد .

٢ - يلتزم مالكو جميع المدارس ، ما عدا مدارس الجاليات بتدريس المنهج الدراسى القومى الذى تقدره الوزارة .

٣ - يجب على مالك المدرسة أن يراعى عدم الاختلاط فى مراحل التعليم العام إلاّ ما استثنى وذلك تمشيًا مع سياسة الوزارة فى هذا الشأن .

٤ - يكون للوزير الحق فى تفتيش أى مدرسة والاطلاع على مستنداتها متى ما اقتضت الضرورة ذلك .

ثانيا : بعض الوثائق التي حصلنا عليها يفهم منها أن تلك القرارات حتى عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م لم تجد طريقها الى التنفيذ . (١)

وذلك يدلنا على مدى استهتار ادارات هذه المدارس وعدم اكتراثها بقرارات وزارة التربية والتعليم ، مما كان لعدم الاهتداء بها الأثر السيئ على سلوكة وعقائد الطالبات والطلاب المسلمين فى هذه المدارس .

= أنظر قانون المشروع بكامله : وزارة التربية والتلعيم ، أهم المنجزات خلال الفترة الانتقالية مرجع سابق ص٢١ - ٢٨ .

ولمعرفة الفارق بين هذا المشروع الجديد ذات الصبغة الاسلامية ، والمشاريع السابقة فى التعليم الأهلى انظر :

وزارة التربية والتعليم ، قسم التعليم الأهلى فى عام ، يوليو ١٩٦٦م - يوليو ١٩٦٧م مكتبة بخت الرضا ٢، ٣٧٩ ت ت .

وقد أحدث هذا القانون ضجة فى السودان فى ذات الوقت بعد عرضه على مجلس الوزراء ، وتآمرت عليه جهات كثيرة فى الداخل والخارج ، وسعت على أن لا يجاز من قبل المجلس العسكرى ، وقد أفلحت فى عرقلته لحينه ، وقد وعدت الحكومة الحالية (ثورة الإنقاذ) بدراسته وتطبيقة ، وقد بدأت تباشير ذلك تظهر على الآفق . انظر لقاءات الاستاذ عبدالباسط سبدرات وزير التربية والتعليم فى عهد ثورة الانقاذ الوطنى مع مديرى مدارس الجاليات والفعاليات الأخرى .

أما عن الملاحظات الخاصة ، فنذكر على سبيل المثال الآتي :

أولا: المدارس الكاثوليكية : (١)

سعت هذه المدارس جاهدة ، لبثّ الفرقة والشتات بين الدارسين ولم تأبه بالقرارات الوزارية ، وإنّما كانت تأخذ تعليماتها مباشرة من المطران بالإضافة إلى أنها تسعى للمساس بالعقيدة الإسلامية ، والاستهزاء بالقيم الاسلامية ، ولما احتج الطلاب المسلمون في هذه المدارس على بعض تلك الممارسات التي تمس عقيدتهم الدينية ، وتزعزع الفرقة بينهم ، وبين زملائهم من الطلاب المسيحيين ، أوقفوا عن الدراسة بأمر من الأب "بارسلوسيرجي" مسئول الشئون الدينية بالمدرسة الذى قال بالحرف الواحد لناظر المدرسة : " كلّم الطلبة المسلمين "دول" - أى هؤلاء - " مايجو " - أى لا يأتوا - ثاني للمدرسة " (٢)

---

(١) تشتهر المدارس الكاثوليكية باسم مدارس " كمبوني " ، ويرجع تاريخها الى عام ١٨٤٨م ، حيث قامت أول مدرسة لها في الخرطوم ، ولكن نشاطها لم يقو الا عام ١٩٠٣ م حتى أصبحت تضم ١٤ مدرسة " احصائية ١٩٦٧م " في جهات مختلفة من السودان ، فيها ٨٨٤٤ تلميذا وتلميذة ٠ منهم ١٠٠٩ من الاجانب و ٧٨٣٥ من السودانيين ، أى أنّ نسبة الطلبة السودانيين هي حوالي ٩٠ ٪ من مجموع الطلبة والطالبات بها ٠
وجملة الفصول التي يدرسون فيها ، ٢٥٠ فصلا ٠
انظر : وزارة التربية والتعليم ، التعليم الاهلي في عام ٦٦/ ١٩٦٧م ، مرجع سابق ٠

(٢) كان ذلك بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٧٠ م ٠ انظر : توضيح أبعاد مشكلة اجتماعية ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/ ٢/ ١٢٠

ولمّا رفعوا الأمر إلى وزارة الداخلية[١] ، أصدر المطران أمراً بإغلاق المدرسة[٢] وكان الهدف من ذلك هو تصفية وإبعاد العناصر التي تعارض هذه السياسة المرسومة من الفاتيكان ، القاضية بزرع الفتنة والتفرقة ، ومحاربة العقيدة الإسلامية .

ثمّ إنّ هذه المدارس الكاثوليكية تأتي بأفعال ، تنافي قانون وزارة التربية والتلعيم ، الخاص بالتعليم الأجنبي[٣] ، وتمثل تحدّياً للوزارة ، ومخالفة لمنطوق المادة (٣٦) من لائحة المدارس غير الحكومية والتي تنصّ على الآتي :

" على كل مدرسة أن تدّرس مادة الدين لتلاميذها ، كلّ بحسب دينه ، وفقا للمقررات التي تضعها وزارة التربية والتعليم العالي لتلاميذ المدارس الحكومية المناظرة ، وتمتنع عن تعليم تلاميذها دينا غير دينهم حتى لو قبل ذلك أولياء أمورهم "[٤]

ففي بعض المرات - مثلا - تلجأ هذه المدارس الكنسية إلى طرق ملتوية في سبيل أداء مهمتها التبشيرية بالسعي إلى تنصير الطلاب المسلمين وزعزعة عقائدهم وبرهاننا على ذلك ، أن هناك :(١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ثلاثة عشر بنتا من آباء مسلمين ، يدرسن الديانة المسيحية بمدرسة السجانه .

---

(١) انظر : توضيح أبعاد مشكلة اجتماعية ، " خطاب من الطلبة المسلمين بمدرسة كمبوني المسائية بالنادى الكاثوليكي الى وزير الداخلية بتاريخ ١٩٧٠/٦/٢٨م " دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/٢/ ١٢ .

(٢) في المداولات التي جرت بين الطلبة " والأب رولاندو " أخرج لهم خطاباً باللغة الايطالية من المطران بأمر الاغلاق ، قرأه وترجمه لهم .
انظر المرجع السابق .

(٣) في بعض المرات تضطر وزارة التربية والتعليم الى اللجوء الى وزارة العدل ، لا قتصاص لها من هذه المدارس الكنسية التي تخالف قوانينها .
انظر : الخطاب رقم و ت ت / ٩/٨/ خ - ح / ٢٣/ أ " سرى للغاية " - مرجع سابق .

(٤) لائحة المدارس غير الحكومية لسنة ١٩٧٠م ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١/٢١/ ١٧٩ .

وبمدرسة الشجرة صبيٌّ من أبناء بحر أبيض ، ويدعى عثمان محمد الحاج عبد الرحمن ، كان يدرس الديانة المسيحية بشغف وحماس، لأنّ الأب وعده بدخول المدرسة الصناعية الكاثوليكية ، إنْ نجح في الديانة المسيحية .(١)

كذلك استطاعت مدرسة كمبوني عبر مجالس آباء صوري أن تستولي على تصديق ببناء مدرستين ابتدائيتين في حي مايو جنوب الحزام الأخضر ، في منطقة سكانها من أبناء الغور ، والاقليم الجنوبي ، وجبال النوبا ، والفونج وحفرت بئراً ، وعينت حارساً ، وأقامت كشكاً ، يأوى اليه أحد القساوسة " الطليان " ليشرف بنفسه على المدرسة . (٢)

وذلك بلا شك تنصير وغزو في ثياب تعليم ، وكان ذلك واضحا من شكاوى المسلمين بالحي الذين يغيب عنهم أبناؤهم ساعات في الصباح لعدة أيام ليعودوا اليهم يرسمون الصليب على صدورهم ، ويكتبون الأحرف الانجليزية على الأرض بأصابعهم ويترنمون بألفاظ غير معهودة . (٣)

ولما كان ذلك الهجوم الشرس واضحاً ، تنبّه إليه المسئولون فاتخذ قرار بالاستيلاء على تلك المدرسة ، وجعلها مدرسة وطنية . (٤).

---

(١) انظر: دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٢/٢/١٩ ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الخطاب رقم : أ ش س / أ م خ / ١٣ بتاريخ ١٩٧٣/٩/٢٦م ، من مهدى مصطفى الهادى أمين الاتحاد الاشتراكي بمحافظة الخرطوم ، للسيد أحمد الشريف الحبيب محافظ الخرطوم ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/٢/ ١٣.

(٣) زار الباحث تلك المنطقة عام ١٩٨٠م ، ووقف بنفسه على ما يدور فيها من تنصير واضح ومكشوف .

(٤) الذى اتخذ هذا القرار الجرىء هو السيد مهدى مصطفى الهادى أمين الاتحاد الاشتراكي بالخرطوم ، وقام في الوقت ذاته ببناء هذه المدرسة الوطنية في ستة أيام ، ورفع عليها علم السودان وقام بتدريس الحصة الافتتاحية فيها .
انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/٢/ ١٣.

وبالرغم من أنّ ذلك القرار قد اتخذ من أعلى سلطة في محافظة الخرطوم، إلاّ أنّ إدارة مدرسة كمبوني لم تستسلم للأمر ، فمارست ضغوطاً متعددة من جهات متعددة، ولما لم يجدوا طريقة ، ذهبوا إلى أسلوب آخر ، فقاموا بفتح روضة في الحي ذاته، وبتصديق من الجهات المسئولة ، محاربة لتلك المدرسة الوطنية التي انشئت مما أدى الى تناقص عدد التلاميذ والتلميذات في تلك المدرسة الوطنية ، بما تقدمه إدارة كمبوني من علاج وطعام ، ومساعدات في الروضة التي أنشأتها . (١)

ثم إنّ آباء فيرونا "Verona Fathers" الكاثوليك الذين يشكلون التكوين الطبقي لأكبر وأغنى مؤسسة في العالم يمثلون رأس الرمح في تنفيذ سياسة الفاتيكان، الرامية لنشر الدعوة المسيحية عن طريق النشاط التعلمي خاصة في البلاد الإسلامية ، من أجل ذلك شرعوا في بث دعايات مغرضة مسمومة بين صفوف الدارسين والدارسات من الجنوبيين في الأندية الملحقة بالكنائس ، من ذلك أنّ صبية كانت تعمل مع السيد أحمد حسن فضل السّيد (٢) ودارسة في نادى الكنيسة بالإمتداد ، ذكروا لها أنّ عيسى مات قتيلاً قتله محمد نبي المسلمين، أعداء المسيحية . (٣)

زد على ذلك ، قيام مدارس تابعة للكنيسة الكاثوليكية بدون تصديق من أيّ جهة مسئولة ، وفتح مايسمى بالمراكز الثقافية في الأماكن المأهولة بالفقراء من

---

(١) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/٢/ ١٣٠

(٢) السيد / أحمد حسن فضل السيد هو أحد وزراء الدولة للتعليم العام بجمهورية السودان في عهد مايو .

(٣) انظر: دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٩/٢/ ١٣٠

السكان ، علما بأن هذه المراكز الثقافية المزعومة تقبل أولاد النوبة والجنوبيين فقط ، وأن مناهجهـا غير واضحة ، وذلك في كل من السجانة ، والشجرة ، وبـرّى وأم بدة والمهدية .(١)

ثانيا : الملا حظات الخاصة بالمدارس الانجيلية السودانية : (٢)

إنّ مخططي التبشير المسيحي يعتقدون أنّه لابدّ من أن يكون المدرّس لمدارس الكنائس مسيحيا حتى يكون قادرًا على أن يطبق الحياة المسيحية على المبادئ الاجتماعية والسياسية ، ولذلك فهم يرون أنّ المعلم الأجنبي أفضل من المعلم الوطني خاصة إذا كان هذا الأخير مسلمًا ، ومن هذا المنطلق نجد أن حوالي ٩٧ ٪ من المدرسين الذين يدرّسون بالمدارس الإنجيلية في السودان عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م هم من أصول مصرية ، ومن المسيحيين من معتنقي المذهب الانجيلي .(٣)

---

(١) انظر خطاب محمد التوم التجاني وكيل وزارة التربية والتعليم بالإنابة الى وكيل وزارة الداخلية لعناية السيد الطيب عبد الله ، رقم و ت ت / أهلي / ٩/٨/خ /٣٢/ " سرى للغاية " بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٧٠م.
دار الوثائق المركزية ، تعليم / ١٩/ ٢/ ١٢.

(٢) هذه المدارس كانت أساسا تتبع للإرسالية الأمريكية ، وبإنهائها عملها في السودان سلمت مدارسها للكنيسة الإنجيلية السودانية ، وتتكوّن هذه المدارس (٦٦ - ١٩٦٧م) من ٦ مدارس بها ٦٩ فصلا تضم ٢٥٠٥ تلميذا منهم ٨٩ تلميذا فقط غير سودانيين .
نوع المدرسين الذين تعينهم والموجودون حاليا لا يساعد على تحقيق السير على المنهج السوداني .
انظر : وزارة التربية والتعليم ، التعليم الأهلي في عام ٦٦/ ١٩٦٧م - مرجع سابق .

(٣) انظر : مذكرة أمير الصاوي إلى وزير التربية والتعليم بتاريخ ١/٢/ ١٩٧٠م ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ، ١٩/ ٢/ ١٢.

وهذا ما يؤكد مقولة " هنرى جب "[1] من أن التعليم في مدارس الإرساليات ، المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين ، وشعوبا مسيحية .[2]

لذلك فانّ هذه المدارس كانت تسمى بالإضافة إلى التبشير "د ق الاسفين" وكانت على الحقيقة كذلك .

وكما أشرنا من قبل من أنّ المدارس الكاثوليكية لا تأبه بقرارات الوزارة ، فكذلك نلاحظ عدم ارتباط هذه المدارس الإنجيلية بالمناهج السودانية ، وعدم مسايرتها في بعض الاحيان للسلّم التعليمي الجديد ، دونما اكتراث للّوائح والقوانين المدرسية لوزارة التربية والتعليم التي تنصّ المادة " ٣٦" الخاصة بنظم الدراسة والمناهج والامتحانات على الآتي : " الأصل أن تسير الدراسة طبقاً للمناهج المقررة في جميع المراحل الابتدائية ، والثانوية العامة ، والثانوية العليا ، ولايجوز أن تختلف مراحل التعليم ، أو سنوات الدراسة في أى مدرسة غير حكومية عنها في المدارس الحكومية"[3]

---

(١) **هنرى جب** : مستشرق انجليزى ، ولد في مدينة الاسكندرية " مصر " في الثاني من يناير ١٨٩٥م ، تعلم في اسكتلندة في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبره في عام ١٩١٢م ، دخل جامعة أدنبرة ، حيث تخصّص في اللغات السامية العربية ، والعبرية والآرامية .
خلف " سير توماس آرنولد " كمحرر بريطاني " لدائرة المعارف الاسلامية ".
له آثار كثيرة في الأدب العربي والتاريخ الاسلامي ، توفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١م في اكسفورد .
انظر : عبد الرحمن بدوى - موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) انظر : دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/ ٢/ ١٢ .

(٣) لائحة المدارس غير الحكومية لسنة ١٩٧٠م ، المرجع السابق .

ومثالا لذلك نذكر : مدرسة الاتحاد الإنجيلية الثانوية العامة بالقضارف التي تقوم بجانب ما ذكرنا بأنشطة تنصيرية للطالبات المسلمات خارج الدوام المدرسي ، من ذلك قيام " المسز روث ولسون " الأمريكية المدرسة بالمدرسة المذكورة بدعوة التلميذات إلى منزلها بحجة تعليمهن الخياطة.. ومن ثم تجد فرصتها كاملة في تنصيرهن وزعزعة عقيدتهن الاسلامية ، ممّا أدى الى احتجاج الطالبات وأولياء أمورهن ، ورفعوا بذلك شكوى الى الجهات المسئولة.[1] وكذلك فعلت طالبات المدرسة الانجيلية بمدني [2]

ثالثا : الملاحظات الخاصة بمدارس الارساليات الأمريكية :

بعد أن أحيطت المدارس الأجنبية كتابة بقرار الوزارة القاضي بتدريس الدين الإسلامي للمسلمين من الطلبة والطالبات بمدارسهم [3] ، وانتداب من يقوم بتدريسه ، وضعت الإرسالية الأمريكية للبنات بالخرطوم بحرى التي تبلغ

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : المكاتبات الخاصة بالمدارس الأجنبية والخاصة ، خطاب رقم ج / أ /أ /ت / ق /١ بتاريخ ٢١/٩/١٩٧٠م.
دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، تعليم ١٩/٢/ ١٢ .
وكذلك : الخطاب رقم و ت ت / ٩/ ٨/ ١ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٧٠م ،
دار الوثائق المركزية بالخرطوم تعليم ١٩/١/ ٢ .

(٢) انظر : المكاتبات الخاصة بالمدارس الأجنبية والخاصة ، الخطاب رقم و ت ت / ٩/ ٨/ ن ج / ٥ بتاريخ ٢٤/ ٨/ ١٩٧٠م .
دار الوثائق المركزية بالخرطوم تعليم ١٩/ ٢/ ١٢ .

(٣) انظر : الخطاب رقم و ت ت / ٩/٨/خ ج / ٢٣ / أ " سرى للغاية " ، دار الوثائق المركزية ، تعليم ١٩/ ١/ ٢ .
وكذلك الخطاب رقم و ت ت /٩/ ٨/ خ ج / ٣٢ ، المرجع نفسه ،
وكذلك الخطاب رقم و ت ت / ٩/ ٦/ ١٢ / مناهج " سرى وعاجل ".
دار الوثائق المركزية ، تعليم ٢٠/٥٧.

نسبة الطالبات المسلمات في القسم الثانوى منها ٩٠ ٪ ، ونسبتهن في القسم الأوسط ٧٠ ٪ [(١)]، وضعت هذه الإرسالية عراقيل عدّة أمام هذه القرارات للحيلولة بينها ، وبين أهدافها الرامية إلى بعث الروح الإسلامية ، وتثبيت العقيدة الإسلامية بين الدارسين والدارسات .

* نذكر من هذه العراقيل الآتي :

(١) فرض الرقابة اللصيقة على الأساتذة المنتدبين لتدريس الدين الاسلامي ، ومن ذلك ماذكره الاستاذ أحمد المصطفى الطاهر كبير مفتشي الدين بالوزارة في تقريره عند تفتيشه لهذه المدرسة أنّه اثناء تفتيشه لاحدى الفصول وقع بصره على سيدة تجلس في الركن ، وفي مؤخرة الفصل ، وعندما استفسرها عن وجودها داخل الفصل وأثناء الدّرس ، أجابت بأنها مراقبة وتجلس في الفصل بأمر من ادارة المدرسة .
والأعجب من ذلك أنّ هذه السيدة التي نصبت من نفسها مراقبة داخل الفصل هي خاصة بالاستاذ مدرس الدين الإسلامي بالمدرسة تلازمه في كل الحصص ، وفي كلا القسمين الأوسط والثانوى ، ولا تكون مع غيره من المدرسين والمدرسات للمواد الأخرى مع وجودهم بالمدرسة . [(٢)]

(٢) الطالبات المسلمات في القسمين يؤدين حصة الدين بحجرة السفرة وهي بالطبع مكان غير مناسب ، وغير مريح لطالبات في الوسطى والثانوى لأن الدروس في هذين القسمين تحتاج لوسائل الايضاح ومن أهمها السبورة التي لا وجود لها ، ولا مكان لها في تلك الحجرة المعدة في الأساس للطعام ، وانما يستعاض عنها بالجدار في كتابة التاريخ وعنوان الدرس ، وايضاحاته ، علاوة على أن الوضع

---

(١) انظر : تقرير عن تفتيش الدين بالمدرسة الأمريكية الإرسالية للبنات بالخرطوم بحرى دار الوثائق المركزية تعليم ١/١٣/١٠٥ .
(٢) انظر : المرجع نفسه .

غير مريح لا للأستاذ ولا للطالبات لاختلاف الاتجاه وتباعد الأمكنة . [1]

كل ذلك من أجل تنفير الطالبات المسلمات وزحزحتهن عن عقيدتهن الاسلامية .

(٣) يطالب الطالبات المسلمات المقيمات بداخلية المدرسة من القسمين الأوسط والثانوى ، بتأدية شعائر غير الدين الاسلامي [2] ، وفي ذلك مخالفة صريحة للمادة " ٣٨" من لائحة المدارس غير الحكومية لسنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م التي تنص بأن تتبع المدرسة منهجا لا يخالف النظام العام والآداب ، ولا يتعارض في أى صورة من الصور مع مصلحة البلاد . [3]

وبعد :

فبجانب ما ذكرنا من الأساليب التي نهجتها هذه الإرساليات في الغزو الفكرى الذى كان له مردوده السيء على عقيدة الناشئة وفكرهم ، لا يفوتنا أن نذكر أن اللوائح التي وضعت في هذه الفترة بشأن تنظيم عمل هذه الإرساليات ، وضبطها لمسايرة المنهج القومي ، تحوى من الثغرات والغزو ما سهل مهمة هذه الإرساليات في غزوها الفكرى للبلاد .

فنقرأ مثلا في المادة " ٣٦" أن : " الأصل أن تسير الدراسة طبقا للمناهج المقررة في جميع المراحل ، ولا يجوز أن تختلف مراحل التعليم ، أو سنوات الدراسة في أى مدرسة غير حكومية عنها في المدارس الحكومية .

وإذا رأت أى مدرسة غير حكومية أن تدرّس لغة أجنبية أو أكثر في المرحلة الابتدائية ، أو أن تتوسع في دراستها في المرحلتين الثانوية العامة ، والثانوية العليا ،

---

(١) انظر : تقرير عن تفتيش الدين بالمدرسة الامريكية الارسالية للبنات بالخرطوم بحرى ، المرجع السابق .
(٢) انظر المرجع نفسه .
(٣) انظر : لائحة المدارس غير الحكومية ، المرجع السابق .

أو تدريس المواد غير الدين الاسلامي ، والعلوم الاجتماعية بلغة أجنبية فعليها أن تتقدم بطلب بذلك لمساعد الوكيل المختص الذى يرفعه مشفوعا بملحوظاته للسيد الوزير للبتّ فيه " . (١)

أما المادة " ٣٧" فتقرأ : " على المدارس غير الحكومية التي ترغب في تدريس مناهج خاصة ، أو تقتصر على دراسة لغة أو لغات أجنبية خلافا للمنهج الرسمي ، أن تتقدم بطلب بذلك لوزارة التربية والتعليم العالي للبتّ فيه بواسطة الوزير " (٢)

وتقرأ الفقرة الثانية من المادة " ٣٩" من اللائحة : " ... ويجوز للوزير إعفاء المدرسة من تدريس مادة الدين لأى مجموعة من التلاميذ من ديانة واحدة في أى فصل ، إذا كان عدد هؤلاء التلاميذ يقلّ عن عشرة " (٣)

فعبر هذه اللوائح المستوردة نفذت تلك الإرساليات مخططاتها ، ونالت الصبغة القانونية ، وصاغت مناهجها الدراسية على نهج المناهج الموجودة بالمدارس المماثلة لها في بريطانيا بصفة خاصة ، بحيث تتهيأ الفرص لتلاميذ هذه المدارس من أن يكملوا تعليمهم في جامعات بريطانيا ، فنشأت نتيجة لذلك امتحانات ، ومناهج أكسفورد ، وكمبردج ولندن .

والذى يندى له الجبين أن لجنة القبول قد طبقت في هذه الفترة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : قرار زيادة درجات الشهادت الأجنبية بنسبة ١٠ ٪ من درجات الشهادات السودانية فارتفعت نسبة المقبولين من تلك الشهادات " شهادة لندن " بحوالى ثلاثة أضعاف

---

(١) لائحة المدارس غير الحكومية - المرجع السابق .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه .

ونصف على مستوى جامعة الخرطوم ككل .[(١)]

وقد أدّت هذه الهيمنة إلى ظهور مشكلة أكاديمية اجتماعية بين طلاب المدارس الحكومية ، وإدارة جامعة الخرطوم ، ولجان القبول ، مازالت قائمة حتى الآن ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

---

(١) في اجتماع لمجلس اساتذة جامعة الخطوم عام ١٩٧٨م تعرض المجلس الى موضوع شروط القبول للجامعة ، وضرورة مراجعتها وخرجت اللجنة التي كونت بنتيجة مؤدّاها أنّ الشهادة السودانية ضعف مستواها بعد عام ١٣٩٠ - ١٩٧٠م ، وأنّ نوعية الطلاب ليست هي النوعية المطلوبة للدراسة ، وتبعاً لذلك فان ضعف الشهادة السودانية لا يتناسب مع طريقة التقييم المتبعة خاصة بالمقارنة مع الشهادات الأجنبية التي هي على حدّ تعبيرهم قد تضرّرت كثيرا ، ولذلك أوصت اللجنة مجلس الأساتذة بالأخذ بزيادة درجات الشهادات الأجنبية بنسبة ١٠٪ في حين أننا إذا قارنّا الامتحانات التي تقدم للطرفين من حيث المادة وكثافتها لعلمنا أنّ هذه الزيادة ليست موفقة .

لمزيد من التفصيل انظر : د . صديق أمبدة ، سياسة القبول للتعليم العالي ، والآثار المترتبة عليها باشارة خاصة الى جامعة الخرطوم - مخطوط بمركز الدراسات والبحوث الإنمائية كراسة رقم (٦٠) فبراير ١٩٨٥م.

وهذه نسبة كبيرة جدا بكل المقاييس ، وتستوجب إجراء تحقيق حولها لمعرفة المسئولية عن هذا القرار الغريب المشبوه .

* المبحث الثامن : وضع اللغة العربية والتربية الاسلامية في الاقليم الجنوبي :

واجهت اللغة العربية في هذه الفترة موقفا صعباً حرجاً في الجنوب السوداني ولولا قوتها وما تتمتع به من ميزات لا توجد في اللغات الأخرى لاندثرت وانحسرت أمام تلك الضربات الموجعة المتوالية .

فقد حدث بعد اتفاقية " اديس آبابا " (١) - التي أعطت الجنوب قدراً كبيراً من الامتيازات المحلية - وجوّ نفسيّ مشحون ومعبأ ضد اللغة العربية والتربية الإسلامية .

ووسط بعض شعارات المتطرفين بطرد العرب ، والقضاء على العربية باعتبارها لغة أجانب ومستغلين ، وتحت ضغوط الواقع المرّ بمجيء اللاجئين الذين درسوا في يوغندا ، وزائير باللغة الانجليزية (٢) ، أخذ واقع تعليمي جديد يبرز ، ويثبت نفسه على أساس اللغة الانجليزية لغة للتدريس في المديريات الجنوبية ، وبدلاً من أن يطلب الجنوب المزيد من مدرّسي اللغة العربية ، وبدلاً من أن تكثّف الدولة جهودها في إيصال الكتب ، والمواد المعرّبة ، حدث العكس تماماً . (٣)

هذا الواقع الذى هو في الأساس من صنيع وتدبير الدوائر الغربية ، والمؤسسات الكنسيّة ، خلق مناخا خصباً استغلّته تلك المؤسسات والمنظمات الغربية المشبوهة ، في غزو عقائد المسلمين وزعزعة أفكارهم الاسلامية ، بمحاربة اللغة العربية ، وإفساح المجال للّغات المحلية التي فشل المبشرون والاستعماريون في فرضها طيلة أكثر من نصف قرن من الزمان .

---

(١) وقعت هذه الاتفاقية بين حكومة الرئيس جعفر نميرى والمتمردين الجنوبيين " الأنانيا " في عام ١٩٧٢م باديس أبابا .

(٢) انظر : حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .
وكذلك انظر : الأمين صالح أبو اليمن ، موقف اللغة العربية في الجنوب جهود الاصلاح والجهود المضادة ، موضوع في طريقه للنشر ص ٨ .

(٣) انظر : حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ص ٤٣ .

وبدعم من المؤسسات الكنسية ، والأمريكية ، وبصفة خاصة الوكالة الأمريكية للتنمية العالمية " أيو " " A . I . O " أخذ معهد اللغات بمريدى في إعداد مناهج المدارس على أساس اللهجات(١) المحلية بترقية اللغات واللهجات(١) السائدة ، كما حدث في مؤتمر الرّجاف عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٨م اضعافًا للغة العربية ، وإماتتها ، تمهيدًا لسيادة هذه اللهجات وفرض واقع لغوى جديد ، مما أدىّ إلى مزيد من التمزق في كيان الأمة ، وكراهة للغة العربية ، والدين الإسلامي .

وكانت النتيجة أن باشرت مدارس القرى في المديرية الإستوائية تطبيق هذه المقررات التي وضعها معهد اللغات بمريدى بدعم من الوكالة الأمريكية حتى

---

(١) المفهوم اللغوى المتفق عليه بين علماء اللغات في التفريق بين اللغة واللهجة هو : اعتبار " اللهجة " نمط من أنماط اللغة ، يحمل بعض الاختلافات اللغوية " الصوتية " والنحوية ، أو الدلالية " عن النمط أو الأنماط الأخرى لذات اللغة ، مثل : لهجة طي ، والحجاز وتميم في اللهجات العربية القديمة وفي الحديثة ، نجد : لهجة مصر والسودان والمغرب ولهجات اللغة الإنجليزية كاللهجة الإسكتلندية ، واللهجة الأمريكية ، ولهجة الإذاعة البريطانية الـ . بي . بي . سي ...... الخ .

أما إذا كان هذا التطور واسعًا ، أى نشأ عنه اختلافات كبيرة تجعل القدر المشترك بينهما ضئيلاً حتى يتعذر التفاهم بين المتكلمين بهذه الأنماط ، فنحن إذًا أمام " لغتين مستقلتين " لا لهجتين " للغة واحدة " وخير مثال لذلك تطور اللغة اللاتينية .

انظر : د. يوسف الخليفة أبو بكر ، ود . سيد حامد حريز ، الخريطة اللغوية للسودان ، ووضع اللغة العربية فيها ، المؤتمر الأول للغة العربية في السودان ، قاعة الصداقة ، الخرطوم من ١٦-٢٢ صفر ١٤٠٣هـ - ١-٦ ديسمبر ١٩٨٢م ص ٢ ، ٣ .

المرحلة الرابعة من نظام مدارس القـرى .[1]

وتدخلت منظمة عالمية أخرى، عرفت بـ " المعهد الصيفي للغات "[2] "S.I.L Summer Institute of Linguistics في الإقليم الجنوبي عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، وعرضت خدماتها على حكومة الإقليم ، وقدمت بين يديها الأسباب والدوافع التي حدت بها لذلك العرض ، والتي ملخصها : أن الطفل في الإقليم الجنوبي ينشأ على لغة محلية ، وبيئة الطفل محدودة ، ومقدرته على التفكر والخيال لا تتجاوز خبراته اللغوية المحدودة ، فعندما يأتي الطفل إلى المدرسة الإبتدائية وعمره ست أو سبع سنوات ، يفاجأ بلغة أخرى لم يتعود عليها في المنزل ، فيتسبب هذا في صعوبات عديدة ، قد تؤدي إلى إخفاق هذا الطفل في الاستمرار في التعليم مستقبلا . ولذلك فإنّ الحل الأمثل هو أن يتعلم الطفل في سنواته الأولى في المدرسة الإبتدائية بلغة الأم ، وبعد ذلك بالتدرج يمكن أن يستعمل لغات أخرى .

وحيث أنّ بالإقليم الجنوبي لهجات أخرى محلية عديدة ، وأغلب هذه اللهجات لم تكتب بعد ، فإنّ المنظمة على استعداد للقيام بهذا العمل ، بإمداد المشروع

---

(١) انظر : حسن مكي، المرجع السابق ، ص ٤٤ نقلاً عن : Gill Scharer Advisor for English at the Maridi curriculum development centre, Sudanow .

وكذلك انظر د . يوسف الخليفة أبو بكر ، ود. حريز ،المرجع لاسابق، ص ٣٦.

(٢) " سل " منظمة عالمية تعمل في مجال الأنشطة التعليمية ، مقرها بأمريكا ويستعين بالخبرات السويدية ، وجنسيات أخرى تتفق معها في الأهداف ، بدأت عملها في السودان عام ١٩٧٢م ، وهدفها الأساسي : تسجيل وكتابة وتقعيد اللهجات المحلية للمحافظة عليها من الانقراض ، باستعمالها في التعليم والاستفادة من ذلك في ترجمة الإنجيل إلى أكبر عدد ممكن من اللغات .
انظر : مقابلة مع الأستاذ الأمين صالح أبو اليمن ، بمكة المكرمة ، بتاريخ ١٣ شوال ، ١٤٠٨هـ ، وكذلك: موقف اللغة العربية في الجنوب جهود الإصلاح والجهود المضادة ، مرجع سابق ، ص ١٠.

بما يحتاج إليه من خبرات بشرية وإمكانات مادية .[١]

واستطاعت هذه المنظمة بمكرها ودهائها ، وامكانياتها الضخمة عقد اتفاقية خطيرة مع الحكومة الإقليمية في الجنوب ، تخول لها بموجبها القيام بالتخطيط التربوى في الإقليم الجنوبي[٢] رغم أنها من المنظمات المحظورة في عدد من الدول[٣] بتهم التجسس والإرهاب ، وعدم الاحتياج لها أساساً كما هو بالنسبة لنيجريا .[٤]

ذلك كله لمحاربة ، واقصاء اللغة العربية ، والتخلص منها بالتدريج بعد أن فشلت ، وأخفقت القوانين ، واللوائح الاستعمارية ، في الحد من انتشارها فيما سبق .

ولعل خطورة هذه المنظمة التي نصّبت نفسها راعية ومحافظة للغات واللهجات المحلية في الجنوب السوداني ، استهوافها للغة العربية ، تظهر جلياً من خلال أهدافها المتمثلة في[٥] :

(١) القيام ببحوث لغوية في سبيل تطوير اللغات المحلية الجنوبية .

(٢) تدريب العاملين .

(٣) إعداد مواد تعليمية لتعليم الكبار باللغات المحلية ثمّ باللغة المحلية القومية .

(٤) تطوير النظام الكتابي لكتابة اللغات التي لم تكتب من قبل وتسجيلها بالحروف اللاتينية .

---

(١) انظر: المقابلة السابقة مع الأُستاذ الأمين أبو اليمن .

(٢) وافقت الحكومة الاقليمية بعد أن عرضت الأمر على مجلس الشعب الإقليمي في عام ١٩٧٢م .

(٣) طردت هذه المنظمة من كل من نيجيريا ونيبال ، وكولومبيا والاكوادور وبيرو .
انظر: حسن مكي ، السياسة التعليمية ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٤) انظر: المرجع نفسه ، ص ٤٢ .

(٥) انظر : الأمين أبو اليمن ، موقف اللغة العربية في الجنوب ، المرجع السابق ، ص ٢ .

(٥) ترجمة الإنجيل إلى اللغات المحلية الإفريقية .

وبناء على تلك الفرصة التي سنحت لهذه المنظمة ، وتحقيقا لأهدافها ، توجهت المنظمة بنداء لطلب المعونة ، وفي ظرف شهر واحد ، كان لديها مبلغ وافر من التبرعات من عدة دول أوربية أعلاها تبرع من الحكومة الأمريكية بمبلغ مليون دولار ، وتبرعات ضخمة كذلك من السويد . (١)

واستعانت المنظمة بفرق من الطلاب والطالبات حديثي التخرج ، أغلبهم متطوعون من السويد ، بعد أن قامت بتدريبهم على كيفية جمع المادة اللغوية في الجنوب ، واستعانت كذلك بأخصائيين في الدراسات اللغوية التطبيقية ، واخصائيين في إعداد المناهج والكتب ، يختارون الموضوعات والأفكار المناسبة لعمر الطلاب وبيئاتهم والتي تخدم أغراضهم ، ويصوغون المادة التعليمية باللغات المحلية مكتوبة بالحروف اللاتينية في سلسلة تعليمية تبدأ بكتب لتدريب البصر على التمييز بين الأشكال تمهيدًا للتعرف على خصائص الحروف اللاتينية ، ثم تبدأ سلسلة من الكتب المتدرجة ، مطبوعة طباعة أنيقة على ورق جيد ومعززة بالصور الملونة ، كلّ ذلك يتم انتاجه في مدينة جوبا . وتوجد بمكاتب المنظمة بجوبا مستشار لكل لغة ، من اللغات التي يدور العمل فيها ، وهذا المستشار من السودانيين الذين يتحدثون اللغة التي يدور العمل فيها كلغة أم ، وهو كمرجع يرجع إليه عند الحاجة للتأكد من بعض الأصوات أو المفردات أو التعابير . (٢)

---

(١) انظر : الأستاذ الأمين صالح أبو اليمن ، اللغة العربية في الجنوب ، مرجع سابق ، ص ٢ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٢.

وقد تمكنت هذه المنظمة بفضل تسخير امكانياتها الضخمة [(١)] من إعداد مواد تعليمية بخمس لغات محلية هي [(٢)] :

(١) لغة الدينكا (٢) لغة الباريا

(٣) لغة الكريش (٤) لغة اللاتوكا

(٥) لغة الزاندى

هذه اللغات صارت كتبها بأيدى الطلاب ، وهناك خمس لغات أخرى بقي العمل فيها مستمرًا ، وقد ارتحلت المنظمة لتباشر عملها من كينيا لعدم استقرار الأوضاع في الجنوب السوداني .

و نتيجة لتلك الهجمة الشرسة المنظمة ، فقد انهار النظام التعليمي في الإقليم الجنوبي إلى حالة من الفوضى ، وبناء على السياسة التعليمية التي سادت وسط ذلك الوضع الجديد ، أصبح معظم المدارس الثانوية العليا تستخدم اللغة الإنجليزية كلغة تدريس ، والبقية التي تستخدم العربية في طريق التحول التدريجي ، أما المدارس المتوسطة ، فأصبحت تستخدم اللغتين العربية والإنجليزية ، وفي المدارس الريفية فقد سادت اللهجات المحلية ، وقليل من الإنجليزية والعربية أمّا مدارس القرى ، فاستخدمت اللهجات المحلية على اختلاف في النوع و الدرجة في كل مديريــة . [(٣)]

---

(١) نجد في كل معسكر من المعسكرات التي أنشأتها هذه المنظمة ، مولد كهربائي وثلاجة ، وأجهزة اتصال تصلهم بالمناطق الأخرى ، وبكل مركز دبابة نارية ، وعجلتين على الأقل ، وتزود المراكز الكبيرة منها بسيارة لاندروفر ، أما رئاسة المنظمة في جوبا فإنّها تمتلك طائرة صغيرة تقلع يوميا ، وأعدت لها أربعة مطارات خاصة بالإضافة إلى المطارات العادية في المدن .
انظر الأمين صالح أبو اليمن ، موقف اللغة العربية في الجنوب ، مرجع سابق ، ص ٣ .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٤

(٣) انظر : حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

هذا الوضع الجديد أدّى إلى بعث جديد للنشاط الكنسي الذى انحسر فيماسبق بسبب تدخل الحكومة المركزية في التخطيط للتعليم في الجنوب ، وحصر النشاط الإسلامي في الجنوب بصفة عامة ، وفي المدارس بصفة خاصة ، من ذلك :(١)

(١) الطلاب المسلمون في بعض المدارس يضطرون إلى حضور حصص الدين المسيحي وامتحان الدين المسيحي ، نسبة لانعدام كتب التربية الإسلامية ، مع سهولة الحصول على كتب التربية المسيحية ، وتوفر أساتذتها ، وسهولة امتحاناتها .

(٢) أدّى ذلك الجو النفسي المشحون ضد المسلمين ، وكراهية المجتمع لهم بما غرسته الكنيسة ، والدوائر الغربية من أنّ المسلمين ماهم إلاّ عملاء للشمال ، وغرباء عن مجتمعهم ، أدّى إلى إخفاء بعض الطلاب المسلمين ، انتماء هم الديني ومسايرة حركة الطلبة ، أو المدرسة التي تسيطر عليها الكنيسة .

(٣) أساتذة اللغة العربية ، والتربية الإسلامية ينظر لهم نظرة احتقار ، وقليلاً ما يلحقون بالدورات التدريبية ، كما أنّ ، حقهم في الترقيات مبخوس ، كل ذلك نتيجة لارتباط اللغة العربية بالعنصر الشمالي ، والحرب الأهلية ، وصراع الإسلام والعروبة مع المسيحية والإنجليزية ، الذى أجّج أوارها ، وأيقظ فتنتها تلك المنظمات الغربية المشبوهة التي ادعّت الوصاية على الجنوب السوداني .

(٤) النقص المريع لكتب التربية الإسلامية في المدارس ، يرجع سببه إلى أنّ الوزارة ، الإقليمية ، لا تضع كتب التربية الإسلامية في قائمة طلباتها ، إذ أنّ الإقليم

---

(١) انظر : حسن مكي محمد أحمد ـ السياسة التعليمية ، والثقافة العربية في جنوب السودان ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

يشكو أصلا من قلة الموارد ، وأيّ مورد يتاح ، فإنّما يستخدم لجلب ماتيسر من كتب المواد الأخرى ، وقد أدى الاهمال ، وعدم الاهتمام بالتربية الإسلامية والتغافل عنها ، وعدم وجود الكتاب والمعلم المتمسك بدينه ، أدى إلى أنّ كثيرًا من الطلاب المسلمين بالإقليم يروحون ضحية لذلك المخطط الكنسي .

* * *

الفصل الثالث

نماذج من الغزو الفكرى فى المادة المقررة

مرحلة ما بعد الاستقلال

تمهيـد :

أولا : مادة التـاريخ

ثانيـا : مادة الجغرافيا

ثالثـا : مادة علم الاجتماع

رابعـا : مادة العلوم

خامسا : مادة اللغة العربية

سادسا : مادة الفلسفة

سابعا : مادة اللغة الانجليزية

* **تمهيــد :**

العمليــة التربوية عمليــة متكاملــة،هدفها العام هو إعداد العبد الصالح المؤمـــن بالله رب العالمين ، الذى تتسـم حياته كلّها بالاستقامة على منهج اللـــه تعالى : ﴿ قل إنَّ صلا تي ونسكي ومحياى ومماتي للّـه ربّ العالميـــن ﴾.(١) ولذلك كان لابد لمن يخططون لتحقيق هذا الهدف الأسمى في البلاد الإسلامية ألاّ يغفلـــوا جانبًا من الجوانب التي يمكن أن تؤثـر عليـه سلبًا أو ايجابًا .

وممّا يؤسـف لـه أنّ الاستعمار قد أورثنا نظامًا تعليميًا أقل مايمكن أن يقـــال عنه أنّه أحدث فصامًا مشئومًا بين مادة التربية الإسلامية والمواد الأخرى ، وكان ذلك بالطبع هدفًا من أهداف المستعمر الذى لم يكن لـه هم، سوى غرس المفاهيـــم العلمانيـة في نفوس الناشئة ، وعلى رأس تلك المفاهيم إبراز مفهوم عدم وجـود صلـة بين الديـن والعلـم ، وهو مفهوم آمن بـه الغرب كنتاج للصراع المريـــر بين الكنيسة والعلـم .(٢)

وقد اتخذ الاستعمار من المواد التّعليمية وسيلـة لتحقيق أهدافه ومآربـه ، وذلـك ببذر الشكوك ، وإثارة الشُّبهات حول بعض الآيات القرآ نية ، وتصنيف المـــواد الدراسية إلى مواد ثانوية ، وأوليّـه ، وزرع الأفكار ، كالماركسية والإشتراكيـــة والإنسانيـة والقوميّـة التي لها أثر فعّال على عقيدة التّلميذ ، ومن ثم تنعكـــس على أخلاقـه وسلوكه .

وفيما يلي نضرب بعض الأ مثلة لما ذكـــرنا :

---

(١) سورة الأ نعام الآية / ١٦٢

(٢) انظر : محمد عثمان أحمد إسماعيل ، دور المواد الأ خرى في تحقيق أهداف العمليـــة التّربوية ، مرجع سابق ، ص ٢ .

* **أولا : مادة التاريـــخ :**

لقد كانت مادة التاريخ - كما سبق وأن ذكرنا - من أخطر المواد التي أوتينا من قبلها ، فقد كانت مقرراته بجانب تركيزها على تاريخ أوربا وعظمائها وتاريخ الفراعنة، وعصور ماقبل التاريخ [1] - كما يسمونه - كان في الوقت ذاته تتجاهل تاريخ الإسلام ، وتقدّمه بصورة شائهة منفّرة ، حشيت مقرراته كما يقول الدكتور / سفر الحوالي : " بدسائس المستشرقين ، وسموم المبشرين وكتبت بأساليب شديدة التأثر بالأساليب الغربية التي تفسر التاريخ تفسيرًا ماديًا ، أو على ضوء رؤى فلسفية خاصة مع إسقاط أو التقليل من قيمة العامل الإيماني الذى هو أسس العوامل في التاريخ الإسلامي " [2]

وعلى سبيل المثال نتناول الكتب التالية :

(١) كتاب : من تاريخ السودان - للصف الرابع الإبتدائي - شعبة التاريخ ببخت الرضا دار النشر التربوى الطبعة العاشرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م :

يبدأ هذا الكتاب بالحديث عن مملكة نبتة وملوكها وفراعنتها ، والآلهة التي كانت تعبد كآمون رع ، والمعابد التي أنشئت ، مع التركيز بصفة عامة على ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وبصفة خاصة على الملك بعانخي، الذى كان وقومه يعبدون إله الشمس المصرى ، ويصف الكتاب بالتفصيل كيف أنّهم بنوا الإهرامات ، والمعابد ، وصنعوا التّماثيل الحجرية الضخمة، تماثيل الآلهة ، مع بسط القول في كيفية دفن عظمائهم في المقابر الخاصة، مع ممتلكاتهم الغالية ،

---

(١) لقد صيغ منهج التاريخ في قالب غربي ، فهو مقسم أقساماً ثلاثة كبرى :(١) التاريخ القديم : وهو يشمل الحضارات الجاهلية القديمة التي لا توصف بذلك اطلاقاً .
(٢) تاريخ العصور الوسطى : ويشمل فترة ماقبل ظهور الإسلام بقليل ثم يندرج فيه تبعا للمنهج الغربي، التاريخ الإسلامي كلّه تقريبًا . (٣) التاريخ الحديث ، ويبتدىء ، غالبًا من حملة نابليون على مصر وينتهي بالتاريخ المعاصر .
يقول الدكتور سفر الحوالي معلقا على هذا التقسيم: "ولايخفى مافي هذه القسمة في حد ذاتها - من ايحاءات ودلالات". سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م ص ٦١٠.

(٢) د . سفر الحوالي، العلمانية ، مرجع سابق ، ص ٦١٠.

كالذهب ، والأواني والأسّرة والخيول ... الخ .[1]

نجد ذلك مدعمًا بصور لبعض مدافن الأسرة المالكة بنبته على شكل إهرامات بالسودان[2] ، وكذلك صور للإله آمون رع[3] ، وصورًا لكنيسة دنقلا العجوز.

نفس هذه المشاهد نجدها تتكرر في كتاب :

«التاريخ القديم للوطن العربي ، للصف الأول المتوسط»[4]، الذى هو عبارة عن كتاب : «نحن وأجدادنا» المقرر للصّف الثّاني الإبتدائي ، وكتاب : «من تاريخ السودان» للصف الرّابع الإبتدائي ، فقط نجد أنّ في العرض شيئًا من التفصيل مع بعض الزيادات التي يستوجبها عنوان الكتاب .

وقد عُنِى كتاب التاريخ القديم، بتطبيق ماجاء في كتاب نحن وأجدادنا ، على الواقع السوداني والمصرى مع التركيز على عصر ماقبل التاريخ ، وبنفس التقسيم والتفصيل الوارد في كتاب : أصل الأنواع لدارون[5] حيث تجد على سبيل المثال في كتاب ، التاريخ القديم للوطن العربي، ماتجده تفصيلاً في كتاب أصل الأنواع لدارون ، كما جاء في الصفحات من ٤ـ ١١ عند الحديث عن العصر الحجرى بتقسيماته الثلاثة الحجرى القديم ، والحجرى الأوسط ، والحجرى الأخير ، أو الحديث .. مع ذكر بعض الاكتشافات كالزراعة ، والتقويم والكتابة وصناعة الورق ، كما نجد المعلومات ذاتها بتفاصيلها ، مع حذف أو اضافة، في كتاب نحن وأجدادنا المقرر للصف الثاني الإبتدائي .

---

(١) انظر : كتاب : من تاريخ السودان المتقدم ، ص ١٨ ـ ٢٥.
(٢) انظر : المرجع نفسه ص ٢٠
(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٢٣
(٤) تأليف شعبة التاريخ ، معهد التربية بخت الرضا ، دار النشر التربوى.
(٥) انظر : دارون ، أصل الأنواع ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة بيروت ، بغداد ص / ٤٥ ومابعدها .

كذلك نجد في كتاب التاريخ القديم للوطن العربي، مايُعَدُّ تكراراً لمعلومات سبق ورودها، كالتركيز على التاريخ القديم، والممالك والإمبراطوريات القديمة، قبل ميلاد المسيح عليه السلام، كالمملكة المصرية القديمة، والمملكة المصرية الوسطى، ومملكة نبتة، والحضارة السُّومريَّة، والأكاديون والفينيقيون والعبرانيون والإغريق والرُّومان ... الخ .

كذلك عُنِي الكتاب، وبشكل ملفت للنَّظر، بذكر كثيرٍ مما ورد في كتاب" من تاريخ السودان للصف الرابع" المتقدِّم -، كالتَّماثيل والآلهة التي كانت تعبد والمعابد التي أُنشئت لعبادة هذه الآلهة، والمقابر التي بنيت للملوك مع ذكر أسماء الملوك، وقد وردت في ثنايا الكتاب، أسماء كثيرة، أعجمية مندثرة، لا تحمل أي مضامين إسلامية، ولاقيم أخلاقية .

وكمثال للأسماء الأعجمية التي وردت في كتاب التاريخ القديم "وَحْدَهُ" نوردها تفصيلاً فيما يلي لمعرفة مدى الزَّخم والحشو الذى أصاب مناهجنا .

(أ) أسماء الآلهة التي ورد ذكرها في الكتاب :

١ - الإله آمون رع الصفحة ١٥

٢ - الإله خنوم إله البحر الصفحة ١٩

٣ - الإله آتون الصفحة ٢٤

٤ - الإله مردوك إله بابل الصفحة ٥٠

٥ - الإله عشتار إله الحب الصفحة ٥٢

٦ - الظواهر الطبيعية من كواكب ونجوم فهي جميعها آلهة .

٧ - الإله إيزيس في بلاد الإغريق الصفحة ٨٣

(٢) المعابد التي ورد ذكرها :

(٣) أسماء الملوك والرؤساء :

٣٧ ـ نيوخـذ نَصَّر عام ٥٦١ ق.م الصفحـة ٥٧

٣٨ ـ قورش ملك الفرس الذى غزا بابل الصفحة ٥٧

(٤) ويعتمد الكتاب كذلك على الكشوفات التي أشرف عليها الغربيون من رجال الآثار والمؤرخيـــن مثل :

١ ـ عالم الآثار آركل مؤلف كتاب الخرطوم القديمة الصفحة ٦

٢ ـ هيرودوت ـ المؤرخ الإغريقـــــــــــي الصفحـة ٨

٣ ـ شامبليون الفرنسي الذى فك رموز الكتابة الهيروغيلفية الصفحة ١٢

٤ ـ المؤرخ برستد الذى أطلق على تحتمس الثالث لقب (نابليون مصر) الصفحة ٢٤

كما درج الكتاب على ذكر أسماء لمدن قديمة ـ الله أعلم بحقيقتها وســـــبب تسميتها ـ دون ذكر مايقابلهـــا أويقوم مقامها الآن، من ذلك :

١ ـ هرموبولـس في مصـــر الصفحة ٢٣

٢ ـ أفاريـــس في مصـــر الصفحـة ٢٣

٣ ـ تانيـــس فـي مصـــر الصفحـة ٢٣

٤ ـ هليو بولـــس في مصـــر الصفحة ٢٣

٥ ـ هراكنبولس فـي مصـــر الصفحة ٢٨

٦ ـ أبيدوس فـي مصـــــر الصفحة ٢٨

٧ ـ هيراكلوبولس في مصـــر الصفحة ٣١

كذلك حوى الكتاب على مجموعة من الرسومات غلب عليها الجانب الوثني أو المسيحي من ذلك :

١ـ صورة الهرم الأكبر في مصر الصفحة ١٤

٢ـ صورة لأبي الهول ومن خلفه الهرم الصفحة ١٨

٣ـ صورة للملكة حتشبسوت التي بنت معبد الكرنك الصفحة ٢٥

٤ـ صورة للملك بعانخي الصفحة ٣٣

٥ـ صورة لكشك روماني بالنقعة (حضارة مروى بالسودان) الصفحة ٤٠

٦ـ صورة لكنيسة نوبية الصفحة ٤٣

٧ـ صورة للعذراء وهي تحمل طفلاً في كنيسة فرس الصفحة ٤٥

٨ـ صورة لمنارة الإسكندرية للدلالة على حضارة الإغريق الصفحة ٨١

ونحن إذ نورد مثل هذا المثال لا ننفي أو نثبت ما ورد في مثل هذه الكتب من أسماء قديمة، لملوك وآلهة مزعومة ، وأسماء أماكن أغلبها مجهولة ... الخ لأنّ ذلك يقع على ذمة التاريخ ، وذمة هؤلاء المؤرخين المستشرقين - إن كانت لهم ذمم - الذين أثبتت التجارب الإسلامية ، أنّ التعامل معهم ، ومع كشوفاتهم وأقوالهم ينبغي أنّ يكون بحذر شديد ، لأنّهم كثيرًا مايدسون السّم في الدسم ، نحن لا ننفي ذلك - ولكنّا لكي نتقبله لابّد لنا أن نجد الإجابة الشافية على هذه الأسئلة التي تدور في أذهان الكثيرين ألاَ وهي :

(١) هل هذه البضاعة المزجاة التي تعرضها هذه الكتب تحقق الأهداف الموضوعة سلفاً لمنهج التاريخ ؟ .

(٢) ما الداعي للاعتماد على أسماء جميعها - كما قدمنا - أعجمية قديمة مندثرة تماما لولا الادعاء بكشوفات هؤلاء المستشرقين وابرازها على أنّها الأصل مع عدم ذكر ما آل إليها الأمر ؟ .

والحقيقة التي نستشفها من وراء ذلك ، أنّ الهدف المقصود من التنقيب ، واظهار تلك الآثار هو كما يذكر الأستاذ محمد قطب [١] : إثارة النّعرة الفرعونية الوثنية في المسلمين ، حتى إذا انتسبوا ، لم يكن انتسابهم إلى الإسلام ، إنّما إلى الوطن بعيدًا عن الإسلام ، • كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم :

أنا مصريٌ بَنَاني من بَنَى　　　هَرَمَ الدّهرِ الّذى أعْيَا الفَنَا

وقد صرح بذلك علانية أحد المستشرقين الصرحاء في كتاب " الشرق الآدنى مجتمعه وثقافته " : " إنّنا في كلّ بلد إسلامي دخلناه ، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ماقبل الإسلام - ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ماقبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات " [٢].

* * *

---

(١) انظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ص ٢٠٣

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢

وبعــــد :

فمن خلال عرضنا لهذه الكتب المقررة التي قارنا بينها فيما سبق ، نلحظ محاولة جادة لإبراز أهداف الفكر الفرعوني ، و تحقيق المشروع القديم للفراعنة ، الذين طمعوا بواسطة التعاويذ في أن تعود الحياة السحرية بدياناتها القديمة الجاهلية التي عُبدت أوثانها ، وتُقُدِّست بعقائدها الباطلة ، وخضعت لأساطيرها الرهيبة واستُمدت تهاويلها من الإيمان بجبرية هذه الأوثان والقوى الطبيعية المختلفة كالشمس والقمر ، والكواكب الأخرى .

وهذه الدعوات الهدامة ماهي إلاّ مقدمات لدعوات هدامة أخرى منها القوميات الصغرى التي تتألف منها آلاف العصبيات والمشخصات الحزبية والطائفية ، والهدف من ذلك كله هو إبعاد الأمة الإسلامية عن عقيدتها ، وتقطيع أوصال دولتها، بشحذ أذهان أبناء المسلمين بهذا الكم الهائل من الوثنيات .

(٢) كتاب : من تاريخ الإسلام للصف الخامس الإبتدائي :

يصف الكتاب وفي عدة مواضع منه، اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم، واختلاف وجهات نظرهم في بعض الأمور ذات الصِّلة بالخلافة ، بأنّها اختلافات ناتجة عن دوافع شخصية وعصبية ، ومنافع ذاتية ، ويبرز مواضع الخلاف في عدة مواضع ، وبعبارات لا تتناسب ومكانة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

فعلى سبيل المثال نجد الكتاب يذكر أنّ الصحابة الذين سمح لهم سيِّدنا عثمان رضي الله عنه، بالخروج من المدينة قد شُغِلوا بالدنيا وامتلكوا الأَراضي الواسعة ، والقصور العامرة ، والأموال الطائلة في العراق والشام ومصر ، كما بدأ بعض الناس يلهون ويلعبون ... .(٢)

---

(١) انظر : أنور الجندى ـ موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ـ مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٤٣٢ ومابعدها .

(٢) انظر: محمد عمر البشرى وآخرين من تاريخ الاسلام للصف الخامس ، مرجع سابق ص ٢٠

ويصور الكتاب موقف السيدة عائشة - رضي الله عنها - من الفتنة فيقول :

" تألمت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - كثيرًا لقتل سيدنا عثمان ، ووقفت ضد سيدنا علي مطالبةً بدم عثمان . ووقف بجانبها كلّ من طلحة والزبير ضد سيدنا علي لأنّه لم يعيّن طلحة ، واليًا على اليمن ، والزبير على العراق كما كانا يتوقعان.(١)

ويصور موقف سيدنا معاوية بقوله: " ذكرنا أنّ عليًّا عزل ولاة عثمان الذين ظلموا الناس، وأن معاوية بن أبي سفيان والي الشام الأموي ثار على سيدنا علي ، ثمّ اتهمه بدم عثمان ، لأنه سمح لبعض الثوار الذين قتلوا عثمان بأن يكونوا جندًا في جيشه ، ومن ثم جمع معاوية جيشًا من أهل الشام لقتال علي ، وأَخْذِ ثأر عثمان ".(٢)

ويصف سيدنا عثمان بالمحاباة فيقول : " بادر سيدنا علي بعد توليه الخلافة بعزل الولاة الذين ولاهم سيدنا عثمان ، والذين كانوا سبب الفتنة، وخروج الثوار على سيدنا عثمان كما استردّ الاقطاعيات التي منحها سيدنا عثمان لبعض بطانته والمقربين من أهل بيته ... ".(٣)

هكذا يتناول كتاب :" من تاريخ الإسلام " الحديث عن الصحابة الذين أثنى الله تعالى عليهم هو ورسوله ، ورضي عنهم ووعدهم الحسنى كما قال تعالى :

﴿ والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ (٤)

---

(١) محمد عمر البشري، وآخرين : من تاريخ الإسلام للصف الخامس - مرجع سابق ص ٢٣ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(٤) سورة التوبة الآية/ ١٠٠

وقال صلى الله عليه وسلم : (لاتسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم انفق مثل أحد ذهبا مابلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).(١)

وقال الإمام الطحاوى عنهم : " ونحب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم ، ولانذكرهم إلاّ بخير ، وحبّهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كُفْرٌ ، ونفاق وطغيان " .(٢)

ويتناول الكتاب ، موقف سيدنا علي من خلافة سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم جميعا - فيقول : " وكان يقوم بالكتابة للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - - " أنا مدينة العلم، وعلي بابها "(٣)

وكان علي يعتقد أنه أحق بالخلافة بعد النبي لأ نّه من آل بيت الرسول - صلى الله

---

(١) متفق عليه : صحيح البخارى : كتاب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - باب قول النبي (ص) :" لوكنت متخذاً خليلاً " ٣٦٧٣/٧ . عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه مرفوعًا .
صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة - رضي الله عنهم - ٤/ ٢٥٤٠.

(٢) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ ص ٥٢٨ .

(٣) ذكر ابن الجوزى الحديث في كتابه :" الموضوعات " ج ١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، وتكلم عن طرقه وألفاظه ، وبيّن أنّها موضوعة ص ٣٤٩ حتى ٣٥٥ ، وحكى عن أبي حاتم بن حبان قوله :" هذا خبر لا أصل له عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس من حديث ابن عباس ، ولا مجاهد ، ولا الأعمش ، ولاحدّث به أبو معاوية وكلّ من حدّث بهذا المتن، إنّما سرقه من أبي الصلت ، وإنْ قُلب إسناده وقد سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال : قَبّح الله أبا الصلت ". " المرجع نفسه ص ٣٥٤ ".
وذكر الترمذى الحديث في سننه عن علي - رضي الله عنه - في كتاب المناقب، ج ٥ ، ص ٣٠١ ، باب ٨٧ ، مناقب علي بن أبي طالب ، وقال :" هذا حديث غريب منكر ".
وقال الألباني عن الحديث في كتابه " ضعيف الجامع الصغير " ج ٢ ص ١٣ إنه موضوع .
وانظر : إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج ١ نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ودار التراث بالقاهرة ، ص ٢٣٥.

عليه وسلم ـ ولكنه بايع أبابكر وعمر وعثمان " (١)

والحديث الذى بيّنا وضعه ، إنّما يستدل به الرافضة من الشيعة على أن علياً ، كان أحق بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لأنّه كان أعلم النّاس بعده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كما بيّنا إنّما يعدّ في الموضوعات ، " والكذب يعرف من نفس متنه ، فإنّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان مدينة العلم ولم يكن لها إلاّ باب واحد، ولم يبلغ عنه العلم إلاّ واحد ، فَسَدَ أَمْرُ الإسلام ، ولهذا اتفق المسلمون على أنّه لايجوز أن يكون المُبلّغ عنه العلم واحداً ، بل يجب أن يكون المبلغون أهل التواتر والذين يحصل العلم بخبرهم للغائب .

وخبر الواحد لايفيد العلم إلاّ بقرائن ، وتلك قد تكون منتفية، أو خفية عن أكثر الناس ، فلا يحصل لهم العلم بالقرآن ، والسنة المتواترة " (٢)

وقد ثبت في الصحيح أنّ عليا ـ رضي الله عنه ـ عندما خرج من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في وجعه الذى مات منه ، قال للعباس ـ رضي الله عنه ـ ، الذى تحدث معه بشأن الخلافة :" إنّا والله لئن سألناها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده ، وإنّي والله لا أسألها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " (٣)

---

(١) انظر: محمد عمر البشرى وآخرين ، من تاريخ الإسلام ، للصف الخامس ، مرجع سابق ، ص ٢١.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، ج ٧ ، تحقيق ، د . رشاد سالم ، طباعة ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص ٥١٥ .

(٣) صحيح البخارى " مع الفتح " كتاب المغازى ، باب مرض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووفاته : ٨/ ٤٤٤٧ .

هذه الرواية - كما يذكر الدكتور صابر طعيمه - التي ساقها الإمام البخاري عن ابن عباس في تصوير هذا الموقف الدقيق والجليل للإمام علي، من موضوع الخلافة، التي لم ير علي مبررًا لأن يسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم - طالما هو صلى الله عليه وسلم لم يذكرها لهم، لا يستطيع أحدٌ من علماء الشيعة المعتدلين منهم والغالين، أن يطعن في صحتها، فهي عن ابن عباس، وإلاّ وقعوا هم أيضا في أن يرفض غيرهم الدلائل التي ينسبونها إلى ابن عباس - رضي الله عنهما. أنّ عليا - رضي الله عنه - لم يتردد في مبايعة أبي بكر، وخاصة بعد أن انتهى من إعداد دفن الرسول - صلى الله عليه وسلم -. ولقد صلّى عليّ وراء أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - بعد ذلك، وولى أمورًا للمسلمين في خلافة الرجال الثّلاثة - رضي الله عنهم - ولو كان للإمام علي نصٌّ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدّدُ الخلافة في بيته، أو لأفرادٍ بعينهم، لَمَا قعد الإمام علي عن الجهر بهذا الأمر، ونصرة صاحبه " (١)

وقد صحّ عن الإمام عليّ - رضي الله عنه - أنّه قال للذين يفضّلونه على الشيخين " لايبلغني عن أحدٍ أنّه فضلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته، جلد المفترى "(٢).

وقد روى عن علي من نحو ثمانين وجهًا أنّه قال على منبر الكوفة، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. (٣)

---

(١) د. صابر طعيمة، دراسات في الفرق، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م مكتبة المعارف، الرياض ص ١١

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر المحمية، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ جـ ٤ ص ١٣٧ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

ويتناول الكتاب شخصية عبد الله بن سبأ، لا كرأس للفتنة الكبرى؛ بل باعتباره أحد المحبين المتعصبين لسيدنا علي - رضي الله عنه - والمنتقدين لسياسة سيدنا عثمان - رضي الله عنه - [(١)] وكان على أقل تقدير أن يكشف الكتاب عن هوية عبدالله بن سبأ الذى تجمع المصادر السُّنِّية والشيعية أنَّه كان يهوديًّا يمنيًّا فأظهر الإسلام ، ويرى الطبرى أنَّه أسلم في السنة السابعة من خلافة عثمان - رضي الله عنه - [(٢)] وقد كان له دور خطير حاول اليهود في التاريخ الحديث إنكاره، وساعدهم المُغْرِضُون من أمثال طه حسين ، وغيره على الادّعاء بأنَّ عبد الله بن سبأ شخصية خيالية وهمية ، أو أنَّه على الأقل، لايمكن أن يكون له هذا الأثر الضخم في الفتنة التي تصورها كتب التاريخ ، وحاولوا التهوين من شأنه . وقد ترك عبد الله بن سبأ في الفكر الإسلامي بصمات اليهودية التلمودية بدعوته الى الوصاية والرجعة ونظرية الحق الإلهي . [(٣)]

(٣) كتاب : تاريخ المدنيات الإسلامية . للصَّف الثَّاني المتوسط : [(٤)]

يتعرض الكتاب أيضًا لإحداث الفتنة الكبرى بنفس المفاهيم السابقة في الكتاب المتقدم - من تاريخ الإسلام - [(٥)] وخوفًا من الإطالة نكتفي بما سبق من تعليق فقط نشير إشارة سريعة على مراجع الكتاب التي منها :

(١) حياة محمد، لمحمد حسنين هيكل (٢) تاريخ التَّمدُّن الإسلامي لجورجي زيدان.

---

(١) انظر: كتاب : من تاريخ الإسلام - للصف الخامس ص ٢٠

(٢) انظر: تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٢٨٥٩

(٣) انظر: أنور الجندى ، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، دار الاعتصام للطباعة والنشر ص ١٩٤ - ١٩٥.
وكذلك انظر: د. أحمد الحفناوى - حركات ومؤتمرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، دار الوفاء للطباعة والنشر ط ١ ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ص ١٤٣-١٤٥.
وكذلك انظر: ابن كثير - البداية والنهاية ، مكتبة المعارف بيروت ، ط الثانية ١٣٩٤هـ ، جـ ٧ ص ١٦٨ .

(٤) أقرته شعبة التاريخ بمعهد التربية بخت الرضا ، الناشرون دار النشر التربوى.

(٥) انظر: مثلاص ٣٠ - ٣٧ من كتاب تاريخ المدنيات الإسلامية .

(٣) روايات تاريخ الإسلام لجرجي زيدان .

(٤) كتاب تاريخ العرب لفيليب حتى . (١)

هذه المراجع تحمل كثيرًا من الأخطاء ، والآراء المنحرفة ، وهي في مجموعها تعتبر امتدادًا لآراء الغربيين ، وخاصة متعصبة المستشرقين .

وما يزال كتاب (تاريخ العرب) لفيليب حتى ، (وتاريخ الشعوب الإسلامية) لبروكلمان من المراجع التي يعتمد عليها الباحثون، وأساتذة الجامعات، كمصدر ميسور ، بالرغم مما يحمل كل منهما في طياته من أخطاء ، وشبهات ، وقد أشار الدكتور عبد العزيز الدوري إلى أن مؤلف "تاريخ العرب" - فيليب حتى - قد وقع تحت تأثير مصادره ، فلم تكن له وجهة نظر واضحة ، وأن في بعض نواحي الكتاب تلخيصًا لآراء حديثة لبعض المستشرقين . (٢)

فمفردات المادة ومراجعها لا تخدم الفكرة الإسلامية مطلقًا ، بل تعادى التصور الديني عمومًا ، والتصور الإسلامي على وجه الخصوص .

(٤) **التاريخ للصف السادس الإبتدائي :**

محمد عمر البشرى وآخرين - دار شركة مطابع الأفست ، دار النشر التربوى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. .

يذكر الكتاب أن فتح القسطنطينية كان حلمًا يراود العرب منذ عهد بعيد ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيقه، بينما تحقق على يد الأتراك العثمانيين الذين وطدوا مركزهم في آسيا الصغرى ، وفكروا بعد ذلك في فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية

---

(١) انظر: كتاب تاريخ المدنيات الإسلامية - المرجع السابق ص ٤ -٥

(٢) انظر: أنور الجندى ، الإسلام في وجه التغريب ، دار الاعتصام ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

المسيحية التي أصبحت ضعيفة مفككة ، الأمر الذى شجع محمد الفاتح ، الذى أراد أن يكتسب شهرة وعظمة بفتح المدينة العظيمة ، وأن يكسب للإسلام أرضاً جديدةً في أوربا ، ليزحف بجيشه نحوها ، ويحاصرها خمسين يوماً ويفتحها سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م (١) .

لايعرف القارئ حين يطلع على ذلك ، أنّ هذا الحلم كان يراود المسلمين جميعاً لا العرب وحدهم ، لأنّ العرب لفظة تجمع تحتها العربي اليهودى ، والعربي النصراني ، والعربي الدّرزى ، والعربي النصيرى ... إلخ ، ولايعرف كذلك أنّه كان فتحاً إسلامياً بَشّر به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

ثمّ إنّ هناك نصوصاً كثيرةً وردت في هذا الكتاب ، تدل على أنّ دولة الخلافة في العهد التركي مثلها ، مثل الاستعمار الأوربي ، استعمرت الدول العربية وكممت حرياتها من ذلك على سبيل المثال نقرأ الآتي : " وللأسباب السالفة الذكر مجتمعة ، ولأسباب غيرها فقد بدأت النهضة العربية ضد الحكم الاستبدادى العثماني ، والاستعمار الأوربي البغيض ... كما وثار عرب العراق والشام ضد النفوذ التركي ، وقاوم الوطنيون في المغرب الاستعمار الفرنسي " (٢)

ولم يذكر الكتاب حسنة واحدة من محاسن الدولة العثمانية ، بل نجد أن هناك تتبعاً للمساوئ (٣) .

والذى ينبغي الإشارة إليه أولاً : أنّ العلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها التي كانت تشملها دولة الخلافة ، لم تكن علاقة استعمار كما يدعى هؤلاء ، بل كانت علاقة ترابط وتعاضد تحت لواء الأخوة الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، وأن الاستعمار بمعناه الحقيقي لايطلق إلاّ على النظام الغربي الحديث .

(١) انظر : تاريخ المدنيات الإسلامية المرجع السابق ، ص ٦ - ٧ .
(٢) انظر : تاريخ المدنيات الإسلامية ، المرجع السابق ص ٤٢ .
(٣) انظر : المرجع نفسه ، ص ٣٠ ، ص ٣٨ .
وكذلك ص ٤١ الدرس الخامس عشر تحت عنوان : مساوئ الحكم العثماني والاحتلال الأوربي .

ثانيا : المحاولات التي جرت لكشف مساوىء الخلافة الإسلامية كثيرة جدًا وهي مخطط قامت به الماسونية والصهيونية العالمية، في سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد الذى نادى بوحدة المسلمين ، وقد حملت كتب جرجي زيدان ، وغيره، صورة مضلّلة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية للإتحاديين الذين علّقوا العرب على المشانق، ومكنوا للصهيونية وحطّموا الدولة العثمانية.

ورغم أنّ هناك كُتّابًا قد أنبروا للدفاع عن دولة الخلافة ، مثل عبد الله التل وخليفة التونسي ، وعجاج نويهض ... وآخرين ، ورغم أنّ هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفة التي مازال يعتمد عليها أعداء الإسلام - رغم ذلك - لاتزال الكتب المدرسية تعج بهذا الغثاء ، بل أصبح بعض الكتاب ، يعيدون نشر ماجاء في الكتب المدرسية، ويعتمدون على الدراسات التّاريخية السابقة لظهور "بروتوكلات حكماء صهيون" عن السلطان عبد الحميد ، وتركيا العثمانية. (١)

كذلك نلحظ من خلال استعراضنا للكتاب، انفصالاً تامًا، في نظرية القومية عن مفهوم الترابط والتكامل القائم بين العروبة والإسلام ، مع تفريغ العروبة عن مفهومها الجامع روحيًا وفكريًا وعقائديًا بالإسلام .

انظر مثلا ماجاء بالكتاب تحت عنوان : " العثمانيون وحركات التّحرر العربي " " بعد فترة من حكم العثمانيين على البلاد العربية قامت بعض الحركات التحررية ... فظهر المصلحون والقادة العرب الذين طالبوا بحقوق العرب ، وضرورة تحررهم ، وانفصالهم عن الأتّراك ... " (٢)

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : أنور الجندى ، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، مرجع سابق ص ٤٨ - ص ٥١
وكذلك انظر : د. محمد محمد حسين ، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٠هـ ص ١٠٩ .

(٢) انظر : تاريخ المدنيات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢.

فهذه دعوة إلى القومية التي معناها أنّ أبناء الأصل الواحد ، واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحدًا ، وإن تعدّدت أرضهم وتفرقت أوطانهم ، فهي " تقيم تجمعها على الأمور التي لا خيار فيها للإنسان ... من المولد في أرضٍ معينةٍ ، والكلام بلغة الأرض التي ولد فيها ، والمصالح المادية القاهرة . في الوقت الذى تنبذ فيه كلّ الأمور التي يكون للإنسان فيها الخيار ، والتي يتفاضل فيها إنسان على إنسان،بناء على ذلك الخيار ... تنبذ العقيدة في الله التي يختار فيها الإنسان بين الإيمان والكفر ، ويتفاضل الناس فيها على أساس الإيمان والكفر ، وتنبذ القيم المنبثقة من العقيدة ، وهي نظافة المشاعر ، ونظافة السلوك مع الأصدقاء والأعداء سواء ... ولم يشأ الله سبحانه،أن ينحبس النّاسُ في داخل شعوبهم وقبائلهم وينغلقوا في حدودها وهو ما تفعله القوميات والوطنيات بادىء ذي بدء .." (١)

قال تعالى :﴿يا أيّها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٢)

كذلك نجد بالكتاب دعوات هدامة أخرى بجانب القومية،كالمناداة بالإنسانية ، حيث نقرأ، أنّ من بين الدوافع التي حدت بالمستعمر الأوربي إلى استعمار،وغزو دولة الخلافة الإسلامية ، الدوافع الإنسانية ، فيقول: " وتبع هذا السبب سبب آخر هو الدوافع الإنسانية ، فقد رأى الأوربيون من واجبهم أن يُعلّموا الأفريقيين البدائيين والمتخلّفين في آسيا ، النّظم الحديثة،والحضارة الأوربية لينعموا بالحياة " (٣)

---

(١) الأُستاذ محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ص ٥٦٢.

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣)

(٣) تاريخ المدنيات الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٤

ويورد الكتاب المبادئ التي نادى بها الرئيس الأمريكي " ولسن " على أنّها هي المخرج للإنسانية جمعاء ، إذ يقول :" ... كما أنّ العرب اطمأنوا إلى المبادئ التي أعلنها ، ونادى بها الرئيس الأمريكي " ولسن " بعد الحرب ، فقد رأوا فيها ما يحقق للإنسانية السلم والعدالة والمساواة ، أهم هذه البنود ، مبدأ المواثيق العلنية .... " (١)

وتنبع خطورة هذه المبادئ أنّها تَصْرُف التلاميذ عن مبادئ الإسلام ، واحلال دعوى الإنسانية محلها ، محاولة لغزو العقيدة الإسلامية واجتثاثها من القلوب . والإنسانية ، أو العالمية كما يدعونها أحياناً ، دعوى براقة ، ذات شَبَه بالماسونية (٢) " يا أخي كن إنساني النَّزْعَة ... وجه قلبك ، ومشاعرك للإنسانية جمعاء ... دع الدين جانبًا ، فهو أمر شخصي علاقة خاصة بين العبد والربّ محلها القلب ، لكن لا تجعلها تشكل مشاعرك ، وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين ... فإنّه لا ينبغي للدين أن يفرق بين البشر .. بين الأخوة في الإنسانية، تعال نصنع الخير لكل البشرية غير ناظرين إلى جنس أو لون ، أو وطن أو دين " (٣)

والهدف من هذه الدعوة كما يذكر الأُستاذ محمد قطب : هو إزالة استعلاء المسلم الحق بإيمانه الناشئ من إحساسه بالتَمَيُّز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض ، لكي تَتَبَهَّمُ شخصيته ، وَتَتَمَيَّع هذا أولاً، وثانياً : هو إزالة روح الجهاد من قلبه ... ، ليطمئن الأعداء ويستريحوا . (٤)

---

(١) تاريخ المدنيات الإسلامية ، المرجع السابق ، ص ٤٧

(٢) من العبارات التي تتشابه فيها الماسونية بالإنسانية ، عبارة :" اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك ".

(٣) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٥٨٩.

(٤) المرجع نفسه ٥٩٤.

يقول المستشرق النمساوى المعاصر " فون جرونيباوم Von Grunebaum "
في كتاب له يسمى " الإسلام الحديث Modern Islam " إنّ الحاجز
الذى يحجز المسلم عن التغريب Westernization ، هو استعلاؤه بإيمانه
وأنّه لابد من تحطيم ذلك الحاجز لكي تتم عملية التغريب " (١)

والواقع الإسلامي يدلّ على أنّ " الإنسانية " الحقيقية " والسماحة " الحقيقية
هي في الإسلام ، انظر، مثلاً قول الله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحب المقسطين** ﴾ (٢)

وقال - صلى الله عليه وسلم - لجيشه يعلمه أخلاقيات الحرب في الإسلام " أغزوا
باسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله ، ولاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثّلوا
ولا تقتلوا وليدًا ... " (٣)

كذلك نجد بجانب ماذكرنا، أثر القومية العربية بيّنا في مواضع متفرقة من
الكتاب ، من ذلك نقرأ الأبيات التالية : (٤)

تنبهوا واستفيقوا أيّها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الرّكب
واسمعوني صليل البيض بارقة في النقع إنّي إلى رناتها طرب
صبرًا يا أمة الترك التي ظلمت دهرًا فعمّا قليل تُرْفَع الحُجُب

وقد علق على هذه الأبيات التي استُشْهِد بها في الدرس السّابع عشر بالآتي : " كانت
هذه القصيدة نشيد حركة التّحرر العربي المتأجج وبوادرها ، اكتسبت قيمتها من

---

(١) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٥٩٤.
(٢) سورة الممتحنة الآية ٨
(٣) رواه الترمذى في الجامع الصحيح كتاب السير باب ماجاء في وصيته - صلى الله عليه وسلم - في القتال ٤/ ١٦١٧ عن سليمان بن بريده عن أبيه مرفوعا.
وابن ماجه في سننه ، كتاب الجهاد ، باب وصية الإمام ٢٨٥٧/٢ عن صفوان بن عسال مرفوعًا
ورواه غيرهما.
(٤) تاريخ المدنيات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤١

تعبيرها عن الشعور القومي المتأجج في نفوس العرب الأحرار ، ولاسيما بعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى " (١)

هذه الأبيات بجانب ماتحمل من مضامين ومدلولات يأباها الإسلام فإنها قيلت في مجتمع علمي عن مفهوم القومية العربية ، والطور الجديد المستقل أو المتميز لها .(٢)

والهدف كما هو معلوم من المناداة بالقومية العربية وغيرها من القوميات - إضافة لما ذكرنا - هو إضعاف أثر العصبية الإسلامية والعقيدة الإسلامية في النفوس ، وتقطيع أوصال المسلمين بتمزيق دولة الخلافة القائمة ليسهل للمستعمر الذى كان وراء كل هذا، أن يواجه هذه القوميات التي تشكل دولة الخلافة واحدة تلو الأخرى .

" إنّ الإسلام لايعرف تلك الدعاوى الزائفة التي روجها أعداء الإسلام بغية القضاء عليه ، وتَشَرَّبها المسلمون في غفلتهم، غافلين عما فيها من السموم .

إنّ الإسلام لايغير انتماء النّاس إلى أرضهم، ولاشعوبهم ولاقبائلهم، لأنّ هذا أمر مادى حسي واقع لا سبيل إلى تغييره .. ولكن الإسلام ينكر أن تكون صلة التجمع شيئاً غير الإسلام ، غير العقيدة الصحيحة في الله ، لا الدم ولا الأرض ، ولا اللغة ولا المصالح الأرضية " (٣)

وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لايهدى القوم الفاسقين** ﴾ .(٤)

---

(١) تاريخ المدنيات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤١

(٢) انظر : د. يوسف خليل يوسف ، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٦هـ ص ١١٧.

(٣) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٥٨١

(٤) سورة التوبة الآية ٢٤.

* **كتاب : خطوات في التاريخ (الكتاب الأول والثاني والثالث) :**

تأليف ل . ف . هبلي .

Steps in History . Book three

L. F . Hobley

هذه الكتب هي ضمن الكتب المقررة في التاريخ لمدارس الإتحاد ، التّابعة للكنيسة الإنجليزية ، والتي تضمّ مجموعة كبيرة من الطلاب المسلمين ، وتحتوى هذه السلسلة على عدة مواضيع تتناول حوادث حدثت قبل الميلاد ، جميعها لا تمت إلى الواقع الإسلامي بصلة ، ولا تخدم فكرة إسلامية ، نذكر منها الآتي :

(١) **مصر القديمة** : أرض النيلين : يتناول الكتاب الحياة في عهد الفراعنة (٣٠٠٠ ق.م) وما قبل الفراعنة ، والحديث عن الإهرامات والتحنيط .[١]

(٢) **سومر وبابل** أرض النهرين (٣٠٠٠ ق.م)[٢]

(٣) **الهند القديمة** : أرض السند - (٥٠٠٠ ق.م)[٣]

(٤) **أثينا** ، إسبارتا والفرس (٤٣١ ق.م)[٤]

(٥) **عظماء رجال اليونان** : مفكر ، فاتح ، مخترع (سقراط ٣٩٩ ق.م) ، (الإسكندر الأكبر ٣٣٤ ق.م)،(أرخميدس ٢١٥ ق.م)[٥]

(٦) **الصين** ، (بناء إمبراطورية عظمى في الشرق ٢٥٠٠ق.م)[٦]

---

(١) L.F. Hobley , Steps in History . Book One P.21-22
(٢) المرجع نفسه ص ٢٤
(٣) المرجع نفسه ص ٢٨
(٤) المرجع نفسه ص ٤٦
(٥) المرجع نفسه ص ٥٠
(٦) المرجع نفسه ص ٧٢

فهـذه الكتب كما ترى بصفة عامة ، عبارة عن نسخ مكرّرة لكتب التاريخ في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم، والتي سبق وأن تناولناها بالحديث في الفقرات السّابقة ، حيث نجد التركيز على الوثنيات ، والاهتمام بالحضارات القديمة ، والتركيز على دراسة الفراعنة ، ودراسة المتاحف .
فبينما يبدو الاهتمام بالتاريخ الأوربي الآسيوى الأفريقي القديم ، لانجد ذلك بالنسبة للتاريخ الإسلامي ، وإذا عُرِضَ التاريخ الإسلامي فإنّه يعرض في صورة منفّرة، ممجوجة، مليئة بالأخطاء، والآراء المنحرفة التي غالبًا **ما نجدها** بحذافيرها في كتب المستشرقين وآ رائهم الفاسدة .

والهدف من تناول مثل هذه الموضوعات - كما يبدو - هو إخراج المعتقدات الإسلامية من شرائع وعبادات عن مفهوم التوحيد الخالص ، وادخالها في مفهوم الوثنية .

وكمثال لهذه الأغلاط والأفكار المنحرفة المدسوسة نتناول بالعرض موضوعا من هذه الموضوعات ، وهو من الكتاب الأول .. بعنوان :

(محمد : دين جديد) :[١] " Mohammed : a new religion "

أولا : نجد تحت هذا العنوان تعمدا واضحا قصد منه التعتيم على الإسلام ، وإحياء العصبيات والقوميات التي نهى الإسلام عنها ليسهل تمزيق الصّف المسلم ، من ذلك مثلًا : وصف الجيوش الإسلامية التي قامت بالفتوحات الإسلامية بالجيوش العربية .

" ... عندما تمّ الهجوم على تلك الدول - في فتح الأندلس - أعدوا جيوشا ضخمة لصد العرب " .[٢]

---

(١) L.F. Hobley , Steps in History . Book. Three , P. 80

(٢) المرجع نفسه ص ٨١

" وكانت هناك جيوش عربية أخرى تضرب أبواب القسطنطينية تشق طريقها نحو الغرب ، وكفكين مفتوحتين ، فإذا القوتين العربيتين بدتا وكأنهما ستطبقان وتبتلعا معظم أوربا " (١)

ص٥ " وفي عام ٩٩هـ - ٧١٧ م تمكن الإمبراطور (ليو Leo) في القسطنطينية من إجبارهم على التراجع من المدينة، إلى منتصف آسيا الصغرى ، وعادت الموجات العربية " (٢)

وفي عام ١١٤ هـ - ٧٣٢ م واجه (شارلس مارتن) ملك فرنسا الجيش العربي في فرنسا ، وفي معركة فظيعة في (تورز) ألحق بالعرب خسائر كبيرة ، وكان ذلك نهاية تقدمهم " . (٣) .... الخ .

نسبة العرب مقارنة بالمسلمين البربر في هذه الفتوحات وبخاصة فتح الأندلس الذى نجد الحديث عنه في هذه القطعة ، نسبتهم أقل بكثير ، ولذلك لا معنى لذكرهم وتخصيصهم هنا دون غيرهم، إلاّ إحياءً للقوميات والعصبيات ، وتجريد الجهاد الإسلامي من معانيه ومضامينه الإسلامية ، ووصفه بالمنفعة .

ثانيا : يصف الكتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه راعي إبل وتكرار ذلك وتأكيده في عدة مواضع منها :

" راعي الإبل الذى صار نبيا (٤) *The camel driver who became prophet*

" إلاّ أنّ راعي الإبل المذكور قام بتغيير العالم أكثر مما فعل أى من فراعنة مصر ، أو ملوك الفرس أو أباطرة الروم " .

" وكان اسم راعي الإبل محمداً " . (٥)

---

(١) L.F. Hobley „ . Steps in History . Book . Three P. 81

(٢) المرجع نفسه ص ٨١

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(٤) المرجع نفسه ص ٨٠

(٥) المرجع نفسه والصفحة .

" ... فهل اصطفاه الله الذى اصطفى إبراهيم وموسى كرسول وهو مجرد راعي إبل .... ".(١)

الثابت في السيرة وفي الأحاديث الصحيحة أنّ النبي - صلى اللّه عليه وسلم - لم يرع الإبل ، بل رعى الغنم كما رعاها الأنبياء من قبله ، كما جاء في الحديث الصحيح،الذى رواه البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " مابعث الله نبيًا إلاّ رعى الغنم . فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ".(٢)

والسيرة والأحاديث الواردة في هذا الشأن - كما يبدو - لم تكن غائبة عن مؤلف الكتاب ، ولكنه وجد في الإبل ضالّته ، حيث وردت أحاديث ثابتة تصف رعاة الإبل بالفخر والخيلاء ، والقسوة وغلظ القلوب ، وأخرى صحيحة في الغنم تصف رعاتها بالسكينة والطمأنينة والوقار والتواضع ، فهل كان هذا الاختيار جاء عفوًا أم كان أمرًا مقصودًا ؟ !! .

من هذه الأحاديث : الحديث الذى رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدّادين من أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم " (٣)

---

(١) L.F. Hobley, Steps in History . P. 80

(٢) صحيح البخارى - كتاب الإجارة - باب رعي الغنم على قراريط - الحديث رقم ٢١٢٠.

(٣) صحيح البخارى - كتاب بدء الخلق،باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال حديث رقم ٣٠٨٨ ، والسكينة : أى السكون والطمأنينة والوقار ، والتواضع : انظر عمدة القارىء شرح صحيح البخارى جـ ١٥ إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر محمد أمين دمج بيروت ص ١٩١ .
والفدّادون يُفَسَّر على وجهين أن يكون جمعًا للفداد وهو شديد الصوت من الفديد، وذلك من دأب أصحاب الأبل ، إذا رويته بتشديد الدّال من فدّ إذا رفع صوته .
والوجه الآخر : أنه جمع الفَدَّاد ، وهو آلة الحرث ، وذلك إذا رويته بالتخفيف يريد أهل الحرث ، انظر الخطابي ص ١٩١ .

وعن عقبة بن عمر ، وأبي مسعود قالا : أشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده نحو اليمن فقال : "الإيمان يمان ههنا ، إلاّ أنّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر " (١)

ولعلّ سبب هذا يرجع إلى قصة اليهود مع الإبل ، فقد حرّم الله عليهم كلّ ذي ظُفُر . قال تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر ... ﴾ (٢)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير (كل ذي ظفر) قال : هو البعير ، والنّعامة ، وكذا قال مجاهد والسّدي في رواية". (٣)

وقال الإمام الشوكاني : حرّم الله ذلك عليهم عقوبة لهم على ما وقعوا فيه من الظلم . (٤)

ثالثا : يصف الكتاب هجرته - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة بالهروب :-

" وهرب محمد بسلام إلى المدينة، حيث استقبله الناس وطلبوا منه الحكم بينهم وتعليمهم دينه " . (٥)

" وهروب محمد من مكة يسمى الهجرة ، ويؤرخ المسلمون لتاريخهم من تلك السنة، مثلما بدأ المسيحيون التاريخ من ميلاد المسيح " . (٦)

ثمّ بعد ذلك ، وفي نهاية المطاف، يذكر أنّ هذا الهروب يسمى هجرة عند المسلمين ، وقد عمد الكاتب إلى اخفاء حقيقتين هما :

---

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال : ٣٣٠٢/٦ عن عقبة بن عمر وأبي مسعود رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) سورة الأنعام آية/ ١٤٦

(٣) انظر : الحافظ اسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٣ إشراف لجنة من العلماء ص ١١٦ .

(٤) انظر : محمد بن علي الشوكاني - فتح القدير ج ٢ شركة مكتبة الحلبي بمصر ط ٢ ، ١٣٨٣هـ ص ١٧٤ .

(٥) خطوات في التاريخ - الكتاب الأول - مرجع سابق - ص ٨٠

(٦) المرجع نفسه ص ٨٠

(١) أن الهجرة إنّما كانت بأمر من الله تعالى ٠

(٢) وإغفال أمر البيعتين اللتين سبقتا الهجرة النبوية ٠

رابعًا: الجنوح إلى القول بالوحي النفسي، وبشرية القرآن وأنّ رسالته - عليه الصلاة والسلام - محلية وليست عالمية ٠ من ذلك :

" فقد أسس - يعني النبي محمد - دينًا جديدًا يدين به مئات الملايين من المؤمنين اليوم ، وأنشأ إمبراطورية امتدت عبر ثلاث قارات " [١]

" ودين محمد يعرف بالمحمدية أو الإسلام " ٠[٢]

" وكان محمد يحلم بتوحيد كافة القبائل العربية، في أمّة واحدة، وتوحيد عبادة إله واحد " ٠[٣]

والقول بالوحي النفسي أو مايسمى بالمذهب المحمدى ، أو القول ببشرية القرآن جميعها أقوال عمد إليها المستشرقون عمدًا - سعيًا لاهثا، لقطع الصلة بين النبي محمد -صلى الله عليه وسلم - وبين الوحي الإلهي ٠ وهذا هو مذهب المستشرقين في كتاباتهم ، مثل كتاب :" المذهب المحمدى " للمستشرق " جب " حيث يذكر :" أنّ محمدًا ككلّ شخصية مبدعة، قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية (عنه) المحيطة به من جهة ، ثمّ هو من جهة أخرى، قد شق طريقا جديدًا بين الأفكار والعقائد السّائدة في زمانه ، والدائرة في المكان الذى نشأ فيه " ٠ [٤]

---

(١) خطوات في التاريخ - الكتاب الأول - مرجع سابق ص ٨١

(٢) المرجع نفسه والصفحة ٠

(٣) المرجع نفسه والصفحة ٠

(٤) نقلاً عن : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - مرجع سابق - ص ٢٢٧ ٠

ومعنى ذلك أنّ القرآن انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه ، وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يمثل لذلك بيئة خاصة في عقيدتها ولغتها ، وعاداتها ، واتجاهها في الحياة . وهي البيئة العربية في الجزيرة العربية . (١)

إذاً فالقرآن الكريم بهذا المفهوم عندهم ، دين محلي لا إنساني عالمي.

فإطلاق " المحمدية " على الإسلام فكرة أخذت برمتها من الغرب، أخذاً أعمى وفي غير احتياط من المستشرقين .

وقد كذبهم القرآن الكريم في عدة مواضع . منها قوله تعالى:

﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنّي ملك ، إن أتّبع إلاّ ما يوحى إلىّ ... ﴾ (٣)

خامسًا :تصوير النظام الجديد الذى جاء به الإسلام، بعد فتحه للأقطار بأنه لا يختلف عن النظم السابقة ، فالسكان العاديون الذين يقطنون تلك الأراضي - على حدّ زعمهم - لا يهمهم الأمر كثيرًا إذًا دفعوا الجزية إلى سادتهم القدماء أو الجدد فليست لديهم إلاّ القليل من الحرية . (٤)

سادساً : يصور الكتاب الكعبة والحجر الأسود على أنّهما، ضمن الأصنام التي تعبد في ذلك الحين ، فيقول :" وكانت مكة مركزًا لعبادة الأصنام، وعلى وجه الخصوص الحجر الأسود المقدس المثبت على جدار الكعبة، وهو معبد ضخم مربع الشَكل"(٥)

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - مرجع سابق - ص ٢٣٦ .
(٢) سورة النمل الآية / ٦
(٣) سورة الأنعام الآية /٥٠
(٤) انظر : خطوات في التاريخ - الكتاب الأول - ص ٨١
(٥) المرجع نفسه والصفحة .

ويقول : " وتمّ احتلال مكة بدون قتال كبير ، ودخل محمد مكة راكباً ناقة بيضاء ، وحطّم الأصنام ، وأبقى على الكعبة والحجر الأسود كرمز لوجود الله ... "[١] ... الخ .

القول بتقديس المسلمين للحجر الأسود ، قول ذهب إليه المستشرقون من قبل ، وتبعهم بعض الكتاب من المنتمين للإسلام .[٢] والعجيب أن بعض هؤلاء الكتاب يستشهدون على قدسية الحجر الأسود بكتابٍ من اليهود . من ذلك ماجاء في كتاب دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب ، حيث يقول :" ويذهب (قلها وزن) إلى أنّ قدسية البيت لم تكن عند قريش بسبب مافيه من الأصنام ، وإنّما بسبب هذا الحجر الأسود فهو إذن مقدس لذاته " .[٣]

---

(١) انظر : خطوات في التاريخ - الكتاب الأول - ص ٨١

(٢) انظر : د . جمال عبد الهادى محمد ، ود . وفاء محمد رفعت ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ (منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا ؟ كيف؟) دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ص ٩٧ ، نقلاً عن : محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب ص ١٩٤ .

(٣) انظر : د . جمال عبد الهادى ، ود . وفاء محمد رفعت ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ، نقلاً عن : محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية عن القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ .

ثانيا : مادة الجغرافيـــــا :

نجد في مادة الجغرافيا بصفة عامة الاهتمام والتركيز على تدريس جغرافيـــة أوربا والأمريكتين ، وأستراليـــا [١] بينما لا يُعْطَى ذلك الاهتمام لجغرافية الســودان والعالم الإسلامي ، ويتعمّدون إغفال تاريخ الجغرافيين المسلمين العرب ، وتجريـــد الجغرافيا من المضامين الإسلامية والآيات القرآنية .

وقد اعترف بذلك المستر قريفث حينما قال : " ... كانت كلّ الصور الموجـودة أجنبيـة ، وربما كان هذا يتفق مع رغبة السودانيين المتعلمين في التطلع إلى الخـارج إلاّ أنّ الأمر كان مبالغًا فيه ، فلم تكن هناك صور كبيرة أو صغيرة للمشاهد الجغرافية والتاريخية والمحلية ... ".[٢]

يحدث ذلك بالرغم من أن تراثنا الإسلامي مليء بالآثار الجغرافية ، حيث نجـد على سبيل المثال الإشارة إلى الرياح المبشرات بالغيث ، والتي تثير سحابًا ، ينزل منـه القطر من جبال فيها من برد ، وهناك الحديث عن الجبال التي خلقها الله أوتـادا ، والبرزخ والحجر المحجور ، الذى يتكون عند مصب الأنهار ، وباطن الأرض التي تمـور بالحرارة ، وطبقات الجو العليا التي يقل فيها الأكسجين ، ويصعب فيها التنفـس .
﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنّما يصعّد في السّمــاء ﴾ [٣]

---

(١) انظر على سبيل المثال : كتاب جغرافية العالم ، الجزء الثاني - للصف الثانـي المتوسط ، دار النشر التربوى ، وزارة التربية والتعليم ، شعبة الجغرافيـا ، صفحات الكتاب بأجمعه .

(٢) ف . ل . قريفث ، تجربة في التعليم ، مجلة التوثيق التربوى ، السنة الثامنـة ، العدد ٣٤ سبتمبر ١٩٧٥م ص ١٠

(٣) سورة الأنعام الآية/ ١٢٥ .

ثالثا : مادة علم الاجتمـــاع :

علم الاجتماع من العلوم الغربية التي غزت العالم الإسلامي ، وهو في الأصل ـ كعلم النفس ـ بنى على أسس مادية ، لادينية [١] يقوم على أفكار خاطئة ، وحقائق علمية غير ثابتة ، وكمثال لذلك نذكر :

كتاب: علم الاجتماع : للصف الثالث الثانوى العالي ـ القسم الأدبي ، تأليف أحمد فضل المولى بإشراف قسم المناهج والكتب بوزارة التربية ، مؤسسة القرشي للإعلان والطباعة ـ ط ١ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

أولاً: يركز الكتاب على المجتمعات الإنسانية ذات النظم الجاهلية ، كالنظام العشائرى القبلي البدائي ، ونظام الرّق ، والنّظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي [٢] ، ولايتعرض لامن قريب أو بعيد للإسلام، كنظام شامل للحياة الإنسانية .

وهناك تغافل واضح للقيم الاجتماعية في الإسلام ، مع التركيز على القيم الاجتماعية السائدة في المجتمعات الجاهلية الأخرى . [٣]

ثانياً : يقوم الكتاب على مبادىء نظريتي (لامارك ، وداروِن) في التطور حيث نجد أنّ مقارنةً قد أجريت بين التغييرات الاجتماعية ، والتغييرات البيولوجية ، تماماً كما تحدثت تلك النظريتان ، مع التركيز والتأكيد على أن هذه التغييرات الاجتماعية أمر حتمي اضطراري مستمر . [٤]

---

(١) انظر: سفر عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية ، نشأتها وتطورها وآثارها ، مرجع سابق ص ٦٠٩ .

(٢) انظر: كتاب علم الاجتماع ـ المرجع السابق ، ص ٤

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٧

(٤) انظر: المرجع نفسه ص ٤

وفكرة استمرارية التطور إلى أعلى فكرة دارونية ولاشك ، وقد تأثر الماديون تأثراً بالغاً بالدارونية في أكثر من موضع من تصوراتهم ونظرياتهم ... رغم أن "دارون" كان يتحدث عن أجسام الكائنات الحية ، ووظائفها الحيوية ، ولم يتحدث عن شيء غير ذلك .(١)

أما الماديون فقد أمسكوا بخطوط من الدارونية ، فمدوها مداً - كما يذكر الأستاذ محمد قطب - لتخدم أغراضهم الخاصة ، وزعموا أنها صحيحة لمجرد كون الأساس الذى بنوا عليه ، وهو التطور صحيح .(٢)

ثالثاً : نجد بالكتاب أفكاراً خاصة بقبائل محددة ، في شأن الأسرة عمموها على المجتمع ، مما يعارض الشريعة الإسلامية ، إذ يذكر الكتاب : " أن الانتقال من نظام التعدد إلى الوحدانية في الزواج ، لم يحدث مرة واحدة ، ولكنه ظهر في بعض العائلات ثم انتشر بعد ذلك ، حتى صار النظام الأخير هو السائد . وأصبحت العائلات التي تأخذ بنظام التعدد ، تعتبر شاذة أو منحرفة " (٣) .

وفكرة التعدد والوحدانية ، فكرة شيوعية ، صاغها دهاقنة الشيوعية الذين رسموا " خطاً تطورياً للأسرة ، يعتمد في مراحله الأولى على ما اكتشف من أحوال القبائل المتأخرة في مختلف قارات الأرض . أو ما يتصورونه من أحوالها في بعض الأحيان .

ويقسمون أطوار الأسرة إلى : أسرة الجيل ، وأسرة الشركاء والأسرة الزوجية والأسرة الوحدانية .

---

(١) انظر: تشارلز دارون ، أصل الأنواع ، مرجع سابق ، غالب صفحات الكتاب .
(٢) انظر: محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٧٦ .
(٣) انظر: كتاب علم الاجتماع للصف الثالث ، الثانوى العالي - مرجع سابق ، ص ١٠ .

فأما أسرة (الجيل التي يتصورونها تصورًا) فقد كانت العلاقات الجنسية مباحة فيها بين جميع أبناء الجيل الواحد ، أي بين الإخوة والأخوات ومحرَّمة في مادون ذلك أي بين جيل الآباء ، وجيل الأبناء " . (١)

ويفرّق انجلز (٢) بين الأسرة الوحدانية ، والأسرة الزوجية فيقول : "إنَّ الأسرة الوحدانية ، مبنية على سيطرة الرجل ، وهدفها الصريح انتاج أولاد لايشك في صحة أُبوَّتهم ، هذه الأبوة التي لابد منها لكي يرث الأولاد في يوم ما، ثروة أبيهم ، بوصفهم ورثته الطبيعيين ، وتختلف الأسرة الوحدانية عن الأسرة الزوجية، في أنَّ رباط الزواج ، أمتن جدًا منها ، ولايعود حله الآن رَهْنًا برضى أيٍّ من الطرفين، بل يصبح الرجل - كقاعدة عامة - هو وحده الذى يستطيع الآن حل هذا الرباط ، وتسريح زوجته " (٣)

ويمضى فيقول : (كانت الزيجة الوحدانية أول شكل للأسرة مبني لا على أحوال طبيعية " يقصد كتلك التي كانت أيام الشيوعية " الجنسية ، بل على أحوال اقتصادية ، أى على انتصار الملكية الخاصة على الملكية العامة البدائية ، الطبيعية النشأة) . (٤)

---

(١) انظر : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢.

(٢) فردريك أنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥م) إشتراكي الماني أسهم مع كارل ماركس في وضع أسس النظرية الإشتراكية الحديثة ، وفي صياغة البيان الشيوعي الشهير ١٨٤٨م ، من أهم كتبه " الدولة والملكية الخاصة " ، " أصل الأسرة" ، " معالم الإشتراكية العلمية " ، " رأس المال " .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ، مرجع سابق ص ٢٣٧.

(٣) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، مقتطفات من كتاب :" أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة لأنجلز ص ٩٥ - ١٠٢ من الترجمة العربية .

(٤) المرجع نفسه والصفحة .

والحق أنّ مثل هذا الشذوذ في المشاعية الجنسية إنْ وُجِد - كما يدعون - لايمثل الحال التي كانت عليه البشرية في أول عهدها، لأن الشذوذ والانحراف يطرأ دائمًا على الناس في أثناء مسيرتهم التاريخية ، ولايدل وجوده ، وظهوره في أى جيل على أنّه كان موجودًا في أجيال سابقة .

" ألم تقع الفاحشة الشاذة من قوم لوط ، غير مسبوقة ؟ فهل نقول إنّ وجودها وتفشيها في قوم لوط دليل على أنّها وجدت منذ أول البشرية ، ووجدت على سبيل الشمول ؟ "(١)

وهذه سنة الله في خلقه :

* قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعًا فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٢)

* وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقّت عليه الضلالة ﴾ (٣)

هذه الأفكار الخطيرة، نجد لها أساسا كذلك في مبادىء نظريات علم الاجتماع " لدور كايم " الذى يعتمد في فكرته على الأمم البدائية ، في تفسير بعض الظواهر كالظاهرة الدينية ، والأسرية في تلك المجتمعات التي - كما يدعي - لاتتميز فيها الأسرة الخاصة ، بخاصية مستقلة ، بل تقوم على نظام القبائل والفصائل ، والعشائر ، ليصلَ إلى أنّ الدين والزواجَ والأسرة ،

---

(١) محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - مرجع سابق ، ص ٣٥٩
(٢) سورة البقرة الآيتان ٣٨ - ٣٩ .
(٣) سورة النحل الآية/ ٣٦

هي أشياء ليست من الفطرة ، مع التركيز على إلغاء الفطرة الإنسانية النزاعة إلى الايمان بالله ، وإلى عبادته ، وإلى فضائل الأخلاق .[١]

وفي هذا يقول " دور كايم " اليهودى الفرنسي (١٢٧٥هـ - ١٣٣٥هـ - ١٨٥٨م -١٩١٧م) :

كما ورد في كتاب علم الاجتماع للصف الثالث ، الثانوى العالى : " كان المظنون أنّ الدين والزواج ، هي أشياء من الفطرة . ولكن التاريخ يوقفنا على أنّ هذه النزعات ، ليست فطرية في الإنسان ".[٢]

فالهدف كما هو واضح ، " هو أن الشيوعية - اليهودية المنشأ - تريد أن تقيم - كما يقول الأستاذ محمد قطب - مجتمعًا بشريًا ، على الإلحاد الكامل ، والبعد عن الدين ، فتروح تزعم أنّ الدين ليس من الفطرة ، وأنّ أسبابا معينة في البيئة أو في موقف الإنسان من البيئة هي التي انشأت ظاهرة التدين ، فيما مضى من التاريخ ، وأن هذه الأسباب الآن قد زالت فينبغي للدين أن يزول "[٣]

وقد حاول المنهج الغربي الوافد عن طريق هذه المفاهيم الوافدة من مدارس العلوم الاجتماعية الغربية ، أن يطرح مفهومًا تاريخيًا خاطئًا ، ينكر أصالة قيام الأسرة منذ العهود البشرية الأولى :" وهو يستمد هذا من بعض نتائج علم الأنتروبولوجيا ، كما استمد منه مفهومًا آخر زائفًا هو أنّ البشرية بدأت وثنية ، ثمّ عرفت التوحيد "[٤]

---

(١) انظر : عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣٦
(٣) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .
(٤) أنور الجندى ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢ .

وفي مفهوم الإسلام أنّ الأسرة تكوّنت في بداية البشرية، ولم يخل منها جيل من الأجيال . " ولايعترف الإسلام بأيّ نظرية عن تطور العائلة على أساس، أنّ المرأة كانت مشاعة في عهد البشرية الأولى ، ثمّ تكونت العائلة بمرور الزمن بفعل عامل اقتصادى " (١).

فالقرآن يقرر أنّ الأسرة نظام بشرى أصيل . قال تعالى : **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾** (٢)

رابعا: يتناول الكتاب في حيز واسع، الحديث عن النظام الإشتراكي الشيوعي ومزاياه، وأنه النظام الأصلح والأمثل ، والأكثر قبولاً، والذى ارتضاه مايقارب ثلثي العالم ، وأصبح تطلع الجماهير الكادحة على نطاق العالم مشدودًا نحو آفاقه (٣) وأن هذا النظام هو الوحيد الذى يحفظ التوازن في المجتمع ، ويزيل الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية ، حيث نقرأ فيطيات هذا الكتاب :" ولكن يمكن التغلّب على هذا الاضطراب، الذى جاء كرد فعل لتخلف الجوانب اللاّمادية من ثقافة المجتمع عن الجوانب المادية ، وإعادة المجتمع إلى حالة من التوازن بين أجزائه المختلفة ، كان لابد من إشعال ثورة في المجتمع تزيل التّناقض القائم في جانبي الثقافة ، وإقامة مجتمع جديد لا مصلحة له في استمرار ذلك التّناقض ، إنّه مجتمع التخطيط الاجتماعي والاقتصادى ، المجتمع الإشتراكي " (٤)

---

(١) أنور الجندى ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢.

(٢) سورة النساء الآية / ١

(٣) انظر : علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ١٠

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ ـ ٢٧.

رابعا : مادة العلـــــوم :

كتاب : الأحياء للصف الأول الثانوى : تأليف الأستاذ يوسف بابكــــــــــر أبو جديرى وآخرين، مراجعة وتنقيح شعبة العلوم بالوزارة مطبعة جامعــــة الخرطوم ، الناشر ،دار النشر التربوى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

يعالج هذا الكتاب في الباب الثالث على سبيل المثال ، والذى هو بعنوان : " ملاءمة الحيوانات للبيئة " موضوعًا عن البرمائيات متفقاً تماماً مــــع نظريتي (دارون ولامارك) في تناولهما لكيفية نشوء الأنواع الجديدة مـــــن الأنواع التي سبقتها في الظهور، خلال العصور الجيولوجية ، نتيجة لعوامل أساسية حددها دارون في كتابه "أصل الأنواع " في الآتي : (١)

(٢) خصوبة الأحياء العاليـــــة

(٢) التغيير ظاهرة طبيعيــــــة

(٣) الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح

(٤) التحور في التركيب للتأقلم في البيئة .

والذى يهمنا في هذا المقام هو العامل الأخير " التحور في التركيب للتأقلـــم في البيئة " ، حيث يرى دارون، أنّ ظروف وعوامل البيئة تتغير خلال العصـــور المختلفة ، ويتمكن بعض الكائنات من التأقلم في البيئة الجديدة نتيجـــــة لبعض التغيرات التي تحدث في تركيب أجسامها ، فتنشأ نوع جديد يختلـــف عن النوع الأصلى الذى اشتق منه ، وقد ساق (دارون) أمثلة كثيرة لبعــــــض الحيوانات التي تطورت . (٢)

(١) انظر: تشارلز دارون ، أصل الأنواع ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ ومابعدها .
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحات .

هذه النظرية الملحدة التي عفى عليها الدهر ، وأفلست أمام معاول الاكتشافات العلمية الحديثة ، والتي تتعارض أصلاً مع عقيدتنا ، تسلّلت خفية إلى وجدان تلاميذنا - ولا أقول عقولهم - لأنّها لا تدخل ضمن أطروحات ، أو افتراضات علمية قابلة للنقاش ، بل تعطى في شكل جرعات علمية يمتحن فيها الطالب للدخول للجامعة ، ولابد أن تحفظ عن ظهر قلب .(١)

وبتتبعنا لهذا الكتاب المقرر - كتاب الأحياء - نجد أنّ الأصل الرابع من نظرية دارون بصفة خاصة ، قد طبق بدقة متناهية لدرجة أنّ الأمثلة التي ضربت في الأحياء نجدها متشابهة كذلك . وللإستدلال نعرض الفقرات التالية من هذا الكتاب :

" يحدثنا التاريخ ، أنّه في أواخر العهد الدّفوني ، أي قبل حوالي ٣٥٠ مليون عام أنّ أسلاف البرمائيات عندما وطأت أقدامها اليابسة ، لمست قسوة الطبيعة واستحالة العيش ، كما عاش السلف من الأسماك ، ولذلك كان لابد من إجراء التحورات الوظيفية ، والمظهرية لمواكبة التغيير "(٢).

ويمضي السياق :

" كل كائن حي على وجه الأرض ، يخضع لقوة الجاذبية الأرضية بطريقة أو بأخرى ولكن اتضح أنّ الأسماك وهي تسبح أقل تأثراً بالقياس ، ويعزى السبب في ذلك لضغط الماء المناوئ للجاذبية ، وهذا هو ما يسهل حركة الأسماك ليجعلها وكأن لم يكن لها وزن في الماء ، وتنتفي هذه الظاهرة مع البرمائيات التي خرجت من الماء ، وأصبحت تحت تأثير الجاذبية المباشرة على جسمها كلما غادرت

---

(١) انظر الأستاذ : الرشيد صنقور ، أما آن الأوان لنجتث منابت الإلحاد من مناهجنا التربوية ، جريدة الراية الأحد ٨ رمضان ١٤٠٨هـ .

(٢) كتاب الأحياء للصف الثالث الثانوي ، مرجع سابق ، ص ٦٠

الماء ، ولكي تكون الحركة في مقدورها كان لابد من تطور في الأَطراف " الأَمامية والخلفية " فقد حلّت هذه مكان الزّعانف ، ودخلت في تكوينها تقوية عظيمة ، وعضلات قوية ومفاصل ، وكلها تتضافر لترفع الجسم عن الأرض ، لتقاوم بذلك تأثير الجاذبية الأرضية " (١)

ويقول :

" تَبَعًا للحياة الجديدة، فقد تطور الهيكل في نواح شتى، تجمع بين الالتحام في بعض أجزائه ، وتكوين أجزاء إضافية جديدة وتقليل نقاط الضعف ، وجميعها تهدف إلى مقاومة الجاذبية الأرضية ، والمساعدة في عملية القفز التي تدعمها عضلات قوية تتجمع على نتوءات عظمية في مواقع مختلفة "(٢)

ويمضي السياق :" بمقارنة الضفادع في موطنها الجديد بالأسماك، نجد أنّها تفتقد السُّرعة والإلمام بالبيئة المحيطة بها ، فهي كائنات غزت بيئة غريبة ، يقعد بها البطء عن تجنب المخاطر ، فلذا وجب عليها الاعتماد على حاسة النظر في حالتي تقدير فرص النجاة والافتراس ، ولذا نجد أنّ عينها تحوّرت، من عين تستعمل في بيئة لا يختلف معظم تكوينها الداخلي عن الماء المحيط بها ، إلى عينٍ مؤهلة للرؤية على الأرض ، حيث يختلف تكوينها الداخلي على البيئة المحيطة بها ، ولذا كان التغيير في شكل العدسة من مستديرة إلى شبه مسطحة من الأمام لتتمكن من تركيز الرؤية على سطح الأرض ، كذلك ولكي تكون العين أكثر قدرة على عملها فقد احتلت مَوقعًا فوق الرأس تساعدها كفاءة العضلات على الحركة في كل الجهات ، ممّا يمكن من اكتشاف البيئة المحيطة ، وتجد هذه العين العناية الطبيعية بالدموع

---

(١) كتاب الأَحياء للصف الثالث الثانوى المرجع السابق، ص ٦٠

(٢) المرجع نفسه ص ٦١.

التي تغسلها من الأتربة ، والأوساخ المتساقطة ـ، بعد أن فقدت الماء الذى غَسَل عينَ أسلافهـــا " .(١)

ويمضي السياق كذلك : " أسلاف البرمائيات من الأسماك، استفادت من وجود الخطوط الحسية الجانبية ، والتي إلى جانب الأذن الداخلية كونتا حاسة السمع وقياس نبذبات الماء المحيط ، ولذا سَاعَدَا في الحماية ضد الأعداء ، وفي اكتشاف الفريسة ، ولكن فقد هذه الخطوط والماء كان لابد من ايجاد البديل عند البرمائيات ، وعليه فقد تطورت الأذن وأصبحت تتكون من جزءين داخلي وأوسط " (٢)

ذلك هو العامل الأساسي الرابع في نظرية دارون ، نلحظها برمتها بين ثنايا هذا الكتاب المقرر لطلاب الشهادة السودانية وللرد على هذه التّرهات نورد الآتي :

أولا: " هل تملك الحيوانات أَعْيُنًا لأنّها تريد أن ترى ؟ أم أنّها ترى، لأنّها تملك أعينا ؟ " .

هل تملك الحيوانات أرجلًا لأنّها مضطرة إلى الحركة ؟ ، أم أنها تتحرك لأنّها تملك أرجلا ؟ .

إن الأبحاث الحديثة أثبتت أنّ فأرة المنزل عمياء ، لذا فهي لا تستطيع التمييز بين الضياء والظلام ، ولابين الأشياء ، وعلى الرغم من ذلك فإنّها تمرق مروق السهم وتجتاز جميع المواقع ولاتستعين عند القيام بأعمالها الضّارة بعينها ، بل بأعصابها

---

(١) كتاب الأحياء ، المرجع السابق ، ص ٦٢.
وانظر نظير ذلك ماجاء في كتاب أصل الأنواع لدارون ص ٢٨٨ ومابعدها .

(٢) كتاب الأحياء للصف الثالث ، مرجع سابق ، ص ٦٣.

وأحاسيسها الأخرى ، وكذلك الأمر بالنسبة للعنكبوت ، وكثير من الحيوانات المفصلية ، ولا تستطيع كثير من الحشرات الطيران على الرغم من امتلاكها أجنحة جميلة مزينة كبيرة ، ومثلها في ذلك مثل بعض الحيوانات التي لا تستطيع الطيران مع وجود أجنحة لها ...

إنّ هذه الأمثلة تبيّن بوضوح أنّ هذه الأعضاء موجودة أصلا ، وهي تيسر للأحياء القيام بأعمال ونشاطات معينة ، أو تحول دون ذلك ، وهذا يعني أنّ الأعضاء لم توجد في الأحياء نتيجة تكيّف هذه الأحياء للظروف ، بل على العكس فإنّ ظروف حياتها هي التي تشكل وتظهر بالنسبة لهذه الأعضاء ووظائفها " .(١)

ثانيًا: لقد تبين من الدّراسات التي أجراها العالم " مندل " في الوراثة أنّ الاختلافات بين الأجيال المتعاقبة تنتج من التوزيع الحر لعوامل الصّفات الوراثية أثناء تكوين الخلايا التناسلية ، لا كما يعتقد " دارون " في أنّ وراثة الصفات المكتسبة إنّما تكون من البيئة .(٢)

ثالثًا : الاستنتاج المستقي من التطور استنتاج احتمالي ، نظرى ، وليس أمرًا علميًا مؤيدًا بشواهد من الواقع ، إذ لم يلاحظ الباحثون في الطبيعة ، ولا في المختبرات حالة واحدة من حالات التطور المتخيلة في الاستنتاج ، لكن التخيل طرح ذلك على الأحقاب الزمنية الغابرة ، وتخلّص من المطالبة بالشواهد من الواقع .

---

(١) شمس الدين آق بلوت ـ دارون ونظرية التطور ، ترجمة عن التركية أورخان محمد علي ، دار العدالة للطباعة والنشر ، الناشر : دار الصحوة للنشر القاهرة ، الطبعة السابعة ١٩٨٠م ص ١٨ ـ ٢١ .

(٢) انظر : أمانة التعليم بليبيا ، منهج علم الحيوان للصف الثالث الثانوى ، طبعة ١٩٨٣ م ـ ١٩٨٤م ص ٣٥.

على أن التطور ، لو ثبت علميا بشواهد من الواقع في الطبيعة ، فإنّه لايفيد أنّ التطور حدث ذاتيًا ، بل النظرة الإيمانية القائمة على ملاحظة الحكمة في الخلق ، وَفْقَ سُنَّة التطور ، كما رتبت عملية خلق الإنسان وفق أطواره حتى يكون نطفة ، فجنينًا ، فطفلاً ، فبالغا أشده ، فما وراء ذلك من الأطوار ...

أمّا التَّطور الذاتي إلى الأكمل دون تدبير حكيم عليم قدير خالق، فهو أمر مستحيل عقلاً ، إذ الناقص لا ينتج الكامل في خطة ثابتة ، وهو بمثابة انتاج العدم للوجود " . (١)

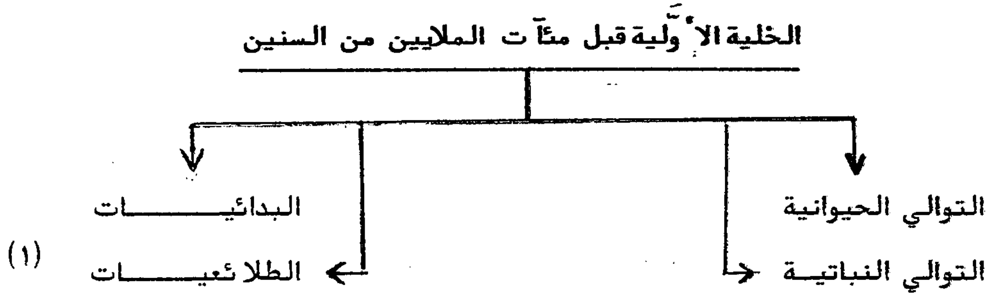
ونختم حديثنا عن هذا الكتاب المقرر بالتعليق على النص التالي : " درج العلماء إلى عهد قريب إلى تصنيف الكائنات الحية إلى مملكتين هما المملكة الحيوانية ، والمملكة النباتية ، معتمدين على بعض الصفات ، والتي من أهمها ، الحركة والتغذية والتكاثر ..... مما يؤخذ على هذا التصنيف عدم أخذه في الاعتبار للتطور الذى حدث عبر ملايين السنين للكائنات الحية وعجزه عن التصنيف الدقيق لبعض الكائنات السفلى التي لها بعض الخصائص النباتية والحيوانية معا ....

- ويمضي السياق - في الفترة الحديثة اقْتُرِحَ تصنيفٌ جديدٌ للكائنات الحية ، تم بموجبه تصنيف كلّ الكائنات إلى أربعة أقسام رئيسية، ويميز هذا التصنيف اعتماده على نشوء وتطور هذه الكائنات عبر التاريخ ، ويمكن تلخيصه

---

(١) الأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، كواشف زيوف - مرجع سابق ص : ٣٣٠ - ٣٣١ .

في الشكل التالـــي :



والتعليق على ذلك هو : أنّ جميعنا يعلم أنّ الإنسان يُصَنَّف في قائمة التوالي الحيوانية، لهذا التصنيف القائم على نظرية دارون في تفسير منشأ الإنسان ، ويميز هذا التصنيف اعتماده على نشوء وتطور هذه الكائنات عبر التاريخ ·

" ولا يغيب عن ذهننا ـ كما يقول الأستاذ الرشيد علي صنقور ـ ما تتركه عبارة " اقْتُرِح تصنيفٌ جديد ··· " من أنَّه مجرد اقتراح ، إذ إنّ كلّ المقرر ، أو منهج مادّة الأحياء في المرحلة الثانوية مؤسّس ومبوّب، اعتمادا على هذا التصنيف الحديث المنبثق عن نظرية التطور ، هذه النظرية التي تستند بأكملها على عامل الصُّدفَة ، وعبثاً يحاول البعض العثور على نقاط التقاء بين هذه النظرية ، وبين عقائدهم الدينية ، ذلك أنّ صاحب النَّظرية " شارلس دارون " يرى أنّ الكون والحياة هما نتيجتان للصدق ، والتطور ليس إلاّ سلسلة من الصّدق كذلك ·

---

(١) الأحياء للصف الثَّالث الثَّانوى ، مرجع سابق ، ص ١١٠ ـ ١١١ ·

وبعد :

فإنّ الوضع الذى انجرفت إليه مدارسنا في محاولاتها لإلباس نظرية التطور لبوسًا زائفًا من العلم ، علاوةً على كونه يستدعي الأسف ، فإنّه مخل بكرامةِ ورسالةِ هذه المدارس ... إنّ العلم لايمكن أن يكون حياديًّا بين الدين وبين الإلحاد ، إذ يجب عليه أن يقف مع هذا أو مع ذاك ، أمّا محاولة مسح فكرة الخلق عن الأذهان، تذرعًا بالحياد ، فهي في حقيقة الأمر وقوف بجانب الإلحاد وبذل للمجهود في جانبه ، وهو ما يشكل تناقضًا صريحًا مع العلمية الموضوعية .

إنّ قيام معلّم العلوم، أو الكتاب العلمي المدرسي ، بذكر أنّ الكون مخلوق من قبل الله ، لايشكل تدخلاً في ضمير أيّ شخص ، أو ضغطا عليه ، ولكن القيام بمحاولة تفسير وجود الكائنات في الطبيعة بالصدف العمياء، إنّما هو الذى يشكل حربًا ضد ضمير وعقيدة كلّ أفراد هذه الأ مة " . (١)

---

(١) الرشيد على صنقور ، أما آن الأ وان لنجتث منابت الالحاد من مناهجنا التربوية مرجع سابق .

خامسا : مادة اللغة العربيـــــة :

رغم أننا قد تجاوزنا ذلك العهد الذى كان يدّرس فيه كتاب :" العربيــــــة المحبوبـة " والذى كان يتحدث عن اللورد كتشنر على أنّه فاتح السُّودان ، ومؤسس العمران ، ويخصّ فصلاً عن الجنرال غردون ، معظماً إياه ، ومنوّهـــاً بذكره ... رغم ذلك - إلّا أنّ مناهج اللغـة العربيـة ، مازالت في حاجـــــة إلى أنّ تضع نصب عينيهـا تلك الأهداف السامية التي تجعل الدارس محبــّـاً للغةِ القرآن ، متعلّقاً بها ، ولعلّ ما تعانيـه مناهجنا اليوم ، هو نتــــاج لتلك الهجمة الشرسة المتمثلـة في الأفكار الدخيلـة التي غزت مناهـجنـــا الدراسية ، ومنها مادة اللغـة العربيـة .

من ذلك ما نجده على سبيل المثـال في :

أ - **كتاب** : القراءة العربيـة ، للصف الأول ، المرحلـة المتوسّطة إعداد وتنقيـــح عبد الحي عبد الحق ، وأحمد محمد صالح ، مطبعة التّمدن ، الناشــــــــر : دار النشر التربوى ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. (١)

لقد حاول النظام المايـوى الزّج بالمذاهب الإشتراكية في تدريس مادة القــراءة العربيـة ، وخاصـة في أوائل عهد مايو ، ليكون ذلك مدخلاً للنظام، إلى بـــــثّ بعض أفكاره من خلالها ، من ذلك مثلا ماورد في هذا النّصّ : " لقد ظلـــت القوانين في تطور مستمر حتى اهتدى بعض المفكرين إلى وضع نظـــــــام للحكم لا يعالـج المشاكل بعد أن تنشأ ، وإنّما يمنع نشأتها ، وسماه بالنظـــام الإشتراكي ، ومعناه أنّ أسباب الأرزاق وسائل الكسب ، كالأرض الزراعيــــة

---

(١) الطبعة الأولى عام ١٩٧٢ م.

والسّكنية ، والأعمال الكبيرة ، كوسائل الرّي ، والمواصلات ، والمصانع وتصدير البضائع وتوريدها ، كلّ هذه يجب أن تكون ملكاً مشتركاً للناس جميعاً ، تشرف عليها الدولة ، وتوزع خيرها بعدل بينهم ، فلا يكون هناك ثراءٌ فاحشٌ ، ولا فقرٌ مدقع .

هذه هي الفكرة الأساسية في النظام الإشتراكي الذى قررت ثورة مايو أن تسير عليه ، يظن بعض الناس أنّ الإشتراكية ، نظامٌ لا يوافق عليه الدين الإسلامي ، وهذا جهل ، إمّا بالدين ، أو بالإشتراكية فقد جاء في تفسير سورة الحشر التي نزلت في حرب بني النضير - وهم اليهود - مع المسلمين في المدينة ، أنّه عند توزيع الغنائم بعد هزيمة اليهود ، أنّ العلماء اختلفوا في قسمة الفيء ، فقال سيدنا مالك : " إنّ للإمام أن يوقفها لمصالح المؤمنين " ، وقال أبوحينفة :" الإمام مخيّر بين أن يقسمها ثمّ يشترى من الناس أنصبتهم ، ويجعلها وَقْفاً لمصالح المسلمين " ، أمّا سيدنا عمر فقد كان يقسمها ، ثم يشترى من الناس أنصبتهم ، ويجعلها وَقْفاً للمسلمين . وقد روى عنه ما معناه : لو كان لي من الرأى ما أنا عليه الآن ، لأخذت من أموال الأغنياء ورددتها على الفقراء .

ألا ترى أنّ هذا أساس الفكرة الإشتراكية ، أو أنّه ما نسميه اليوم التّأميم .

ويحدثنا التّاريخ أنّ الأنصار ، من أهل المدينة ، حينما قَدِم إليهم المهاجرون من مكة ، جعلوا الأرض ، وماعليها من نخيلٍ وثمارٍ ، شركةً بينهم ، وقاسموهم أموالهم .

وقد أخذ بالنّظام الإشتراكي قَبْلَنا بعضُ بلاد الإسلام ، ووضعوا من القوانين الإشتراكية ما يناسبهم ، ولا يتعارض مع عقيدتهم الإسلامية وهو ماقررت أن تفعله حكومة الثورة في بلادنا .[1]

(١) كتاب القراءة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٣٦-١٣٧ .
وللوقوف على أصل هذه الافكار ومصدرها انظر : محمود شلبي ، اشتراكية عمر ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

أولا: الرّد على التّرهات الواردة في النّــص :

(١) الادعاء بأنّ القوانين ظلت في تطوّر مستمر ، حتى اهتدى بعض المفكرين إلى وضع نظام للحكم لا يعالج المشاكل بعد أن تنشأ ، وإنّما يمنع نشأتها، وسمّــاه النظام الإشتراكي ؛ ادّعاء لا يسنده دليل ، بل فيه هدم للشريعة الإسلامية - شريعة السماء - الصالحة لكل زمان ومكان ، والتي وضعت الحلول الناجعة للمجتمع قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان .

من ذلك أنّها اعتبرت الفقر مشكلة تتطلب الحلّ ، بل آفة خطرة تستوجب المكافحة والعلاج ، فوضعت له حلولا إيجابية ، ووسائل عملية واقعية ، ككفالة الموسرين من الأقارب ، والزكاة ، وإيجاد حلول غير الزكاة ، والعمل ، وكفالة الخزانة الإسلامية بمختلف مواردها ، والصدقات الإختيارية ، والإحسان الفردي ... الخ . (١)

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لازاد له .

قال : فذكر من أصناف المال ماذكر حتى رأينا أنّه لاحقّ لأحدٍ منّا في الفضل" (٢)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :" أنّ الله فرض على الأغنياء في أموالهم

---

(١) لتفصيل هذه الوسائل انظر: د. يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، الطبعة الخامسة -١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، ص ٣٥ إلى آخر الكتاب .
وكذلك انظر: د . عبد السلام داود العبادى ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، طبيعتها ووظيفتها وقيودها ، القسم الثالث ، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ -١٩٧٧م ، ص ٨٨ ومابعدها .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب اللقطة ، باب استحباب المواساة بفضول المال ج ٣ حديث ١٧٢٨، عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه مرفوعًا .

بقدر ما يكفي فقراء هم فإن جاعوا ، أوعروا ، وجهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه ". (١)

وقال الإمام الغزالي :" إذا أصاب المسلمين قحط وجدب ، وأشرف على الهلاك جمع ، فعلى الأغنياء ، سدّ مجاعتهم ، ويكون فرضًا على الكفاية ... وذلك ليس على سبيل الإقراض ، فإنّ الفقراء عالة على الأغنياء ، ينزلون منهم منزلة الأولاد من الآباء ، ولايجوز للقريب أن ينفق على قريبه بالإقراض، إلّا إذا كان له مال غائب ". (٢)

وقال الإمام القرطبي في تفسيره :" اتفق العلماء على أنّه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة ، فإنه يجب صرف المال إليها ، قال مالك رحمه الله يجب على الناس فداء أسراهم ، وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا اجماع أيضا ". (٣)

فخلاصة القول : إنّ هذا المبدأ الذى قرره الإسلام لضمان الحاجات الأساسية لكلّ فرد من أفراد مجتمعه ، كما يذكر الدكتور العبادى : " يفوق كل ماتفتّق به الذهن البشرى من مبادىء التأمين الاجتماعي والضمان الاجتماعي وغيرها ... ويقدّم فيه الإسلام سبقًا مذهلًا ، يدل بكل وضوح على أنّ هذه الشريعة ، شريعة إلهية ، وضعت المبادىء الكفيلة بحلّ المشكلات الإنسانية في كلّ الأماكن والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ". (٤)

---

(١) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ج ١ ص ٥٣٨ موقوفا على علي رضي الله عنه .

(٢) الإمام أبو حامد بن محمد الطوسي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) ، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل ، تحقيق حمد الكبيسي ، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٣) الإمام محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، دار الكاتب العربي ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م ، ص ٢٤٢ .

(٤) الدكتور عبد السلام العبادى ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(٢) عبارة :" يظن بعض الناس أنّ الاشتراكيـة نظام لا يوافق عليـه الدين الإسلامـي وهذا جهل بالدين ، أو بالاشتراكيـة .. " (١).

هذه العبارة ، واقعـة في دائرة من يجتهدون في عقد الصلات والمشابهـة بين النظام الإسلامي ، و أنواع النظم الأُخرى " التي عرفتها البشرية قديمـا وحديثا ، قبل الإسلام وبعده ، ويعتقد بعضهم أنّه يجد للإسلام سندًا قويـًا حين يعقد الصلـة بينه وبين نظام آخر من النظم العالمية القديمة أو الحديثة.
إنّ هذه المحاولة إن هي إلّا إحساس داخلي بالهزيمة أمام النظم البشريـة التي صاغها البشر لأنفسهم في معزل عن الله . فما يعتز الإسلام بأن يكـون بينـه وبين هذه النظم مشابه ، وما يضيره ألّا تكون . فالإسلام يقدّم للبشريـة نموذجًا من النظام المتكامل ، لا تجد مثلـه في أيّ نظام عرفته الأرض ، من قبـل الإسلام ، ومن بعده سواء ، والإسلام لا يحاول ، ولم يحاول أن يقلد نظامًا مـن النظم ، أو أن يعقد بينـه وبينها صلـة ، أو مشابهـة ، بل اختار طريقة متفردًا فذًا ، وقدّم للإنسانية علاجـًا كاملًا لمشكلا تها جميعًا .
ولقد يحدث في تطور النظم البشريـة أن تلتقي بالإسلام تارةً ، وأن تفترق عنـه تارة أخرى ، ولكنـه هو نظام مستقل ، متكامـل لا علاقة لـه بتلك النظـم لا حين تلتقي معـه ولا حين تفترق ، فهذا الافتراق ، وذلك الإلتقاء عرضيان ، وفـي أجزاء متفرقـة ، ولا عبرة بالإتفاق أو الاختلاف في الجزئيات والعرضيات ، وإنّمـا المُعوّل عليه هو النّظرة الأَساسية ، والتصور الخاص ، وللإسلام نظرته الأساسيـة وتصوره الخاص ، وعنه تتفرع الجزئيات فتلتقي أو تفترق عن جزئيات في النظـم الأُخرى ، ثمّ يمضي في طريقه المتفرد بعد كل اتفاق أو اختلاف ". (٢)

---

(١) القراءة العربية للصف الأول ، المرحلـة المتوسطة ، مرجع سابق ، ص ١٣٦.
(٢) الشهيد سيد قطب ، العدالـة الإجتماعية في الإسلام ، الطبعة الثامنة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) وردت في النص السابق معلومات مغلوطة كاذبة قصد بها ترجيح المذهب الاشتراكي ، حيث نقرأ الآتي : " ... فقد جاء في تفسير سورة الحشر التي نزلت في حرب بني النضير - وهم اليهود - مع المسلمين في المدينة **أنه عند توزيع الغنائم** بعد هزيمة اليهود ، أنّ العلماء اختلفوا في **قسمة الفيء** ، فقال سيدنا مالك : " إنّ للإمام أن يوقفها لمصالح المؤمنين " ؛ وقال الإمام أبو حنيفة :" الإمام مخيّر بين أن يقسمها ثمّ يشترى من الناس أنصبتهم ... الخ " .(١)

أولا : ما ردّه الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - من أموال بني النضير فهي فيء ، وليست غنيمة ، والحكم فيهما مختلف (٢)، وقد بيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك حينما سأله المسلمون أن يقسم لهم هذه الأموال فنزل قوله تعالى : ﴿ **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركاب ..** ﴾ (٣) فجعل أموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث شاء ، فقسمها بين المهاجرين . وقال الواقدي : ورواه ابن وهب عن مالك ، ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلاّ ثلاثة نفر محتاجين ، وآخرَيْن من بني النضير مسلمين . (٤)

والسبب في ذلك كما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " كانت أموال بني النضير مّما أفاء الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، مّما لم يوجف

---

(١) القراءة العربية للصف الأول ، المرحلة المتوسطة ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

(٢) انظر : الإمام أبي عبدالله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الجزء ١٨ ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م ، ص ١٢ ومابعدها .

(٣) سورة الحشر الآية (٦)

(٤) انظر الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ص ١١ .

المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق على أهله منها نفقة سَنَتِه ، ثمّ يجعل مابقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله ".[1]

ثانيًا : يفهم من النص أنّ مالكًا وأبا حنيفة كانا حاضرين : "**أنّه عند توزيع الغنائم بعد هزيمة اليهود** .. أن العلماء اختلفوا ... فقال مالك ... وقال أبو حنيفة ... " فهما إذًا صحابيان . بيد أنّ الحقيقة غير ذلك تمامًا ولايمكن لطالب في مثل تلك المرحلة أن يعقلها ، فالإمام أبوحنيفة ، إنّما ولد عام ثمانين للهجرة [2] ، والإمام مالك ولد عام خمس وتسعين للهجرة [3] ، أمّا غزوة بني النضير ، فكانت في السنة الرابعة للهجرة . [4] فتأمّل .

ثالثًا : استدلالهم المستنبط من قوله تعالى في سورة الحشر ﴿ كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ [5] من أن هذه الآية إنّما تؤيد مذهبهم في الإشتراكية مردود ، ومحجوج ، فالآية إنّما توضح وتقرر ، كما يقول الشهيد سيد قطب : " مبدأ إسلاميًا صريحًا هو كراهة انحباس الثروة في أيد قليلة في الجماعة ، وضرورة تعديل الأوضاع التي تقع فيها هذه الظاهرة بتمليك الفقراء قسطًا من المال ، ليكون هناك نوع من التوازن و " كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم "

---

(١) صحيح البخارى " مع الفتح " كتاب التفسير ، " تفسير سورة الحشر " باب قوله " ما أفاء الله على رسوله " جـ ٨ ، حديث رقم ٤٨٨٥ .

(٢) انظر : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م ، ص ٣٩ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٨٤

(٤) انظر أبي محمد عبد الملك بن هشام ، سيرة ابن هشام جـ ٣ ، تحقيق وضبط مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، ص ١٩٠

(٥) سورة الحشر الآية (٧) .

ذلك أنّ تضخّم المال في جانب ، وانحساره في الجانب الآخر ، مثار مفسدة عظيمة ، فوق ما يثيره من أحقاد وأضغان ... " (١)

وقد نبّه صاحب أضواء البيان عند شرحه لهذه الآية الكريمة على تلك المزاعم فقال :" والجدير بالذكر هنا : أن دعاة بعض المذاهب الاقتصادية الفاسدة يحتجون بهذه الآية على مذهبهم الفاسد ، ويقولون : يجوز للدولة أن تستولى على مصادر الإنتاج ورؤوس الأموال لتعطيها أو تشرك فيها الفقراء وما يسمونهم طبقة العمال ، وهذا على مافيه من كساد اقتصادى ، وفساد اجتماعي ، قد ثبت خطؤه ، وظهر بطلانه مجانبًا لحقيقة الاستدلال .

لانّ هذا المال تُرِكَ لمرافق المسلمين العامة ، والإنفاق على المجاهدين وتأمين الغزاة في الحدود والثغور ، وليس يعطى للأفراد كما يقولون ، ثم - هو أساسًا - مال جاء غنيمة للمسلمين ، وليس نتيجة كدح الفرد وكسبه ". (٢)

رابعًا : الأثر المروى بالمعنى عن سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والذى نصّه " لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضولَ أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين ". (٣)

هذا الأثر استوقف عددًا من الباحثين ، واختلفت طرائقهم في فهمه :

---

(١) الشهيد سيد قطب ، العدالة الإجتماعية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١١٧

(٢) الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، طبع على نفقة محمد بن عوض بن لادن ، ج ٨ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، ص ٥٤ .

(٣) رواه ابن حزم في كتاب المحلى ، مكتبة الجمهورية القاهرة ١٩٧٢م ج ٦ ص ٢٢٧-٢٢٨ ، عن طريق عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل شفيق بن مسلمة . وقال : " هذا الإسناد في غاية الصحة والجلالة ".

أ - فقد رأى بعض الباحثين أنّ هذا القول منه رضي الله عنه كان عام المجاعة وليس في غزوة بني النضير ، وهو يدل على أنّ للحاكم المسلم أن يتخذ في الظروف الاستثنائية من الإجراءات مايراه محققا للمصلحة .(١)

ب - وناقش آخرون هذا الأثر من ناحية ثبوته وصحته عن عمر رضي الله عنه(٢) ومع ذلك يقول الشيخ على الخفيف إنّه : " إن صَحَّ أنّ عمر رضي الله عنه قد قاله فليس يدل على أنّه وجد في عهده فقراء وأغنياء ضنوا بالفاضل عليهم وهي حالة توجد في زمن ، ولم يكن لها من علاج سوى ماشرعه الله من زكاة وحض عليه من صدقة وإنفاق ، وليس لعمر ، ولا لغيره أن يُشَرِّعَ ، ولا أن يأخذ مالاً من مالكه إلاّ بحق ، ولكن له أن يجتهد ويستنبط ، فإذا ساءت أخلاق الناس ، وضعف دينهم فتركوا ماطلبه منهم ، خلقاً وأدباً ، من رعاية الفقراء ومعونة المحتاجين ، كان من الجائز حملهم على ذلك بقوة السلطان ، فيفرض عليهم في أموالهم مايقوم بسد هذه الحاجات ، ودفع هذه الضرورات ". (٣)

---

(١) انظر : الدكتور البهي الخولي ، الثروة في ظل الإسلام ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر : د . عبد السلام داؤد العبادى ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٥ ، رجوعا إلى الشيخ محمد الحامد في كتابه نظرات في كتاب إشتراكية الإسلام ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) د . عبد السلام العبادى ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، القسم الثاني ، مرجع سابق ، ص ٢٦٥ ، ومابعدها نقلاً عن بحث للشيخ على الخفيف في المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ص ١٢٦ .

جـ- إنّ الذى صَدَرَ عن عمر رضي اللـه عنـه إنّما هو تدبيـر " موقّت بوجود الأزمة والشّدة ، كالذى حصل عام الرّمادة ، فعلى هذا يتنزّل قول عمر رضي اللـه عنه ، وليس يعني أنّ هذا الذى همّ به عمر سائغ مطلقًا كما يراه اليساريون ، فهو لم يعرض بعدها لأموال الأغنياء،ولو أنّه كان يرى هذا الذى زعمـوه لفعل ... ومعاذ اللـه أن يفعل،فقد كان وقّافًا عند حدود اللـه عزّ وجلّ ".(١)

د - " ان هذا الكلام لا يصدر إلاّ ممّن فاتـه أمرٌ بدا لـه بعد فواتـه،أنّ من الحكمـة أن يعمل غيره ، وعمر بن الخطاب رضي اللـه عنه ، مات وهو خليفة للمسلمين ، مطاع منهـم ،فلماذا لم يعمل بما همّ بـه ؟ " (٢)

ثانيا : توضيـح عام للقضيـة :

بعض هـذا الذى يـراه أصحاب التفسـير المادى للتاريخ ،حول الملكية الفردية

---

(١) د. عبد السلام العبادى ، المرجع السابق ،رجوعا الى الشيخ محمد حامد ،نظرات في كتاب إشتراكية الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٩.

(٢) د. عبد السلام العبادى ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، القسم الثاني، مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .

والصراع الطبقي ، صحيح ولاشك ، ولكن صحته قائمة فيّ نطاق محدّد لايتعداه إلى التعميم المطلق ، وفضلاً عن ذلك فإنّ المغالطات والأوهام حول الملكية الفردية أكثر بكثير من الحقائق الواردة حولها ، مع كون هذه الأخيرة مُحَدَّدة في نطاق معين ، وليست مطلقة الصحة في جميع الحالات .(١)

" صحيح ـ ذلك ـ بالنسبة للجاهليات ... ففي الجاهليات ، يَصْدُق القول بأنّ الذى يملك، هو الذى يحكم ، ومن يحكم، يُشَرِّع لصالح نفسه ، وصالح طبقته على حساب بقية الطبقات ، ومن ثَمَّ ينشأ صراع بين الطبقات ،ويدور الصراع حول متاع الأرض ، لأنَّ الجاهلية مفتونة أبدًا بمتاع الأرض ، يتصارعون حوله ويتقاتلون عليه .

أما في النظام الرَّباني فليست هناك ـ بادىء ذى بدء ـ طبقات ، ومن ثم ، فلا يوجد صراع طبقي ...

" وفي النظام الرَّباني لا يوجد شيء من هذا كله .

حقيقة أنّه توجد ملكية فردية ، ويوجد في المجتمع أغنياء وفقراء .... لكن لا الأغنياء طبقة ، ولا الفقراء طبقة ، ولا هؤلاء ولا هؤلاء يحكمون .

---

(١) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، بتصرف ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٧١ .

فالثروة في المجتمع الإسلامي دائمة التنقل من جيل إلى جيل ، بحيث لا تكون "طبقة " دائمة من أفراد معينين ، أو أسر معينة تتوارث وضعًا اجتماعيًا معيّنًا ، فأيّ فقير يمكن أن يتحول إلى غني، وأيّ غني يمكن أن يتحوّل إلى فقير ، فلا يحجزه شيء عن أن يكون هذا أو ذاك ، بحسب تصرفه الشخصي من ناحية ، وبسبب حركة المواريث الدائمة التي تفتت الثروة من مكان وتجمعها في مكان آخر " (١)

والذى حَدا بالناس للأخذ بهذه الترّهات ، رغم أنّ الاشتراكية لفظة دخيلة ، لأن الإسلام لا يستعملها ، وإنّما يستعمل التكامل والتعاضد إذا أراد ذلك المعنى المراد بالإشتراكية ، هو أنّ كلمة الإشتراكية من الألفاظ الفضفاضة التي تنطبق على مفاهيم ، ذوات مستويات متفاوتات ، فهي مذاهب مختلفة ، منها المعتدل ، ومنها المغالي ، ومنها الوطني ، ومنها الأممي . (٢)

ويحمل مروجو الشيوعية شعار الإشتراكية بين المسلمين ، مظهرين من دوائرها ، دائرة المستوى الأدنى ، الذى قد لا يتنافى مع أحكام الإسلام ، فهي في بعض حدودها الدنيا ، وضمن مفهوم عام ، قد تلتقي مع أحكام الإسلام في نظامه المالي ، أو الاقتصادى ، مثل إشراك الناس في الماء العام ، وفي الهواء ، وفي الكلأ النابت في الأرض العامة انطلاقا من قوله - صلى الله عليه وسلم : " المسلمون شركاء في ثلاث ، في الماء والكلأ والنار "(٣)

---

(١) مقتطفات من المرجع نفسه من ص ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٢) انظر : عبد الرحمن حسن الميداني ، كواشف زيوف - مرجع سابق ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٣) سنن أبي داود كتاب البيوع والإيجارات ، باب في منع الماء ج ٣ حديث رقم ٣٤٧٧ ، ومسند الإمام أحمد ج ٥ ، ص ٣٦٤ .

وقال : " لايمنع فضل الماء لمنبع به الكلأ " (١) ومثل النفقة الواجبة في نظام الأسرة الإسلامي ... ومثل تدخل الدولة لحماية العمال ، والكادحين في حصولهم على الأجور العادلة دون ظلم ولا شطط ، ومثل تهيئة فرص العمل لكل قادر عليه ونحو ذلك . (٢)

وتتجلى خطورة وعدوانية بناء الإشتراكية ،في فكرتها التأميمية بالذات ، حيث نجد أنّه " بقدر ما يمثل استبداد الدولة في النظام الماركسي ، فإنّه مناقض تماماً للفطرة الإنسانية السّوية ، فالملكية الفردية غريزة في النفس البشرية فطر الله الناس عليها منذ المولد ، فالتملك عند الطفل ، حين يبكي إذا انتزعنا منه لعبته ، غريزة ، والحيازة التي يموت الناس دفاعا عنها غريزة "(٣)

(١) صحيح البخاري " مع الفتح " كتاب المساقاة ، باب من قال : إنّ صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لايمنع فضل الماء ٢٣٥٣/٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .
قال الخطابي : هذا في الرجل يحفر البئر في الأرض المَوات فيملكها بالإحياء وحول البئر وقربها مَوات فيه كلأ ، ولايمكّن الناس أن يرعوا إلاّ أن يتبذل لهم ماء ه ، ولا يمنعهم أن يسقوا ماشيتهم فيه ، فأَمَرَه - صلى الله عليه وسلم - أن لا يمنع فضل مائه إياهم لأنّه إذا فعل ذلك ، وحال بينه وبينهم فقد منع الكلأ ، ولأ نه لايمكن رعيه ، والمقام فيه مع منعه الماء ، وإلى هذا ذهب في معنى الحديث ، مالك بن أنس ، والأوزاعي والليث بن سعد ، وهو معنى قول الشافعي ، والنهي في هذا عندهم على التحريم ، وقال غيرهم : ليس النهي فيه على التحريم ، لكن من باب المعروف ، فإن شَحَّ رجل على ماله ،لم ينتزع من يده ، والماء في هذا كغيره من ضروب الأموال لايصح إلاّ بطيبة نفس وذهب قوم إلى أنّه لايجوز منع الماء ، ولكن يجب له القيمة على أصحاب المواشي .
لمزيد من التفضيل انظر : الشيخ خليل أحمد الشهار نفوري ، بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود جـ ١٥ ، مطبعة دار البيان بعابدين ، الناشر : المكتبة الإمدادية ، واليحيوية ، والتجارية ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م ، ص ١٥٠- ١٥١ .

(٢) انظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، ص : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) د . صابر طعيمة ، أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامي ، مرجع سابق ص ٢٤٥.

وإذا كان الفكر الماركسي يجهل قوانين الله تعالى، في خلقه حين يقرر لهم في محكم كتابه ، قواعد إنجاح النظام الاجتماعي في قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ ... والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ [1] ، وقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إنّ ربّك سريع العقاب وإنّه لغفور رحيم ﴾ [2] وقوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ، ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون ﴾ [3]

فالفكر الماركسي - كما يقول الدكتور صابر طعيمه - :" في تجريده الفرد الإنسان من حق التملك ، وإطلاق المواهب الإنسانية ، والقدرات الذاتية الممنوحة من الله لكلّ إنسان ، حسب إرادة الخالق جلّ وعلا ؛ قد جنى جناية مباشرة على المواهب الإنسانية ، وأهدر إهداراً القدرات الإبداعية عند الإنسان " [4]

وهكذا يتبدّى لنا أنّ نزع الملكية الفردية لا يتحقق معه زوال الصراع الطبقي كما تدعي الإشتراكية ، لأنّ الصراع الطبقي " إنّما ينجم من طبيعة الجاهلية التي لا تحكم بما أنزل الله ، فيكون العلاج هو القضاء على الجاهلية ، وادخال الناس في دين الله ، وعندئذ تبقى الملكية الفردية التي شرعها الله وبالحدود والضوابط التي أنزلها الله ... ولا ينشأ الظلم الذى حرمه الله "[5]

---

(١) سورة النحل الآية / ٧١
(٢) سورة الأنعام الآية / ٦٥
(٣) سورة الزخرف الآية / ٣٢
(٤) د . صابر طعيمة ، أخطار الغزو الفكرى على العالم الإسلامي ، مرجع سابق ص ٢٤٦ .
(٥) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧ .

ب- كتاب: القراءة العربية للصف الثالث ، المرحلة المتوسطة ، مطبعة التمدن المحدودة ، الناشر : دار النشر التربوى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.[١]

الكتاب يحوى موضوعات مفيدة ، تحمل مضامين إسلامية وثقافة عامة ، ولكن الذى يؤخذ على الكتاب ، أنّ بعض العناوين التي أختيرت لبعض الموضوعات لم تكن موفقة ، بل كانت بمثابة ترضية للنّظام الإشتراكي الذى كان قائمـًا . من ذلك مقال لأحمد حسن الزيات بعنوان :" من إشتراكية الإسلام " وتحته ، عنوان جانبي :" كيف عالج الإسلام الفقر " .[٢]

والمقال إنما ينطبق على العنوان الثاني الفرعي ، لا على الرئيسي ، وفي ذلك نوع من الغزو ، باضفاء صفة الشرعية على الإشتراكية .

ج- الأدب والنصوص :

هناك محفوظات تدّرس منذ الإستقلال ، وحتى قيام ثورة مايو ، تحمل مضامين نصرانية مثل :

* المجد للوطن إلى العلا دليل .

حيث يقوم التمجيد هنا للوطن ، تحت شعار : الدين لله والوطن للجميع ، وهو مفهوم نصراني بحت .

كذلك نجد في كتاب الأدب والنصوص للصف الثالث المتوسط مطابع مصنع المنار الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م [٣] ، دار النشر التربوى :

قصيدة مليئة بالغزل المبتذل ، لاتتناسب أبـدًا مع طلاب وطالبات هم في سن المراهقة . وهي في نظرنا دعوة للفجور ، ومقدمات له .

---

(١) الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م.
(٢) انظر : المرجع أعلاه ص ٢٧
(٣) الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م.

من تلك النصوص الأبيات التالية : (١)

لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى ترفّق ساعدى فطواك
وتأوّدت أعطافُ بانِك في يدى واحمرّ من خفريهما خدّاك (٢)
ودخلت في ليلين فرعِك والدُّجى ولثمتُ كالصُّبحِ المنوّر فاك (٣)
ووجدت في كُنْهِ الجَوانِحِ نشوة من طِيْبِ فِيْك ومن سلاف لماك (٤)
وتعطّلت لغة الكلامِ ، وخاطبت عينيّ في لغة الهوى عيناك

د - كتاب : الأيام - الجزء الأول ، تأليف الدكتور طه حسين ، دار المعارف الطبعة ٦١ . (٥)

هذا الكتاب ، ضمن كتب المرحلة المتوسطة ، المقررة للاطلاع ، والتي من ضمنها كتب : جرجي زيدان ، وهي في مجملها تأصيل للقيم النصرانية واظهار التاريخ الإسلامي بمظهر الغراميات ، وأن خلفاء المسلمين لاهمّ لهم إلاّ الغناء والشراب والجوارى .

أمّا هذا الكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه - كتاب الأيام - فقد حوى موضوعات في غاية الخطورة نذكر منها الآتي :

أولا: يركز الكتاب على التقليل من قيمة دَوْر التعليم الإسلامية كالكُتّاب ، ويسخر من الشيوخ الذين يعلّمون القرآن ، ويظهرهم بمظاهر غير لائقة ، في صور هزلية تبعث على الاستهزاء ، كما يسخر من علماء الأزهر سخرية مرّة ، والقصد

---

(١) الأبيات للشاعر أحمد شوقي : انظر المرجع عاليه ص ٢٩
(٢) تأوّد : انحنى وثنى . الخفر : الحياء والخجل .
(٣) الفرع : الشّعر
(٤) كنه : أصل
اللمى : سمرة في الشّفة ، يستحسنها الناس .
(٥) غدد الطبعات يرينا مدى الجهد الذى بذل في طباعة ونشر هذا الكتاب .

من ذلك،هو في الواقع السُّخرية من الإسلام بمناهجة ، وعلمائة ، ولايخفى مافي ذلك من تأثير سلبي على التلاميذ ، ويقلل من احترامهم لهذا النوع من الأساتذة وما يمثّلونه من ثقافة .

من ذلك مثلاً :" كان منظر سيدنا عجبًا في طريقه إلى الكُتّاب وإلى البيت صباحًا ومساء ، كان ضخمًا بادنًا ، وكانت دِفّيّته تزيد في ضخامته ، وكان كما قدمنا يبسط ذراعيه على كتفي رفيقيه ، وكانوا ثلاثتهم يمشون وأنّهم ليضربون الأرض بأقدامهم ضربًا ، وكان سيّدنا يتخيّر من تلاميذه لهذه المهمة،أنجبهم وأحسنهم صوتًا ، ذلك أنّه كان يحب الغناء وكان يحب أن يعلّم تلاميذه الغناء ، وكان يتخير الطريق لهذا الدرس .... وكان سيّدنا لا يغني بصوته ولسانه وحدهما ، وإنّما يغني برأسه وبدنه أيضا ، فكان رأسه يهبط ويصعد ، وكان رأسه يلتفت يمينًا وشمالاً . وكان سيّدنا يغني بيديه أيضًا ، فكان يوقع الأنغام على صدر رفيقه بأصابعه ، وكان سيّدنا يعجبه " الدَّوْر " أحيانًا ، ويرى أنّ المشي لا يلائمه.فيقف حتى يتمّه ، وأبدع من هذا كلّه أنّ سيّدنا كان يرى صوته جميلاً ، وما يظن صاحبنا أنّ الله خلق صوتًا أقبح من صوته ، وما قرأ صاحبنا قول الله عز وجل ﴿ إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (١)

وكان سيدنا قد تعود متى دخل الكُتّاب أن يخلع عباءته ، أو بعبارة أدق " دفّيته " ويلفّها لفًّا يجعلها في شكل المخدة ، ويضعها عن يمينه ، ثم يخلع نعله، ويتربع على دكته ويشعل سيجارته ... " (٢)

---

(١) طه حسين- كتاب الأيام ج١ ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠

ثانيا : جزء كبير من الكتاب ملئ بالخزعبلات ، والدّجل والأفكار الخاطئة المنافية للشرع من ذلك :

أ ـ القول بشد الرحال إلى المدينة المنورة لا لزيارة المسجد النبوى الشريف وإنّما لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، والطواف حوله كما يفعل عباد القبور .

ب ـ خدمة الشيخ ، والوفاء بطلباته ، وتنفيذ رغباته ، مقدَّم على الوفاء بطلبات الوالدين وخدمتهما ، انطلاقا من المفهوم الخاطيء عند غلاة الصّوفية " كن بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله " .

تقرأ هذه الأفكار الخاطئة المنافية للشرع في القطعة التالية :

يقول الصبي : " حج أبي ومعه جدّتي مع الشيخ خالد مرّة ، وكان الشيخ قد حج ثلاث مرات تبعه فيها أبي ، واستصحب أمه في هذه المرة ، فلما فرغوا من الحج انصرفوا إلى المدينة ، وقعت الشيخة في بعض الطريق من الرحل ، فانحطم ظهرها انحطاما . وعجزت عن المشي والحركة ، وأخذ ابنها يحملها وينقلها من مكان إلى مكان ، ويجد في ذلك من المشقة والعناء ما شكاه إلى الشيخ ذات يوم ، فقال له الشيخ : ألست تزعم أنّها شريفة من نسل الحسن بن عليّ ؟ قال : بلى . قال : فهي ذاهبة إلى جدها . فإذا انتهيت بها إلى المسجد النبوى فضعها في ناحية منه، وخلّ بينها وبين جدها يصنع بها مايشاء ، وكذلك فعل الرجل وضع أمه في ناحية من نواحي المسجد ، وقال لها في لغة الفلاح الجافية يملؤها مع جفوتها الحب والإشفاق : أنت وجدك ، فليس لي بكما شأن ، ثم تركها وتبع شيخه يريد أن يطوف بقبر النبي ، قال الرجل : فو الله ماخطوت ، خطوات، حتى سمعت أمي تناديني، فالتفت فإذا هي قائمة تسعى ، وأبيت أن أعود

إليها ، فإذا هي تعدو من ورائي عدوًا ، وإذا هي تسبقني إلى الشيخ وتطوف مع الطائفين " . (١)

نجد كذلك بالكتاب : الغزل المتبذل ، والدعوة إلى فعل الفواحش والمنكرات وتزيينها ، ورسم السبيل إليها . مع الدعوة إلى الاختلاط والخلو بالأجنبيات .

فمن ذلك على سبيل المثال نقرأ الآتي :

" كان المفتش الذى يقرىء الصبي التجويد والألفية متوسط العمر قد بلغ الأربعين إن لم يكن قد جاوزها ، وكان قد تزوج من فتاة لم تبلغ السادسة عشرة ، ولم يكن له ولد ، ولم يكن يعمر بيته الكبير إلا هذه الفتاة وجدة لها قد جاوزت الخمسين ...وما هي إلّا أن كثر تردد الصبي إلى بيت المفتش حتى أخذت الفتاة تتحدث إليه وتسأله عن نفسه ، وعن أمه ، وعن أخوته ، وعن داره ... واتصلت بينهما مودة سانجة، كانت حلوة في نفس الصبي لذيذة الموقع في قلبه ، وكانت ثقيلة على نفس الشيخة ، وكان المفتش يجهلها جهلًا تامًا .

وأخذ الصبي يذهب إلى دار المفتش قبل الميعاد ليظفر بساعة أو بعض ساعة، يتحدث فيها إلى هذه الفتاة ، وأخذت الفتاة تنتظره ، حتى إذا أقبل أخذته إلى غرفتها فجلست، وأجلسته وتحدثا ، وما هي إلّا أن استحال الحديث إلى لعبٍ كلعب الصبيان ، لا أكثر ولا أقل ، ولكنه كان لعبًا لذيذًا ... " (٢)

مثل هذه المادة تعرض على تلاميذ وتلميذات في سن تلك الفتاة وذاك الصبي ، سن المراهقة . فهل يرجى من وراء ذلك تحقيق أهداف المنهج ؟ .

---

(١) طه حسين ، كتاب الأيام ، ج ١ ، المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .

ثالثاء والأنكى والأخطر مما قدمنا ، أننا نجد صراحة الاستهزاء بالقرآن الكريم ، ومحاولة الحطّ من مكانته ، وإنكار مصطلح الحديث. فمن الاستهزاء بالقرآن الكريم نقرأ الآتي : " وكم كان فرحا مختالاً حين غَدا إِلى الكُتّاب يوم السبت وفي يده نسخة من " الأَلْفِيّة " . لقد رفعته هذه النسخة درجات ، وإن كانت هذه النسخة ضئيلة قذرة ، سيئة الجلد ، ولكنها على ضآلتها ، وقذارتها كانت تعدل عنده خمسين مصحفًا ، من هذه المصاحف التي كان يحملها أترابه. المصحف !! لقد حفظ مافيه ، فما أفاد من حفظه شيئًا ، وكثير من الشُبّان يحفظونه ، فلا يحفل بهم أحد ، ولاينتخبون خلفاء يوم المولد النبوى ... ولكن الألفية ... وما أدراك ما الألفية !! وحسبك أنّ سيدنا لايحفظ منها حرفا وحسبك أنّ العريف ، لا يحسن أن يقرأ الأبيات الأولى منها ، والألفية شعر ، وليس في المصحف شعر .

الحق أنّه ابتهج بهذا البيت .

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك

ابتهاجًا لم يشعر بشيء مثله ، أمام أيّ سورة من سور القرآن ".(١)

وعن انكار مصطلح الحديث نقرأ الآتي :

" وكان الصبي يجلس إِلى جانب ذلك العمود ، يعبث بتلك السلسلة ، ويسمع للشيخ وهو يلقى دروسه في الحديث ، فيفهم عنه في وضوح وجلاء ، ولاينكر منه إِلاّ تلك الأسماء التي كانت تساقط على الطلبة يتبع بعضها بعضًا ، تسبقها كلمة " حدثنا " وتفصل بينها كلمة " عن ".

---

(١) طه حسين ، كتاب الأيام ، ج ١ ، المرجع لسابق ، ص ٧١ - ٧٢.

وكان الصبي لايفهم معنى لهذه الأسماء ، ولا لتتابعها ، ولا لهذه " العنعنة " المملّة ، وكان يتمنى أن تنقطع هذه العنعنة وأن يصل الشيخ الحديث ، فإذا ، وصل إليه سمعه الصبي ملقيًا إليه نفسه كلّها فحفظه وفهمه ... " (١)

هـ - النقد الأدبي :

كتاب : التوجيه الأدبي للصف الثالث الثانوى ، تأليف طه حسين ، وآخرين مطابع دار المعارف بمصر ، الناشر ، دار المعارف .

لقد حمَل إلى الأدب العربي بعضُ أتباع المنهج الغربي الوافد ،نظرية في النقد ، أطلق عليها اسم المنهج الحديث ، والتي تقوم على أساس النظر للإنسان، من حيث هو كائن مادى صرف ، ومن ثمّ فإنّ معطياته الفكرية والروحية والنفسية تخضع للنظرية المادية ، ولقد كان هدفهم هو تدمير القيم الأساسية للأدب العربي وفصله عن الفكر الإسلامي . (٢)

من هذا المنطلق نجد التركيز في دراسة مادة التوجيه الأدبي، على دراسة المذاهب الأدبية الغربية ، كالكلاسيكية والرومانسية وغيرها، كما نجد تمامًا في هذا الكتاب الذى نحن بصدد عرضه والذى اشترك في تأليفه طه حسين .

فقد تناول الكتاب في معظم صفحاته الحديث عن الخطابة عند اليونان و الخطابة عند الرومان ، مع الحديث عن الفلسفة اليونانية (سقراط وأفلاطون ، وأرسطو) والفلسفة في العصور الوسطى ، والفلسفة الحديثة (بيكون ، وديكارت ، وليبنتز ، وفلوتير ، وسبنسر) بشيء من التفصيل ، مع تناول علم الكلام والفلسفة في الإسلام . (٣)

---

(١) طه حسين ، كتاب الأيام ، جـ١ ، ص ٢١

(٢) انظر : أنور الجندى ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ - ٢٨٣ .

(٣) انظر : كتاب النقد الأدبي للصف الثالث الثانوى ، مرجع سابق ، ص ٤٦ - ١٠٧ .

ويتناول كذلك بالتفصيل الشعر عند الإغريق " هو ميروس " باعتباره الرجل العظيم الذى ألّف أعظم شعر قصصي في الآداب ، وهما ملحمتا (الإلياذة والأوديسة) مع التركيز على الشعر المسرحي اليوناني ، سواء الفكاهي المسمّى " كوميديا " أو المحزن المسمّى " تراجيديا " اللذان يرجع أصل نشأتهما إلى عبادة إله يدعى (ديونيزوس) إله الخصوبة ، والحياة النّباتية .... الخ .

ويشتمل الكتاب كذلك على ذكر الآداب الأجنبية، التي اتصلت بالأدب العربي كالثقافة اليونانية ، والصلة بين الأدب العربي والفارسي ، والأدب العربي والأدب الهندى . (١)

فغالبية موضوعات هذا الكتاب تدور حول موضوعات بعيدة كل البعد عن تحقيق أهداف المنهج ، مليئة بالوثنية والخرافة والشعوذة ، مشيرة إلى أنّ أصل الأدب العربي الإسلامي، إنّما هو مأخوذ من معطيات الفكر الغربي .

---

(١) انظر كتاب النقد الأدبي للصف الثالث الثانوى ، مرجع سابق ، ص ١٨٢ ـ ٢٢٤.

سادسا : مادة الفلسفة

نحن إذ نتناول مادة الفلسفة ، لا ننكر أثر الفلسفة على بعض المفكرين من العلماء المسلمين ، إذ نجد في مؤلفات بعضهم ما هو تقليد للفكر اليوناني ونجد كذلك في مؤلفات بعض الفلاسفة بعض الايجابيات ، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله :(نعم ! ! لهم في الطبيعيات كلام غالبه جيد ، وهو كلام كثير واسع ، ولهم عقول عرفوا بها ذلك ، وهم قد يقصدون الحق ، لا يظهر عليهم العناد ، لكنهم جهال بالعلم الإلهي إلى الغاية ، ليس عندهم منه إلاّ قليلٌ كثير الخطأ) . (١)

وقد حصر الإمام الغزالي وغيره العلوم التي تناولها هؤلاء الفلاسفة بأنّها تقع (بين علوم صادقة لا منفعة فيها ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع . وبين ظنون كاذبة لا ثقة بها ، وإنّ بعض الظن إثم . يشيرون بالأول إلى العلوم الرياضية ، وبالثاني ، إلى ما يقولونه في الإلهيات ، وفي أحكام النجوم ، ونحو ذلك . (٢)

ومن هنا تأتي الخطورة في تدريس العلوم الفلسفية بهذا المفهوم الإلحادي الشائك لطلاب هم في سن المراهقة ، إذ لا ينبغي أن يقدم لهم مثل هذا ، لأنّهم لم يصلوا مرحلة النضج التي تمكنهم من فهم ومناقشة هذه المواضيع لصعوبة مقدماتها وطرائقها . علاوة على أنّ المنهج الغربي يصوّر الجوانب الإيجابية كلّها في الفكر الإسلامي ، وكأنّها معطيات الفكر الغربي . ويركز على ما يسميه الغربيون الأثر الأجنبي للفكر الأوربي في تكوين الفكر الإسلامي ، رغم أنّ ابن سينا كما يذكر الإمام ابن تيمية : (تكلّم في أشياء من الإلهيات ، والنبوّات

---

(١) الإمام ابن تيمية - مجموع الفتاوى ج ٩ ص ١٣٥ .

(٢) الإمام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج ٩ ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

والمعاد والشرائع ، لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم ، فإنّه استفادها من المسلمين ، وإن كان إنّما أخذ من الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية) . (١)

وقد ردّدت هذه الأفكار قلّة من المستغربين ، أمثال طه حسين ، ولطفي السيد ، وغيرهما . وقد ظهرت كتب عربية في هذا المجال تردد أن ما يعرف بالفلسفة العربية ، ليس فيه من العربية سوى الاسم ، وما عدا ذلك فهو فكر يوناني منظم عبر عنه بلغة سامية ، وحُوِّر بالمؤثرات الشرقية ، وأدخل بين أهل الاسلام . (٢)

من هذه الكتب الّتي حملت تلك المضامين :

كتاب الفلسفة والمنطق ، الجزء الأول للصف الثالث الثانوي العالي ، تأليف الدكتور مراد وهبه ، الطابعون : دار الطباعة ليمتد ، الخرطوم جنوب ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ، الناشرون إدارة الإنتاج التربوي والثقافي بالوزارة .

أولاً : تناول الكتاب عرضا لقضايا في غاية الخطورة ، مع اهمال الجانب العقدي الصحيح .

---

(١) الإمام ابن تيمية - مجموع الفتاوى ، ج ٩ ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) انظر أنور الجندي ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، مرجع سابق ص ١٠٩ ، ص ١١٠ .

فمثلا نجد أنّ الفلاسفة ينفون عن الله تعالى أن يكون مختارًا، في أفعاله ويقولون : هو موجب بالذات ، ويسمون الله تعالى علة تامة ، وقد صدر عنها معلولها عن غير اختيار .

مثل هذه الأفكار الدخيلة الخاطئة ، التي تمس العقيدة الإسلامية، نجد أن مؤلف كتاب الفلسفة والمنطق ، المقرر لطلاب الصف الثالث بالمدارس الثانوية ، قد صاغها صياغة مشوّقة ، تحبيبًا للطلاب والطالبات في مثل هذه الأمور العقلية المعقدة التي تمس الجوانب العقدية .

من ذلك نجد المؤلف يتبع في كثير من الأحيان أسلوب السؤال والجواب ، حيث يتولى المؤلف ، طرح السؤال ليبحث عن الجواب من أقوال الفلاسفة ، دون أن يعقب بإظهار الجانب العقدى الصحيح . ـ وحق له ذلك لأنّه على غير دين الاسلام ـ .

من تلك الأسئلة على سبيل المثال :

سؤال : كيف يصنع الله العالم ؟

جواب : على رأى أفلاطون : " أنّ الله مثل الصانع ، لايخلق المادة التي يصنع منها فنّه ، ولكنّه يصوغها على نموذج معيّن ، وهذا " النموذج" هو الله ذاته لأنّه يريد أن يكون كلّ شيء شبيهًا به .

إذًا الله علة نموذجية ، أى علة غائية (١) بمعنى أنّ الأشياء تتكون بفضل

---

(١) يقصد بالعلة الغائية ، الغرض الذي يقوم في ذهن الإنسان ، ويتجه إلى تحقيقه ، فيدفعه ذلك إلى تنفيذ الوسائل والأسباب التي توصله إلى ذلك الغرض ، فالغرض الذى قام في ذهنه هو العلة لتحقيق تلك الوسائل والأسباب ، ومن أجل أنّ هذا الغرض هو في الحقيقة غاية يستهدفها الإنسان عند مباشرته الأسباب ، ويطلق عليه العلماء اسم العلة الغائية ، ومن شأن هذه العلة أنّها في الوجود الذهني تكون سابقة على المعلوم ، وأمّا في الوجود الخارجي والحقيقي فتأتي متأخرة عنه . (==)

انجذابها نحو الصانع ، ومن حيث " حبها " لهذا الصانع[١] "

" والسؤال الجوهرى الآن هو : كيف يمكن للمحرك الذى لا يتحرك - أى الله - أن يحرك العالم ؟ . جواب أرسطو أنّ التحريك يتم بالتماس . بيد أن أرسطو يواجه إشكالا أساسيًا وهو كيف يمكن أن يحدث التماس ، والله غير مادى حين أنّ العالم مادى ؟ ، وفي عبارة أخرى نقول : كيف يماس اللاّ مادى المادى ؟ لم يجد أرسطو إلاّ جوابًا واحدًا : أن الله علّة غائية ، بمعنى أنّ الموجودات تتخذ من الله غاية لها في حياتها ، فتعشقه ،وعشقها هو الذى يدفعها إلى التحرك نحوه ، أى إلى التّشبّه به ، أمّا هو - أى الله - فإنّه لا يتحرك ، إذ هو إنْ تحرّك،كانت حركته بمحرك خارجي . كذلك لايمكن القول أنّ الله يستطيع أن يكون متحركًا بذاته ، وليس بفعل محرك خارجي، لأنّه عندئذ ينقسم إلى جزء مُحَرِّك ،وجزء متحرك ، وبالتالي يكون مركّبًا ، وحقيقة الأمر أنّ الله بسيط " (٢)

سؤال : هل يدرى الله شيئًا عن هذه الموجودات التي تتحرك نحوه ؟ .

" أبدا لأن دراسته بها تعني أنّه يدرى بشيء أقل من ذاته فينحط ، والنتيجة المحتومة أنّ الله لايعلم إلاّ ذاته ، ولايعقل إلاّ ذاته ، أمّا من حيث هو موضوع عشق ، فهو موضوع تأمل من الكائنات الأخرى " (٣) انتهى .

== مثال ذلك شعورك بالحاجة إلى الدفء ، فإنّه غرض يحملك على أن تقوم فترتدى معطفك الثقيل ، فإذا فعلت ذلك ، تحقق لك الغرض المطلوب ، وأخذت تشعر بالدفء ، فتحقيق الدفء علة غائية ، لأنّها الحامل على الفعل، وهي ماثلة في الذهن من قبله ، ولكنها تتحقق في الخارج بعده ".

د . محمد سعيد البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ، دار الفكر ، الطبعة الخامسة ص ١٥٢-١٥٣.

(١) د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق، جـ١ للصف الثالث الثانوى، مرجع سابق ص٣٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٧ -٣٨.

ولنا على هذه الأسئلة التعقيبات التالية :

* **التعقيب الأول :** لعلّ بعض الجاهلين السطحيين يظنون أنّ مثل هذه الأسئلة تعتبر مفاجأة غريبة على عقول المؤمنين بالخالق ، والحق أنّها ليست مفاجئة إلاّ للغافلين ، فقد أشار إليها النبّي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف حيث قال :" لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل : آمنت بالله"(١)

وقد نبه الشيخ الطحاوى - رحمه الله - إلى ذلك بقوله :" ولا نخوض في الله ولا نمارى في دين الله " (٢) مشيرًا رحمه الله - كما يقول العلامة ابن أبي العزّ الحنفي -" إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل ، وذم عملهم فإنّهم يتكلمون في الإله بغير علم ، وغير سلطان أتاهم : ﴿ إن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (٣)

وعن أبي حنيفة - رحمه الله - أنّه قال : لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء ، بل يصفه بما وصف به نفسه ، وقال بعضهم : الحق سبحانه يقول : من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ، ألزمته الأدب ، ومن كشفت له حقيقة ذاتي ألزمته العطب ، فاختر الأدب ، أو العطب ، ويشهد لهذا : أنّه سبحانه وتعالى لمّا كشف للجبل عن ذاته ، ساخ الجبل وتدكدك ، ولم يثبت على عظمة الذات .." (٤)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان ، وما يقوله من وجدها ١٣٤/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ ص ٣٥١.

(٣) سورة النجم الآية ٢٣ .

(٤) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، مرجع سابق ، ص ٣٥١.

* **التعقيب الثاني :** لايجوز أن نقول بأنّ أفعال الله تقوم على علل غائية ، كشأن أفعال العباد ، لأنّ ذلك :" يتنافى مع ماثبت من أنّ صفة الإرادة في ذاته سبحانه وتعالى ، صفة تامة كاملة، وأنه لا يشوبها أىّ جبر أو قسر ، فلو قلت ، بأنّ الله عزّ وجل أنزل المطر من أجل علة استهدفها ، وهو ظهور النبّات على وجه الأرض ، وأنّها هي الحاملة له على إنزال المطر - كما هو شأن العلة الغائية - فمعنى ذلك أنّك تقول : إنّ الضرورة هي التي حملته على الإمطار وإذا كانت هي الواسطة التي لابد منها للنبات ، فالإرادة الكاملة متجهة إذًا إلى الإنبات ، أمّا إلى الامطار فإنّها مشوبة بقدر كبير من الضرورة التي تنافي الإرادة " [1]

ثم إنّ صفة القدرة التامة المطلقة تستلزم أن يكون جميع الموجودات ، بخلقه وتكوينه ، وإلّا لما صدقت صفة القدرة التامة، المطلقة بالنسبة إليه جلّ جلاله على أنّ القرآن قد صرح في أكثر من موطن بأنّ جميع الموجودات من خلقه . كقوله عز وجل : ﴿ **وخلق كلّ شيء فقدره تقديرًا** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعًا** ﴾ [3] ... الآيات .

فالله عز وجل خلق كلّ شيء بقدرته ابتداءً، بدون اتخاذ أى واسطة أو سبب ، وكان وجوده بسبب مباشر واحد ، هو قدرة الله وخلقه ، أما إذا قدّرنا العلة الغائية في أفعاله وخلقه ، فمعنى ذلك ، أنّ بين قدرة الله عز وجل ، وبين تلك العلة ، وسائل وأسبابا، هي المؤثر المباشر في ايجاد الغائية ، فلم يتعلق خلق الله بها، إلّا عن طريق التوسّط ، والتّسبّب إليها ، وهو مناف لتلك النصوص

---

(١) د · محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ ·
(٢) سورة الفرقان الآية ٢
(٣) سورة البقرة الآية/ ٢٩

القرآنية التي تنطق في عبارة قاطعة بأنّ الله هو الخالق المباشر لكل شيء ، كما أنه مناف لاتّصاف الله تعالى بالقدرة المطلقة . (١)

* **التعقيب الثالث :** ينبغي أن يعلم أنَّ من وراء أفعاله تعالى حكمًا ومصالح تأتي مترتبة عليها ، يعلمها الله عزّ وجلّ ، دون أن تكون هذه الحكم والمصالح عِلَلاً غائية دافعة له إلى تلك الأفعال ، وأنّه لايفعل شيئًا عبثًا .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية في بيان ذلك : " إنّه سبحانه حكيم لا يفعل شيئًا عبثًا ، ولا لغير معنى ، ومصلحة وحكمة ، هي الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه وتعالى صادرة عن حِكْمَةٍ بالغةٍ لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل " (٢)

ويقول الإمام الطحاوي : " وعلى العبد أن يعلم أنّ الله قد سبق علمه في كلّ كائن من خلقه ، فقدّر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا ، ليس فيه ناقض، ولا معقّب ولا مزيل، ولا مغيّر ، ولا ناقص ، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه " (٣)

وقد دلّ على ما ذكرنا كلامه تعالى في كتابه الكريم . من ذلك إخباره تعالى في كتابه العزيز أنّه فعل كذا لكذا ، وأنّه أمر بكذا لكذا ، وهو كثير في القرآن كقوله تعالى : ﴿ **ذلك لتعلموا أنّ الله يعلم مافي السموات وما في الأرض** ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزّل الأمر بينهن لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما** ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**

---

(١) انظر : د. محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ، مرجع سابق ، ص١٥٤.

(٢) الإمام ابن القيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تحرير الحساني حسن عبد الله ، الناشر مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ص ٤٠٠.

(٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢.

(٤) سورة المائدة الآية / ٩٧

(٥) سورة الطلاق الآية/ ١٢.

إلاّ لنعلم من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه ﴾(١)

ثانياً: وتحت عنوان الفلسفة الإسلامية ، والمسيحية في العصر الوسيط يتناول المؤلف محاولة الفلاسفة الإسلاميين التوفيق بين الوحي والعقل ، وهي محاولة من جملة محاولاتهم في التوفيق بين الفلسفة والدين ، وهي نظرة خاطئة لاتقوم على أسس علمية ولا هي مستندة إلى وجود واقعي ، وإنّما هي في المقام الأول تأثير بنزعات وثنية فلسفية سابقة .(٢)

ومن ذلك نقرأ الآتي :

" فهي - أي الفلسفة - تعني بمشكلة الواحد والمتعدّد (٣) ، وتعالج الصّلة بين الله ومخلوقاته ، وتحاول التوفيق بين الوحي والعقل . فتبيّن أنّ الوحي

---

(١) سورة البقرة آية / ١٤٣

(٢) انظر: د . محمد البهي ، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٩٦٧ ، دار الكتاب العربي ، ج ٢ ص ١٨٥.
ولمزيد من التفصيل انظر: الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات حوله ، رسالة ماجستير للباحث ، مخطوطة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ ، ص ٢٨٦ ومابعدها .

(٣) الفارابي هو أول من طرق هذا الباب من الفلاسفة ، وخلاصة قوله : أنّه يرى أنّ واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه - والواحد من كل وجه لايصدر عنه إلاّ واحد ، ومن ثمّ صدر عن الله العقل الأول ، الذى له اعتبارات ثلاثة : (١) عقله لمبدئه (٢) عقله لنفسه (٣) وامكانه بحسب ذاته . فبالإعتبار الأوّل ، صدر عنه عقل ، هو العقل الثاني ، وبالإعتبار الثاني صدر عنه نفس هي نفس الفلك الأول ، وبالإعتبار الثالث ، صدر عنه جرم الفلك الأول . وهكذا تسلسلت العقول والنفوس والأفلاك ، حتى كان عدد النفوس ، والأفلاك تسعة ، وكانت العقول عشرة تنتهي بعقل فلك القمر الذى عنه صدر وجودنا الأرضي ، وإليه يرجع أمر تدبيره تدبيراً مباشراً .
انظر : أبي نصر الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، القاهرة ، ص ٢٠ - ٢٣ .

لا يناقض العقل ، وأنّ العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة ، تمكنت من النفس وثبتت أمام الخصوم ، وأنّ الدين إذا تآخى مع الفلسفة ، أصبح فلسفيًا كما تصبح الفلسفة دينية " [١]

وهذا نتاج للآراء الخاصة لدى الفلاسفة الإسلاميين في النبوة والرسالة ، والتي تختلف اختلافا بيّنًا عن مذهب جمهور المسلمين .

فالنبوة عندهم ، واجبة عقلاً ، تصدر عن واجب الوجود بالإيجاب ، أى بطريق اللزوم ، بحيث يمتنع تركها عند الاستعداد التام لها .

ولا يصل لهذه الدرجة إلاّ من بلغت نفسه الناطقة [٢] ، وقواها المختلفة مستوىً خاصًا من القوة والصفاء ، سواء كانت تلك القوة ، وذلك الصفاء ذاتيًا حاصلاً لها بأصل الفطرة ، والتكوين ، أو كان ذلك ثمرة لمزاولته أنواعًا من الرياضات والمجاهدات . [٣]

ومن هذا المنطق يرى الفلاسفة ، أنّ الفيلسوف ، أرفع درجة ومنزلة من النبي

---

(١) د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) النفس الناطقة عند أرسطو " هي المبدأ الأول للحياة والأحساس والفكر ، وتسمى قوة النفس التي هي مبدأ الفكر ، بالنفس الإنسانية ، أو النفس الناطقة أو المفكرة وهي النفس الإنسانية من جهة ما تدرك الكليات ، وتفعل الأفعال الفكرية ، أو هي الجوهر المجرد عن المادة القابل للمعقولات ، والمتصرف في مملكة البدن . انظر : د . جميل صليبيا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٣) انظر : ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات مع شرح الطوسي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ـ رحمه الله ـ القسمان ٣ ، ٤ ، دار المعارف بمصر ، ص ٨٨٧ ـ ٨٨٩ .

- ويمضي أفلاطون فيقول - : " إنّ اللّه لا يحكمنا مباشرة ، بل بواسطة العقل الذى وهبنا ، فالقوانين التي يقررها العقل ، تحاكي قوانين العناية الإلهية".[1]

وقد انبرى عدد من العلماء في الرد عليهم في هذه المسألة ، من هؤلاء الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - الذى لم يرتض أوهام الفلاسفة ، ويرى أنّ الأمور الدينية لم يوفقوا فيها . قال موضحا ذلك :

" فإنّ غاية ماعندهم هو علوم رياضية صحيحة مصلحتها من جنس مصالح الصناعات ، وربما كانت الصناعات أصلح وأنفع من كثير منها . وإمّا علم طبيعي غايته معرفة العناصر ، وبعض خواصها وطبائعها ، ومعرفة ما يتركب منها ، وما يستحيل من الموجبات إليها ، وبعض مايقع في العالم من الآثار بامتزاجها ، واختلاطها ، وأيّ كمال للنفس في هذا ؟ ، وأيّ سعادة لها فيه ؟ . وإمّا علم إلهي، كلّه باطل لم يوفقوا في إصابة الحقّ فيه مسألة واحدة ".[2]

فالحقيقة أنّ النبوة اصطفاء، ومنحة من الله ، يَمُنُّ بها على من يشاء من عباده، واقتضت حكمته سبحانه أن يصطفى من خلقه من يشاء . قال تعالى : ﴿ **ولقد مننا على موسى وهرون** ﴾[3] وقال جل شأنه : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلا** ﴾[4]

يقول الشهرستاني في نهاية الإقدام :" قال أهل الحق : النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النّبي، ولا درجة يبلغها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استعدا د نفسه

---

(١) د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ، ص ٣١ - ٣٢

(٢) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٢٢.
ولمزيد من التفصيل انظر : د . عبد الله جار النبي ، ابن القيم وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص ٤٦٣.

(٣) سورة الصافات الآية/ ١١٤

(٤) سورة الحج الآيـة / ٧٥

حتى أنّ من تصوّف على مذهبهم كابن سبعين [١] ، وابن هود [٢] وأضرابهما يرون أنّ الفلسفة نبوة الخاصة ، والنبوة فلسفة العامة " [٣]

نجد هذا المعنى واردًا ، وبشيء من التفصيل في كتاب الفلسفة والمنطق - سابق الذكر - من ذلك على سبيل المثال - : يرى أفلاطون في محاورته " الجمهورية" أنّ الفيلسوف هو الكائن الوحيد الذى يصلح أن يكون الحاكم الأكمل ، وسلطته مطلقة ، لأنّها تصدر عن سلطة الله • ذلك أنّ الفيلسوف يعرف أنّ الله مثال الخير ، ثم يتشبه به في أفعاله ، فيدبّر أمر الجمهورية ، ويسوسها ، بما فيه من عقل الهى خالد ••

---

(١) ابن سبعين : هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم العكي المرسي الأندلسي ، ولد سنة ٦١٤ هـ ، وتوفي في ٩ شوال سنة ٦٦٩ هـ وقيل غير ذلك ، كان فقيهًا جليلاً حاذقًا فصيحًا ، انتحل التصوف على قواعد الفلاسفة ، له أتباع يعرفون بالسبعينية ، قيل إنه قال : لقد تحجر ابن آمنه (يعني النبي محمد صلى الله عليه وسلم) واسعا بقوله :" لا نبي بعدى ، قالوا : فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به عن الإسلام مع أنّ هذا الكلام أخف وأهون من قوله في رب العالمين ، إنّه حقيقة الموجودات •

انظر : بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، دار المعرفة بيروت ، شركة الفجر العربي بيروت لبنان ، المجلد الأول ، ص ٥١٠ - ٥١١ •

(٢) ابن هود هو : أبو علي الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن أخ المتوكل على الله ملك الأندلس الجذامي المرسي ، كانت ولادته بمرسية سنة ٦٣٣ هـ • ووفاته سنة ٦٩٧ هـ • أحد الكبار في التصوف على طريقة الوحدة ، اشتغل بالطب والحكمة ، وزهديات الصوفية ، وخلط هذا بهذه •

انظر : بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، المرجع السابق ، ص ٧٣٤•

(٣) ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ج ٢ تحقيق محمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩•

يستحق به اتصالا بالروحانيات ، بل رحمة من الله تعالى ، ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده " (١)

ثالثا : نجد المؤلف في كتاب الفلسفة والمنطق ، يتخيّر أكثر الآراء خطورة ، وشذوذا كما في مسألة الجبر والاختيار في أفعال العباد ، دون ابراز القول الحق.

قول أهل السنة والجماعة - في المسألة التي تترتب على إثباتها ، أو نفيها مسائل عقدية ، كثيرة كمسألة التكليف ، ومسألة التولّد التي اختلف المعتزلة فيها اختلافا كثيرا . (٢)

وعلى سبيل المثال نجد رأي الجهمية (٣) ، القائلين بأنّ الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنّما هو مجبور في أفعاله ، ولاقدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، وإنّما يخلق الله الأفعال فيه على حسب مايخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازًا ، كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وطلعت الشمس وغربت ... الخ . (٤)

---

(١) الشهرستاني ، نهاية الاقدام ، تحرير وتصحيح الفرد جيوم - بدون طابع ولا تاريخ - ص ٤٦٢.

(٢) انظر : د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٣) **الجهمية :** نسبة الى جهم بن صفوان (ت٧٤٥هـ) نفوا عن الله كلّ وصف يجوز إطلاقه على غيره ، كالوجود والحياة والعلم ، وجوّزوا وصفه - تعالى - فقط بما يختص به من صفات الأفعال كالخلق ، وذهبوا إلى أنّ كلام الله حادث وقالوا : إن الإنسان مجبور والله سبحانه وتعالى هو الذى يخلق الأفعال وحده .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٦٥٤.

(٤) انظر : د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ، ص ٥١ - ٥٢.

ويبرز كذلك رأى المعتزلة - في أفعال العباد - القائلين: إن الإنسان هو الخالق لأفعاله والمسئول عنها ، ومعنى ذلك ، تحرير العقل والإرادة من سلطان القدر .

فالعقل عند المعتزلة حرّ في التفكير ، لم يقيده قدر سابق ولا ارادة حرّة في التنفيذ ، لم يقيدها إرادة سابقة .(١)

تلك هي أشهر المذاهب مخالفة لأهل السنة ، تورد هكذا دون تعقيب ، ولا تنبيه فبينما يرى الجهمية أنّ أفعال العباد مخلوقة لله حقيقة ، دون دخل للعباد فيها ، سواء كانت هذه الأفعال إختيارية أو اضطرارية ، يرى المعتزلة أنّ الأفعال الإختيارية مخلوقة للعبد فقط دون الاضطرارية التي هي مخلوقة لله ، وذلك بناء على مذهبهم في العدل الذى يعد من أهم أصول مذهبهم .

وقد فصّل الإمام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل القول في مسألة فعل العبد ، حيث قال :" قال الأوزاعي وأحمد ونحوهما : من قال إنّه جبر فقد أخطأ ومن قال لم يجبر فقد أخطأ ، بل يقال إنّ الله يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، ونحو ذلك .

وقالوا : ليس للجبر أصل في الكتاب والسنة ، وإنّما الذى في السنة لفظ " الجبل " لا لفظ " الجبر " (٢) فإنّه قد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) انظر : المرجع نفسه والصفحة .
وانظر أقوال الفرقتين بالتفصيل :
الجهمية : عبد القاهر البغدادى - الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ص ١٢٨ .
أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ص ٣٣٨ .
المعتزلة : البغدادى - الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .
شرح العقيدة الطحاوية ، مرجع سابق ، ص ٥٩٠ .

(٢) ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ القسم الأول ، ص ٢٥٥ .

أنه قال لأَشجّ عبد القيس : " إنّ فيك خَلَّتَين يحبهما الله : الحلم والأناة " قال : يارسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما ؟ قال " بل الله جبلك عليهما " قال : الحمد لله الذى جبلني على خَلَّتَين يحبهما الله ورسوله " . (١)

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية معلّقًا على آراء هاتين الفرقتين - الجهمية والمعتزلة إنّ :" كلاّ من الطائفتين نظر بعين عوراء ، وأهل العلم والاعتدال ، أعطوا كلا المقامين حقّه ، ولم يبطلوا أحدَ المقامين بالآخر ، فاستقام لهم نظرهم ومناظرتهم ، واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه ، فأثبتوا نطق العبد حقيقةً، وانطاق الله له حقيقة ، قال تعالى : ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كلّ شيء** ﴾ (٢)

فالإنطاق فعل الله الذى لايجوز تعطيله ، والنطق فعل العبد الذى لايمكن إنكاره ... " (٣)

فجميع الأشياء لا تخرج عن مقدور الله ، وأنّ أفعال العباد في حد ذاتها ، أمور ممكنة ، والله قادر على كل ممكن ، قال تعالى : ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل مايريد** ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾ (٥)

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في قبلة الجسد ، ج ٤ ، حديث رقم ٥٢٢٥.
(٢) سورة فصلت الآية / ٢١
(٣) ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥.
(٤) سورة البقرة الآية/ ٢٥٣
(٥) سورة الأنعام الآية/ ١١٢ .

رابعا : تناول الكتاب أفكارًا إلحادية حديثة كالوجودية ، والبراجماتية ، والماركسية دون نقدها ، وتفنيد مزاعمها ، مما يشعر أن تلك الأفكار التي وردت صحيحة .

وكمثال لما ذكرنا ، نعرض إحدى هذه الأفكار ، لنرى ماتحمل من أفكار إلحادية .

* **الوجودية :**

هي فلسفة تدور على " الوجود " ومن ثمّ فاهتمامها ينصبُّ على تحديد معنى الوجود .

ورغم أنّ أوّل من دعا إلى هذه الفلسفة الوجودية ، فيلسوف دنماركي يدعى " سيرن كير كجور ١٢٣٠هـ - ١٢٧٢هـ (١٨١٣-١٨٥٥م) ويلقب بالأب الروحي للحركة الوجودية [(١)] ، فإنّنا سنكتفي بكشف الفلسفة الوجودية من خلال عرض آراء " سارتر " [(٢)] لما له من مكانة فلسفية وثقافية بارزة في العالم الغربي .

---

(١) انظر : د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ - ١٣١ .

(٢) **هو "جان بول سارتر"** يهودى فرنسي ، فيلسوف وأديب من فلاسفة القرن العشرين المعاصرين ، ولد سنة ١٩٠٥ م بباريس ،ومات سنة ١٩٧٩م بباريس . اقترنت باسمه الفلسفة الوجودية الإلحادية المعاصرة .
نشرت الصحف أنّه اشترك في مظاهرات يهودية صهيونية في فرنسا ، وحملات ، تبرع لإسرائيل في الستينات ، وكان من شعار هذه الحملة :" ادفع فرنكا فرنسيًا تقتل عربيًا (أي مسلمًا)"،استخدم الأدب لنقل أفكاره الوجودية الملحدة المسرفة في " اللا معقول " .
انظر : عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، ص ٣٥٩.

عرض " سارتر " الوجودية مذهبا إلحاديا بخاصة في كتابه " الكينونة والعدم" فزعم من خلال فلسفته الوجودية أنّ ثمة ضربين من الوجود٠ (١) :

* الضرب الأول : هو الوجود لذاته ، وهو ما يعبر عنه في الفلسفة القديمة : " بالوجود الذهني " ، فهو موجود متحرك متغير ، ووجوده وجود متزمن بالزمان ، قوامه النزوع المستمر نحو المستقبل ، والتنصل الدائب من الماضي والمجاوزة المتواصلة لذاته ، ومن ثم فإنّه من المستحيل أن تُحَدّد ماهيته ، كما تُحَدّد ماهية الوجود في ذاته " ٠ (٢)

* الضرب الثاني : هو الموجود في ذاته ، وهو الموضوع الخارجي المعطى الموجود في ذاته ، مليء كثيف ، صلب ثابت ، ليس به فجوات أو ثغرات مثل العالم الذى يحيط بنا ، أو أى موضوع مادى " (٣)

من خلال عرض الكتاب لهذين الضربين من الوجود يتضح لنا مدى الخبل الذى وقع فيه هؤلاء الفلاسفة " الوجوديون " الذين زعموا أنّ حقيقة الله، عبارة عن الوجود المجرد عن الماهية التي تشغله ، وتملؤه ، وهو ما سموه " بالوجود الذهني " أى إذا سألنا عن هذا الوجود ، وجود أى شيء هو ؟ ـ فالجواب أنّه ليس وجود أيّ شيء غير ذات نفسه ٠

فهم قد تخيلوا وجود الله عز وجل ، وعاءً فارغًا، ليس فيه إلاّ شيء اسمه الوجود٠

والحقيقة التي ينبغي الوقوف عندها عن الوجود : أنّه ينقسم إلى قسمين : " وجود كامل ، ووجود ناقص ، وبتعبير آخر نقول : وجود ذاتي ، ووجود

---

(١) انظر : د ٠ مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ، ص ١٣٢٠

(٢) المرجع نفسه والصفحة ٠

(٣) المرجع نفسه والصفحة ٠
وكذلك انظر : الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢٠

تبعي ، فأمّا وجود اللـه تعالى ، فهو وجود كامل "ذاتي" بمعنى أنّه موجـود لذاتـه ، لا لعلـة مؤثرة فيـه ، ومن خصائص الوجود الذاتي أنه لا يقبل العـدم.
وأما وجود ماعداه فوجود ناقص ، بمعنى أنَّه مستمد من غيره ، وأنّه متوقف على الموجد لـه ، ومن خصائص هذا النوع الثاني من الوجود ، أنه لابد أن يقـوم بين عَدَمين : سابق ، ولاحـق.

وعلى هذا فالوجود الذّاتي الكامل المطلق هو وجود اللـه فقط. والوجـود الناقص التّبعي هو وجود كلّ ماسواه.

ولاينبغي تجاوز هذا الحد في التأمل في معنى وجوده سبحانه وتعالى، ووجـود غيره من الممكنات ، أو أن تتوغل في تأمل الفرق بين الذات والوجود ، لأنّـك لا تملك مع هذا التّأمل، أيّ عدة من البحث العلمي ومنهجه ، لا في الخبـر والنقل ، اليقيني ، ولا في دليل التجربـة والمشاهدة ، أو برهان التلازم ، أوالقياس أو الاستقراء ، وكلّ ما تمتد إليـه طاقتك ، هو تحريك الحدس ، والخيال ، تجدف بهما في يمّ متلاطم، لا أَوَّل لـه ولا آخر - كما فعل هؤلاء السطحيون من الفلاسفـة الوجوديين - " (١)

ويعتمد " سارتر " كذلك على " الحريـة " في شرح فلسفتـه الوجوديـة ، فالحريـة عنده :" هي مجاوزة الوعي لذاته ، وهذا معنى عبارة " سارتـر " " إِنَّ الوعي هو ماهو ، وهو ليس هو " فالوعي هو ماضيه ، وفي نفس الوقـت ليس هو ماضيـه ، إِذ هو يرفض الماضي لكي يتجاوزه إِلى المستقبل ، وهذه المجاوزة هي التي تتيـح للإِنسان أن يكون هو نفسـه صانعًا للقيم ، والقيم عند " سارتـر " متغيرة ، وليست متحجرة ، فليست ثمة حكمة قائمةٍ ينبغي الحرص عليهـا.

---

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونيـة ، مرجع سابق ، ص ١١٦.

وليس ثمة قيم عالمية يجب التَّمسُّك بهـــا .

إنَّ الانسان " السارترى " متحلل من أى إلزام قَبلي ، ومن كلّ نموذج مسبق"[1]

وهو الذى يخلق الخير والشر بنفسه ، وذلك بحسب أفكاره الخاصة ، وأنَّـــه

ليس لأحد أن يوجه النُّصح إليه .

فعلى الإنسان بمنطقه هذا ، أن يفعل أيَّة جريمة ، ويرتكب أيّ عمل قبيـــح ،

وله بعد ذلك أن يعتبر مافعل خيرًا لا شرًّفيه ، وليس من حق أى أحـــد

أن يحاكمه ، أو يؤاخذه على مافعل . [2]

و" لقد وقع " سارتر " برأيه هذا في الجبرية الخرافية ، إذ فرّ من قضيـــة

الإيمان بالخالق ، وحكمته ، وخلقه الإنسان حـرًّا مكلّفًا ، ليكون مسئولاً عـــن

أَعماله تجاهه ، ولو أنَّه آمن بالله حقًّا لأدرك أنَّ الإنسان خُلِقَ مختــــارًا

ليمتحن في حدود اختياره ، ثم ليحاسب ويجازى يوم الدين " . [3]

والحق كما يذكر الدكتور مصطفى حلمى فى هذه المسألة (أن الباحث المستند إلى الكتاب والسنة يستطيع أن يستخلص أصولاً لهذه المسائل المتشابكة ، كمسألة الخير والشر ، وماهية الإنسان ، والقضاء والقدر ، ومدى حرية الإنسان فى الفعل ، إلى غير ذلك من المسائل التى تشكل معالم بارزة فى حياة الإنسان ومصيرة . إنّ فى القرآن والسنة حقائق أساسية تتناول خلق الإنسان ومكوناته والحكمة من الخلق ، وبيان الغرض من الحياة الدنيا ، وما هى حدود الحرية الإنسانية التى تخضع فى حقيقتها للهيمنةّ الإلهية . ومن هذه الحقائق أنّ الإيمان بالله أمر فطرى فى النفس البشرية وأنه الأساس فى السلوك البشرى خلال رحلة الإنسان من الدنيا إلى الآخرة ، وما أرسل الأنبياء والرسل إلاّ لتذكير الإنسان بهذه الحقيقة الأساسية من حقائق الغيب التى تبصّر الإنسان بخلقه وغايته وتفحم أصحاب الفلسفات كالوجوديين وغيرهم) [4]

---

(١) د . مراد وهبه ، الفلسفة والمنطق ، مرجع سابق ص ١٣٣ .

(٢) لمزيد من التفصيل أنظر عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف مرجع سابق ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٦٦ .

(٤) د . مصطفى حلمى ، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الأسكندرية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ١٦٧ .

سابعا : مادة اللغة الإنجليزية :

مقدمة : تحمل المقررات الإنجليزية بصفة عامة من الغزو الفكري الشيء الكثير ، ولما كانت العملية التربوية متكاملة الجوانب ، تتأثر بكافة المؤثرات سلبًا وإيجابًا ، واللغات الأجنبية بصفة عامة ، والإنجليزية بصفة خاصة ، من هذه المؤثرات ، فهي بما تقدم من مفاهيم غربية زائفة ، وصور للسلوك مرفوضة إسلاميًا ، وبما تمتدح من أعمال ، وتقدح في أخرى ، تؤثر بلا شك في العملية التربوية والثقافية .

من هنا يتضح لنا خطورة تدريس هذه الكتب المقررة الآن في السودان ، والتي هي في الأساس قد وضعت لمجتمعات غير إسلامية أو وضعت لتكون حربًا على العقيدة الإسلامية .

ولمّا كنت قد درست على هذه المناهج في مراحل التعليم العام ، فمازال في مخيلتي زخم هائل من أساليب الغزو الفكري في تلك المقررات ، ولكنّي آسف إذ لم أتمكن من الحصول على بعضها ، ولقد وجدت في المقابل بحثًا صادقًا وتتبّعًا دقيقًا لبعض هذه الكتب المقررة ، للأستاذ محمد عثمان أحمد إسماعيل ، استعنت بعد الله به في التعليق على بعض الكتب التي لم أستطع الحصول عليها ، كما واستعنت - بعد الله - بمقابلات أجريتها مع بعض مدرسي وأساتذة اللغة الإنجليزية في بعض المقررات التي لم أتمكن من الحصول عليها ، وبخاصة في الجامعات . إضافة إلى الكتب الأخرى التي حظيت باقتنائها . من ذلك :

أولا: الأدب الانجليــــــــزى :

(١) **كتاب** : التراكيب الانجليزية المستعملة " Living English Structure "

" وهذا الكتاب يستعمل في المدارس الثانوية لتدريس التراكيب اللغويـــــــة الإ نجليزيـة ، ولايكاد تمرين واحد من تماريـن الكتاب يخلو من إرشـــــادات إلـى السلوك الاجتماعي الغربي ، فيما يتعلق بالصلة بين الجنسين والكتــاب مليء بذكر خليلي وخليلتي : My girl friend / My boy friend

ولقد فطن مؤلف الكتاب " Stannard Allan " الى أن ذلـــــــــك مما يضيّـق فرص تسويق الكتاب في البلاد الإسلامية ، فنقّحـه وأخرج طبعـــــــة جديدة أسماها : Living English Structure for Schools (١)

(٢) **كتاب**: مارقريـت تذهب للمدرســة : Margret Goes To School (٢)

في هذا الكتاب شخصيـة تسمى " ماريا البولنديـة " وهي امرأة تعمل داعــــرة ، والكتاب مليء بالألفاظ النابيـة التي تتنافى والأخلاق الإسلامية وتدعو إلى الفجـور والرذيلــــة .

(٣) **كتاب**: أبكي يا وطني الحبيب ، تأليـف " ألن باتن ، الناشر لقمـــان .
Gry the Beloved Country , Allan Paton Longman (٣)

في هذا الكتاب الذى ظلّ يقرر تباعًا ، ولأعوام متتاليـة ، نقرأ هذه الجملة :

---

(١) انظر : محمد عثمان أحمد إسماعيل ، دور المواد الأخرى في تحقيق أهداف العملية التربوية الإسلامية ضمن ندوة مادة التربية الإسلامية بالمركز الإسلامي بالخرطـــوم ص ٧ .

(٢) هذا الكتاب كان مقررًا لطلاب وطالبات الصف الثالث الثانوى منذ فترة طويلـــة مقابلة مع د . عبد المجيد الطيب عمر ، أستاذ اللغة الإنجليزية بجامعة الخرطـــوم بتاريخ ١٥ ربيع الثاني ١٤١٢هـ .

(٣) هذا الكتاب كان مقررًا في الشهادة السودانية حتى عام ١٩٨٥م.

" I hope I shall not hurt you further , Your brother has no use for the Church any more . He says that what God has not done for South Africa , man must do . That is what he says . "

.

وخلاصة ما نودّ الإشارة إليه هنا ، ماجاء في الجملة : من أنّ ما يعجز الله عن عمله لجنوب أفريقيا ، يجب أن يعمله الإنسان . ففيها وصف لله سبحانه وتعالى بالعجز ، والله منزّه عن ذلك ، وهو على كل شيء قدير .

ويأتي ذكر كلمة " الطبيعة " Nature باعتبارها القوة الخلاقة المبدعة والمهيمنة في الكون، في كثير من النصوص الأدبية واللغوية .(٢)

وغنيٌّ عن القول أنّ استخدامها بهذا المعنى ، مفهوم الحادى صارخ يتعارض مع مفاهيمنا الإيمانية ، وعقيدتنا الإسلامية ، ذلك لأنّ " الطبيعة " لفظة وثنية درجت أوربا على استخدامها بدلاً من " الله " وتكتبها بحرف كبير " Nature " تعظيما لها ، وسبب ذلك في أوربا كما يقول الأستاذ محمد قطب أنّ الناس هناك " واجهوا مشاكل مع كنيستهم جعلتهم يكفرون بالله الكنيسة التي تستعبدهم باسمه ، وتمارس معهم كل أنواع الطغيان، فابتدعوا إلهًا ليست له كنيسة ، وليست له التزامات ، سموه " الطبيعة " ونسبوا إليه الخلق والهدى والتدبير كما يقول دارون :" الطبيعة تخلق كلّ شيء ولا حد لقدرتها على الخلق " ـ هذا عندهم ـ .

---

(١) Allan Paton , Gry the beloved Country,P.18 .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، ص ٣ ، ص ٧٢ ... الخ .
وانظر معاني هذه الكلمة " Neture " بالتفصيل في كتاب المورد ـ منير البعلبكي دار العلم للملايين ١٩٨٥م ، ص ٦٠٦ .

أمَّا نحن المسلمين فكيف سمحنا، أن تلوك ألسنتنا الكلمة الوثنية الجاهلية ونسجلها في الكتب التي نقررها على التلاميذ ؟ "[١]

(٤) كتاب : جزيرة الكنز [٢] Treasure Island

يعد هذا الكتاب بكل محتوياته خارجاً على المنهج الإسلامي ، إذ نجد فيه دعوة صريحة إلى شرب الخمر ، بل قد لا تخلو إلَّا صفحات نادرة من الكتاب من ذكر الخمر ، ونجد فيه كذلك دعوة إلى القرصنة " سرقة السفن في البحار " وفيه كذلك دعوة إلى القتل ، بحيث لا يعد في نظر المؤلف جريمة ، وإنَّما هو المقدرة على التغلب على الخصم .

وفي سبيل تحقيق الأهداف لا يُؤْبَه بشيء حتى الكتاب المقدس . جاء في الترجمة العربية التي تصدرها دار المعارف [٣] : يقول " جم " : " فأمعنت النظر في الورقة ، فإذا هي الصحيفة الأخيرة من الكتاب المقدس ، يحتوى الوجه الأول منها على بعض الآيات ، في حين كان الوجه الثاني أبيض ، فقد استخدم الرَّماد لتسويد الوجه المطبوع ، وكتبوا على الوجه الأبيض كلمة " مخلوع "[٤]

---

(١) محمد قطب ، دور الدين في التربية ضمن كتاب التعليم الإسلامي ، أهدافه ومقاصده ، المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٨٠

(٢) من الكتب المقررة للشهادة السودانية .

(٣) كتاب جزيرة الكنز ، ترجمة دار المعارف ، مطابع دار المعارف بمصر ، ط ٦ .

(٤) جزيرة الكنز ، ترجمة دار المعارف ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٥) كتاب : السيدات الصغيرات : Little Women

هذا الكتاب الذى كان إلى عهد قريب جدًا ، مقررًا للمدارس المتوسطة ، يروى قصة أربع أخوات ، وعلاقاتهن الغرامية مع مشاهد للعواطف الغرامية المشبوهة المصحوبة بالعناق والقبلات ، ويحوى الكتاب صُوَرًا" فوتغرافية " مثيرة تحكي بعض هذه المشاهد .(١)

وإن المرء ليتساءل عن السر في تقرير هذا الكتاب وغيره لطلبة وطالبات في طور المراهقة، مع وجود عشرات الكتب الأخرى المناسبة والتي لاتخدش حياء المسلم" ؟ .(٢)

(٦) أمّا في المرحلة الجامعية "جامعة الخرطوم" فهناك الكثير المثير(٣)، ومما يدرّس في قسم الآداب : كتاب يسمى "الرحلة إلى الهند" لمؤلفه "فورستر"

Passage To India , Forrester

نجد في هذا الكتاب تهجّمًا صريحًا على الإسلام ، وتشويه صورته ، واظهاره على أنّه في مرتبةٍ أقل من البوذية ، ويُظهر المسلمين عبّاد الله في مرتبة دون مرتبة عباد البقر .

أمّا بطل الرواية الدكتور عزيز الرجل المسلم ، فقد حباه المؤلف بدور الضعيف الأكثر انبهارًا بحضارة الغرب ، يعشق تلك المرأة الإنجليزية العجوز ويهيم بها ، ثمّ يُتّهم بالتهجم عليها استجابة لدوافع الجنس المكبوتة عنده التي إن كبتها فسوف تودى به .

---

(١) انظر كتاب : Little Women المرجع السابق ص/ ٢٧ .

(٢) انظر : محمد عثمان أحمد إسماعيل، دور المواد الأُخرى في تحقيق أَهداف العملية التربوية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧

(٣) مقابلة مع الدكتور عبد المجيد الطيب عمر ، مرجع سابق .

ثم نجد بجانب هذه الكتب التي تدرس بجامعة الخرطوم، مؤلفات شكسبير : Shekespear وهي بدورها مليئة بالخرافات والأباطيل ، والانحرافات التي تتنافي والعقيدة والأخلاق الإسلامية . (١)

ونجد كذلك بعض الشعراء الملاحدة مثل " وليم وردس ورث " (٢) William Words Worth الذى يدرّس الكثير من قصائده المليئة بالشك في الذات الإلهية ، كقصيدة النمر " Tiger " والتي يشك فيها على قدرة الخالق على خلق مثل هذا الحيوان الجميل الشرس .

ثانيا : اللغة الإنجليزية :

(١) **كتاب:** سلسلة النيل للسودان (٣) ، الكتاب الثاني للطالب ، تأليف مارتن بيتس ، وميشيل بالمر ، طبع في هنج كنج ، بواسطة مجموعة لغمان، الناشر لغمان . الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.

The Nile Course for the Sudan. Pupil's Book 2

Martin Bates , Michael Palmer

Longman-Hong kong , 1987 .

خَلا الدرس الرابع من هذا الكتاب من الإشارة إلى أداء الصلوات، عند الحديث عن أعمال اليوم والليلة للتلميذ والتلميذة السودانيين حيث نقرأ :

I woke up, got up and washed . read a book , drank tea ... etc.

ومع أنّ أعمال التلميذ حمزة كانت يوم الجمعة ، إلاّ أنّه لايرد ذكر صلاة الجمعة

---

(١) على سبيل المثال انظر: 1-Macbeth 2-Hamlet,to be or not to be .
مقابلة معد . عبد المجيد الطيب عمر .

(٢) مقابلة معد . عبد المجيد الطيب عمر .

(٣) هذه السلسلة مازالت مقررة على المدارس المتوسطة والثانوية .

فيها ، فالغناء ، ولعب الكرة ، من الأعمال المتكررة ، أمّا الصلاة فلا!! .[1]

ويتكرر نفس الإهمال للصلاة في نفس الكتاب ، حيث يشتمل على فترة للنشاط الصباحي ، وفترة للإفطار ، ولا يحتوى على فترة صلاة الظهر برغم أن آخر فقرة من فقرات البرنامج تنتهي في تمام السّاعة الثانية ، والدقيقة الخامسة والأربعين ظهرًا .[2]

ونجد كذلك عند الحديث عن الزواج في السودان وبريطانيا ، تكون وسيلة الإيضاح ، صورة لمراسيم الزواج في الكنيسة ، وصورة العروس ، هي للعروس الأوربية ، وليس السّودانية[3] مثلًا . ويكون القاضي في تمثيلية المحكمة في هيئة القضاء البريطانيين ، مع أنّ الممثلين سودانيين ، والجريمة حدثت في مدينة " مدني " بالسودان .[4].

يقول الأستاذ محمد عثمان أحمد إسماعيل، مُعلّقًا على ذلك : " أنّ مثل هذه الإشارات التي تعتبر عابرة ، لها خطرها في التّأثير على المفاهيم والمفروض أن تكون هناك فلسفة تربوية ، موجهة يخضع لها مؤلفو هذه الكتب ، إذ في غياب فلسفة كهذه، تتسرب مثل هذه الأذكار عن قصد ، أو غير قصد ، إلى المادة اللّغوية ، فلو كانت مفاهيمنا الإسلامية هي الموجهات التربوية الأساسية لما وردت مثل هذه المفاهيم "[5] ..

---

(١) The Nile Course for the Sudan "2" , P.47
وانظر تعليق الأستاذ محمد عثمان أحمد اسماعيل ، دور المواد الأخرى ـ مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢) The Nile Course for the Sudan,Book "2" P. 52

(٣) المرجع نفسه ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ٩٩

(٥) محمد عثمان أحمد إسماعيل ، دور المواد الأخرى ، مرجع سابق ، ص ٩ـ١٠ .

(٢) كتاب: سلسلة النيل للسودان ، الكتاب الرابع للطالب تأليف جوليان كوربلث ،
الناشر : مجموعة لغمان ، الطابع : دى نيبون ، هنج كنج ١٩٧٩م.

The Nile Course for the Sudan , Student's Book 4

Julian Corbluth . Longman

Printed in Hong kong by Dai Nippon Printing Co. Ltd.1979 .

ورد في هذا الكتاب ، مناظرة حول التعليم المختلط في جميع مراحل التعليم ، وعلى الرغم من أنّ هناك ، آراء تعارض ذلك ، إلاّ أنّ النغمة الغالية ، ترجّح التعليم المختلط في جميع المراحل ، وقد ظهر ذلك في نتيجة التصويت ، إذ أيّد الاختلاط سبعة عشر صوتًا ، وعارضه عشرة أصوات . (١)

(٣) كتاب: سلسلة النيل للسودان ، الكتاب السّادس للطالب .
تأليف : جوليان كوربلث . المطابع المصرية الحديثة القاهرة .
الناشر : الشركة المصرية العالمية للنشر ، لغمان .
الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

The Nile Course for the Sudan Student's Book 6

Julian Corbluth

Printed in Egypt , by Modern Egyption Press , Cairo , 1983 .

أ ـ جاء في الكتاب ذكر الإنتخاب الطبيعي Natural Selection عند الحديث عن الحشرات ، وتنكرها باعتباره السبب الأساسي لتكيّف الكائنات مع البيئة . يقول الكاتب : " How does it Happen " ? أى : كيف يحدث هذا ؟ .

---

(١) Julion Corbluth , The Nile Course for the Sudan . Book (4) P.30-31
وتعليق الأستاذ محمد عثمان أحمد إسماعيل ، المرجع السابق ص ٨

الإجابـة : It is what we call Natural Selection

أي : هذا ما نسميه بالانتخاب الطبيعي !! أما قدرة الله وتدبيره ، فلا ذكر لهما . ﴿ أَلاَ لـه الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (١)

والانتخاب الطبيعي - كما هو معلوم - فكرة داروينية ، لم تعد تبدو صحيحة . إذ ليس في الإمكان إيجاد أيّ مرتكز صحيح لمثل هذا الادّعاء ، لأنّه لا دليل ، أو إشارة للادّعاء ، بأنّ الأقوياء ، يتكيفون للحياة . ويبقون ، وأنّ الضعفاء يزولون نتيجة ضعفهم وعجزهم . (٢)

ب - في قطعة مأخوذة من مجلة " Sudan-now " (٣) مايو ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م بالكتاب نفسه بعنوان :" المرأة العاملة في السودان " نجد هذه القطعة ملأى بالدعوة لعددمن المفاهيم المخالفة للتوجيهات الإسلامية السامية فالقطعة تبدأ بالآتي :

" Most working woman agree that the freedom to go to work is the frist step towards a woman's independence " (٤)

أي أنّ أَغلب النّساء العاملات يتفقن،في أنّ الخطوة الأولى نحو تحرير المرأة هي أن تكون حرّة في الخروج للعمل .

---

(١) سورة الأعراف الآية/ ٥٤

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : شمس الدين آق بلوت ، دارون ونظرية التطور ، مرجع سابق ص ١٨ -١٩ .

(٣) اختار المؤلف هذا المقال بالذات ، لأنه وجد فيه مايخدم أفكاره ، ويسجلها كما يريد الغربيون .

(٤) Julian Corbluth . The Nile course for the Sudan, Book "6" p.105 .

فالكاتب هنا يرمي إلى فكرة تحرير المرأة ، حسب المفهوم الغربي بدليل قوله على لسان محاسن : إنّها تعمل للمساهمة في المجتمع ، وليس لمجرد كسب العيش :

" Work , to me " says Mahasin , a government employee , " is more than just a means of earning money . Through my work I really feel that my existence has some value that I contribute to society . " (١)

ومعنى ذلك أنّه لن تكون لحياتها قيمة، مالم تعمل ، فحياتها كأم تربي الأجيال ليست لها قيمة .

وهذا من باب ادعائهم : " أنّ العمل يعطي المرأة كيانًا اقتصاديًا مستقلا فتحصل على كرامتها " . (٢)

فهل الإسلام حرم المرأة من كيانها الاقتصادى المستقل وحريتها ؟ .

أليس في عملها بالبيت ارتقاء بالمجتمع ، وخاصة بالأطفال ؟ .

ثم يذكر المؤلف بعد ذلك على لسان " نجاة " أنّها لا تبغي السكن مع أقاربها (٣) ،

I do'nt want to live with my relatives . " Says (Nejat) :

وكلمة أقارب تشمل حتى المحارم ، وهذه الفكرة لا تجوز شرعًا ، فإذا هي لم تسكن مع محارمها ، فمع من تسكن ؟ .

---

(١) Julian Corbluth . The Nile Course .. Book ' b ' p. 106

(٢) محمد قطب ، شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ١٣٩ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

ويذكر المؤلف بعد ذلك،أنّ من معاني الحرية التي تطالب بها المرأة حرية أن تتزوج ، أوْلاَ تتزوج ؟

" The right to choose whether or not to marry at all ."[1]

ثم نجد الدعوة إلى الاختلاط صراحة والمصاحبة قبل الزواج للتعرف على أخلاق شريك المستقبل ، كما يفعل الغرب المتحضر ! - على حد زعمهم - وترى : " إسراء " أنه من الصعوبة بمكان إقامة العلاقات الشخصية بين الرجال والنساء في السودان .

" It is difficult to establish personal relationships between men and women in Sudan . And Without a chance to know to man's character , it is hard to judge whether or not a woman wants him as a husband ."[2]

هذه الصعوبة في إقامة العلاقات الشخصية بين الرجال والنساء في السودان، ناتجة عن التمسك بقيم الدين الحنيف ، وفي هذا الحديث دعوة ومناداة بالتحلّل من هذه المعتقدات ، واللهث وراء فكرة الصديق والصديقة الشائعة في الدول الأوربية (Boy friend , Girl friend)

ويسوق المؤلف على لسان " كوثر " القول أنّ الزواج قبيح ، أنا ضده،مالم تتغير مفاهيم السودانيين تجاه المرأة ومعاملتها .

---

(١) Julian Corbluth. The Nile Course .. Book ' 6 ' p. 106 .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

" Marriage is not good !" says Kawthar . " I am against it unless there is a real change in the attitude of Sudanese men towards women and in the way they treat us . " (١)

فالفكرة في أصلها مخالفة للشرع ، لأنَّه لايجوز شرعًا ، الامتناع عن الزواج " الرهبنة " بسبب سوء معاملة الرجال للنساء ، وهي فكرة غربية يعرف في الغرب بـ " أطفال تحت الطلب " .

ويعتبر المؤلف أنّ المرأة المتزوجة ليست قادرة على الإبداع ، من إشراف على البيت، وتربية الأطفال ورعايتهم ... الخ .

"Afrer they are married women do not do anything creative " (٢)

« أين هذا من مفاهيمنا الإسلامية ، التي تجعل الجنة تحت أقدام الأمهات بحسبانها مربية الأجيال ، ومنبع الحنان ، إنّها نفس النغمات التي ترددها صيحات العلمانيين تبخس من شأن تربية الأطفال ورعاية الأسرة » (٣) والحد من الزواج الشرعي .

فكما ترى فإنّ المقال بأكمله قد انصب على الأسرة بصفة عامة ، وعلى المرأة بصفة خاصة ، ذلك لمكانتها ودورها في تربية الأجيال .

---

(١) Julian Corbluth . The Nile Course .. Book '6' p. 106
هذه القطعة مأخوذة من مجلة " Sudan-now May,1980 " لماذا اختار مؤلف الكتاب " جوليان كوربلث " هذا المقال بالذات ؟ ، وبالتأكيد لأنَّه يخدم أفكاره ويسجلها كما يريد الغربيون .

(٢) Julian Corbluth . The Nile Course .. Book ' b ' p. 106

(٣) محمد عثمان أحمد إسماعيل ، دور المواد الأخرى ، مرجع سابق ، ص ٨ .

والعلمانيون بصفة عامة، والشيوعيون بصفة خاصة، لهم حقد خاص على الأسرة لأكثر من سبب في وقت واحد ، يقول الأستاذ محمد قطب :" فالأسرة - كما يقولون - تثير مشاعر الأثرة في الوالدين ، وتقوى نزعة الملكية الفردية من أجل توريث الأولاد ، ما يملكه الوالدان ، وهم يريدون القضاء على الملكية الفردية ، فيكرهون - بالتالي - كلّ نظام أو فكرة تقف في طريق القضاء عليها .

ثمّ إنّ النظام الشيوعي، يريد أن يجعل الولاء للدّولة وحدها دون أحد آخر ، ويريد من الأفراد أن يذوبوا ذوباناً كاملاً في " النظام " و " الدولة " و " الحزب" و " الزعيم " . فلا يكون لهم ارتباط بشيء آخر، خلاف هذه الولاءات الضرورية للنظام ، ومن ثمّ فإنّهم يكرهون الأُسرة لأنّها - بداهة - ارتباط قائم بذاته مستقل عن الدولة ، ولو كان مواليًا لها في ظاهر الأمر ، أو تحت الضغط البوليسي للدولة " (١)

ونقرأ في الكتاب نفسه حديثًا دار بين محمد أحمد المهدى وهكس باشا المسيحي الغازى الآتي :

" Believe in the power of God . not of the Turks . "

اعتقد - أى المهدى - في قوة الإله ، وليس في قوة الأتراك

" Hicks deciced to trust in God . "

قرر هكس أن يثق في الإله .

وتعليقًا على هاتين الجملتين أنّ المؤلف وهو مسيحي تراه يظهر الروح الدينية

---

(١) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) Julian Corbluth . The Nile Course .. Book ' b ' p. 139

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

وتأثيرها في " هكس " المسيحي . الأمر الذى جعله يتصدى للقوة الروحية لدى المهدى .

وكان من الممكن أن يستعمل المؤلف كلمة (Allah) اللـه بدل (God)[١] "جود " عند حديثه عن المهدى . ولكنه فعل ذلك لإظهار فكرة الثالوث لدى المسيحيين ، وحجب فكرة التوحيد .

وذات الفكرة نجدها في الصفحة الواحدة والأربعين بعد المائة من الكتاب نفسه ، تحت عنوان " هنرى الخامس يخاطب جنوده " .

Hanry V addresses his soldiers "

حيث تظهر القطعة قوة الاعتقاد الجاد في المسيح ، والحرب من أجله وبقائه بعد الموت .... الخ .[٢]

---

(١) كلمة " GOD " إذا بدئت كتابتها بالحرف الصغير " Small letter " هكذا " god " فإنّها تفيد التعدد، ومعناها واحد من عدد من الموجودات ، أو واحد من الكائنات العديدة التي يعتقد أنّ لها قوة أو نفوذ على الإنسان ، ومن هذا الباب نجد كلمة " goddess " أي إلاهه ، معبودة ، أو امرأة فاتنة .
أمّا إذا بدئت بالحرف الكبير " Capital letter " هكذا " God " فتعني كائن واحد ، يعتقد في أنّه يملك قوة لا تقاس ، أوغير محدودة . حاكم العالم أو الكون .
انظر : Michael West . The New Method English Dictionary
Longman . p. 141 .

وإن كان المعنى الأخير يحمل نوعًا ما ، معنى الوحدانية إلاّ أنّه لم يكن جامعًا مانعًا ، لذا فإنّي أرى أنّه من الأحوط والأصوب استعمال لفظ الجلالة (اللـه) بلفظه هكذا (Allah) حتى يكون المعنى المراد بيّنا لالبس فيه . واللـه أعلم.

(٢) Julian Corbluth . The Nile Course .. Book ' 6 ' p. 141 .

وبعـد :

فهذه بصفة مجملة أمثلة لبعض المناهج المقررة للتلاميذ بالسودان تراها لاتمت لوجوده الإسلامي ، ولا لمجتمعه المسلم بصلة ، وقد حدث ذلك لأنّ المستعمرين كانوا يفرضون الثقافة الأجنبية التي يكون بها الإنسلاخ من الإسلام وعقيدته وقيمه .

وما يقال عن المقررات الدراسية يمكن أن يقال عن المناشط التربوية التي زجت زجا في المناهج السودانية ، فهي بعيدة كلّ البعد عن أهداف التربية الإسلامية ، بل كثيرًا ماتهدم العقيدة ولا تبنيها . وتكفينا الإشارة إلى برامج الدورات المدرسية ، وأعياد العلم . والمهرجانات التي وسمت زورًا بالثقافية ، والتي من أبرز سماتها :

(١) أنّها كانت تضّيع على جميع القائمين على أمرها معلمين وطلاب وطالبات وإداريين ، الصلوات المكتوبة ، لأنّها كانت تقام في أوقات بعض الصلوات كصلاة العصر والمغرب والعشاء ، دون تنبيه ، أوْ حَثّ ، أوْ وقف لإداء ، عند دخول أوقات تلك الصلوات لمن له الرغبة في أدائها .

(٢) أنّها كانت ترفع شعارات غير إسلامية، ورقصات قديمة بها خلاعة ، كرقصة العروس التي كانت تقدم من تلاميذ وتلميذات على أنّها إبداع وفن .

(٣) أنّها كانت تنادى بالتحلل من القيود الأُسرية حيث منحت الطلبة والطالبات حرية الدخول والخروج من منازل ذويهم في أوقات ماكان يُسمح بها في السابق دون محاسبة من الأسرة التي قد تؤاخذ، إذا اعترضت القرارات المنظّمة

للمهرجـــــان . (١)

(٤) أنها كانت تستقدم مُدرِّبين أجانب، كوريين وصينيين وأفارقـة، وإنجليز مسيحييـن وعلمانيين ولادينيين، يسعون لنشر ثقافات بلادهم، وأيدلوجياتهـــــــا، التي تتنافى والعقيدة الإسلاميـة . فيقيمون المسرحيات والأكروبات والألعـــاب الأخرى علـى أنظمـة بلادهم . وجميعها - كما قدمنـا - لاتخدم التراث الإسلامي من قريـب أو بعيـــــد، بل تحاربه .

---

(١) لقد احتجت بعض الأسر المحافظة على تدريب الرجال الأجانب للبنات ومنعـــت بناتهـم ، وقد اتخذت ضدهم إجراءات رسمية من قبل الوزارة حدث هذا فـــــي مهرجان أعياد الإستقلال المقامة بمدينـة الفاشر عام ١٩٧٤م - ١٩٧٥م ، والباحـــث شاهد على ذلك .